المرشد المعين من كلام سيد المرسلين

تفريغ لمحاضرات الشيخ خالد بن محمد الراشد

الجزء الثاني

جمعه واعتني به

أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي

عذراً رمضان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد: معاشر الأحبة! حاضرين وحاضرات! مستمعين ومستمعات! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين. عنوان هذه الليلة المباركة في هذا المكان المبارك مع هذا الحضور المبارك: عذراً رمضان. لماذا الموضوع؟ ومم سيتكون؟ سيتكون من العناصر التالية: لماذا الاعتذار؟ وقفة تفكر قبل البداية. شهر رمضان. كتب عليكم الصيام. المطلوب منك ومنك ومني. بدأ غريباً وسيعود غريباً. الغرباء مع الصيام. لك من أخبار الصائمات. أنواع الصائمين. عذراً رمضان. النداء الأخير الاعتذار لأننا في كل عام نكرر نفس الخطأ في رمضان، فقبل دخوله –أي قبل دخول رمضان– بأيام نعد أنفسنا ونمنيها بأننا سنصنع كذا وسنقوم من الليالي كذا وكذا، سنختم القرآن مرات ومرات، وسنبذل من الصدقات، ثم ما إن يدخل رمضان وتمضي أول الأيام حتى تفشل المخططات، وتذهب الأمنيات أتدري أتدرين ما السبب؟! السبب: أننا نريد أن نلزم أنفسنا بأعمال ما تعودناها، نريد أن نلزم أنفسنا بأعمال ما تعودناها قبل رمضان، فلا عجب سرعان ما تفشل المخططات، متى عهدنا بالقيام، وختم القرآن، ومداومة الصيام؟! أما هم فكان العام كله عندهم كله رمضان، فإذا دخل عليهم ارتفعت الهمم فزادوا في القربات. فعذراً رمضان ابتداءً، لأن أكثرنا سيعيد وسيكرر نفس الخطأ والأخطاء. كنا في العام الماضي في مثل هذه الأيام نرقب شهر الصوم ونتحراه، ثم ماذا؟! عام كامل بأيامه ولياليه قد قوض خيامه، وطوى بساطه، وشد رحاله بما قدمنا فيه من خير أو شر، وصدق الله** – وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً .. وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً –: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:١٤٠]، وصدق

الله حين قال: يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ [النور:٤٤].قال ابن كثير رحمه الله: تمر بنا الأيام تترا، وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر.(السيرة لابن كثير ٨\١١) **إن الدقائق والثواني التي ذهبت من أعمارنا لن تعود، ولو أنفقنا جبال الأرض ذهباً وفضة. اعلم واعلمي أن الأنفاس معدودة والآجال محدودة، واعلم واعلمي أن من أعظم نعم الله علينا أن مد في أعمارنا وجعلنا ندرك هذا الشهر العظيم إن أدركناه، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى التراب من حبيب، تذكروا من صام معنا العام الماضي وصلى العيد، ثم أين هو؟! وأين هي الآن؟! غيبهم الموت وواراهم التراب، ونسيهم الأهل والأحباب. اجعل واجعلي لك من هذا الحديث نصيباً، قال صلى الله عليه وسلم:** (اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك)، رواه الحاكم .**احرصوا رعاكم الله أن تكونوا من خيار الناس كما قال صلى الله عليه وسلم وأخبر حين سئل: أي الناس خير؟ قال:** (من طال عمره وحسن عمله).**إلهي ثكلت خواطر أنست بغيركعدمت قلباً يحب سواك قال سبحانه:** شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة:١٨٥]، جاء عند (أحمد٧١٤٨) من حديث أبي هريرة : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان، فكان يقول لهم: قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خير تلك الليلة فقد حرم الخير). قال ابن رجب : هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران؟! كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشيطان؟! من أين يشبه هذا الزمان زمان(لطائف المعارف ١٥٨\١)؟! قال معلى بن الفضل : كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان.وقال يحيى بن كثير : كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً يا رب الأنام! (لطائف المعارف ١٥٨\١)؟! **فمرحباً بشهر طيب مبارك كريم، في رمضان أنزل القرآن والكتب السماوية، في رمضان الشفاعة بالصيام والقرآن، في رمضان التراويح والتهجد، في رمضان التوبة وتكفير الذنوب، في رمضان تصفد الشياطين، في رمضان تغلق أبواب الجحيم وتفتح أبواب الجنان، في رمضان الجود والإحسان والعتق من النيران، في رمضان الصبر والشكر والدعاء، في رمضان مضاعفة الحسنات وليلة القدر، رمضان شهر الجهاد والانتصار.. فكيف لا يفرح المؤمن بشهر هذا بعض ما فيه؟!.**

بين الجوانح في الأعماق سكناه فكيف أنت ومن في الناس ينساه؟

وكيف أنت حبيباً كنت في صغري أسير حسن له جلت مزاياه
ولم أزل في هواه ما نقضت لعهداً ولا محت الأيام ذكراه
قد شاخ جسمي ولكن في محبته وما زال قلبي فتى في عشق معناه
وفي كل عام لنا لقيا محببة يهتز كل كياني حين ألقاه
بالعين والقلب والآذان أرقبه وكيف لا وأنا بالروح أحياه
والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت ساعاتها أحيالها وأحلاه
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى فما أجل وما أجلى محياه
ألقاه شهراً ولكن في نهايته يمضي كطيف خيال قد لمحناه
في موكب الطهر في رمضان الخيرتجمعنا محبة الله لا مال ولا جاه
من كل ذي خشية لله ذي ولعب الخير تعرفه دوماً بسيماه
قد قدروا مواسم الخيرات فاستبقواوالاستباق هنا المحمود عقباه
صاموه قاموه إيماناً ومحتسباً أحيوه طوعاً وما في الخير إكراه
وكلهم بآيات القرآن مندمجاً كأنه الدم يسري في خلاياه
فالأذن سامعة والعين دامعة والروح خاشعة والقلب أواه

عذراً رمضان.. عذراً رمضان! فما قدرناك حق قدرك. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة:١٨٣].**الحكمة من الصيام: ليس أن يمنع الإنسان نفسه عن الطعام والشراب والنكاح، ولكن كما قال الله:** لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، **وما أشار إليه النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه في قوله:** (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)، (البخارى ٦٠٥٧) **ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام:** (من لم يدع قول الزور): **هو كل قول محرم، أو العمل به أي بالزور، أي: كل فعل محرم،** (والجهل) **هو: العدوان على الناس وعدم الحلم. فالمطلوب منك ومنك ومني: تحقيق تقوى الله جل في علاه، فهي الغاية المنشودة والصفة المفقودة، قال سبحانه:** وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ [النساء:١٣١]، وقال صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت)، **والتقوى في أبسط معانيها: فعل المأمور وترك المحذور. فهل ترانا حققنا هذا بصيامنا؟! أم نحن ممن بالنهار يتقيه وبالليل يعصيه؟!كتب** عمر بن عبد العزيز **إلى رجل: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.. جعلني الله وإياكم من المتقين.تقوى الله أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت،** وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ[الزخرف:٣٥]. **فإليك موجزاً وبعضاً من أخبار المتقين:** قال البخاري : ما اغتبت مسلماً منذ احتلمت. وقال الشافعي : ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً، (سير اعلام النبلاء ١٠\٣٦) **ولو أعلم أن الماء يفسد علي مروءتي ما شربته**(سير اعلام النبلاء ١٠\٨٩). قيل لمحمد بن واسع : لم لا تتكئ؟!

قال: إنما يتكئ الآمن وأنا لا زلت خائفاً.(تاريخ دمشق ٥٦\١٥١) وقرئ على عبد الله بن وهب : وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ[غافر:٤٧]، فسقط مغشياً عليه. (حلية الاولياء٣٢٤) وحج مسروق فما نام إلا ساجداً.(حلية الاولياء ٢\٩٥) **وقال أحدهم: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.** وقال أبو سليمان الداربي :**كل يوم وأنا أنظر في المرآة هل اسود وجهي من الذنوب؟ هذا حالهم فكيف هو حالي وحالك؟! لبسنا الجديد، وأكلنا الثريد، ونسينا الوعيد، وأملنا الأمل البعيد! رحماك يا رب! لماذا تريد الحياة؟! لماذا تعشق العيش؟! إذا لم تدمع العينان من خشية الله جل في علاه! إذا لم نمدح الله في السحر! إذا لم نزاحم بالركب في حلق الذكر! إذا لم نصم الهواجر، ونخفي الصدقات! هل العيش إلا هذا؟! قالوا: إذا لم تستطع قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم، قال سبحانه:** إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر:٥٤-٥٥].فهذه أخبارهم لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّم أَيَتَأَخَّرَ[المدثر:٣٧].قال صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)،(مسلم ١٤٥) **إن الذي يقرأ ويسمع عن أخبار السلف وثلة من الخلف يعلم أن الدين يعيش غربة بين أهله، من سمع عن صيامهم وقيامهم وجهادهم أيقن أن الواقع اليوم يحتاج إلى مراجعة وتصحيح.فتعالوا أحبتي! ننظر في بعض صور الغرباء في رمضان، ومع الصيام ونقول ونكرر: عذراً رمضان.عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما مات عمر حتى فرغ الصيام.أما أمير البررة وقتيل الفجرة عثمان ، قال أبو نعيم عنه:** حظه من النهار الجوع والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبتل بالبلوى منعم بالنجوى(حلية الاولياء ١\٥٥).وعن الزبير بن عبد الله عن جدته قالت: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله **رضي الله عنه.قتلوه وقد كان صائماً والمصحف بين يديه، والدموع على لحيته وخديه، حبيب محمد ووزير صدق ورابع خير من وطئ التراب. أما أبو طلحة الأنصاري الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل)(الحاكم)، **عن أنس رضي الله** عنه قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الغزو فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم لم أره يفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر(تاريخ دمشق ١٩\٤١٩). **أما حكيم الأمة وسيد القراء أبا الدرداء فقد قال:** لقد كنت تاجراً قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم، فلما بعث زاولت العبادة والتجارة فلم يجتمعا، فأخذت بالعبادة وتركت التجارة.(حلية الاولياء ١\٢٠٩) تقول عنه زوجه: لم تكن له حاجة في الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار ما يفتر(صفوة الصفوة ١\٥٣٦). **لله درهم!. أما من خبر الإمام القدوة المتعبد المتهجد عبد الله بن عمر فيكفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم:** (نعم العبد عبد الله)،(البخاري ١٠٧٠) **قال عنه نافع :كان ابن عمر** لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر.(سير اعلام النبلاء ٣\٢١٥) وعن سعيد بن جابر قال: لما احتضر ابن عمر قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة

الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت هنا، يعني الحجاج (سير اعلام النبلاء ٣\٢٣٢).**وإليك وإليك المزيد، وكرروا معي: عذراً رمضان.عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:** (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في يوم حار حتى إنه ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وابن رواحة). (البخاري ١٩٤٥) **أما مسروق بن عبد الرحمن الذي كان في العلم معروف، وبالثناء موصوف، وبعبادة الله معشوق،** قال عنه الشعبي : غشيته يوماً –أي: زرته يوماً– في يوم صائم، وكانت عائشة قد تبنته فسمى ابنته عائشة وكان لا يخالف ابنته في شيء، قالت: فنزلت عليه ابنته يوماً فقالت: أبتاه**!** أفطر واشرب**!** قال: ما أردتي يا بنية**!** ماذا تريدين من هذا الكلام؟ قالت: الرفق، أن ترفق بنفسك أبتاه**!** قال: يا بنية**!** إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة(سير اعلام النبلاء ٤\٦٨).**فماذا صنع الله لهم وماذا أعد لهم؟!** فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا [الإنسان:١٢-١٤] **إلى أن قال لهم:** إن هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً [الإنسان:٢٢].**وهذا خبر أخير عن المبشر المحزون، والمستتر المخزون، تجرد من التلاد وشمر للجهاد وقدم العتاد للمعاد: العلاء بن زياد كان ربانياً تقياً قانتاً لله بكاءً من خشية الله،** فعن هشام بن حسان أنه قال: كان قوت العلاء بن زياد رغيفاً كل يوم وكان يصوم حتى يخضر، ويصلي حتى يسقط، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له: إن الله تعالى لم يأمرك بهذا كله، فقال: إنما أنا عبد مملوك، فلا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئته(حلية الاولياء ٢\٢٤٣). **قال له رجل يوماً:** رأيت كأنك في الجنة، فقال له: ويحك أما وجد الشيطان أحداً يسخر به غيري وغيرك(حلية الاولياء ٢\٢٤٥).**قال سلمة بن سعيد : رؤي العلاء بن زياد** أنه من أهل الجنة، فمكث ثلاثاً لا ترقأ له دمعة ولا يكتحل بنوم ولا يذوق طعاماً، فأتاه الحسن فقال: أي أخي**!** أتقتل نفسك أن بشرت بالجنة؟ فازداد بكاءً، فلم يفارقه حتى أمسى، وكان صائماً فطعم شيئاً من الطعام(سير اعلام النبلاء ٤\٢٠٣)، **قال الله سبحانه:** إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:١٠١-١٠٧].

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذي لم تعلموه

رأى علم الهدى فسعى إليه وطلب مطلباً لم تطلبوه

أجاب دعاءه لما دعاه وقام بأمره وأضعتموه

لنفسي ذاك من فطن حصي فتذوق مطعماً لم تطعموه

قال سبحانه: تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً [مريم:٦٣]. **لله درهم! فكم علت بهم الهمم، وأي كلام يترجم فعلهم. ولك أنت من أخبار النساء أيضاً وكرري وقولي: عذراً رمضان.عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه** أن عائشة كانت تصوم الدهر(سير اعلام النبلاء ٢\١٨٧)، **وعن عروة أن عائشة كانت تسرد الصيام، وقال القاسم** :كانت تصوم الدهر فلا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر(صفوة الصفوة ٢\٣١). **وقد بعث لها معاوية مرة بمائة ألف درهم،** فقسمتها ولم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة : أنت صائمة فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت: لا تعنفيني، لو كنتِ أذكرتني لفعلت. (صفوة الصفوة ٢\٣٠) **إنها الصديقة بنت الصديق ، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، المبرأة من العيوب رضي الله عنها وأرضاها. أما القوامة الصوامة حفصة بنت عمر رضي الله عنها وعن أبيها وعن إخوتها وآل عمر وارثة الصحيفة، والجامعة للكتاب، فعن قيس بن زيد** : (أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون ، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد أقبل فتجلببت رضي الله عنها، قال: فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: إن جبريل قد أتاني فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامه، وإنها زوجتك في الجنة). **فأي شهادة أعظم من شهادة الله وجبريل لحفصة رضي الله عنها، وأنعم بها من عبادة كانت سبباً لرجوع أم المؤمنين حفصة إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم لتبقى له زوجة في الجنة، قال نافع** : ماتت حفصة حتى ما تفطر(تهذيب الأسماء واللغات ١\٩٣٠). **وإليك مزيد:اسمعي ونادي بأعلى الصوت: عذراً رمضان.. عذراً رمضان.عن سعيد بن عبد العزيز قال:** ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة العابدة مولاة معاوية ، دخل عليها نفر من القراء فكلموها لترفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق بها، فإنما هي أيام مبادرة وأيام معدودة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً،(صفوة الصفوة ٤\٤٠) **والله يا إخوتاه! لأصلين لله ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي، ثم قالت: أيكم يأمر عبده فيحب أن يقصر في حقه؟! ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت، وصامت حتى اسودت، وبكت حتى فقدت بصرها. وكانت تقول: علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم قلبي، والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكوراً. كانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله، قال الله عنهم:** إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء:٩٠]، وقال عنهم حين دخلوا الجنان: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ * فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ [الطور:٢٥-٢٩].. **عذراً رمضان.**

فلو كان النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

أخي أخية! هذه أنواع الصائمين ذكرتها لنعرف أنفسنا ونقدم الاعتذار ونقول: عذراً رمضان.من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عادة وعبادة، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فإنه صائم رضا، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى، ومن صام عن الغيبة والنميمة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد، ومن صام عن المنكر وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مجاهد، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد. قال ابن القيم : الصوم لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين لرب العالمين (زاد المعاد ٢\٢٩)، يكفيك قول الله: (الصوم لي وأنا أجزي به). (البخاري ٧٤٩٢)

يا قادماً للتقى في عينك الحب طال اشتياقي فكم يهفو لكم قلب

صبرت عاماً أمني قرب عودتكم نفسي فهل يدنو لكم سرب

قل هل طيفكم فاخضر عامرنا والله أكرمنا إذ جاءنا الخصب

ففيكم يرتقي الأبرار منزلةً والخاملون كسالى زرعهم جدب

قالوا في الصيام: لصوم: لذة الحرمان. وقالوا: الصوم رجولة مستعلنة، وإرادة مستعلية. وقالوا: رمضان شهر الحرية عما سوى الله، وفي الحرية تمام العبودية، وفي تحقيق العبودية تمام الحرية. قالوا: رمضان شهر القوة، (فليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).(البخاري ٦١١٤) **قالوا: الصوم صبر وطاعة ونظام، أترون أمة من الأمم تتحلى بهذه الصفات ثم تجد سبيلها إلى الانهيار؟! صبر وطاعة ونظام، أترون جيشاً يتحلى بهذه الأخلاق القوية ثم يجد نفسه على عتبة الهزيمة؟!فلا تنسى ولا تنسي وأنت تصوم وأنت تصومين أن الله يريد أن يجعلنا بالصيام مثال القوي الأمين. فحذار حذار! أن ينسلخ عنا رمضان ونحن كالضعيف الخائن. أحبتي! لن يتسع المقام حتى نذكر حال الغرباء مع القيام ومع تلاوة القرآن، لن يتسع المقام لذكر أخبار الغرباء مع التضرع والدعاء والبذل والعطاء، ولن يتسع المقام لذكر بطولات الغرباء وصولاتهم وجولاتهم في ساحات الجهاد في رمضان، لكن حسبنا ما سمعنا وذكرنا من أخبارهم، واللبيب بالإشارة يفهم. لقد كان رمضان شهر عبادة واجتهاد، وكذا كان حالهم قبل وبعد رمضان، فما هو حالنا؟!اسمع شيئاً من أخبارنا، واسمعي بارك الله فيك! ولنقل جميعاً بأعلى الصوت: عذراً رمضان!. في بحث واستفسار وأسئلة طرحت على مئات من المجتمع رجالاً ونساءً موظفين وطلاباً عن حالهم وعن أوقاتهم في رمضان، فجاءت الاعترافات التي تؤكد لنا قوله صلى الله عليه وسلم:** (بدأ الدين غريباً

وسيعود غريباً)، **وحتى تعرف أننا لم نخطئ حين اخترنا هذا العنوان. فقائل: أقضي الليل أمام شاشات التلفاز أتابع القنوات الفضائية حتى طلوع الفجر مع بعض زملائي.. أقول: عذراً رمضان.وقائل: تحت أضواء الملاعب ضمن سلسلة المباريات مقامة في ليالي رمضان.. أقول: عذراً رمضان.وقائل: على موائد البلوت والورقة في المجالس وعلى الأرصفة.. أقول: عذراً رمضان.وقائل: أقضي الأوقات في التنزه في الحدائق تارة وفي الأنفاق تارة، إنا لله وإنا إليه راجعون.**

يا أمة لعبت بدين نبيها كتلاعب الأطفال بالأوتار

وإذا تلا الإمام عليهم سورة فأطال ما عدوه في الأسفار

أما أهل الوظائف فسهر بالليل ثم كسل وخمول طوال النهار، والنتيجة لوم وتوبيخ وخطابات إنذار، وآخر يقول: أنا أحسن من غيري حيث يتسنى لي النوم في المكتب، ضاعت الأمانات التي قامت عليها الأرض والسماوات، وآخر يقول: في رمضان يكثر غيابي وتكثر الخصميات.أما الأئمة فيشتكون وينادون ويقولون: عذراً رمضان، ففي لقاءات مع بعض الأئمة تحدث بعضهم مستبشرين بزيادة المصلين في رمضان، وإقبال الناس على الطاعة، وعبر آخرون عن حزنهم لحال المتخاذلين حتى في رمضان، وقال آخر: إنهم يزدادون في صلاة الفجر حتى يمتلئ المسجد بهم، ولكنا لا نكاد نراهم في صلاة الظهر والعصر، فقد انقلبت عندهم الحياة، الليل نهار، والنهار ليل. أما في الأسواق فاسمع الأخبار من رجال الهيئات والأخبار. أما في المقاهي فسئل أحد العاملين في إحدى المقاهي عن الفرق بالنسبة لهم عن العمل في رمضان وفي غير رمضان فأجاب: إن العمل في رمضان يكون أكثر تعباً وإرهاقاً حيث يكثر الزبائن، ويزدحمون بمعدل الضعف عن غير رمضان، يمضون ليلهم كله في المقاهي بين شيشة وورق ودخان، كيف لا نقول: عذراً رمضان، كيف لا نصيح وننادي ونقول: عذراً رمضان.أما الأبناء فعلى الأرصفة والطرقات صخب ولهو.. فتسأل نفسك أين الراعي عن الرعية؟! أما النساء فسهرات نسائية، وانشغال في إعداد أصناف الحلويات والمشروبات والمأكولات، أمن أجل هذا شرع رمضان؟! وأمهات يسهرن حتى الفجر في انتظار الأولاد الذين لا يعودون إلا في هذه الأوقات المتأخرة. أما الأسواق والمجمعات فحدث ولا حرج فأين العبادة؟! أين الجد والاجتهاد؟! أليست الأعمار محدودة؟ يقول أحدهم: أنام بعد الفجر ولا أستيقظ إلا بعد صلاة العصر، فالنوم عبادة! وآخر يقول: يوقظني والدي عند الإفطار وفي بعض الأحيان لا أفطر إلا قبيل صلاة العشاء.أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.ومع أحد الزبائن في إحدى المقاهي كانت هذه الأسئلة السريعة: منذ متى وأنت هنا؟ قال: من الساعة الثانية عشرة، إلى متى تجلس؟ قال: إلى وقت السحور، هل أنت موظف؟ قال: نعم أنا موظف حكومي، ألا تتأخر عن دوامك؟ قال: أتأخر قليلاً ثم أكمل النوم في المكتب. هذا هو رمضان اليوم، هذا هو رمضان اليوم

عند كثير من الفئات. فيا خيبة الصائمين، ويا حسرة المفرطين، وعذراً رمضان، فما قدرناك حق قدرك. ويحنا ما غرنا! ويحنا ما أغفلنا! ويحنا ما أجهلنا! ويحنا لأي شيء خلقنا! أللجنة أم للنار؟! يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي! يا شموس التقوى والإيمان اطلعي وأشرقي! يا صحائف أعمال الصالحين ارتفعي وأبشري! يا قلوب الصائمين اخشعي وتضرعي! يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي! ويا عيون الساهرين لا تهجعي! ويا ذنوب التائبين اذهبي لا ترجعي! يا أرض الهوى ابلعي ماءك! ويا سماء النفوس أقلعي! يا خواطر العارفين ارتعي! يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي! **قدمت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام، فما منكم إلا من دعي، ورمضان يناديكم ويقول:** يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [الأحقاف:٣١-٣٢]، **فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب.. ألا يكفيك قوله:** (الصوم لي وأنا أجزي به)؟!

.رباه عفوك إني للنور مدت يدايا وأبكي ويبكي دمعي ويبكي بكايا

وحفنة من وعاء غرسه من دمايا ولا لغيرك دوى يا رب يوماً ندايا

إليك أنت صباحي مصفداً في مسايا فاذكر إلهي ضياءك إني ظمآن ضل صدايا

لم أدر من أي نبع أسقي حنين الركايا والشط لا ماء فيه يطفي اللظى في حشايا

رحماك يا رب هذا إثمي وصادي تقايا وذاك دربي وهذا على الطريق عصايا

رحماك يا رب إني وزورقي والخطايا في لجة ليس فيها من الضياء بقايا

جفت وغاضت ولكن ما زلت أزجي رجايا غفرت أم لم فإني ما زلت أدعوك يا ربيا **!فعجباً لمن عرفك ثم أحب غيرك! وعجباً لمن سمع مناديك ثم تأخر عنك! عذراً رمضان.. عذراً رمضان فما قدرناك حق قدرك.اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا، اللهم بلغنا رمضان، اللهم بلغنا رمضان، اللهم بلغنا رمضان، وارزقنا صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً يا ذا الجلال والإكرام، اللهم وفقنا فيه لفعل الطاعات، ووفقنا فيه لترك المعاصي والمنكرات، واجمع فيه شملنا ووحد فيه صفنا وأصلح فيه ولاة أمورنا وانصر فيه المجاهدين وسدد فيه الدعاة والعلماء الربانيين، ووفق فيه الشباب والشيب والنساء والإماء لتوبة نصوح واستقامة وثبات حتى الممات يا رب العالمين!ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. أستغفر الله العظيم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

***

فاتخذوه عدواً

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! لقد حذرنا الله تبارك وتعالى من الشيطان، وأخبرنا أنه عدو لنا، فالمطلوب منا أن نتخذه عدواً، فإذا كان عدواً لنا فلا بد أن نعرفه تمام المعرفة، ونعرف أساليبه، ونعرف طرقه في إضلال البشرية؛ حتى نكون على حذر منه، وحتى نكون على أهبة الاستعداد إذا هاجمنا بأي وسيلة من وسائله.فحين تسأل الزاني: لماذا زنيت؟ فإنه يقول: إن السبب هو الشيطان، وحين تسأل السارق: لماذا سرقت؟ فإنه يقول: إن السبب هو الشيطان، وحين تسأل القاتل: لماذا قتلت؟ فإنه يقول: إن السبب هو الشيطان، وحين تسأل الذي طلق زوجته: لماذا طلقتها؟ فإنه يقول: إن السبب هو الشيطان، فهو عدونا الأول الذي هدفه إغواء البشرية وإضلالها حتى يدخلها معه في النار:** إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٦].**فالشيطان يقول: عجباً لبني آدم يدّعون أنهم يحبون الله ويعصونه، ويدعون أنهم يكرهونني ثم يطيعوني.إن الشيطان من الجن، وقد كان يعبد الله في بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ودخل الجنة، ثم عصا ربه عندما أمره بالسجود لآدم؛ استكباراً وعلواً وحسداً، فطرده الله من رحمته. والشيطان في لغة العرب: يطلق على كل عاص ومتمرد، وهو مأخوذ من (شَطَنَ)، أي: بعد عن الحق وتمرد عليه، وقد أطلق عليه هذا الاسم لعتوه وتمرده وتكبره على أوامر الله تبارك وتعالى، كما يطلق عليه لفظ الطاغوت، وهو الطاغوت الأكبر كما قال الله:** الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا [النساء:٧٦].**واسم الشيطان معلوم عند غالبية أمم الأرض بنفس الاسم، فهو يسمى بنفس الاسم في كل لغات أهل الأرض، وسمي طاغوتاً لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتنصيبه نفسه إلهاً يعبد من دون الله، فكل**

من رضي أن يعبد من دون الله كان طاغوتاً. وسمي بإبليس ليأسه من رحمة الله تبارك وتعالى.وأما أصله: فقد اختلف المتقدمون والمتأخرون في أصله، فمن قائل: هو من الملائكة، ومن قائل: هو من الجن، وهذا هو الراجح والصحيح لأدلة كثيرة منها: أن القرآن نص على أنه من الجن، كما قال الله: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)[الكهف:٥٠]. **وقال سبحانه:** أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف:٥٠] **فله ذرية، والمعروف أن الملائكة ليس لها ذرية، والشياطين تتوالد وتتكاثر.وقد ثبت بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة في خلقهم، وغير الإنس أيضاً، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم –كما في** صحيح (مسلم ٢٩٩٦)– (أن الملائكة خلقوا من نور، وأن الجن خلقوا من نار، وأن آدم خلق من طين). **ولقد قال الله على لسان إبليس:** أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الأعراف:١٢]. **وقال سبحانه:** وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [الحجر:٢٧].**وقال سبحانه:** وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ [الرحمن:١٥].**فعلى هذا يكون خلقه مغايراً لخلق الملائكة، فالملائكة خلقوا من نور وهو وذريته خلقوا من نار**.قال صاحب (الظلال ٤\٤٣٦): قال الله عن الملائكة: لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم:٦]، وهو حين أُمر عصى وتكبر وتمرد، فلو كان من الملائكة ما عصى أوامر الله تبارك وتعالى، فالراجح والأصح أنه من الجن وليس من الملائكة. وحديثنا ليس عن الشياطين بشكل عام، ولكن عن شيطانهم الأكبر، فمتى بدأ كيد الشيطان؟ تعالوا نستمع لهذه الآيات، ونتدبر فيها، ونرى أساليب الشيطان المتنوعة في إضلال البشرية، وكيف نجح في إخراج آدم من الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.**قال الله تعالى:** وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [الأعراف:١١]، **فقد خالف الأوامر، والملائكة لا تعصي لله أمراً:** قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [الأعراف:١٢]، **فافتخر بأصله،** قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ [الأعراف:١٣]، **فكان التكبر أول ذنب عُصي به الله تبارك وتعالى، ودافع ذلك هو الحسد أعاذنا الله وإياكم من ذلك، فقد حسد إبليس آدم فتكبر على أوامر الله جل في علاه،** قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [الأعراف:١٢-١٤].**فهنا سأل إبليس الله سؤالاً فأعطاه إياه، وليس ذلك لكرامته على الله؛ بل لهوانه على الله تبارك وتعالى،**قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ [الأعراف:١٤-١٥].ثم تعهد إبليس وتوعد: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [الأعراف:١٦-١٧].**وهو يقصد بهذا التوعد والتهديد البشرية أجمعين، فقال:** لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ

أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، **وصدق حين قال:** وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، **فصدق وهو الكذوب، ولا تجد أكثرهم شاكرين، فسأجلس لهم على صراطك المستقيم، فإن أراد أحدهم الصلاة أو الصيام أو القيام، أو أراد الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو أراد طاعتك؛ خذلته عن الطاعات، وقدته إلى المعاصي والمنكرات.** قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ [الأعراف:١٨]، **فخرج وطُرد من الجنة. ثم بدأ كيده لآدم في وسط الجنة، قال الله:** وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ [الأعراف:١٩]**.فإذا عصيت فأنت ظالم، وإذا خالفت الأوامر فأنت ظالم؛ ولذلك فكل عاص لله ظالم لنفسه.** فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ [الأعراف:٢٠]**، وهذا هو أسلوبه، فهو لم يجبر الناس إجباراً، ولم يضربهم على أيديهم، ولا قادهم إلى المنكرات بالسلاح، وإنما وسوس إليهم، والوسوسة هي: الصوت الخفي، أو هي حديث النفس، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ إما بحديث النفس أو بإدخال الحية في الجنة -كما قيل- فبدأت توسوس لآدم، وهدفه من ذلك: لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ، يريد أن ينتشر التعري والتفسخ بين البشرية؛ حتى تنتشر الفاحشة والرذيلة، وهذه هي أسرع الطرق لإغوائهم. فقال لهما:** قَال مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ* وَقَاسَمَهُمَا ، **أي: أقسم لهما بالله إنه لمن الناصحين، فصدقه آدم، وما ظن آدم بفطرته السليمة أن هناك من يحلف ويقسم بالله كاذباً.** وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ [الأعراف:٢١]، **فكان هو أول من أقسم بالله كاذباً.** فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ [الأعراف:٢٢]**.وقد حذر الله آدم كما قال:** فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى [طه:١١٧]. **وقد حذرنا الله أيضاً منه وقال:** إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٦]. **وبعد أن عصى آدم وحواء عليهما السلام الله تعالى تابا كما قال الله عنهما:** قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف:٢٣]، **والنتيجة:** قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لحكمة أرادها الله، وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [الأعراف:٢٤] **أي: إلى أن يأتي وعد الله تبارك وتعالى.قَالَ** فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ [الأعراف:٢٥]**.فهذا هو العدو الذي حذرنا الله منه، فكم أغوى من عابد! وكم أضل من زاهد! وكم أضل من الشباب! وكم أضل من شيب! وكم أغوى من فتاة! وكم ضيع من شاب! حتى إذا ضيعهم تبرأ منهم قال الله تعالى:** كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [الحشر:١٦]**.فإذا أسقط الإنسان في الكفر والضلال والمعصية تبرأ منه، ومن العجب العجاب أن الإنسان يسقط مرة تلو الأخرى، ويُلدغ من نفس**

الجحر مرات كثيرة اعلم –بارك الله فيك– أن للشيطان أساليب كثيرة، وأن له خبرة وباعاً طويلاً في إضلال البشرية، فمنذ أن خلق الله آدم وهو يتفنن في إضلال البشرية.وهدف الشيطان الأول هو: أن يشرك الناس بالله تبارك وتعالى، فما زال بقوم نوح حتى أغرقهم الله، وما زال بعاد وثمود حتى أهلكهم الله، وما زال بقوم فرعون حتى أغرقهم الله، وما زال بقوم لوط حتى أمطرهم الله حجارة من السماء، فأضلهم الشيطان ثم تبرأ منهم، وقد قال: لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ [الأعراف:١٧] **قال أهل التفاسير: يعني سآتيهم من طريق دنياهم، فأزين لهم الدنيا وما فيها، لذلك قال الله:** إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٦]، وقال: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد:٢٠]، **فأخبر الله عن الحياة الدنيا أنها متاع الغرور، فلا يغرنكم الشيطان بتزيين هذه الدنيا وما فيها.**

هب الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا كمثل ظلأ ظلك ثم آذن بالزوال

فأسلحته كثيرة، وخبرته طويلة، ومن أعظم أساليبه: تزيين الباطل، فهو يزين الباطل للناس كما زين لآدم فقال له: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى [طه:١٢٠]، **وكما قال:** لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [الحجر:٣٩]، **وكما قال تعالى:** يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [النساء:١٢٠].**ومن أساليبه أيضاً: أنه يسمي الأشياء بغير مسمياتها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (ستأتي سنوات خداعات، يؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويتكلم فيها الرويبضة)،(ابن ماجة ٤٠٣٦) **فتنقلب فيها الموازين، وتسمى الأشياء بغير مسمياتها، واليوم نرى بأم أعيننا المنكر يسمى معروفاً، والمعروف يسمى منكراً، فيسمون الأغاني والألحان فناً وطرباً، ويسمون الزنا علاقات جنسية، ويسمون الخمور أم الأفراح وانشراح الصدور، ويسمون الربا الذي حاربه الله ونهى عنه بفوائد وأرباح بنكية! فضحك الشيطان على البشرية، فصاروا يسمون الأشياء بغير مسمياتها.ومن أساليبه أيضاً: تحبيب الكسل والفتور إلى الناس، قال الله عن المنافقين:** وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء:١٤٢].وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا نام أحدكم عقد الشيطان على قافيته ثلاث عقد، فإذا أراد أن يقوم قال له: ارقد فإن وراءك ليلاً طويلاً، فإذا قام وذكر الله انحلت العقدة الأولى، فإذا قام وذكر الله ثم توضأ انحلت العقدة الثانية، ثم إذا قام وذكر الله ثم توضأ ثم صلى انحلت العقدة الثالثة)، (البخاري ١١٤٢) **فبذكر الله نستطيع أن ننتصر على الشيطان.فلنسأل أنفسنا أين نحن من هذا الحديث؟ وأين نحن من هذا الكلام؟ فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل نام عن صلاة الصبح –أي: صلاة الفجر– فقال:** (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه) . **فأسألك بالله العظيم: كيف كان حالك هذا الصباح؟ أبال**

الشيطان في أذنيك كما فعل بكثير أم أنت ممن ذكرت الله حتى انحلت العقد واحدة تلو الأخرى؟ فما أكثر الذين يبول الشيطان في آذانهم في كل يوم!ومن أساليبه أيضاً: الوعد والتمنية، قال الله تعالى: يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [النساء:١٢٠]، فكم من شاب أراد أن يتوب فسوَّف له الشيطان، وكم من شيخ كبير أراد أن يعود ويئوب فمنَّاه الشيطان، فهو يعدهم ويمنيهم بلعل وسوف وعسى، وأكثر صياح أهل النار من لعل وسوف وعسى.ومن أساليبه أيضاً: إظهار النصح، فهو يظهر للبشرية أنه لهم ناصح، وهو الكذوب كما قال لآدم: وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ [الأعراف:٢١]، وكذب فإنه والله لمن الكاذبين، ومع ذلك أقسم إنه لمن الناصحين!ومن أساليبه: التدرج في الإضلال، فهو يأخذهم خطوة خطوة، نظرة فابتسامة فكلمة ثم معصية لله تبارك وتعالى، كأن يقول: ادخل القنوات إلى بيتك لمتابعة الأخبار ومتابعة ما يحدث في العالم، ثم فجأة تنقلب الشاشات إلى لهو وغناء، ثم زنا وفاحشة ورذيلة، ثم انتهاك للمحرمات في البيوت، فكم ضحك الشيطان على الناس بإدخال الشاشات والقنوات إلى بيوتهم!ومن أساليبه أيضاً: أنه يخوف أولياءه كما قال الله: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٧٥]، فإذا أراد أحد منا أن يأمر بمعروف أو ينكر منكراً هدده الشيطان وتوعده، وقال له: إن ردة فعل الناس كذا وكذا، وإن الناس لا يتقبلون مثل هذا الكلام، فهو يخوفهم، ولكنه يخوف أولياءه، ولا يخوف الشيطان إلا أولياءه.فأساليبه كثيرة تتنوع وتتغير باختلاف الوقت والزمان، فقد يظهر أنه ناصح ولكنه في الحقيقة ماكر وكذاب كبير.وقد قيل: إن رجلاً كان تحت جدار وكان الجدار على وشك السقوط، فجاءه رجل فأقامه من مكانه، فما هي إلا لحظات حتى سقط ذلك الجدار، فقال الرجل: جزاك الله عني خيراً فقد أنقذتني من الهلاك، فمن أنت؟ قال: أنا الشيطان، قال: أنت الشيطان وتفعل معي هذا! قال: نعم، خشيت أن تموت شهيداً؛ لأن الذي يموت في الردم والهدم يعتبر شهيداً، فقاتله الله! كم أضل من زاهد! وكم أغوى من عابد!وقد حذر الله وأنذر منه، فمن استجاب فقد فاز ونجا، ومن لم يستجب فلا يلومن إلا نفسه. نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه. أما بعد:عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١].وكما أن أساليب الشيطان كثيرة فأسلحته أيضاً كثيرة، ومن أعظم أسلحته: أم الخبائث وهي الخمر، وما أدراك ما الخمر؟ فكم ارتكبت من

جرائم تحت تأثير المسكرات والمخدرات! وكم يقطع الناس آلاف الأميال لإشباع الأهواء والرغبات ابتداءً بالخمور والمسكرات! وكم تهدمت بيوت بسبب أم الخبائث!يحكى أن امرأة جاءت إلى عابد ومعها طفل صغير وكأس من الخمر، فقالت له: أنت بين خيارات: إما أن تزني بي، وإما أن تقتل هذا الغلام، وإما أن تشرب الخمر، فظن أنه سيختار أهون هذه الأمور الثلاثة، فقال: أشرب الخمر ولا أزني ولا أقتل أحداً، فلما شرب الخمر تخمر عقله، والخمر معناها مأخوذ من التغطية، نقول: خامر الشيء إذا غطاه، والخمر تغطي العقل فلا يفكر الإنسان في عواقب الأمور. فشرب الخمر، فلما طار عقله زنى بالمرأة، فلما زنى بالمرأة وعلم عظيم جرمه قتلها وقتل الغلام؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الخمر أم الخبائث). (الأوسط ٣٦٦٧) والملعونون في الخمر عشرة: شاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرها، ومعتصرها، ومشتريها، وبائعها، وآكل ثمنها، وساقيها، وما ذاك إلا لعظيم أثرها في الإفساد والتزيين.ومن أعظم أسلحته التي انتشرت اليوم في كل بيت إلا من رحم الله: الموسيقى والألحان، حتى أصبحت قلوبنا لا تتأثر بالقرآن؛ لأنها ملئت بمزامير الشيطان، وصدق الله حين قال: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء:٦١-٦٢] ، ثم قال الله له: اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [الإسراء:٦٣-٦٤].فإذا أتى الرجل أهله ولم يذكر الله شاركه الشيطان، وإذا أكل طعامه ولم يذكر الله شاركه الشيطان، وإذا دخل بيته ولم يذكر الله دخل معه الشيطان، فكم هي البيوت التي تسكنها الشياطين اليوم لقد انتشرت الموسيقى والألحان كانتشار النار في الهشيم، فلا يكاد يخلو منها بيت ولا سيارة ولا مكتب ولا مطار، فكل أماكننا أصبحت أماكن لمعازف الشيطان والعياذ بالله! فأسألك بالله إن كنت عاقلاً: ماذا استفدنا من المعازف والألحان؟ ثم قل لي: ماذا استفدنا من هؤلاء الذين يغنون ويطبلون ويرقصون استجابة للشيطان؟! ماذا استفدنا منهم؟ وماذا يقدمون للمجتمع إنّ الطبيب يعالج المرضى، والمدرس يكافح الأمية ويعلم الصغار والكبار، والفلاح يزرع، والصانع يصنع، وأما المغني والمغنية، والراقص والراقصة، والممثل والممثلة، فماذا يقدمون للمجتمع؟! ماذا يقدم لنا هؤلاء؟! بكل صراحة إنهم يقدمون لنا الفاحشة والرذيلة، ويقدمون لنا الزنا بكل صوره، ويدعوننا إلى شرب الخمور، ومعاقرة النساء، والسفر للسياحة إلى بلاد الكفار، أليس هذا هو الواقع؟ أي عاقل يقول: إن كلمات الأغاني تدعو إلى مكارم الأخلاق والفضيلة؟! ومع هذا امتلأت بيوتنا وسياراتنا بمعازف الشيطان، فأمة الإسلام هجرت القرآن، واتخذت معازف الشيطان لها شعاراً بالليل والنهار، فكيف تنتصر على أعدائها؟!إن

حب القرآن وحب الألحان في قلب عبد مؤمن لا يجتمعان؛ فلذا أصبحت قلوبنا أقسى من الحجارة، والسبب: أنها تعلقت بمزامير الشيطان. وقد سئل الإمام أحمد عن الموسيقى والألحان فقال: لا يفعلها عندنا إلا الفساق، وقال شيخ الإسلام : أولئك هم المخنثون عندنا.فأسألكم بالله العظيم: **لو رأى الإمام أحمد وشيخ الإسلام الفيديو كليب اليوم ماذا سيقولان؟! ولو رأيا نساءنا يتمايلن بأجسادهن وشعورهن على الشاشات والقنوات، وأمم من البشر يسهرون حتى ساعات الليل الأخيرة على المعازف والألحان ماذا سيقولان؟!**

ها هو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاديا

ويحنا ماذا أصـــاب رجالنا أو ما لنا سعد ولا مقداد

ومن أسلحته أيضاً: السحر والشعوذة، والكهنة والعرافين، فكم أضلوا وأفسدوا! وكم فرقوا ودمروا من بيوت! وكم فرقوا بين زوج وزوجة! وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ [البقرة:١٠٢].**ومن أعظم أسلحته التي تظهر قلة الحياء، وقلة الغيرة على الدين: النساء، وما أدراك ما النساء؟ فهن أعظم سلاح للشيطان، فإذا عجز الشيطان عن الرجل الصالح جاءه من باب النساء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن)(البخاري ٣٠٤)، **فاذهب إلى الأسواق وانظر إلى الكاسيات العاريات، ثم قل بكل صراحة: أين الآباء؟! وأين ولاة الأمور؟! وأين من استرعاهم الله الرعية؟! أين هم حتى يروا بناتهم وفتياتهم يتلاعب الذئاب بهن في كل مكان هذه أسلحة الشيطان التي يهاجمنا بها، ومن فضل الله علينا أن أعطانا أسلحة مضادة لهذه الأسلحة، ومن أعظمها قوله تعالى:** وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [الأعراف:٢٠٠]، **فالجأ إلى الله، واعتصم به، وتوكل عليه:** (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران:١٠١].**وقد جاء في الأثر أن الله يقول:** (وعزتي وجلالي! ما اعتصم بي عبد من عبادي وكادته السماوات والأرض إلا جعلت له من بينها مخرجاً)، **فمن اعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (إذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله)،(الترمذي ٢٥١٦) **وقال يوسف عليه السلام حين هاجمته النساء من كل مكان** قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [يوسف:٣٣-٣٤].وقال الله للشيطان: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)[الحجر:٤٢]، وقال: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ [النحل:١٠٠] **وهم الذين يقودهم كما يقود الرجل الشاة والبعير، وهكذا يفعل الشيطان بكثير من أوليائه .ومن أعظم الأسلحة التي نرد بها كيد الشيطان: ذكر الله تعالى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (مثل الذي يذكر الله كمثل رجل فر من قوم ثم دخل إلى حصن فتحصن به)، **فذكر الله تبارك وتعالى حصن للمسلم في صباحه**

ومسائه.وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزلت علي اليوم سورتان ما رأيت أعظم منهما قدراً: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [الفلق:١] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [الناس:١])، (مسلم ٢٦٤ – (٨١٤)) **فكررها صباحاً ومساءً.ثم إن من أعظم ما نستطيع أن نعتصم به عن الشيطان: معرفة أساليب الشيطان التي ذكرناها، ونتذكر حين يخطو بنا خطوة تلو الخطوة أن هذا من مكر الشيطان ومن أساليبه،** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ [النور:٢١]، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:٢٠١]. **وقد زين لقريش من قبل حتى دمرهم الله كما قال تعالى:** وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ [الأنفال:٤٨]. **وسيخطب الشيطان في أهل النار خطبة عظيمة، ويخطب في الذين أضلهم فناموا عن الصلوات، واقترفوا المحرمات، وملئوا آذانهم بالأغاني والشهوات، وماتوا دون إعلان التوبة وإظهار المسكنة والاستغفار لله، وقد قال الله:** يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٥-٦]، وقال الله: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [إبراهيم:٢٢]. **فاتقوا الله –عباد الله– واتخذوا الشيطان عدواً كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، وهل من المعقول أن نصاحب الأعداء؟! وهل من المعقول أن نسمع كلام العدو؟! فاتقوا الله عباد الله! قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعصمني وإياكم من الشيطان، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين. اللهم إنا نعوذ بك من همزات الشيطان، ونعوذ بك ربنا أن يحضرون. اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا. اللهم اجعلنا من الذين هم على صلاتهم دائمون، ومن الذين هم على صلاتهم يحافظون، ومن الذين هم في صلاتهم خاشعون.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصرهم في كل مكان، في فلسطين والشيشان، وفي العراق وأفغانستان، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وقوِّ عزائمهم، واربط على قلوبهم. اللهم اكبت عدوك وعدونا من اليهود والنصارى والمنافقين يا عليم يا خبير يا**

قوي يا عزيز!عباد الله! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

فتح مكة في رمضان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب٧٠-٧١].**أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله! في مثل هذه الأيام المباركة من رمضان دخل المسلمون بقيادة القائد الأعلى محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه مكة فاتحين منتصرين، يسبحون الله ويثنون عليه مكبرين، فبعد أن خانت مكة العهود والمواثيق لا بد من تأديب الخونة والكاذبين، لقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صلحاً تاريخياً مع قريش، وقد التزم صلى الله عليه وسلم بكل دقة متناهية ببنود هذا الصلح، فطبقه نصاً وروحاً، فبرهن عملياً على أصالة الأخلاق الإسلامية في الالتزام بمبدأ الوفاء، لكن إن خانوا العهود، وبدلوا المواثيق أفنرضى بالذل والهوان؟ أما قال الله** وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ [الأنفال٥٨] **خانت قريش العهد فأمكن الله منهم، وسيمكن الله من جميع الخائنين. لقد كان من بنود الصلح الجائرة الظالمة أنه من أتى المسلمين من الكفار مسلماً ردوه إلى قريش، ومن أتى من المسلمين إلى قريش مرتداً فلا ترده مكة إلى المسلمين، لقد أصاب المسلمين الهم والغم من ذلك، لكن الله جعل ذلك نصراً وفتحاً مبيناً للمسلمين، فما حاجة الإسلام للمرتدين؟ ولقد وفى لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فرد من أتاه من الرجال إلى مكة، ومن أولئك الرجال أبو بصير مسعر الحرب وقائد الثوار المسلمين، الذي أنشأ له قاعدة تضرب قوافل قريش والمشركين. ومن بنود ذلك الصلح أيضاً ألا تعتدي قريش وحلفاؤها من كنانة على المسلمين وحلفائهم من خزاعة، وأن تضع الحرب أوزارها بينهم لعشر سنين.. إلى غير ذلك من البنود، فالتزم النبي صلى الله عليه وسلم وحلفاؤه بالعهد، ووقفوا عند شرف الكلمة التي أعطوها، فهل التزمت قريش وحلفاؤها بالعهد والوعد، ووقفوا عند شرف الكلمة التي أعطوها كلا، أقدمت كنانة بمساندة حلفائها القرشيين على جريمة من أبشع جرائم الغدر والمكر**

والخيانة، غدروا بأكثر من خمسة وعشرين من خزاعة، فقتلوهم داخل الحرم، ولم يمض على توقيع الصلح سنتان، قتلوهم وهم عزل من السلاح في حالة تهجد وتبتل ركعاً سجداً آمنين مستأمنين، فكان ذلك بمثابة نكث ونقض كامل لبنود صلح الحديبية، وعندما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم نبأ ذلك العمل الإجرامي المتمثل في الغدر بحلفائه الذين بموجب الصلح له ما لهم وعليه ما عليهم، لم يتعجل بأبي هو وأمي، بل أرسل إليهم مبعوثاً خاصاً يتضمن تخيير قريش الطرف المسئول عن تنفيذ بنود الصلح بين ثلاثة أمور إما أن تدفع قريش وحلفاؤها من كنانة ديات القتلى من حلفاء المسلمين من خزاعة، فيستمر مفعول الصلح. وإما أن تتبرأ قريش من الغادرين من كنانة ليصفي النبي صلى الله عليه وسلم الحساب معهم وحدهم، وينزل بهم العقاب الذي استحقوه لغدرهم بحلفائه. وإما السيف بينه وبينهم، بصفتهم مسئولين عن تنفيذ الصلح؛ ولأن الغدر تم بموافقتهم وتأييدهم، فتكبرت قريش وتجبرت، ورفضت دفع الديات، ورفضت أن تتبرأ من الغادرين، وأنها ترحب بالحرب وتفضلها، فجاهرت بخيانتها وتبجحت بها، فكان لا بد من نصرة المظلومين، والاستجابة لأمر الله الذي قال وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ [الأنفال٥٨]، وقال وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الأنفال٧١]؛ لذلك قرر النبي صلى الله عليه وسلم الزحف على المشركين في مكة، فتحرك من المدينة في جيشه العظيم الذي بلغ عشرة آلاف مقاتل؛ لتأديب الخائنين الناكثين، فداهم مكة على حين غفلة من أهلها، وقد طمس الله عنهم أنباء الغزو الشامل من قبل، حتى وصلت طلائع الجيش النبوي إلى ضواحي مكة، فأسقط في أيدي زعمائها الذين رأوا ثمن الخيانة والغدر سيوفاً إسلامية تلمع وتحيط بهم من كل جانب، فلم يسعهم حين أحاطت بهم القوات المسلمة من كل الجهات إلا الاستسلام والتسليم. خرج أبو سفيان قائد مكة ليرى الخبر، فاستقبله العباس واستأمن له عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (ارجع إلى قومك ولك ولهم الأمان). فرجع أبو سفيان، وأخذت كتائب الجيش المسلم تتأهب لدخول مكة، وأخذت تمر أمام أبي سفيان وهو واقف ينظر ويتعجب، وكلما مرت به كتيبة كبرت الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! فيسأل العباس من هؤلاء؟ فيخبره عنهم، حتى أقبلت الكتيبة الخضراء التي يحمل رايتها سعد بن عبادة ، وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم محاط بأصحابه، ورديفه شاب صغير هو أسامة بن زيد حبه وابن حبه، فمرت الكتيبة الخضراء وهم في الحديد لا يرى منهم إلا حدق العيون، وفيهم ألفا دارع، فانخلع قلب أبي سفيان ، إنها كتيبة لم ير العرب مثلها بأساً وإقداماً، فقال أبو سفيان ما لأحد بهؤلاء طاقة، والله –يا أبا الفضل – لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قال العباس يا أبا سفيان ! إنها النبوة، وإنه نصر رب العالمين، قال نعم، هي إذاً، فما أغنت عنا آلهتنا من شيء. ثم انطلق

أبو سفيان إلى أهل مكة، وأعلن لهم الأمان الذي منحه إياهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا من حمل سيفاً، أو تعرض لكتائب المسلمين، فدخلت الجيوش المسلمة مكة من جميع الجهات، واستسلمت مكة، فلم يكن هناك قتال ولا مقاومة إلا ما كان من جيش خالد بن الوليد حين التقى بسفهاء مكة وأوباشها، فرموا خالداً ومن معه بالنبال وعارضوه بالسيوف، فحمل عليهم خالد ومن معه حملة فرقت جمعهم، وهزمتهم شر هزيمة، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها، وضربت له قبة بالحجون فنزل فيها، واستراح من وعثاء السفر، استسلمت مكة للفاتح الرشيد، وألقت مقاليدها بين يديه، وانتهت مهمة القائد بهذا الاستسلام، ركب ناقته القصواء، وتوجه نحو البيت العتيق، ومن حوله المهاجرون والأنصار، يحيطون به من كل جانب، طاف بالبيت سبعاً مطأطئ الرأس، دموعه على خده، يخافت ربه بالحمد والثناء، طاف وهو يردد قول الله وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء٨١] سقطت مكة معقل الكفر والوثنية، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وأصدر القائد العام عفواً عن أولئك الذين طردوه، وصبوا صنوف العذاب عليه وعلى أصحابه، أولئك الذين حاصروه في الشعب وحرموه ومن معه من أبسط حقوق الإنسان، ألم يتآمروا على قتله، وأخرجوه من مسقط رأسه؟ أما قاتلوه يوم بدر وأحد، وحاصروه يوم الخندق حين تآمروا مع اليهود هاهم اليوم بين يديه وهو قادر على أن يذيقهم العذاب ألواناً، فأعلنها عفواً وإحساناً؛ لأن الله أرسله رحمة للعالمين. أخي الحبيب! قف معي وتأمل بعد سماع خبر هذا الفتح العظيم في مثل هذه الأيام من هذا الشهر الكريم، عشر سنوات ما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم مطارداً مطلوباً حياً أو ميتاً، وما بين دخوله منتصراً فاتحاً، كيف تحقق هذا النصر ومن الذي حققه؟!تحقق بالإيمان والصبر والثقة واليقين، تحقق بالأخلاق الإسلامية من وفاء وصدق وعفو عند التمكين، تحقق بالإعداد والاستعداد لمثل هذا الفتح العظيم، ولن ينتصر المسلمون اليوم على أعدائهم إلا بما انتصر به أسلافهم من قبل قال تعالى إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد٧] .أخي الحبيب! ما كان لتلك الانتصارات أن تتحقق لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يصنع ذلك بمفرده، لكن كما قال الله وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الأنفال٦٢-٦٤] وهل كانت الكوكبة التي التفت حول النبي صلى الله عليه وسلم إلا من الشباب، لكن أي شباب، شباب تربوا على تقوى من الله ورضوان.

شباب ذللوا سبل المعالي ما عرفوا سوى الإسلام ديناً

تعهدهم فأنبتهم نباتا كريما طاب في الدنيا غصونا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكون المعاقل والحصونا
شباب لم تحطمه الليالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا
وما عرفوا الأغاني مائعات ولكن العلا صيغت لحوناً

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعدأحبتي! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله! قال تعالى وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة٢٨١]**.عباد الله! إن نجاح الأمم يرجع إلى مقدار علو همم شبابها، وإلى مقدار آمالهم وأعمالهم.يا معشر الشباب! إن الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأه النهار في آخره كما تملؤه في أوله، الشباب ثقة وإصرار وعزيمة، الشباب لا يكل ولا يتعب من التعب، كانت حكمة الشباب التي يعملون عليها اطلب الموت توهب لك الحياة، والنفس إذا لم تخش الموت عاشت عزيزة، إن شجاعة الأسد هي التي جعلته لا يثمن كما تثمن الشاة للذبح، سيكتب التاريخ بأحرف من نور أولئك الشباب الذين التفوا حول نبيهم، ونصروا الإسلام بهمم عالية، وغيروا مجرى التاريخ بإيمانهم وعقيدتهم، هل تأملت معي المشهد حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً؟! من الذي كان خلفه ورديفه على ناقته؟! إنه أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه، ما أجمله وأروعه من منظر والشاب الصغير خلف نبيه على بعيره، وذراعيه ملتفة حول النبي صلى الله عليه وسلم، كان صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة عن** أسامة (يا عائشة ! أحبيه، فإني أحبه).(الترمذي ٣٨١٨) **وفي سن مبكرة لم تتجاوز العشرين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جيش بين أفراده وجنوده أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وسرت همهمة بين نفر من المسلمين تعاظمهم الأمر، واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار وكبار المهاجرين، فقال صلى الله عليه** وسلم (إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا – يعني أسامة ابنه– لمن أحب الناس إلي بعده، وإنه أهل للإمارة والإمارة أهل له)،(البخاري ٣٧٣٠) **أتدري أيها الشاب لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا؟ لأنه رضي الله عنه على حداثة سنه كان مؤمناً صلباً، ومسلماً قوياً يحمل كل تبعات إيمانه ودينه في ولاء مكين، وعزيمة قاهرة جعلته قريباً من قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وكبيراً في عينيه، هذا حال شباب الأمس، فما أخبار شباب اليوم وللإنصاف ليس كلهم، لكن للأسف أكثرهم، شباب موسيقى وألحان، وشباب شاشات وقنوات، شباب مقاهي**

واستراحات، شباب في الأسواق والمجمعات؛ لانتهاك أعراض المسلمات، شباب (أكاديمي استار) برنامج الفجار، شباب كرة القدم بالليل والنهار، كرة القدم وما أدراك ما كرة القدم كرة القدم أكلت عقول شبابنا ويهود تجتاح الحرم عجباً لآلاف الشباب وإنهم أهل الشيم دخل العدو بلادهم وضجيجها زرع الصمم أيسجل التاريخ أنا أمة مستهترة شهدت سقوط بلادها وعيونها فوق الكرة؟ بطولاتنا كانت في بدر والقادسية واليوم بطولاتنا في ملاعب الكرة، أين الذين يقولون إما أن يحيا الإسلام عزيزاً أو لا خير في الحياة أين من يقول للأعداء لا وألف لا؟! إن لم يكن الشباب فمن يكون؟ لكن أي شباب؟! هاهو مصعب بن عمير يفتح المدينة بالقرآن، ويعدها ليوم الهجرة العظيم، لقد تحمل مصعب أخطر قضية، وقام بأصعب مهمة حين اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليكون أول سفير له إلى أهل المدينة، تحمل ابن العشرين المسئولية، وحمل الأمانة على أكمل وجه، فانتاب نور الإيمان على يديه إلى سادات الأنصار؛ فأسلم على يديه أسيد بن حضير الذي تنزلت الملائكة لتلاوته القرآن، وأسلم على يديه سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن، جاء مصعب إلى المدينة وما فيها سوى اثني عشر مسلماً، وما مضت أشهر حتى دخل الإسلام في كل بيت من بيوت المدينة، لقد أثبت مصعب الذي غزا قلوب أهل المدينة بزهده وصدقه وإخلاصه أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف كيف يختار. فمن الذي صنع مصعباً وأمثاله من الشباب؟ لقد صنعهم الإسلام، وإن الإسلام الذي صنعهم لقادر على أن يصنع أمثالهم، من هو مصعب قبل الإسلام؟ ومن هو مصعب بعد الإسلام؟ مصعب بن عمير غرة فتيان قريش، وأوضؤهم بهاءً وجمالاً وشباباً، يصف المؤرخون والرواة شبابه فيقولون كان أعطر أهل مكة، ولد في النعمة وغذي بها، وشب تحت خمائلها، لم يكن لفتيات مكة ونسائها حديثاً إلا مصعباً الذي لا يلبس إلا الحرير، ولا يجلس إلا على الوفير، الابن المدلل لأمه وأبيه، فلما دخل نور الإيمان في قلبه تبدلت الحال، وتغيرت الآمال، فأصبح الفتى المتأنق المتعطر لا يرى إلا مرتدياً أخشن الثياب، يأكل يوماً ويجوع أياماً، خرج يوماً على بعض المسلمين وهم جلوس حول النبي صلى الله عليه وسلم، فما إن رأوه حتى حنوا رءوسهم، وغضوا أبصارهم، وذرفت عيونهم دمعاً شجياً، ذلك أنهم رأوه يرتدي جلباباً مرقعاً بالياً، وتذكروا صورته الأولى قبل إسلامه حين كان ثيابه الديباج والحرير، فاسترجع النبي صلى الله عليه وسلم، ودار في صدره ما دار في صدور أصحابه، فقال (لقد رأيت مصعباً هذا وما بمكة فتىً أنعم عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حباً لله ورسوله) **سمعتم يا معشر الشباب والشيب! لماذا ترك مصعب هذا كله؟ تركه حباً لله ورسوله.أسألكم بالله وكل واحد منا يجيب نفسه بنفسه هل نحن حقيقة نحب الله ورسوله؟ إن كان الجواب نعم، فهل آن أن نترك اللهو والضياع؟ أما آن أن نترك اللهو والضياع والمعاصي، ونستمع إلى نداء الرحمن الذي ملأ** الآذان أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد١٦]؟ **قل معي وردد بلى آن! بلى آن! بلى آن.عباد الله! إذا لم نجد حلاوة الإيمان في رمضان فمتى إذاً؟! أما تعلم أيها الغالي أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، بل ما وقر في القلب وصدقه اللسان، وعملت به الجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، يزيد بالطاعات والقربات إلى رب الأرض والسماوات، وينقص باللهو واللعب والغفلة والإعراض عن منهج الله عز وجل، ينقص الإيمان بمجالسة أهل الباطل المعرضين عن شرع الله، الساقطين في حفر الرذائل والشهوات، ينقص الإيمان بإطلاق الجوارح في المعاصي، وتلطيخ الأعضاء بالسيئات، وتسويد القلب بالذنوب، عين تنظر إلى الحرام، وأذن تستمع إلى الخنا، وقلب يرتع بالشهوات، ويد تبطش ظلماً، وفرج يقترف الفحشاء، وبطن يمتلئ بالآثام والحرام؟ رحماك يا رب وعفوك! رحماك يا رب وعفوك!**

يا صائماً عافت جوارحه الخنا أبشر برضوان من الديان

عفو ومغفرة ومسكن جنة تأوي بها من مدخل الريان

معاشر الأحبة! فتحت مكة، وتحققت الانتصارات بأمثال أولئك الشباب، فمن الذي سيفتح ويرد لنا أقصانا؟! ومن الذي سيصون أعراضنا في العراق؟!اللهم بارك لنا في الشباب والشيب، اللهم رد الشباب إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!اللهم اجعلهم هداة مهتدين، وزينهم بنور الإيمان يا رب العالمين، انصرهم بالإسلام وانصر الإسلام بهم يا سميع يا مجيب!اللهم يا غياث المستغيثين! ويا أمان الخائفين! ويا عون المؤمنين! ويا جار المستجيرين! يا ذا العظمة والسلطان! يا من قصمت القياصرة! وقهرت الجبابرة، وكسرت الأكاسرة، اللهم سلط على اليهود والأمريكان الريح القواصم، والبراكين والعواصف، واملأ قلوبهم بالرعب والخوف.اللهم اكسر شوكتهم، وأقض على قادتهم وساستهم، واجعل أموالهم وديارهم غنيمة للمسلمين في كل وقت وحين، يا منتقم يا جبار يا قهار!اللهم سلط عليهم ومن والاهم فتنة سوداء تمزق قوتهم، وتخطف أبصارهم، وتذهب عقولهم، وتنكس راياتهم، بقوتك يا قوي يا متين! يا ذا الجلال والإكرام والجاه والسلطان!اللهم أيقظ المسلمين من الغفلة والسبات، يا رب الأرض والسماوات!اللهم أيقظ في المسلمين الهمم والعزائم، ونبه منهم الغافل والنائم، وارفع قدرهم إن قل عددهم، واجعل الملائكة عوناً لهم، فأنت نعم المولى ونعم النصير! يا سامع كل نجوى! ويا منتهى كل شكوى! وكاشف كل بلوى، ويا من إليه المشتكى والمأوى! نشكو إليك ما يحدث لإخواننا في العراق وفي فلسطين وكشمير والفلبين والشيشان وأفغانستان والسودان، نشكو إليك ما يحدث لهم من اليهود والأمريكان، ومن والاهم من المنافقين والكفار.اللهم إن الأقصى والعراق تبكي منابرهم، وامتلأت بالموتى مقابرهم، وقل معينهم وناصرهم،

اللهم كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً، صن أعراضهم واحقن دماءهم يا رب العالمين!اللهم افتح للمجاهدين الأبواب، وأزل عنهم الصعاب، واصرف عنهم كيد الذئاب، وكل منافق وكذاب، فك أسرانا وأسراهم، ويسر لفكاكهم الأسباب. يا رب الأرباب! ويا مجري السحاب! لا خاب من دعاك، ولا خاب من رجاك، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ول علينا خيارنا، واكفنا شرارنا يا رب العالمين!عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

***

فجعت قلبي وأدميته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.لابد لنا من الترابط بين مؤسسات المجتمع في خدمة الدين، وحفظ البلاد والعباد، فقضية الدين مسئولية كل المؤسسات، فليست مسئولية المساجد والدعوة والإرشاد والمحاكم والقطاعات الشرعية بل كل مؤسسات البلاد من أميرها إلى أدنى مسئول فيها، فالكل مسئول عن هذا الدين، فالدين أمانة استأمننا الله عليها، وسوف يسألنا عن هذا الأمر العظيم، قال تعالى:** فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ [الأعراف:٦]، وقال أيضاً: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [الزخرف:٤٤]. **العنوان هو: فجعت قلبي وأدميته، فمواضيع الدين مرتبطة بعضها ببعض، حديثها وفقهها، وعقيدتها، وتاريخها، وسيرتها، لا ينفصل بعضها عن بعض.والواقع الذي تمر به أمة الإسلام اليوم يبشر بالخير، فالصحوة –ولله الحمد– ملأت أطناب الأرض هنا وهناك، وبدأت قوة الإسلام تعود من جديد باتباع المسلمين له، أما قوة الدين فموجودة منذ أن أوحى الله إلى أهل الأرض بتوحيده وعبادته، فبدأ المسلمون يستشعرون الخطر، ويوحدون الصفوف، ويرجعون إلى الله. والذي يتنقل بين بلاد المسلمين يمنة ويسرة يرى العودة العجيبة التي تشرح الصدر في كل بقاع المسلمين، اليوم لن يتآمروا على الضعيف، إنما يتآمرون على القوي، وأهل الإسلام اليوم يمرون في مرحلة قوة لا يعلمها إلا الله، لكننا نريد أن نستغل هذه القوة في عز الدين وعز الإسلام والمسلمين.أردت من هذا الموضوع الذي اخترته أن أرفع الهمم، فكثير من الناس هم الذين يثبطون، وأن أرد على المشككين الذين يقولون: إن أمة الإسلام ليس عندها القدرة على مواجهة الآخرين، وتحتاج إلى سنوات طوال حتى تواكب الركب. فأقول: أمة الإسلام في مقدمة الركب في كل حين وزمان مهما تغيرت الظروف والأحوال؛ لأن الله تعالى قال:** وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل

عمران:١٣٩] أي: أعلون بعقيدتنا، وباتباعنا، وبوحدتنا، وبتماسكنا، وفي كل شأن من شئون الحياة، إن أصابتنا ضراء صبرنا فكان خيراً لنا، وإن أصابتنا سراء شكرنا فكان خيراً لنا، فنحن على خير في كل حال من الأحوال، إن كثرت الذنوب والمعاصي فباب التوبة مفتوح والله غفار، وإن كثرت المخالفات فالمؤمنون نصحة يتعاونون فيما بينهم، فإن حاد أحد على الطريق ذكر بالله حتى يرجع إلى الصواب وإلى الصراط المستقيم. أردت من الموضوع أن أرفع الهمم مع بداية عام هجري جديد، وأن أذكر الأحفاد بما صنع الأجداد، وأن أذكر الرجال بما صنع الأبطال، ليُعلم أن أمتنا عندها قوة عجيبة، فلو أنها تشتغل في نصرة الدين.لقد انبثق نور الإسلام من مكة ليحطم الجاهلية بكل ما فيها إلا ما وافق الإسلام، وقام محمد صلوات الله وسلامه عليه بحمل راية الدعوة والجهاد، والتف حوله الرجال يفدون دينهم بكل غال ونفيس، وما هي إلا سنوات قليلة مليئة بالصبر والتضحيات، إلا والإسلام قد ضرب أطنابه هنا وهناك، وانتشر أبطال الإسلام يبلغون دعوة الله رافعين شعار لا إله إلا الله والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فانقادت لهم الأرض، ونشروا العدل والمساواة، وقدموا من أجل ذلك تضحيات، وسطروا بطولات، فكانوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم تبدل الحال وتفكك البنيان، وركنت الأمة للدعة والشهوات، فضيعت أوقاتها بل أعمارها أمام شاشات وقنوات، فلقد علم الأعداء أنهم لن يقهروا هذه الأمة بالمدفع والدبابة فحاربوها باللهو والضياع، وأشغلوها بالمعازف والألحان؛ لأنهم يعلمون أن هذه الأمة إذا رفعت السلاح لا تقف قوة في الأرض أمامها. روى (الواقدي المعازي ٢\٧٥٥) بسنده عن عمر بن الحكم قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ فقال له: أريد الشام، فقال: لعلك من رسل محمد قال: نعم، أنا رسول الرسول صلى الله عليه وسلم، فأمر به فأوثقه، ثم قدمه فضرب عنقه، مخالفاً بذلك كل الأعراف والقوانين من أن الرسل لا تقتل، فلما بلغ الخبرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اشتد ذلك عليه، وزاد الأمر عليه عندما قامت مجموعة من العرب المتنصرة بقتل بعثة سلمية دخلت أرض الشام تدعو العرب إلى الإسلام فقُتلوا غدراً وكان عددهم أربعة عشر رجلاً، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لابد من تأديب هؤلاء الغادرين؛ ليعلموا أن لهذا الدين رجالاً يذودون عن دينهم وأعراضهم، فاستنفر القائد الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه ثلاثة آلاف من خيرة أصحابه، وعين ثلاثة يتولون قيادة الجيش بالترتيب، وهم: زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة، فخرج الجيش لتأديب أعداء الله، وليعلم أولئك أن للإسلام رجالاً يدافعون عن دينهم وأعراضهم، ودّع المسلمون جيشهم وهم يدعون لهم قائلين: دفع الله عنكم، وردكم صالحين غانمين منتصرين، فخرج الجيش بسرية وكتمان، ولكن الطابور الخامس –قاتلهم الله– من يهود

ومنافقين أرسلوا الأخبار إلى إخوانهم في الكفر والنفاق؛ بخروج جيش المسلمين. وعلتنا في كل زمان أنَّ الخطر يأتينا من الداخل وليس من الخارج، فعداوة الخارج معروفة أمَّا عداوة الداخل فمجهولة.فحشد الكفار مائة ألف من مرتزقة العرب المتنصرة، ومائة ألف من الرومان، وتخيل الموقف أنَّ ثلاثة آلاف من الرجال يواجهون مائتي ألف من الكفار!إن اشتباك ثلاثة آلاف في معركة حاسمة مع مائتي ألف يمثل أخطر مغامرة في تاريخ الحروب. فتشاور الرجال قبل لقاء العدو، وكان القرار الحاسم هو مواجهة العدو أياً كانت النتائج، لأن كلا الأمرين النصر والشهادة فوز للمسلم المجاهد في سبيل الله، أما التراجع دون لقاء العدو فليس من شيم الأبطال، ولا مجال للتراجع عند طلاب الهمم، لسان الحال:

فأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق وإما مماتٌ يغيض العدى

قال عبد الله بن رواحة **مشجعاً الناس وداعياً إلى عدم التردد في القتال: يا قوم! إن الذي تكرهون هو الذي خرجتم من أجله، إما النصر وإما الشهادة، ونحن لا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا وأعزنا الله به، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، ويوم أحد ما معنا إلا فرس واحد، فانطلقوا بنا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور عليهم فذلك الذي وعدنا نبينا وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فلنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان. فأثرت تلك الكلمات البليغة في نفوس الجيش، واشتاقت القلوب والأرواح لجنة الرحمن، فانطلقوا وهم يرددون:**

أرواحنا يا رب فوق أكفنا ترجو ثوابك معــــنماً وجواراً

في ظل السيوف كأننا في ظل حديقة خضراء تنبت حولنا الأزهارا

على أرض مؤتة في بلاد الشام التقى الجيشان، فريق مسلم لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وأكثر من مائتي ألف من الكفار. وضع قادة الجيش المسلم في حسابهم أن الجيش الروماني قد يلجأ إلى أسلوب التطويق فعددهم يسمح بذلك، فحينها إما أن يباد الجيش عن بكرة أبيه، أو يجبر على الاستسلام.وفي حساب المقاييس الحربية العادية ليس من الصعب على مائتي ألف مقاتل مجهزون بأحسن تجهيز ومسلحون بأحسن سلاح أن يقوموا بتطويق ثلاثة آلاف وإبادتهم عن آخرهم، فالأمر هين ولن يستغرق ذلك إلا ساعات، فعدة الجيش الكافر خمسون ألف فارس، يتبعهم مائة وخمسون ألف مقاتل من المشاة يتسربلون بأحسن الدروع ويلبسون أحسن الخوذات. من أجل ذلك انحاز زيد رضي الله عنه بجيشه الصغير إلى قرية يقال لها: مؤتة وعسكر فيها؛ ليجنب جيشه الصغير خطر التطويق، فتحصن المسلمون في قرية مؤتة وقام زيد بن حارثة بتعبئة الجيش الصغير وتحصينه على أحسن حال. أخذت جيوش الرومان والعرب المتنصرة تتدفق على مؤتة في زهو وخيلاء وغرور كأنها

أمواج بحر متلاطم، وجيش المسلمين الصغير المرابط في مؤتة كأنه جزيرة صغيرة مهددة بالغرق. لقد كانت الحالة بالنسبة للمسلمين حالة مخيفة مفزعة تثير الخوف والرعب، وتزيغ منها العقول والأبصار، وقد عبر أبو هريرة رضي الله عنه **عن هذه الحقيقة المفزعة وهذا الموقف الحرج بقوله: فرأى المسلمون المشركين ومعهم ما لا قبل لهم به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، وشهدت ذلك فبرق بصري،** فقال ثابت بن الأقرم : **مالك يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم. فقال: لم تشهد معنا بدراً إننا لم ننصر بكثرة. ولا لوم على أبي هريرة فإنه بشر يخاف ويذهل، ولقد كان على كل جندي مسلم في ذلك اليوم أن يقاتل سبعين رجلاً من جنود الكفار، وقد كان بوسعهم الرجوع دونما قتال، لكن طلاب الجنان لا يتراجعون، فإما نصر وإما شهادة. لقد أقدم الجيش الإسلامي الصغير في مؤتة على أكبر مغامرة حربية في التاريخ دونما جدال، ففي القوانين والأعراف العسكرية بين الأمم الأخرى غير المسلمة أنَّ ما أقدم عليه قادة الجيش في ذلك اليوم ضرباً من الانتحار تعاقب عليه القوانين العسكرية، أما عند طلاب الجنان فالحال يختلف، فالموت في سبيل الله غاية ما يتمنى المسلم الصادق، أما اشترى الله منهم الأنفس والأموال؟ أما باعوهما على أن يكون الثمن الجنة؟ ثبت المسلمون بجيشهم الصغير، ولا زالوا يثبتون في كل مكان، إنها مخاطرة عظيمة لم يشهد التاريخ مثلها، لقد كانت نتيجة المعركة مضمونة للرومان وهي النصر الساحق، بإبادة الجيش المسلم إبادة كاملة، وذلك حسب المقاييس والمفاهيم العسكرية، لكن الإيمان صنع عجب العجاب، وهذا ما نحتاجه اليوم، فالإيمان هو الدافع للشهادة والاستشهاد، الإيمان هو الدافع للبذل والإيثار والعطاء، والحياة لا قيمة لها إلا بالإيمان، ولا طعم لها إلا بالإيمان، والإيمان هو شعار هذه الحياة. فتدفقت كتائب الرومان بحديدها وفرسانها كأمواج البحر الهادر ، فصمد أمامها المسلمون، وعددهم لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وأكثرهم خال من الدروع، فأي قوة كانت في قلوب أولئك الرجال؟!أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع جلس عمر في مجلس من المجالس فقال لمن معه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أنَّ لي من الذهب كذا وكذا أنفقها في سبيل الله، وقال آخر: أتمنى أن لي من المال كذا وكذا أنفقها في سبيل الله، فقال عمر : أتمنى أن لي ملء هذا البيت قادة شجعان مثل أبي عبيدة رضي الله عنه وأرضاه، فعذراً أمة الإسلام! فليس عندنا ما تمنى أمير المؤمنين عمر . إن الإيمان وصحة العقيدة والاستبسال في سبيل الله يعكس المفاهيم ويقلب المقاييس ويكسر الأغلال، فكثرة العدد والسلاح والتكنولوجيا العسكرية ليست هي التي تكفل النصر في أي حال من الأحوال، وإن لم يتوافر ذلك فليس معنى ذلك الهزيمة، فنحن لا نستمد النصر من العدة والعتاد ، إنما نستمد النصر من السماء، لكن لابد من العدة والإعداد. إن الذي يصنع النصر حقيقة ويصنع الصمود الذي يحول دون الهزائم**

الماحقة هو الإيمان الذي يسري بالقلوب عقيدة وضاءة مشرقة، لا عقيدة ماركس ولينين المؤلمة. استمرت المعركة أياماً سبعة كانوا يتوقعون أنها ساعات، لم يتوقع الرومان أن المعركة ستكون على هذا المستوى من الصمود والثبات والشراسة والضراوة، ثبت المسلمون على مشارف مؤتة، بل وعلى قلتهم قاموا بهجوم معاكس أتوا فيه بالعجائب، فصرعوا عدة مئات من أفراد الجيش الروماني وأتباعه، وبعد أن صعقوهم بالهجمات بدأت جموع الرومان مع كثرتها تركن إلى الفرار والهروب من أرض المعركة، فرأوا الشرر والنار يتطايران من أعين الرجال، ورأوا الهول والعجب العجاب من التضحيات والإقدام، حاولوا اقتحام مواقع المسلمين لتطويقهم فما استطاعوا. إن أي عاقل وأي منصف سيدرك ذلك المستوى الرفيع من الشجاعة والبطولة والتضحية والفداء والإيمان العميق الذي كان عليه المسلمون عندما يعلم أنهم كانوا ثلاثة آلاف محارب ومع ذلك استمروا يخوضون المعركة بصبر وشجاعة طوال سبعة أيام وما وهنوا، وما ضعفوا، وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [آل عمران:١٤٧]، سبعة أيام وما استطاع الجيش الروماني أن يلحق أي تقدم أو هزيمة في ذلك الجيش الصغير، إنه ثبات عندما يكثر الثبات والشجاعة والإقدام، وعندما تصور الصور والبطولات في أرض المعركة. ثبت زيد القائد العام، ثم استشهد بعد ستة أيام من القتال بعد أن مزقته رماح الرومان، وهو مقبل كالأسد الهصور، ثم استلم جعفر الراية فصار يقاتل وهو على فرس له شقراء والمسلمون خلفه يقاتلون بضراوة واستماتة لا مثيل لها، فاقتحم جعفر صفوف الرومان، ولكثرة الزحام وشدة الالتحام نزل عن فرسه، ثم عقرها حتى لا يهرب من أرض المعركة استعداداً للموت والشهادة في سبيل الله، وقطع لباب الهرب من أرض المعركة، فكان جعفر أول من عقر في الإسلام أثناء القتال، سابقة ما سبقه بها أحد، وترجل في أرض المعركة بعد أن أحاطت به الرومان من كل جهة وهو يقاتلهم قتالاً شديداً، وراية الرسول صلى الله عليه وسلم مرفوعة في يده، وبينما هو كذلك تمكن أحد فرسان الرومان من قطع يد جعفر التي يحمل بها اللواء فحمله باليد الثانية، فقطعت فأظهر القائد الشاب بطولة فذة لا مثيل لها، فبعد أن فقد كلتا يديه وحفاظاً على اللواء احتضنه إلى صدره بعضديه مكباً عليه؛ ليظل مرفوعاً. فراية لا إله إلا الله رفعت بأرض القتال والمعارك واليوم ترفع على المدرجات والملاعب، شتان بين انتصاراتهم وبين انتصاراتنا اليوم! ورغم استبسال جعفر وثباته وبقاء اللواء منصوباً في أرض القتال عدة ساعات انتهى ذلك الصمود الرائع بأن سقط جعفر شهيداً بعد أن تناوشه سيوف الرومان، وهو يحتضن اللواء في إصرار، وصعدت الروح لتأخذ مكانها بين الصديقين والشهداء والأبرار، قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين بعد أن فقد ذراعيه فأثابه الله جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ثم استمر القتال على أشد ضراوة.

سارع عبد الله بن رواحة لقيادة الجيش، وحمل اللواء فوجد في نفسه تردداً لكثرة الحشود الرومانية الهائلة، فعاتب نفسه وخاطبها شعراً:أ

قسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه إن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالي أراك تكرهين الجنة قد طالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنة

ونزل عن فرسه ولواء النبي صلى الله عليه وسلم في يده فقاتل حتى قتل لاحقاً بزميليه اللذين سبقاه إلى الشهادة وهو يردد:يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت لقد عانى الرومان الأهوال من المسلمين، وصنع بهم المسلمون مقتلة عظيمة رغم قلة العدد والعتاد، وكان من قتلى الرومان القائد العام لقوات العرب المتنصرة، واسمه مالك بن واثلة، فقد قتله قائد ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري رضي الله عنه وأرضاه. وظل المسلمون ثابتين يصارعون ويقاومون ويكرون ويفرون، ويسطرون أعظم الصور في التضحية والثبات، غير أن مصرع القادة الثلاثة، وبقاء الجيش دونما قائد رجح كفة الرومان، وحدث خلل واضطراب في صفوف المسلمين، وأخذ بعضهم ينهزم لاسيما بعد سقوط لواء الجيش أرضاً، وبدأت تظهر عليهم علامات الهزيمة، لكن ثابت بن أقرم أحد فرسان الأنصار أنقذ الموقف ورفع اللواء وصاح: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم يحمل اللواء ويقود الجيش فرشحوه فاعتذر وقال: ما أنا بفاعل، وبلغ الموقف خطورة لا تحتمل لفقدهم قائد الجيش، وبدأت علامات الخوف والاضطراب والهزيمة تظهر. ولم يكن هناك من تتجه الأنظار إليه لإنقاذ الموقف سوى المحارب الشهير والقائد المظفر: خالد بن الوليد الذي لم يمض على إسلامه ودخوله في الإسلام إلا ثلاثة أشهر فقط، حمل خالد راية التوحيد فصاح ثابت بن الأقرم: يا خالد بن الوليد! خذ اللواء، خذ اللواء يا أبا سليمان! فقال خالد : لا آخذه أنت أحق به؛ لأنك أقدم إسلاماً وأكبر سناً –والرجال تعرف قدر الرجال– فقال ثابت : خذه يا أبا سليمان! والله ما أخذته إلا لك، فأنت أعلم مني بفنون القتال، فنادى ثابت بن الأقرم في كبار الجيش: أترضون بخالد بن الوليد أميراً عليكم؟ قالوا: رضينا، فتولى خالد القيادة لإنقاذ الموقف المتدهور الذي كان سيؤدي إلى إبادة الجيش لولا تدارك الأمر. حمل خالد الراية وأصبح قائداً عاماً للجيش، فهذه الأحداث تدور في أرض المعركة فكيف كانت المدينة؟ وكيف كان حال الرجال والنساء هناك؟ ذكر المؤرخون وأصحاب السير والحديث أن الله تعالى كشف لرسوله المسافة الفاصلة بين المدينة ومكان المعركة، وأصبحت المعركة تنقل حيةً على الهواء إلى المدينة وحياً، حتى صار النبي صلى الله عليه وسلم ينظر عياناً إلى ما يحدث هناك من قتال ضار عنيف! روى البخاري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس

قبل أن يأتيهم الخبر (أخذ الراية زيد ثم قتل، ثم أخذها جعفر ثم قتل، ثم أخذها ابن رواحة ثم قتل، وعيناه تذرفان صلوات ربي وسلامه عليه، ثم سكت، ثم قال: ولقد رفعوا إلى الجنة، ثم قال: ثم حمل الراية سيف من سيوف الله، ولقد حمي الوطيس حتى فتح الله عليهم).(البخاري ٣٧٥٧) **اجتمعت المدينة حول نبيها تتابع أخبار المعركة حية على الهواء وحياً من السماء، واليوم اجتمع المسلمون حول الشاشات والقنوات لمتابعة مباريات ومسلسلات حية على الهواء، فسبحان الله ما أعظم الفرق بين الأمس وبين اليوم! لقد كان اختيار خالد بن الوليد قائداً للجيش في تلك الساعات الحرجة اختياراً موفقاً، فهو فارس شجاع وبطلٌ مغوار، وداهية في القيادة العسكرية هجوماً ودفاعاً، ولقد أثبت في ذلك اليوم أنه من أعظم قادة المعارك الذين عرفهم التاريخ، قاد أول معركة بعد إسلامه بثلاثة أشهر، فأعاد للجيش تنظيمه الذي فقده بعد مقتل القادة الثلاثة، ثم أعاد للجيش ثقته بنفسه، بعد أن شن به هجوماً معاكساً على الرومان، زلزل به صفوفهم، ثم بمهارة فائقة تمكن بالانسحاب بالجيش الصغير انسحاباً عظيماً يعتبر في قاموس الخبراء العسكريين أعظم انتصار؛ ولهذا لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول، بعد أن نجح في إنقاذ ذلك الجيش الصغير، بل حقق الانتصار الذي خرج من أجله. كانت مهمة خالد صعبة لكن الصعاب لا تقف أمام الرجال، وكلمة مستحيل لا توجد إلا في قاموس العاجزين، والفشل أبسط الأشياء التي يستطيع أن يدفعها أي إنسان دونما مجهود. مهمة خالد كانت من أصعب المهمات، لكن أبا سليمان رجل المواقف، ولقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم تحول ميزان المعركة لصالح المسلمين بعد أن رفع خالد الراية، قال صلى الله عليه وسلم**: (ولقد حمل الراية سيف من سيوف الله، ولقد حمي الوطيس ولقد فتح الله عليهم).**حمى الوطيس، وبدأت تتطاير الرءوس، وتتقطع الأعضاء والأجزاء، والدماء في كل بقعة تسيل كالأنهار،** روى (البخاري ٤٢٦٥) عن خالد نفسه أنه قال: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية.إن للطاقة البشرية حدود، قال الله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:٢٨٦]، **فلقد رأى خالد بخبرته وحنكته أن جيشه الصغير قد أبلى بلاء حسناً، وكبد العدو الخسائر في الأموال والأرواح، ولقنهم درساً لن ينسوه، وعلم أن بالمدينة رجالاً يدافعون عن أعراض المسلمين والمسلمات ويدافعون عن المقدسات، فكان لابد من خطة لإخراج الجيش من أرض المعركة بأقل الخسائر. قام خالد أثناء الليل باجتماع مع قادة الجيش بتبديل كلي للميمنة والميسرة والخلف، فبدل مواقع الرجال، وهدفه من ذلك أن يجعل الرومان يعتقدون أن جيشاً جديداً يشارك في القتال، فرسم هذه الخطة للإيهام والتضليل، والحرب خدعة، فما كاد يطلع الصباح حتى وجد الرومان أنفسهم أمام جيش جديد، ما كانوا يعرفونه طوال ستة أيام من القتال، فظنوا أن مدداً قد جاء للمسلمين أثناء القتال، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وبينما هم في دهشتهم إذا بغبار يسد**

الأفق من خلف ظهر الجيش المسلم، وما هي إلا لحظات وجيزة حتى دوت وارتفعت في أرض مؤتة أصوات التهليل والتكبير، ثم انشق الغبار عن كتائب من الفرسان تتبع إحداهما الأخرى في تنسيق وإحكام راكضة نحو المسلمين، وحوافر خيلها وأصوات فرسانها تصم الآذان: الله أكبر الله أكبر، ولإدخال مزيد من الرعب في قلوب الرومان اهتز معسكر المسلمين المواجه للرومان في أرض المعركة بالتهليل والتكبير، فأي قوة تقف أمام الله أكبر؟! وأي قوة تستطيع الصمود أمام الله أكبر؟! إذا خرج التكبير من القلوب اهتزت وتغيرت الموازين. قام خالد بكل ذلك بإحكام وتدبير، فأيقن الرومان أن ما رأوه من تغيير شامل في الميمنة والميسرة والخلف وتدفق لتلك الكتائب التي أقبلت من خلف الجيش إنما هو مدد كبير جاء من المدينة لمساندة الجيش المسلم؛ ليستمروا في خوض المعركة حتى النصر، فدب الرعب في نفوسهم، وساد الهرج والمرج، ولسان حالهم: إذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بنا الأفاعيل فماذا عسى أن يفعلوا بنا بعد أن وصل إليهم المدد؟ وعلى مدى ستة أيام أو سبعة لم نستطع أن نحقق عليهم أي انتصار، فماذا عساهم أن يفعلوا بنا بعد هذا؟! فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأدرك خالد بحاسة القائد الماهر المحنك ما أصاب الرومان وحلفاءهم من خوف ورعب نتيجة الخطة البارعة فاغتنمها فرصة، وبدأ بالهجوم الكاسح، والمسلمون يرددون: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ [الأنفال:١٥]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال:٤٥-٤٦]، فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:٤-٧]. **فمالت صفوف المسلمين على خطوط الرومان الأمامية، فتملكهم الرعب واضطربت صفوفهم، فركبهم المسلمون وأحدثوا فيهم مقتلة عظيمة كانت كما وصفها المؤرخون مذبحة بكل المعايير.** قال ابن سعد في الطبقات (سرية مؤتة ٢ \ ١٣٠) وهو **يروي قصة انتصار خالد والمسلمين على الرومان بعد توليه القيادة: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وطعن حتى قتل، ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة، ثم حمل الراية خالد ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة، ووضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا، واستمر خالد وجيشه يطاردون الرومان حتى أثخنوهم ولقنوهم درساً لن ينسوه، حتى يعلم أولئك المعتدون أن بالمدينة رجالاً يدافعون عن أعراض المسلمين والمسلمات، ثم اغتنم خالد فرصة ارتباك الجيوش الرومانية واضطرابها، فأصدر أوامره إلى قادة الجيوش والكتائب في جيشه بالارتداد بالجيش جنوباً كما هو متفق عليه حينما وضعوا خطة الانسحاب ليلاً، وأخذ**

الجيش يغادر ميدان المعركة بكل هدوء وانضباط، وأشرف خالد على عملية الانسحاب، فكان يجول بفرسه بين الكتائب ليظل النظام سائداً أثناء الانسحاب، ولتظل روح الجند والقادة ومعنوياتهم عالية فلا يدركهم خوف ولا اضطراب، فتمت عملية الانسحاب كما أراد القائد خالد على أدق نظام ودونما أية خسارة، وأصبح الجيش الروماني شبه مشلول يسوده الذهول لما لقيه على أيدي المسلمين من الهجوم المضاد الكاسح الذي قام به خالد بعد نجاح حيلته العسكرية وخدعته الحربية الباهرة، بل أصدر قادة الرومان إلى كافة الكتائب بألا يتعقب أحدٌ المسلمين بعد انسحابهم؛ لأنهم ظنوا أن الانسحاب إنما هو مكيدة حربية لإيقاع الجيش الروماني في كمائن إذا ما تتبع الجيش المنسحب، وهم يعرفون أنه لا أحد يجيد الكمائن ويحكمها مثل أولئك الرجال، فخافوا من تتبع المسلمين، بل كانوا مسرورين بالانسحاب. والمسلمون رغم قلة عددهم فلقد أنزلوا بالرومان خسارة كبيرة وحملوهم ذلاً وعاراً قبل وصول المدد، فكيف وقد وصلهم مدد كما ظنوا؟ وصل خالد بجيشه إلى المدينة دون أن يتعرض لأي خطر في الطريق، ووصلت الأخبار إلى المدينة بأن المسلمين قد فروا وانهزموا، فاستاء أهل المدينة بذلك، فما كاد خالد يصل بجيشه إلى ضواحي المدينة حتى قابلته مظاهرة كبيرة تندد بالجيش، وكان المتظاهرون يصيحون بالجيش: يا فرار! يا فرار! أتفرون من الموت في سبيل الله؟! ويحثون في وجوه الجند والقادة التراب. أما النساء فلم يفتحن لأزواجهن وأبنائهن الأبواب، وأغلقنها دونهم قائلات لهم: لم لم تموتوا مع أصحابكم في أرض القتال؟ أما الأطفال فلقد استقبلوا خالداً ومن معه في أزقة المدينة بالتراب والحجارة قائلين: يا فرار! يا فرار! والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم بالأخبار الصحيحة، ومقدار التضحيات والبطولات التي قام بها الجيش المسلم، ولذا قام مدافعاً عن الجيش وأفراده، قائلاً: (ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله). (ابن هشام ٥\٣٣)**كيف وقد أنقذ خالد جيشه من فناء محقق بخطة عسكرية بارعة، وألحق بالرومان وجنودهم شر مكفنة وأذاقهم خزياً وعاراً؟ والفرق بين الأمس واليوم أنَّ بالأمس كان صغارنا يستقبلون خالداً ومن معه في أزقة المدينة بالحجارة، ويقولون لخالد ومن معه: إلى أين يا فرار! واليوم صغارنا يستقبلون غانية ومطرباً بيده قيثار ولاعباً في صالة المطار بالورود والأزهارمتار يا متار هذا زمان العار من طنجة إلى قندهارمعتقل يعيش حالة احتضار أمتنا ليس لها قرارأمتنا ألعوبة باليمين واليسار نرجو صلاح الدين ندور في مأساتنا حتى أصابنا الدوار لكن لا خيار من موتنا فوق شغار السيف حتى يصر الشوك جل نار موقنون يا متار بحرقة المشوار فإن النصر مع الصبر والصراط فوق النارهذه باختصار كلمات اعتذار عن أمة تعدادها مليار، ليس لها قرار.فذه أخبارهم فما هي أخبارنا!؟ وهذه تضحياتهم فما هي تضحياتنا؟! وهذه بطولاتهم فأين بطولاتنا؟**

وهذه هي أخبار شيبهم وشبابهم، فما هي أخبار شيبنا وشبابنا؟! وهذه أخبار نسائهم فما هي أخبار نسائنا؟! وهذه هي أخبار أطفالهم فما هي أخبار أطفالنا؟!

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جدود خالدونا وسطرنا صحائف من ضياء فما نسي الزمان ولا نسينا
بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب صالحونا شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإقدام ديناً
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكون المعاقل والحصونا
إذا جن المساء فلا تراهم من الإخفاق إلا ساجدينا شباب لم تحطمه الليالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا
ولم تشهدهم الأقداح يوماً وقد ملئوا نواديهم مجونا وما عرفوا الأغاني مائعات ولكن العلى صيغت لحونا
ترى هل يرجع الماضي فإني أذوب لذلك الماضي حنينا

فإن كانوا قد استطاعوا أن يفعلوا فنحن أيضاً نستطيع أن نفعل، بشرط: أن نسير على نفس الطريق. فتلك الانتصارات ما كانت تتحقق إلا لأنهم ملكوا الإيمان والتقوى والإحسان، فلما ضعف ذلك في حياتنا ذهبت الأمجاد والانتصارات، وضعف الإيمان بسبب كثرة الذنوب والمعاصي والآثام، فماذا صنعت بنا وبشبابنا الشاشات والقنوات؟ فكم أفسدت ودمرت؟ قال الله تعالى: فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ [محمد:٢١]، وقال تعالى: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:٢٤٩]، وقال أيضاً: وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩]، **فانتصاراتنا قد ملأت آذانهم، لكنهم يحاولون بشتى الوسائل والطرق ألا نجمع أخبار الانتصارات؛ حتى لا ترتفع المعنويات**

في أرض العراق اليوم سطر الرجال بطولات منذ أيام ماضية، وودعت مدينة من المدن العراقية شباباً في قوافل الشهداء بعد أن أبلوا بلاء حسناً في ذلك المكان، تقول أخت أحدهم: رأيت أخي في رؤيا قبل أن ينطلق إلى أرض العزة والكرامة، وبجانبه فتاة جميلة، ما رأت عيني مثلها، وكلما أردت أن أدقق النظر في وجهها التفتت من حسنها وجمالها، فلم أستطع أن أميز ذلك الحسن والجمال، فهذه رؤيا وهو يقف على باب الجنة ويدعو الناس إلى الدخول، وبيده كمثرى من ذهب، صدقوا مع الله فصدق الله معهم.أعرف أحدهم تمام المعرفة، وكان ممن يشهد معي الدرس في كل يوم ثلاثاء وجمعة، جاءني بعد صلاة المغرب وقال لي: ادع الله لي فلقد هممت على مشروع عظيم، فظننت أنه سيقدم على الزواج أو الوظيفة، وما علمت أنه يريد الزواج من حورية في الجنان، وأنه عقد العزم والنية على أن يعانقهن إلا بعدما مضى في طريقه وجاءتني الأخبار أنه سطر أعظم الصور، وأثخن في العدو، ولقنهم درساً، فالخير في هذه الأمة باق حتى تقوم الساعة، وهناك من المسلمين رجال يذودون عن أعراضهم وعن مقدساتهم، لسان حاله:

سدت دروب الشعر وأقفلت أبوابه وبات قلبي بعد ذلك باكيا لما حيل بيني وبين مناي قهراً عشت ذل القعود وبعت حياتيا
بعتها لمليكها الذي لا يرتضي لعباده ذلاً ولست أرضاها ليا أبتاه روحي في المعارك لا في أتحول بيني وبين نفسي وروحيا
أبتاه جعفر في المنام بدا ليا ويصيح بي ألا لحقت ركابيا أبتاه نفسي لا تريد غواني امالي وللدنيا وما لها ما ليا

أبتاه إني أرى في بغدادنا مهجاً تروي لنا الآلام توالياً وتواليا هناك يريدون لأعراضهم ردأوهنا إخوتي يتغزلون بأختيا
هناك يطلبون لجوعهم سداً وأنا هنا أعاف طعاميا أبتاه يأملون لأطفالهم أمناًوأنا ثوابك ههنا آماليا
أبتاه إني أرى في بغدادنامهجاً تروي لنا الآلام توالياً وتواليا وا إسلاماه كالسيف الذي صار محطماً لقيوديا
وا معتصماه كالسهم الذي سار محرراً لهم وليا أبتاه أقسم بالذي خلق الحياة لحكمة والرب العزيز يشهد عهديا
أن أظل في ساح المعارك غازياً أذود بنفسي كما أذود بروحيا فإما أن أعود للوطن الحبيب براية رافعاً رأسي والجنود ورائيا
أو أن أعود للوطن الحبيب ببسمة رسمت على شفاهي هناك قبل مماتيا
شهادة ورب البيت فزت بها شهادة أقبل بها حوريتي بشفاهيا أرفرف تحت ظل العرش كطير أخضرفارتقب أبتاه ذاك مكانيا

في يوم أحد رأى عبد الله بن حرام رضي الله عنه وأرضاه في ليلة المعركة أنه يقتل، فقال: يا جابر! أوصيك بأمك وأخواتك خيراً، ثم قتل عبد الله بن حرام كما رأى، فرؤيا المؤمن حق، فبكى جابر على فقد أبيه، (فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم مبشراً فقال: يا جابر! لا تبكِ؛ فوالذي نفسي بيده! إن الله كلم أباك كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان، وما كلم أحداً قبله، فقال: تمن يا عبدي، قال: أتمنى يا ربي أن أرجع إلى الدنيا فأقتل فيك، قال تعالى: إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون، ولكن أحل عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً). **والشهداء لهم فضل عظيم عند الله، فإن أرواحهم في حواصل طير معلقة بعرش الرحمن يغدون ويروحون في الجنان، ويزوجون من الحور العين ما يشاءون، ويطلع عليهم الرحمن في كل حين فيقول لهم: ماذا تشتهون؟ فيقولون: نشتهي أن نرجع إلى الدنيا فنقتل فيك، فيقول: إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون، قالوا: يا ربنا نريد أن نبلغ قومنا وأهلنا أننا لم نمت، وأننا أحياء حتى لا يزهدوا في الجهاد والاستشهاد، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فقال سبحانه:** وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:١٦٩-١٧٣]، **والخير لا يزال في هذه الأمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، شاء من شاء، وأبى من أبى، وسيتمن الله هذا النور بعز عزيز أو بذل ذليل، قال تعالى:** وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [يوسف:٢١]، **وحينها سيعلم أهل الطابور الخامس أي منقلب ينقلبون، وسيعلم الذين يسعون في الأرض فساداً ويظنون أنهم مفلحون أي منقلب ينقلبون، قال تعالى:** إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا [الطارق:١٥-١٧].

المطلوب

المحافظة على الطاعات، وترك الفواحش والمنكرات فوالله ما أضعف الأمة وجردها من سلاحها الذي لا تقهر به إلا الذنوب والمعاصي! فإن تركناها وعدنا إلى رب الأرض والسماء تحقق النصر بإذن الله، مهما بلغت قوتهم وطاقتهم، فأي قوة تقف أمام الله أكبر؟! فإن كان عندهم طائرات

ومدافع ودبابات فمعنا جبريل وميكائيل وجند من الله يقاتلون معنا، ولو بسط جبريل جناحاً من جناحيه لغطى مشرق الأرض ومغربها، قال تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:٩]، **ولا يكون ذلك إلا بالصبر والتقوى، قال تعالى:** إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ [آل عمران:١٢٥]، **فأي قوة تقف أمام هذا؟!وحتى نكون فرساناً بالنهار لابد أن نتعلم الفروسية بالليل، كما قال الشاعر:**

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

وحتى ننتصر على أعدائنا لابد أن ننتصر على أنفسنا ونربي الأبناء على الصلاة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر)، وقال تعالى: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج:٤١]. السنن الربانية لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ [محمد:٧]، وقال أيضاً: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم:٧]، وقال أيضاً: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]، وقال أيضاً: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة:٤٠]، **فإن وفينا لله بالعهد وفى الله لنا بوعد صادق وعهد سابق، فمن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً، قال تعالى:** كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة:٢١]. **إن ما يمر بالعالم الإسلامي اليوم هو سحابة صيف عما قريب ستنقشع،** وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:٢٢٧]. **اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصر من نصرهم، اللهم اخذل من خذلهم، اللهم صن أعراضهم، واحقن دمائهم، واشف مرضاهم وتقبل شهداءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين.اللهم إنهم قلة فكثرهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم، اللهم إنهم خائفون فأمنهم، اللهم إنهم مظلومون فاقتص لهم، لا راد لفضلك ولا معقب لحكمك.اللهم يا منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم الأحزاب وزلزلهم، اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.اللهم لا تدع لهم قوة في الأرض إلا دمرتها، ولا في البحر إلا أغرقتها، ولا في السماء إلا أسقطتها. اللهم اقذف الرعب في قلوبهم، وزلزل الأرض تحت أقدامهم، ومكن الرجال من أعناقهم يا رب العالمين.اللهم أخرجهم من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، لا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية، ولا تحقق لهم غاية. اللهم من عاونهم على المسلمين فاقصم ظهره، واخرس لسانه، وشل أركانه يا قوي يا عزيز، يا مالك الملك، يا جبار السماوات والأراضين. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. اللهم احفظ**

نساءنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اجعلهن هاديات مهديات، راضيات مرضيات، تقيات نقيات خفيات، اللهم استخدمهن في طاعتك، واجعلهن مجاهدات في سبيلك يا رب العالمين.اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا حي يا قيوم. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

قاتل ومقتول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطانا وخطاكم.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.أهلاً بكم أحبتي في هذا اللقاء المبارك، في هذا البلد المبارك، في هذا البيت المبارك، في هذه الدقائق واللحظات المباركة التي أسأل الله فيها أن يذكرنا فيمن عنده كما ذكرناه جل في علاه.عنوان هذا اللقاء كما قالوا: قاتل ومقتول، وأنا أقول: حوادث على الطريق، فهؤلاء الذين تهوروا في استخدام السيارة قتلوا أنفسهم، وتسببوا في قتل الآخرين، فجنوا على أنفسهم وجنوا على الآخرين، إن هذه السيارة نعمة، لكنها إن لم تستخدم الاستخدام الصحيح انقلبت إلى نقمة، وقس هذا على كثير من الأمور، فالتلفاز نعمة لو استخدمناه الاستخدام الصحيح، لكن اليوم الشاشات والقنوات قلبت التلفاز إلى نقمة في البيوت، فأفسدت ودمرت. الهاتف نعمة، ففي لحظات تستطيع أن تصل الأرحام في أدنى الأرض وأقصاها، لكن يوم أسيء استخدامه فأصبح سبباً في هدم البيوت.حديثنا الليلة عن السيارات وحوادث السيارات والاستخدام الخاطئ للسيارات، وما حكم الشرع في أولئك الذين يسيئون استخدامها. يتكون اللقاء أحبتي من عناصر: بعد الحمد وقبل البداية تحية. ثم السيارة نعمة أم نقمة؟ ثم أرقام وإحصائيات، ثم ما هي الأسباب؟ ثم حوادث على الطريق: الحادث الأول: حادث قبل العيد، الحادث الثاني: من لم تعلمه المواعظ أدبته الحوادث، الحادث الثالث: في ذمة الله، الحادث الرابع: الملتقى الجنة.أما بعد: فأهلاً بالصغار والكبار، رجالاً ونساء، وقبل البداية هذه تحية:إذا طلعت شمس النهار فإنها أمارة تسليمي عليكم**

فسلموا سلام من الرحمن في كل ساعة وروح وريحان وفضل وأنعم على الصحب والإخوان والولد والألى دعوهم بإحسان فجادوا وأنعمواوسائر من للسنة المحضة اقتفى وما زاغ عنها فهو حق مقدم

أولئك أتباع النبي وحزبه فلولاهم ما كان في الأرض مسلم

لولاهم كادت تميد بأهلها ولكن رواسيها وأوتادها هم

ولولاهم كانت ظلاماً بأهلها ولكن هم فيها بدور وأنجم

أولئك أصحابي فحي هلاً بهم وحي هلاً بالطيبين وأنعم

أحبتي! إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، ومنها هذه السيارات التي نتنقل بها من مكان إلى مكان في يسر وسهولة واطمئنان، قال سبحانه: وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ [النحل:٥-٨] **أي: ويخلق من الوسائل التي يركبها الناس في الجو والبر والبحر، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، ومن هذه الوسائل السيارة التي لا تخفى منافعها الكثيرة، ومصالحها الوفيرة، حتى صارت ضرورة من الضروريات في هذا العصر وفي هذا الزمان، حيث لا يستغنى عنها في قضاء الحوائج، وتحقيق المصالح، فالواجب علينا أن نشكر الله على هذه النعمة، ومن شكرنا له ألا نستخدم هذه النعمة في أغراض سيئة، أو نسيء استعمالها، أو نستعين بها على فعل المعاصي والذنوب، قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لقد استعمل بعض الناس هذه السيارة في أغراضه السيئة والوصول إلى مآربه السافلة، فصار يفر بها إلى البراري ليقترف ما تهواه نفسه بعيداً عن أعين الناس، وعن أيدي الإصلاح، وتناسى أن الله يراه في كل مكان، يخرج بعض الناس بعيداً عن البلد ليضيع ما أوجب الله عليه من إقامة الصلاة في وقتها، فهل يصح أن يقال لمثل هذا: إنه شاكر لنعمة الله؟ وهل يصح أن نقول: إنه سالم من عقوبة الله جل في علاه؟ كلا، فهو لم يشكر نعمة الله، ولن يسلم من عقوبة الله إلا أن يرجع إلى الحق والصواب.السيارة نعمة أم نقمة؟ أحبتي! كم سمعنا عن أولئك الذين ماتوا في حوادث السيارات وهم سكارى، وبعضهم كان يسمع الغناء، وبعضهم كان سائراً إلى أماكن الخنا واللهو والغناء وما يكره الله جل في علاه.أحبتي! كم تسببت الحوادث في وفيات، وإصابات، وإعاقات! كم خسرنا من شباب! وكم ترملت من نساء وتيتم من أطفال! كل ذلك بسبب الاستخدام الخاطئ للسيارة، وبسبب مخالفة الأنظمة التي وضعت لحماية الجميع. كم تسبب متهور بسرعته وعدم مبالاته في فقد كثير من الأبرياء! وكم تسببت الحوادث في إعاقات مستديمة لكثير من الناس!قال أحدهم: أصبت في حادث مرور منذ عشرين عاماً بسبب السرعة الزائدة، وكانت الإصابة في ظهري فأدت إلى شلل كامل، وأنا الآن طريح الفراش منذ عشرين سنة، هكذا انقلبت**

حياتي رأساً على عقب بسبب التهور والسرعة، وبسبب عدم مبالاتي ضاعت أحلامي، وانتهت طموحاتي. أقول: وهذا مثله كثير، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ [الحشر:٢]، **فالكيس الفطن هو الذي يعتبر بالآخرين، واعلم بارك الله فيك أنك إن لم تعتبر فستكون في يوم من الأيام عبرة للغادين والرائحين.** **اسمع بعضاً من الأرقام والإحصائيات حتى تعلم أن الأمر خطير:هذه إحصائيات الأعوام الماضية عن عدد الحوادث وعدد المصابين والمتوفين في المملكة، ولو أضفنا إليها الإحصائيات التي في قطر وفي دول الخليج لوصل الرقم إلى أرقام خيالية. في عام ألف وأربعمائة وسبعة عشر كان عدد الحوادث: ١٣٥٧٦٣ حادثاً، وعدد الإصابات: ٢٥٠٧١٨ إصابة، وعدد الوفيات: ٣١٣١ حالة وفاة.وفي عام ألف وأربعمائة وثمانية عشر بلغ عدد الحوادث: ١٥٣٧٢٧ حادثاً، وعدد الإصابات: ٢٨١٠٤٤ إصابة، وعدد الوفيات: ٣٤٧٤ حالة وفاة والعدد في تزايد مستمر، ففي عام ألف وأربعمائة وتسعة عشر بلغ عدد الحوادث: ٢٦٤٣٢٦ حادثاً، وعدد الوفيات: ٤٢٩٠ حالة وفاة. وفي عام ألف وأربعمائة وعشرين بلغ عدد الحوادث: ٢٦٧٧٧٢ حادثاً، وعدد الوفيات: ٤٨٤٨ حالة وفاة، ولم أستطع أن أتحصل على إحصائيات الأعوام القريبة، ولكن الذي أعلمه يقيناً أن العدد في ازدياد لا يعلمه إلا الله.أما لو أضفنا عدد الوفيات في قطر وفي الكويت وباقي دول الخليج لبلغ الرقم أرقاماً خيالية، وأسباب هذه الحوادث السرعة الجنونية، ومخالفة الأنظمة، وقطع الإشارات وغيرها، ومن أعظم أسباب هذه الحوادث تسليم السيارات لصغار السن الذين هم دون سن الرشد، أولئك الذين لا يدركون قيمة السيارة، ولا عظم المسئولية حين ركوبها، كم نرى صغاراً يجوبون الشوارع والطرقات مع أصحاب لهم في سيارات فارهة، ملئوا الشوارع بالتفحيط والمخالفات، وآذوا الناس وتطاولوا على الآخرين. من الأشياء التي ابتلي بها كثير من الشباب اليوم (التفحيط) في الشوارع العامة، أو (التطعيس) على الكثبان الرملية في البراري، ولا شك أن فيهما إتلافاً للمال الذي بين أيديهم وهو السيارة، فهؤلاء لم يدفعوا قيمة هذه السيارات؛ لذلك لم يعرفوا قيمتها، لكني لا ألومهم وإنما ألوم الذي أعطاهم ذلك المفتاح حتى يقودوا تلك السيارة؛ لأن كثيراً منهم لا يعلم ماذا يصنع هؤلاء خلف أظهرهم، فكم وقعت من حوادث بسبب هذا (التفحيط) و(التطعيس) ذهب ضحيتها السائق وكثير من أولئك الذين يتفرجون أو بعض الذين ليس لهم علاقة بالأمر لا من قريب ولا من بعيد.شهدت أحد مواقع التفحيط بعد حادث بدقائق معدودة، فرأيت أسرة كانت تمر بسلام في ذلك الطريق فاعترضها أحد هؤلاء الأشرار وقضى عليها بكاملها، ولم تدر تلك الأسرة من أين أتاها الموت في تلك اللحظة. فهؤلاء في ذمة من؟ ومن المسئول؟ هل هو الذي قاد السيارة أم ذاك الذي أعطى السيارة لمن لا يعرف ولا يستشعر قيمة المسئولية فقتل نفسه وقتل الآخرين؟ بين علماؤنا حفظهم الله حكم (التفحيط) و(التطعيس)، والمفاسد والأضرار على**

الفرد والمجتمع.يقول ابن جبرين حفظه الله ومد في عمره موجهاً كلامه للآباء: أربعوا على أنفسكم وتفكروا في العواقب، ولا تتهاونوا بدماء المسلمين، ألا تعلمون أنكم تحملون إثماً كبيراً متى حصل حادث بسبب هذه السيارات التي وليتم قيادتها هؤلاء الشباب الذين هم ليسوا على قدر المسئولية؟! عليكم أن تعتبروا بمن حولكم، وبمن تسمعون خبره من الآباء وأولياء الأمور الذين تساهلوا مع أولادهم.الثقة مطلوبة، لكن الإفراط في الثقة هو الذي لا نطلبه، الثقة مطلوبة حتى يتربى هؤلاء وهم واثقون بأنفسهم، لكن الثقة المفرطة بغير حسيب ولا رقيب هي التي دمرت الشباب.فنصيحتنا للآباء: ألا يمكنوا أولادهم من القيادة إلا بعد سن الثامنة عشرة، وأنا أقول: حتى أصحاب الثامنة عشرة لا يعرفون قيمة المسئولية اليوم، فلا نستأمنهم على أرواح الآخرين إلا بعد التمرين والتدريب الطويل، وبعد التأكد من أنهم سيقودونها في تأن وبعد عن التهور والمخاطرة، فعلى كل الآباء التقيد بذلك ليريحوا أولادهم، ويحفظوا فلذات أكبادهم، وليأمن الآخرون من أخطارهم وتعدياتهم، والله أعلم.وسئل ابن عثيمين رحمه الله عن حكم الصعود على الكثبان الرملية المرتفعة وهو ما يعرف بـ(التطعيس)، وهل يعد آثماً من يشاهد ذلك، فضلاً عمن يقود السيارة؟فأجاب رحمه الله بقوله: أولاً: خروج الشباب إلى البر على هذا الوجه ربما يفضي إلى مفاسد، منها: تركهم للجماعات في المساجد، وبعدهم عن الأهل، وإتلاف الأموال؛ لأن السيارات تتلف بمحاولة إجبارها على أن تصعد على الكثبان الرملية، وإذا تضررت كان هذا من إتلاف الأموال، وإتلاف المال لغير مصلحة شرعية دينية أو دنيوية محرم، قال الله: وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ [النساء:٥]، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال. ثم قال رحمه الله: ثم إني أسمع كثيراً من الناس يشكون من هذه السيارات، حيث إنها تفسد الأرض والنبات، ومعلوم أنه إذا كثر تردد السيارات على أرض بعينها فإنها تتلف، وتموت زروعها ومواشيها، وإذا تبين أن مثل هذا العمل مضيعة للمال، وقد يكون سبباً لأمور محظورة، فيكون تشجيعه والخروج له والتفرج عليه محرماً.إذاً: الذي يقود يأثم، والذين يجتمعون هناك ليتفرجوا هم أيضاً آثمون؛ لأن فعلهم فيه إقرار للمحرم، ومساعدة عليه، وهؤلاء ما تجمعوا هنا إلا لإظهار مهاراتهم لهؤلاء الذين تجمهروا من حولهم، والله يقول: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة:٢]. اسمع هذا الخبر وقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، يقول أحد ضحايا التفحيط: أنا شاب أبلغ من العمر ثلاثين سنة أمضيت تسع سنوات منها على كرسي الإعاقة، والسبب هو التفحيط، فقد كنت أتباهى بمقدرتي وبراعتي في قيادة السيارة، وبينما كنت أفحط في يوم من الأيام أمام إحدى المدارس، سقطت سيجارتي من يدي فوقعت على قدمي، وعندها اختل توازني فاصطدمت سيارتي بعمود كهرباء وحصل ما حصل، فأحذر الشباب من خطورة التفحيط الذي جنيت عاقبته بإحراق زهرة شبابي،

ولن ينفعني إلا رحمة الله. أقول: وهذا مثله كثير، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ [الحشر:٢]. أذكر هنا حوادث على الطريق، الهدف من ذكرها العبرة والاعتبار لا التسلية والإخبار. أول هذه الحوادث بعنوان: (حادث قبل العيد) يقول صاحب القصة: أيام العشر الأواخر من رمضان بدأت تنقضي، والعيد أصبح قاب قوسين أو أدنى، لا أعرف أين سنذهب أنا وصديق الطفولة، ولكن كالعادة الجزء الأكبر من وقتنا نقضيه في جولات بين الأسواق والتجمعات والشوارع، وحين استقريت على مقعد السيارة بجوار عبد الرحمن سألني: هل جهزت ثوباً جديداً تستقبل به العيد؟ قلت له: لا، قال: ما رأيك أن نذهب إلى الخياط الآن، سألته متعجباً وأنا أهز رأسي: بقي ثلاثة أيام أو أربعة على العيد، أين نجد الخياط الذي يسابق العيد ويختصر الأيام، فلم يجبني، وإنما انطلق بسيارته بسرعة مجنونة كأنه يسابق الزمن حتى توقف أمام محل للخياطة الرجالية، سلم صاحبي على الخياط بحرارة فهو يعرفه تمام المعرفة، ثم قال له: نريد أن نفرح بالعيد، ونلبس الجديد، ضحك الرجل وأجاب وهو يربت على كتف عبد الرحمن : يا عبد الرحمن ! ألا تعلم كم بقي على العيد؟ لماذا لم تأت مبكراً؟ أجاب عبد الرحمن وهو يهز يده بحركة لها معنى: سنزيدك في الأجرة، المهم أن ينتهي قبل العيد، ثم أعاد عليه: المهم أن ينتهي قبل العيد. يقول: وبينما أنا أرقب المفاوضات الشاقة إذا بصاحبي يدفع جزءاً من الثمن وهو يردد قائلاً للخياط: لا تنس الموعد، بعد غد إن شاء الله نريد أن نلبس الجديد. يقول: ثم انصرفنا بسيارتنا نجوب الشوارع بلا هدف حتى قبيل الفجر ونحن لاهون ساهون غافلون، مضت الليلة كاملة ولم نذكر الله عز وجل فيها ولا مرة واحدة، وربما كانت ليلة القدر ونحن لا نشعر، حياة لا طعم لها، سعادة لا مذاق لها. يقول: ولجنا من المعاصي كل باب، وهتكنا منها كل حجاب، تفحيط بالليل وتطعيس بالنهار، وحسبنا أن الأمر يمضي دون حساب، إظهار للسرور والسعادة، وضحكات تملأ المكان، ولكن –وضع تحت لكن عدة خطوط– في القلب هم وغم لا يعلمه إلا الله، والنفس تحترق بألم وحسرات وهي لا تدري كيف الهرب من هذا الألم وهذا الضيق، افترقنا قبيل الفجر يجمعنا الليل والسهر والعبث، نلتقي على المعاصي وتجمعنا الذنوب، نوم طويل يمتد من الفجر حتى العصر، صيام بلا صلاة، وصلاة بلا قلب، ساعة الصيام الوحيدة التي أستيقظ فيها هي قبيل المغرب، كانت أيام الصيام عبارة عن أيام عادية أقطعها بالمكالمات الهاتفية العابثة وبقراءة الصحف والمجلات، متتبعاً أخبار الفنانين والفنانات، وغيري يختم القرآن مرات ومرات، وذات مرة بينما أنا أنتظر موعد أذان المغرب، جاءتني مكالمة هاتفية من أحد الأصدقاء، وكان صوته متغيراً فقال: أما علمت أن عبد الرحمن مريض؟ قلت: لا، مساء البارحة كان بصحة وعافية، قال: إنه مريض، أدرك صاحبك! انتهت المكالمة، والأمر بالنسبة لي لا يعدو عن أن يكون معلومة غير صحيحة، وبينما كان المؤذن يرفع أذان العشاء إذا بصوت جرس الهاتف

ينطلق مرة ثانية، رفعت السماعة فإذا به الشقيق الأكبر لعبد الرحمن ، قلت في نفسي: ماذا يريد؟! أكيد أنه سيلومني وسيؤنبني على ما نفعله أنا وعبد الرحمن طوال الليل، أو أن أحداً أخبره بزلة من زلاتنا أو سقطة من سقطاتنا، لكن أتى صوته منهكاً مجهداً وعبراته تقطع حديثه، أخبرني بالخبر، قال: مات عبد الرحمن ! بهت ولم أصدق، لا زال صوته يرن في أذني كأني أراه! كيف مات؟ من غير المعقول أنه مات بالأمس، ليلة البارحة افترقنا أنا وإياه وهو في أتم الصحة والعافية، قال أخوه: بينما هو منطلق إلى المنزل ليلة البارحة بسرعته الجنونية ارتطم بسيارة أخرى عند أحد التقاطعات فمات كل من في السيارة الأخرى، وحمل هو إلى المستشفى ولكنه فارق الحياة ظهر هذا اليوم. يقول راوي القصة: أذني لا تصدق ما تسمع، لا أزال أراه أمامي.. نعم أمامي! بل اليوم كان موعدنا لنذهب إلى السوق الفلاني، وغداً موعدنا لنأخذ ثياب العيد، أيقظني صوت شقيق عبد الرحمن من غفوتي وهز جوانحي وأزال غشاوة كانت على عيني عندما قال: سنصلي عليه الظهر غداً، أخبر زملاءك. انتهى الحديث بيني وبينه، وتأكدت أن الأمر جد لا هزل فيه، وأن أيام عبد الرحمن قد انقضت، آمنت بأن الموت حق، وأن موعدنا غداً هناك في المقبرة لا عند الخياط، لقد كان يتمنى أن يلبس ثوب العيد فتركه ولبس كفناً جديداً، تسمرت في مكاني، وأصبت بتشتت في ذهني ودوار في رأسي، فقررت أن أذهب إلى منزل عبد الرحمن لأستطلع الخبر وأستوضح الفاجعة، عندما ركبت سيارتي فإذا بشريط غناء في جهاز التسجيل، هذا هو الغناء الذي أفسد قلوبنا! ورباها على النفاق وجعلها أقسى من الحجارة! أخرجت الشريط فانبعث صوت إمام الحرم، من المذياع يعطر المكان بخشوعه وحلاوته، أنصت بكل جوارحي وكأنني أسمع هذا الكلام لأول مرة، وكأن الدنيا انقلبت، والقيامة قامت والناس تغيرت، أوقفت سيارتي على جانب الطريق أستمع إلى قراءة القرآن من الحرم، وكأني أسمع القرآن لأول مرة في حياتي، وعندما بدأ دعاء القنوت كانت دمعتي أسرع من صوت الإمام، فرفعت يدي لتستقبل تلك الدموع، يا الله ما أجمل الدعاء! وما أجمل الخضوع والخشوع واللجوء إلى الله! أخذ قلبي يردد صدى تلك العبرات، وبارقة أمل أقبلت خلف تلك الدموع أعلنتها توبة صادقة، بدأتها بصحبة طيبة ورفقة صالحة، ودعنا عبد الرحمن في اليوم التالي، وانطلقت أنا في طريق الهداية مع رفقة صالحة، أولئك الذين تركتهم بالأمس هم أحب الناس إلي اليوم.. من تطاولت عليهم بالأمس هم أنفع الناس في عيني اليوم.. من استهزأت بهم بالأمس هم أكرم الناس عندي اليوم، كنت على شفا جرف هار ولكن الله رحمني مع الرفقة الصالحة، هدأت نفسي، وأطلت علي السعادة التي كنت أبحث عنها ولا أعرفها، وأصبحت أشعر بانشراح في الصدر، وظهرت على وجهي أمارات سكينة ووقار زينتها تلك اللحية الجميلة التي بدأت تنمو وتكبر على وجهي، يا ألله ما أجمل السنة وما أجمل الاتباع!بعد يومين فاجأت الخياط وسألته عن ثوبي، سأل عن عبد الرحمن

، قلت: عبد الرحمن مات، أعاد الاسم مرة ثم مرة، قلت له: عبد الرحمن مات، فبدأ يصف لي عبد الرحمن ، ويصف لي سيارته، وكلامه، قلت له: نعم هذا هو، ولكنه مات، عندها أراني ثوبه، فبدأت أسترجع الذكريات ولسان حالي: هل حقاً مات؟ هذا ثوبي بجوار ثوبه، ومقعدي في السيارة بجوار مقعده، ولكن بقي لي أجل وعمر لعلي أستدرك ما فات، فحمدت الله على التوبة والرجوع والأوبة. ولكن بقي لنا إخوة كثر مثل عبد الرحمن يعيشون في غفلة، ولا تزال الغشاوة على أعينهم، ولا يزال يعلو قلوبهم ران المعصية، فهل نتركهم يموتون كما مات عبد الرحمن ؟ عبد الرحمن ذاك الذي كان يؤمل أن يلبس ثياب العيد، فلبس بدلاً عنه الأكفان، كيف نتركهم وأمامهم قبر ونار وعذاب؟! كيف نتركهم وأمامهم وأهوال صعاب؟ لن نتركهم وقد هدانا الله، بيننا وبينهم كتاب وشريط ونصيحة صادقة، اللهم ارحم عبد الرحمن برحمتك يا أرحم الراحمين.يقول صاحب القصة: كنت شاباً غافلاً بعيداً عن الله غارقاً في لجج المعاصي والآثام، فلما أراد الله لي الهداية قدر لي حادثاً أعاد إلي رشدي وصوابي، ففي يوم من الأيام –وبعد أن قضينا أياماً جميلة في نزهة عائلية في مدينة الدمام– انطلقت بسيارتي عبر الطريق السريع بين الدمام والرياض ومعي أخواتي الثلاث، وكن في مقتبل العمر كالورود والأزهار، وبدل أن أدعو بدعاء السفر المأثور استفزني الشيطان بصوته وأجلب علي بخيله ورجله، وزين لي سماع لهو الحديث المحرم؛ لأظل ساهياً غافلاً عن الله، لم أكن حينئذ أحرص على سماع إذاعة القرآن أو الأشرطة الإسلامية النافعة للمشايخ والأئمة والعلماء؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان في مكان واحد وكما قيل:حب الكتاب وحب ألحان الغنا في قلب عبد ليس يجتمعان إحدى أخواتي كانت صالحة مؤمنة ذاكرة لله حافظة لحدوده – نحسبها كذلك والله حسيبها– طلبت مني أن أسكت صوت الباطل، وأن أستمع إلى صوت الحق، ولكن أنى لي أن أستجيب وقد استحوذ علي الشيطان وملك علي جوارحي وفؤادي فأخذتني العزة بالإثم؟! رفضت طلبها، وقد شاركني في ذلك أختاي الآخرتان، فقد كانتا غافلتين كحالي، كررت أختي المؤمنة طلبها فازددت عناداً وإصراراً، وأخذنا نستهزئ بها ونسخر منها، وقلت لها: إن أعجبك الحال وإلا أنزلتك على قارعة الطريق، فسكتت على مضض، وقد كرهت هذا العمل بقلبها بعد أن أنكرته بلسانها وأدت ما عليها، والله سبحانه يقول: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:٢٨٦]، وفجأة وبقدر سبق من الله انفجرت إحدى عجلات السيارة ونحن نسير بسرعة شديدة فانحرفت السيارة عن الطريق وهوت في منحدر جانبي وأصبحت رأساً على عقب بعد أن انقلبت عدة مرات، صرنا في حال لا يعلمها إلا الله العلي العظيم، اجتمع الناس حول سيارتنا المنكوبة، وقام أهل الخير بإخراجنا من بين الحطام والزجاج المتناثر، ولكن ما الذي حدث؟ لقد خرجنا جميعاً سالمين، إلا من بعض الإصابات البسيطة، ما عدا أختي الصالحة الصابرة الطيبة فقد أصيبت إصابات بالغة وماتت من حينها، لقد

ماتت أختي الحبيبة التي كنا نستهزئ بها، واختارها الله إلى جواره، وإني لأرجو أن تكون في عداد الشهداء الأبرار، وأسأل الله عز وجل أن يرفع منزلتها، ويعلي مكانها في جنات النعيم، أما أنا فقد بكيت على نفسي قبل أن أبكي على أختي، وانكشف عني الغطاء فأبصرت حقيقة نفسي وما كنت فيه من الغفلة والضياع، وعلمت أن الله قد أراد بي خيراً، وكتب لي عمراً جديداً لأبدأ حياة جديدة ملؤها الإيمان والعمل الصالح.أما أختي الحبيبة فلا تكاد تغيب عن مخيلتي، أراها في كل حين، وأتخيلها وأذرف دموع الحزن والندم، فكم وجهت لنا تلك النصائح، وكم دعت لنا تلك الدعوات، لقد كان موتها سبباً لاستيقاظي وانتباهي من غفلتي، أتذكر تلك الذنوب والمعاصي وأتساءل في نفسي: هل سيغفر الله لي؟ فأجد الجواب في قوله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[الزمر:٥٣].هذه نصيحتي للغافلين والمدبرين والمعرضين عن الصراط المستقيم، أقول: من لم تعلمه المواعظ أدبته الحوادث، أفيقوا من غفلتكم، وخذوا من غيركم العبرة، قبل أن تكونوا لغيركم عبرة، والكيس من اعتبر بغيره، قبل أن يكون عبرة للآخر يقول عبد الله راوي هذه القصة: في ضحى أحد الأيام وحين كانت درجة حرارة الجو عالية انطلقت أنا وزميل لي إلى منطقة بعيدة في مهمة عمل، وكان صاحبي يتولى القيادة، وكنت بجانبه بين نائم ويقظان، وكنت أثناء ذلك أنبهه إلى عدم تجاوز السرعة المحددة، وكنا نستمع إلى شريط لأحد المشايخ، وكان يتكلم فيه عن الجنة ونعيمها، وقبل وصولنا إلى تلك المنطقة حدث ما لم يكن على البال ولا في الحسبان، انفجر الإطار الخلفي لسيارتنا من شدة الحرارة، وسبب انفجاره صوتاً عالياً مما أربك صاحبي وأفقده السيطرة تماماً على السيارة التي أخذت تسير بنا كسفينة بلا ربان تتقاذفها الأمواج، ازداد الموقف شدة وسوءاً حين اتجهت سيارتنا إلى الطريق المعاكس، وأخذت تتجه نحو شاحنة أقبلت علينا بسرعة عظيمة، لم يبق على الموت إلا لحظات، حينها مرت بخاطري أمور وذكريات استرجعت بها شريط الحياة، فتذكرت أمي التي ودعتها في الصباح على أن أرجع إليها في المساء، وقلت في نفسي: كيف سيكون حالها وهي تتلقى الخبر؟ مر بي شريط حياتي الماضية في لحظات، أخذت أردد: باسم الله.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء:٨٧].. اللهم هون علينا الموت وسكراته، وأثناء ذلك أغمضت عيني بانتظار الاصطدام وبانتظار الموت، ثم فتحت عيني فإذا بسيارتنا قد مرت من أمام الشاحنة التي لم يكن بيننا وبينها إلا خطوات، ثم سقطت سيارتنا في حفرة على جانب الطريق، وساد السيارة صمت قطعه أصوات الذين اجتمعوا حول سيارتنا، نزلت من السيارة وأنا أردد: الحمد لله.. الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء، والله ما كان بيننا وبين الموت إلا لحظات، أما صاحبي فلم يستطع النزول من السيارة وانكب على وجهه باكياً

من شدة الموقف، وأنا أهدئ من روعه، وبينما نحن على هذه الحال أقبل علينا شيخان كبيران تزينهما لحى بيضاء وثياب قصيرة فأخذوا يقبلاننا ويهنئاننا ويحمدان الله على سلامتنا، ثم قال لنا أحدهما كلمات سأظل أذكرها أبداً ما حييت، قال: كنا خلفكم ورأينا كيف مالت بكم السيارة يميناً ويساراً، ورأينا مروركما من أمام الشاحنة ونجاتكما من الموت بأعجوبة، ولا أقول إلا: إنكما كنتما في حفظ الله ورعايته، وإنكما صليتما الفجر في جماعة فكنتما في ذمة الله، يقول عبد الله : قلت في نفسي: الحمد لله، فأنا منذ سنوات طوال وأنا أحافظ على جميع الصلوات في المسجد، وصلاة الفجر خاصة، كم أشعر بالأمن والأمان والراحة والاطمئنان، كيف لا وهي حفظ من الله وضمان، ثم سألت صاحبي: أين صليت الفجر اليوم؟ فلم يستطع الإجابة، وإنما توجه إلى خلف السيارة وتوضأ ثم بدأ يصلي. سبحان الله! لم يبق على صلاة الظهر إلا وقت يسير، وصاحبي لم يصل الصبح إلى الآن، أي حياة هذه؟! أسألكم بالله كيف سيكون حاله لو فارق الحياة في تلك اللحظة؟ وفي ذمة من سيكون؟ إن صلاة الفجر تشتكي هجراً ومقاطعة من شباب المسلمين وشيبهم ونسائهم وأطفالهم، إنك لتحزن أشد الحزن على حال الأمة وهي تمر في أحلك الظروف وأشد المواقف، وإلى الآن لم ترجع إلى ربها، ولم تراجع حساباتها!لي فيك يا ليل آهات أرددهاأواه لو أجدت المحزون أواهأنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاهقال سبحانه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام:٤٢-٤٣]، **وقال سبحانه:** وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ [المؤمنون:٧٦]، وقال سبحانه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف:٩٦-٩٩].

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا واغفر أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضر يحل بنا فإن تولت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا فإن رجعنا إلى الشاطي عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأن الحافظ الله

أبشر يا من حافظت على صلاة الفجر وباقي الصلوات، فأنت في ذمة الله حين تغدو وحين تروح، قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح)، **قال أهل العلم:** (في ذمة الله) **يعني: في حفظ الله ورعايته، وقالوا: إذا مات من يومه دخل الجنة، قال صلى الله عليه وسلم:** (من صلى البردين دخل الجنة)،

والبردان: الصبح والعصر.أبشر يا من صليت الفجر وباقي الصلوات في المسجد بالنور التام يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)، **وما أدراك ما يوم القيامة! قال سبحانه:** يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [الحديد:١٢-١٤].**فاعلم بارك الله فيك أن من أعظم صفات المنافقين التخلف عن الصلوات، وصلاة الفجر خاصة. جاء في الحديث المتفق عليه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال:** (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته)، **لكن هناك الثمن إذا أردت أن ترى وجه الحي القيوم فإن هناك ثمناً لذلك قال:** (فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، **الثمن هو أن تصلي الفجر مع الجماعة، وتصلي باقي الصلوات مع المسلمين، وتنتظم في صفوف المصلين، قال الله تعالى:** وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة:٢٢-٢٣].**فبينما هم في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وتختمإذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهم تجلى لهم رب السماوات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يكلم سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلم يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما تريدون عندي إنني أنا أرحم فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا فأنت الذي تولي الجميل وترحم فيعطيهم هذا ويشهد جميعهم عليه تعالى الله فالله أكرم**

فيا بائعاً هذا ببخس معجل كأنك لا تدري بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين.إليك يا من آثرت نومك على طاعة ربك أرسل إليك رسالة: أترضى أن تتصف بصفات المنافقين، قال صلى الله عليه وسلم: (أثقل الصلوات على المنافقين: صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً) رواه أحمد .**وقال الله عز وجل عنهم:** إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء:١٤٢-١٤٣].**أفترضى أيها المتخلف عن الصلوات أن تكون مثل هؤلاء؟** (سئل صلى الله عليه وسلم عن رجل نام حتى أصبح، فقال -بأبي هو وأمي-: ذاك رجل بال

الشيطان في أذنيه)، **أترضى أن يكون هذا حالك كل يوم؟!إذا استيقظت وفاتتك الصلاة وقد صلى المصلون، وأشرقت الشمس وكنت مع المتخلفين، وقد بال الشيطان في أذنيك؛ فاغسل أذنيك سبعاً، ستاً بالماء وواحدة بالتراب. اسمع بارك الله فيك هذا الوعيد الشديد لمن ينام عن صلاة الفجر أو صلاة العصر أو أي صلاة، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:** (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع –وفي رواية: ملقى على قفاه– وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يعود رأسه كما كان، ثم يعود فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذا؟! قالا لي: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور –قال الراوي: أحسب أنه قال– فإذا فيه لغط وأصوات قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا –أي: علت أصواتهم وصاحوا من الألم– قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذا؟! قالا: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على نهر –قال الراوي: حسبت أنه قال– مثل الدم، وإذا في النهر رجل يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا بذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي إلى ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه –أي: يفتح فمه– فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، وكلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً، قلت: سبحان الله ما هذا؟ قالا: انطلق انطلق) إلى أن قال في آخر الحديث: (قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟! قال: قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن وينام عن الصلاة المكتوبة –وهذا ينطبق على المرأة التي تفعل مثل ذلك العمل–، أما الرجال والنساء العراة الذين في مثل التنور فهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في نهر من الدم ويلقم بالحجر فإنه آكل الربا)، **قد كفانا الله بحلاله عن حرامه، فاتق الله اتق الله يا من تنام عن الصلوات! اتق الله يا من تعاقر الزنا والمومسات! اتق الله يا من تأكل الأموال الربوية!**

أيها اللاهي بلا أدنى وجل اتق الله الذي عز وجل

قال سبحانه وتعالى: أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين:٤-٦]. **فإلى متى الغفلة؟ إلى متى هذا الضياع؟**

فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى صريع الأماني عن قليل ستندم ... أفق قد دنا الوقت الذي ليس بعده سوى جنة أو حر نار تضرم
وبالسنة الغراء كن متمسكاً هي العروة الوثقى التي ليس تفصم ... وهيئ جواباً عندما تسمع الندا من الله يوم العرض ماذا أجبتم
به رسلي لما أتوكم فمن يجب سواهم سيخزى عند ذاك ويندم ... وخذ من تقى الرحمن أعظم جنة ليوم به تبدو عياناً جهنم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها فهاو ومخدوش وناج مسلم ... ويأتي إله العالمين لوعده فيفصل ما بين العباد ويحكم
فيا ليت شعري كيف حالك عندما تطاير كتب العالمين وتقسم ... فبادر إذاً ما دام في العمر فسحة وعدلك مقبول وصرفك قيم

خرج رجل من الصالحين ومعه زوجته، وكانت هذه الزوجة صوامة قوامة ولية من أولياء الله – نحسبها كذلك والله حسيبها– خرجا يريدان العمرة، وهكذا الأسفار، إما أسفار طاعة، أو أسفار معصية، فخرجا شوقاً لله، واستجابة لأوامر الله، والغريب أنه كأنما ألقي في روعها أنها لن ترجع، فودعت أهلها، وقبلت أطفالها وهي تبكي، وكتبت وصيتها، ثم ذهبت، فلما وصلا إلى مكة طافا وسعيا وقصرا ودعوا الله وتضرعا، وسألا الله خير الدنيا وخير الآخرة، وفي طريق العودة كانت الزوجة على موعد مع ملك الموت حين انفجر إطار السيارة فخرجت عن مسارها وانقلبت، وأصيبت المرأة في رأسها، وخرج زوجها الذي لم يصب ووقف عليها وهي في سكرات الموت فسمعها تقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فلما رأت زوجها تبسمت وقالت له: بلغ أهلي السلام وقل لهم: الملتقى الجنة، ثم فاضت روحها إلى بارئها. الكل سيموت، لكن على أي حال؟ قدر الله ماض على الصغير والكبير، لكن الأعمال بالخواتيم، ويختم للمرء على ما عاش عليه، فإن عاش على طاعة يموت على طاعة ويحشر على طاعة، والعكس بالعكس، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران:١١٧]. التقينا أنا وإياكم هنا وسنفترق، وكل منا ينتظر منيته، فمنا من سيموت في أرض، ومنا من سيموت في بحر، ومنا من سيموت في سماء، ولكن على أي حال سيكون الوداع؟ وأين سيكون الملتقى؟أسأل الله أن يجمعني وإياكم في جنات النعيم. أخيراً: أود أن أنبه إلى أن أنظمة المرور ما وضعت إلا لضبط حركة الناس ومنع الفوضى، وحتى يكون المجتمع آمناً ومستقراً لابد لكل فرد في المجتمع أن يعرف ما له وما عليه، خاصة في هذا الزمان الذي ضعف فيه الوازع الديني عند كثير من الناس فلا يردعهم إلا النظام والعقوبات.يقول ابن باز رحمه الله: لا يجوز لأي مسلم أن يخالف أنظمة الدولة في شأن المرور لما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى غيره، والدولة –وفقها الله– إنما وضعت ذلك حرصاً منها على مصلحة الجميع، ورفع الضرر عن المسلمين، فلا يجوز لأحد أن يخالف ذلك، وللمسئولين عقوبة من فعل ذلك بما يردعه وأمثاله؛ لأن الله سبحانه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، والله يقول: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف:١٠٣].ومما يوصى به الالتزام بحزام الأمان، أفلا يستطيع أحدنا أن يجر حزام الأمان بمجرد ركوبه لسيارته، والأمر أصلاً لا يستغرق إلا ثوان، وكم كان التقيد بهذه الأمور سبباً في نجاة الكثيرين، من منا يضمن ألا يأتيه قضاء الله وقدره في أي مكان، فعليك أخي المسلم أن تعقلها وتتوكل، وحقيقة التوكل بذل الأسباب مع اعتماد القلب على الله.فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظني وإياكم بحفظه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، وأسأله سبحانه أن يهيئنا لاستخدام كل ما أنعم به علينا الاستخدام الأمثل، وألا نستخدم نعمه في معاصيه.اللهم من قاد السيارة بأمن وأمان، ومراعاة للآخرين فاحفظه

في سيارته يا رب العالمين، ومن قادها بتهور فرده إلى الحق يا حي يا قيوم.اللهم احفظنا بحفظك في الغدوة والروحة يا رب العالمين.اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.اللهم وفق ولاة الأمر للحكم بكتابك، وسنة نبيك، واجعلهم سلماً لأوليائك، حرباً على أعدائك يا رب العالمين، اللهم ارزقهم بطانة صالحة تعينهم على الخير إذا فعلوه، وتذكرهم به إذا نسوه.اللهم احفظ الشباب والشيب، واحفظ النساء والأطفال يا رب العالمين.اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.. انصر المجاهدين في سبيلك، الذين يقاتلوا من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وصن أعراضهم واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين.اللهم اكبت أعداءهم فإنهم لا يعجزونك، ولا يخفون عليك، يا عليم يا خبير، يا قوي يا عزيز، عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

قصة بطل

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته كما قال:** إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [الحجر:٤٧]، **وأسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين، ويكشف كرب المكروبين، وأن يقضي الدين عن المدينين، وأن يدل الحيارى ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين.نحن وإياكم في محاضرة بعنوان: قصة بطل، لأن حاجتنا للأبطال في هذه الأيام ماسة، فقد كثر الأبطال بالأقوال، وقل الأبطال بالأفعال. فنحن بحاجة** إلى رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب:٢٣]، **نحن بحاجة إلى أولئك الذين يعيشون لهدف وغاية هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تكون كلمة الذين كفروا السفلى، أولئك الأبطال الذين ضحوا بكل غال ونفيس، أولئك الذين على أيديهم تتحقق البطولات، وعلى أيديهم يتغير الواقع، وعلى أيديهم تنهض الأمة من الحال التي تمر بنا في هذه الأيام إلى حال العز والمجد والتمكين.إن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، أمة معطاءة، أمة متجددة، مهما تكالب عليها الأعداء، واشتدت عليها الظروف، فقد قال صلى الله عليه وسلم مبيناً فضل هذه الأمة:** (أمتي كالمطر). (الأوسط ٣٦٦٠) **وقال عن هذه الأمة:** (من أمتي سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، واستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً). (البخاري ٥٧٥٢ و احمد ٢٢) **إنه والله لفضل عظيم، فأمة بهذه الفضائل، وبهذه المميزات لابد أن يكون فيها أبطال، أبطال أفعال لا أبطال أقوال. تعالوا معاشر الأحبة! نقف وقفات، ونسطر سطوراً وآيات عن قصة رجل، إذا ذكر في المعارك فهو رجلها الأول، وإذا ذكر في التضحيات فهو أول المضحين، وإذا ذكر البذل والعطاء**

فهو سيد المواقف كلها.إن كل مسلم في أدنى الأرض وأقصاها لا يخفى عليه هذا البطل، فلقد ارتبطت انتصارات الأمة ماضياً بهذا الاسم العظيم، إنه خالد وما أدراك ما خالد ، مضى خالد ولكن اسمه بقي خالداً في حياة المسلمين، إنه خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه، من خالد قبل الإسلام؟ لا شيء يذكر، فالذي صنع خالداً هو الإسلام، والإسلام الذي صنع خالداً قادر على أن يصنع أمثاله، فالإسلام الذي أخرج مثل خالد قادر على أن يخرج أمثال خالد .

ملكنا هذه الدنيا قروناً وأخضعها جدود خالدونا   وسطرنا صحائف من ضياء فما نسي الزمان وما نسينا
بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب طامحونا   شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا   إذا شهدوا الوغى كانوا حماة يدكون المعاقل والحصونا
شباب لم تحطمه الليالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا   وإن جن المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
ولم تشهدهم الأقداح يوماً وقد ملئوا نواديهم مجونا   وما عرفوا الأغاني مائعات ولكن العلى طابت لحونا

فعلى أمثال أكتاف هؤلاء الشباب تنهض الأمة من الحال الذي تعيشه في هذه الأيام، حتى يتربى الأبطال فلابد أن يقرءوا سير الأبطال، حتى يتأثر الرجال، وأي سيرة أعظم من سيرة هذا البطل الذي صنعه الإسلام، إنه خالد ؟ وما أدراك ما خالد ، خالد الذي صال وجال ضد الإسلام يوماً، توقف مع نفسه وفكر، وقال في نفسه: والله لقد ظهر الحق واستقام النسب، وإن هذا الرجل لرسول. لقد رأى أطناب الإسلام بدأت تضرب بقوة في شرق الجزيرة وفي غربها، وهكذا الحق يبدأ ضعيفاً، ثم يقوى شيئاً فشيئاً حتى يهلك الباطل. سبحان الله! فكر خالد ونعمة العقل نعمة عظيمة يملكها الكثير، ولا يستعملها إلا القليل، فلو أن كل إنسان صالح أو طالح فكر في مصيره ومآله؛ لازداد الصالح في صلاحه، ولكان الطالح على غير الحال التي هو عليها. ففكر خالد ودبر وقدر؛ فتبين له أن الحق واضح، فقال في نفسه: أما من رجل يصاحبني إلى المدينة حتى أظهر إسلامي، فالتقى رجلاً آخر فذاً من الأفذاذ، وبطلاً من الأبطال، إنه عثمان بن طلحة ، فأخبره خالد بالخبر الذي يريده، فقال: وأنا معك يا خالد ، فخرجا سوياً حتى إذا استويا خارج وادي مكة إذا بثالث من دواهي العرب يسير في طريقه أيضاً، فإذا هو داهية العرب عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه، فقال لهما: إلى أين تذهبا؟ فبينا له الوجهة التي سينطلقا إليها، فقال: والله! هذا ما أردت. فهذه مكة قذفت بفلذات أكبادها ودواهي العرب: خالد وعثمان وعمرو بن العاص ، فلما وصلوا المدينة دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فحيوه بتحية الإسلام والنبوة، فسر وجهه صلى الله عليه وسلم، فمد خالد يده قائلاً: أبايع على الإسلام بشرط أن تستغفر لي يا رسول الله! كل صدة صديتها عن سبيل الله، وتأمل هذه الكلمة، فإن خالداً سيعوض ما فات، سيعوض الماضي الذي جال وصال فيه ضد الإسلام، وهو الآن على أتم الاستعداد في أن يعطي كل غال ونفيس من أجل الإسلام.قال: (استغفر لي يا رسول الله كل صدة صديتها عن سبيل الله، فقال له النبي صلى الله عليه

وسلم: أبشر يا خالد فإن الإسلام يجب ما قبله). **فالإسلام حياة جديدة شعارها الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.وقال له النبي صلى الله عليه وسلم:** (والله يا خالد ! لقد رأيت لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير)(الواقدي ٢\٧٤٩). **أيها الناس! إن نعمة العقل نعمة عظيمة، فلو أن كل إنسان فكر في نفسه، وفكر في حاله لتبين له أن بعد هذه الحياة موت، وبعد الموت قبراً، وبعد القبر نشوراً وحساباً، وبعد الحساب جنة أو ناراً، فصاحب العقل السليم يعمل حتى يفوز بجنة الله، وينجو من عذابه، وهكذا فعل خالد ومن معه ثم يبدأ خالد دوره بين صفوف المسلمين جندياً من الجند، ولم يستصغر الأدوار التي كان يقوم بها، فالأمة اليوم في أمس الحاجة إلى جهد كل واحد منا رجالاً ونساءً وأطفالاً، فجراحات المسلمين في الشرق والغرب وفي كل مكان. لقد خرج خالد في جيش أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لملاقاة الروم الذين خانوا العهود والمواثيق، فهم الذين أرسل إليهم رسولاً فخانوا مواثيق الأرض كلها، وخانوا الأعراف كلها، فقتلوا ذلك الرسول الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم أن شوكة الإسلام ليست بالشوكة الهينة، وأن جند الإسلام على استعداد للتضحية من أجل دينهم، فأرسل قلة قليلة لا تتجاوز الثلاثة آلاف لكنها أرعبت الروم حين خروجها، فخرجت الروم في جحافل كثيرة تعدادها أكثر من مائة وعشرين ألفاً، فبالله عليك! ثلاثة آلاف ماذا سيصنعون أمام مائة وعشرين ألفاً؟ لكن أمة الإسلام أبداً لا تقاتل بالعدة والعتاد، مع أنها مطالبة بإعداد ذلك، ولكنها تستجلب النصر من السماء وليس من الأرض:** إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ [آل عمران:١٦٠]، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ [آل عمران:١٣]، **ومثلها قوله تعالى:** كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:٢٤٩]. **جهز النبي صلى الله عليه وسلم أمر ذلك الجيش ورتب الإمارة فيه فقال:** (يحمل الراية أولاً زيد بن حارثة، فإن قتل فيحملها جعفر رضي الله عنه وأرضاه، فإن قتل يحملها عبد الله بن رواحة)، **رضي الله عن الجميع،** (فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ينقل وقائع المعركة حية على الهواء وحياً، فقال وهو يصور لأصحابه)؛ **لأن الأمة كلها متعلقة بذلك الجيش، فالأمة كلها تتبع أخبار الانتصارات هنا وهناك، أعني: الانتصارات في أرض المعارك لا في ميادين الملاعب.دارت رحى معركة من أشد المعارك، فهناك قلة قليلة ثابتة أمام جحافل كثيرة؛ لكن الإيمان يصنع جبالاً رواسي أمام تيارات الكفر.فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينقل لأصحابه وقائع المعركة: (حمل الراية زيد ثم قتل، ثم حمل الراية جعفر ثم قتل، ثم حمل الراية عبد الله بن رواحة ثم قتل، ثم صمت النبي صلى الله عليه وسلم ثم ظهرت على وجهه إشراقة فقال: ولقد رُفعوا إلي**

في الجنة، ثم صمت قليلاً، ثم قال: أما الآن فقد حمل الراية سيف من سيوف الله ولقد حمي الوطيس) وبعد أن سقط ثالث القادة عبد الله بن رواحة شهيداً –نحسبهم كذلك والله حسيبهم– أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله عنه وأرضاه ونادى بخالداً وقال: يا خالد ! احمل الراية، لكن خالد يعرف قدر الرجال وينزل الناس منازلهم فقال: أنت أقدم مني هجرة، وأكبر مني سناً، وأنا لا أتقدم عليك، فقال ثابت : أما والله! إني ما حملتها إلا لك فأنت أدرى بفنون القتال. فما عرفت الأرض فارساً كر وفر مثل خالد ، ولم يعرف التاريخ منذ أول سطوره إلى آخره فارساً مغواراً كاراً فاراً كخالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه. ثم نادى ثابت في المسلمين قائلاً: أترضون بخالد بن الوليد أميراً عليكم؟ قالوا: رضينا، فحمل الراية رضي الله عنه وأرضاه وامتطى صهوة الجواد، ثم ذهب إلى أعلى مكان في أرض المعركة يتفقد أرض المعركة وينظرها يمنة ويسرة بعين ثاقبة، وبعقل وعبقرية عسكرية لم تعرف الحياة مثلها، ففكر خالد أن هذا الجيش القليل قد أبلى بلاء حسناً لكنه لا يستطيع أن يقاوم أكثر، ثم فكر وغير الميمنة والميسرة، وقلب مواضع القتال يمنة ويسرة، وغير وجوه الرجال في وجوه أولئك القوم، فظنوا أن مدداً قد جاءهم من المدينة، فرفع معنويات الرجال، وألقى الخوف والرعب في الفريق الآخر، ثم صمدوا وقاوموا وقاتلوا واستبسلوا، ثم بدهاء عسكري استطاع خالد أن يفتح فجوة في صفوف الكفار فأخذت فلول المسلمين مجموعة تلو مجموعة تخرج من أرض المعركة بأقل الخسائر، وكان خالد يظن أن الخروج من أرض المعركة بأقل الخسائر هو انتصار بحد ذاته، وهو كذلك بعد أن أبلى أولئك القوم بلاءً حسناً.ومن شدة المعركة قال خالد : تكسر في يدي في تلك المعركة تسعة سيوف، ولم تصمد في يدي إلا صفيحة يمانية.وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (ولقد حمل الراية سيف من سيوف الله، ولقد حمى الوطيس).ثم خرج خالد ومن معه من أرض المعركة بخطة عبقرية فذة تدرب إلى الآن في ميادين القتال، ولم يستطع الروم أن يتتبعوا ذلك الجيش الصغير.وانتظرت المدينة قدوم ذلك الجيش، فالصغار والكبار ينتظرون رجوع ذلك الجيش، لكن بأي وجه استقبل الأطفال ذلك الجيش؟ لقد استقبلوا خالداً ومن معه في أزقة المدينة بالحجارة وهم يقولون لهم: تفرون من الموت في سبيل الله؟ فيرمونهم بالحجارة ويقولون لهم: يا فرار يا فرار! فالصغار يعيرون الكبار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله). ولو تأملنا الصورة بالأمس والصورة باليوم لرأينا عجباً، فبالأمس كان صغارنا يستقبلون الجيش ومن معه في أزقة المدينة، وكانوا يقولون لخالد ومن معه: إلى أين يا فرار؟! واليوم صغارنا، يستقبلون غانية ومطرباً بيده قيثار ولاعباً في صالة المطار بالورود والأزهار متار متار هذا زمان العارمن طنجة إلى قندهارمعتقل يعيش حالة احتضارأمتنا ليس لها قرارأمتنا ألعوبة باليمين واليسارنرجو صلاح الدين ندور في مأساتنا حتى أصابنا الدوار لكن لا خيار من موتنا فوق

شغار السيف حتى يصير الشوك جل نارموقنون يا متار بحرقة المشوار فإن النصر مع الصبر والصراط فوق النار هذه باختصار قصيدة اعتذار عن أمة تعدادها مليار ليس لها قرارثم يرجع خالد ظافراً من مؤتة، ومنتصراً انتصاراً عظيماً يوم أن خرج بجيشه من تلك المهلكة. ثم بعد ذلك توجه مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهة من الجهات فاتحاً بجناح من المؤمنين، فدخل خالد ولم تستطع مكة أن تقاوم أهل الإيمان؛ لأنه إذا جاء الحق زهق الباطل، وكما قال الله جل في علاه: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [الأنبياء:١٨]**.فمهما علا الباطل وظهر فسيأتي يوم ويظهر الحق بشرط أن ينتصر أهل الحق للحق، بشرط أن نأخذ الكتاب بقوة كما أمر يحيى عليه السلام:** يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم:١٢]**.فدخل خالد فاتحاً فتذكر الأيام الماضية وهو يرى تلك الأصنام التي تعبد وتقدس وتمجد من دون الله سبحانه وتعالى، أين نعمة العقل؟ آلهة لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها حياة ولا نشوراً، فتذكر خالد ذلك واسترجع وقال: كيف كنا نقول:** يا عزى سبحانك؟! بل يا عزى كفرانك(رجال حول الرسول ١١\٨٢)، **لقد رأيت الله قد أهانك، فحمد الله أنه دخل مكة فاتحاً ولم يدخل الإسلام بعد فتح مكة،** لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)[الحديد:١٠]. **ثم مرت بالإسلام فاجعة لم تمر عليه من قبل ولم تمر عليه من بعد، فاجعة فقد النبي صلى الله عليه وسلم، فهي مصيبة عظيمة ابتلي بها المؤمنون وهم في طور إنشاء الدولة المسلمة، فجعت تلك الدولة المسلمة الفتية بفقد نبيها صلى الله عليه وسلم، فمن حكمة الله جل في علاه أن هذا الدين لا يقوم على شخص النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك اختاره الله لما بلغ الرسالة، وعلم الرجال كيف يحملون الأمانة، فحمل الرجال تلك الأمانة التي أشفقت منها السموات والأرض والجبال. وبعد ذلك ارتدت العرب قاطبة عن دين الله ولم يبق على الإسلام إلا مكة والمدينة والطائف، ومرت بالمسلمين أزمة لا يعلمها إلا الله، وهي مصيبة فقد النبي ثم المصيبة الأخرى تجمع أولئك المرتدين على تلك الدولة الفتية، فتصدى لها أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، ولكل زمن رجال.فمن فضائل هذه الأمة: أن الله يبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها. فشاور أبو بكر الصحابة في أمر تلك الأزمة، فمنهم من رأى أن من الحكمة البقاء في المدينة حتى تنجلي الأزمة؛ لأن هناك جيشاً صغيراً أعده النبي صلى الله عليه وسلم بقيادة شاب من الشباب في السابعة عشرة من عمره، وسبحان الله! قواد الجيوش شباب، وكتاب الوحي من الشباب، وكتاب السنة وحفاظها هم الشباب، وأهل المشورة هم الشباب، فأين الشباب اليوم عن هذا الدور العظيم؟!إن أمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى شبابها الذي تربى على تقوى من الله ورضوان.لقد كان لأبي بكر نظرة في تلك الأزمة وهي: أنه لابد**

من الانتصار لهذا الدين مهما كان الثمن؛ لأن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل، والله لا يحابي أحداً في سننه، إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:٧]. فأشاروا على أبي بكر بالبقاء فقال: لا والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله! لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، أينقص الدين وأنا حي؟! فنصر الله الدين بشخص أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. فبدأ يعد العدة، فقال: جيش أسامة يخرج، والبقية الباقية تستعد في المسجد للخروج لملاقاة المرتدين.فخرج أبو بكر قائداً عليهم؛ حتى يعطي للأمر أهمية، وحتى يعلم المسلمون أن القضية قضية خطيرة ومهمة، فانتصر في أول اللقاءات، ثم رجع إلى المدينة وأعد العدة وأراد الخروج، فقال له علي وكبار الصحابة: نقول لك يا أبا بكر ! كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: لا تفجعنا في نفسك يا أبا بكر ! فلبث وجلس في المدينة مضطراً، لكنه عقد الألوية، وأرسل الرجال في أطناب كثيرة يمنة ويسرة، وكلم خالداً قبل أن يمضي قائلاً له: لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (نعم العبد خالد بن الوليد ، نعم أخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سله الله على الكفار)، فخرج خالد وقد دوى في أذنه صدى هذه الكلمات العظيمة.ولقد اجتمعت فلول المرتدين وقوي شأنها وردت من ردت من فلول المسلمين، وكان أكبر تجمع للمرتدين في أرض اليمامة وهم قوم مسيلمة الذي ادعى النبوة كاذباً عليه من الله ما يستحق، وكان قد جمع أكثر من أربعين ألف رجل، فتصدت له بعض جيوش المسلمين فردهم على أعقابهم، فقال أبو بكر : ليس لها إلا البطل خالد رضي الله عنه وأرضاه، فالرجال يعرفون في الأزمات، قال الله جل في علاه: فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ [محمد:٢١] وجه أبو بكر خالداً إلى أرض المعركة، فجمع خالد الجيوش، ووحد صفوفهم، وحثهم على التضحية والبذل والعطاء من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فما خرج القوم إلا من أجل هذا الهدف، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:٨-٩].وهل هم فقط؟ لا، ولكن لكل من سار على طريقهم: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر:١٠].فدارت رحى معركة ضروس لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، فإن العرب إذا التقوا مع العرب كان اللقاء أخطر مما تتصور، فبدأت الأشلاء تتقطع، والرءوس تتطاير، والبطون تبقر، والدماء تسيل، فرأى خالد في هذه الحالة أن علامات الهزيمة بدأت تظهر على المسلمين فبحث عن السبب، فوجد السبب أن روح المسئولية بدأت تضعف في حياة الرجال، واليوم هذه الروح فقدت في حياة المسلمين، فمن

يتصدى لآهات المسلمين هنا وهناك ويقول: أنا لها؟ ومن يتصدى لقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (البخاري ٢٤٠٩)؟ **ومن يقول: أنا لهذه الأزمات التي تمر على أمة الإسلام؟ لا يقوم بذلك** إلا رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب:٢٣]. **فميز خالد الصفوف: فميز المهاجرين عن الأنصار، وميز أبناء كل أب وجعلهم تحت راية أبيهم، ثم قال لهم: اليوم نعرف من أين تأتي الهزيمة، فارتفعت معنويات الرجال، وصالوا وجالوا، وقتلوا وارتفعت الآيات والتكبيرات والتهليلات،** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ [الأنفال:١٥].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران:٢٠٠].فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:٤-٧].**فتمايز الرجال، وارتفعت التهليلات والتكبيرات وأقبلت ريح الجنة، فصال الرجال وجالوا، وكروا وفروا، وأثخنوا في العدو الجراح، وقطعوا الأشلاء، وبقروا البطون، وأسالوا الدماء، كل ذلك من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، فلجأ مسيلمة ومن معه إلى حديقة الموت، فارتفعت همم الشباب في التضحية والبذل والعطاء من أجل نصرة هذا الدين، فالناس في سباق إلى الله جل في علاه، فإن استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل.فقد قيل لأحدهم في ميدان المعركة:** إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي.**وآخر يحفر حفرة حتى رجليه ويقول لقومه: والله لا أتكلم بكلمة حتى ألقى الله فأدلي إليه بحجتي، فلما دخل القوم إلى حديقة الموت وأغلقوا الأبواب ظنوا أنهم في معزل عن أولئك الرجال الأبطال، فقال خالد بن الوليد : أين أنت يا فتى الأنصار؟ يعني: البراء بن عازب رضي الله عنه وأرضاه، وكان نحيل الجسم لكنه قوي الإيمان، وقد كانت أول عملية استشهادية حدثت في الأرض كانت في تلك المعركة، فقال لهم البراء: احملوني على الترس، وارفعوني بالرماح ثم القوني في حديقة القوم، فإما الشهادة، وإما النصر.فرفعوه ورموه في الحديقة، فقاتل القوم وحيداً منفرداً حتى فتح الله على يديه وبجسده النحيف أكثر من ثمانين ضربة بسيف، وطعنة برمح.وانطلقت فلول المسلمين تقتل في فلول المرتدين حتى أثخنوا فيهم الجراح، وعلم أولئك القوم أن خلف هذا الدين** رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب:٢٣]، **فانفضت وانقشعت تلك الأزمة التي كادت أن تفني الدولة المسلمة.**

وبعد أن انتهى خالد من تلك المعركة انتقل إلى أرض معركة أخرى، فقد رأى أبو بكر أن فارس والروم بدأوا ينفشون ريشهم ويتعرضون لوفود المسلمين هنا وهناك، فكان لابد أن يعلموا أن لهذا

الدين رجالاً، فأرسل الجيوش إلى العراق وإلى الشام، فأرسل أبا عبيدة وكبار الصحابة على رءوس كثير من الجيوش.ولما وصل خالد إلى العراق بدأ يرسل الرسل، ويكتب الكتب إلى ملوكها وسلاطينها، وكان مما كتب لهم: من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فله ما لنا، وعليه ما علينا، وإلا فإني أتيتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون أنتم في الدنيا (لاكتفاء ٣\٢٧١).**وهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وصدق نبي الهدى والرحمة حين قال:** (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: يا رسول الله! أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليوشكن الله أن ينزع من صدور أعداءكم المهابة، ويقذف في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟! قال: حب الدنيا وكراهية الموت). (ابي داود ٤٢٩٧) **فهذا هو المرض الذي تعاني منه الأمة في هذه الأيام، فكان أبو بكر يرسل الرسل، ويرسل الجيوش ويقول لهم: احرصوا على الموت توهب لكم الحياة .سبحان الله! لقد حرصوا على الموت فسادوا على مشارق الأرض ومغاربها، فبدأ خالد انتصاراته في العراق بدءاً بذات السلاسل، وانتهاء بالفرات في أعلى العراق.وبدأت الروم تجمع فلولها فسمع أبو بكر بالخبر، فقال: ليس لها إلا خالد ، والله! لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه، فأرسل إليه يأمره بالتوجه من العراق إلى الشام، فقطع المسافة في مدة قصيرة على أرض لم يقطعها قبله إنس ولا جان، فالرجل على أتم الاستعداد للبذل والعطاء مهما كان الثمن، فما أحوجنا لمثل هؤلاء الأبطال.فلما وصل خالد إلى الشام جمع الجيوش، ووحد الصفوف، وتلا عليهم القرآن، وذكرهم بالله وبالدار الآخرة، وذكرهم بفضل الشهداء عند الله جل في علاه، وما أعده الله لهم في جنات النعيم، وبين لهم أن الله اشترى وهم باعوا الأنفس والأموال على أن يكون الثمن الجنة، وما أعظمها من صفقة، وعد سابق وعهد صادق،** وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء:١٢٢] ، وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [الروم:٦].**فذكرهم خالد بالله وقال لهم: هذا يوم من أيام الله أخلصوا فيه الجهاد لله، واطلبوا الله والدار الآخرة في جهادكم هذا، ثم نزع حب الإمارة من قلوب الرجال فقال: الإمارة بيننا وبينكم يتولاها كل رجل منا يوماً، فلقد ظنوا أن المعركة ستطول؛ لأن تعداد فلول الكفار أكثر من مائتين وأربعين ألفاً، وفي المقابل فئة قليلة لا تتجاوز الثلاثين أو الأربعين ألفاً لكن قلوبهم مليئة بالإيمان، ففي ليلة المعركة كانوا قياماً يقرأون سورة الأنفال، في ثبات واستعداد للبذل والتضحية، فهناك وعد من الله إذا تضرعوا واستغاثوا:** إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:٩].**فإذا كان الأعداء الآن عندهم قنابل ومدافع ودبابات فإن الله تعالى قد أيدنا بإسرافيل وميكائيل وجبرائيل، وأيدنا بملائكته تقاتل مع المؤمنين، فماذا تصنع أسلحتهم مع جنود الرحمن لقد كان ماهان قائداً من قادة الكفار فلما رأى في وجوه أولئك الرجال**

البسالة والشراسة أراد أن يحقن الدماء فقال: هل من كلمة بيني وبين خالد حتى نحقن الدماء؟ فالتقى خالد مع ماهان ، ودار بينهم هذا الحديث:قال ماهان : أخبرنا أنه ما أخرجكم من دياركم إلا الفقر والجوع والحاجة، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم طعاماً وشراباً وعشرة دنانير ذهب ودابة، ثم ترجعون إلى أرضكم وتعودون من السنة القابلة أعطيكم مثلها، فهو يريد أن يكسر عزة المؤمن، وأنى له أن يكسر العزة المستمدة من القرآن ومن النور النبوي؟!فقال له خالد : أما والله! ما أخرجنا الجوع ولا العطش ولا الفقر، ولكننا قوم نحب أن نشرب الدماء، ولقد أخبرنا أن دماء بني الأصفر من أطيب الدماء **فمن أجل ذلك خرجنا، ثم كبر خالد رضي الله عنه وكبر الرجال وبدأت السيوف تعمل في رقاب الكفار**: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [الأنفال:١٢].**وبدأت التضحيات والمآثر تظهر بين الرجال، فهذا رجل يقول لأبي عبيدة : يا أبا عبيدة ! إني عزمت على الشهادة فهل من وصية أبلغها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو عبيدة : أقرئ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام، وقل له: إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً:** وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات:١٧١-١٧٣].**قال الله جل في علاه:** كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة:٢١].إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [المجادلة:٥].**فأي قوة تستطيع أن تذل تلك الفئة المؤمنة التي تستمد العزة من القرآن؟! والله تعالى يواسي الأمة في كل حين وفي كل مكان إذا اشتدت بها الأزمات فيقول:** وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ [آل عمران:١٣٩-١٤١]، وقال: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [البقرة:٢١٤].وقال: الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت:١-٣].وقال: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [آل عمران:١٧٩].وقال: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ [التوبة:٤٣].فالرجال **يعرفون عند الشدائد والمدلهمات، وهنا لك تظهر معادن الرجال، فما أحوج الأمة اليوم إلى ذلك.**

ها هو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاديا

ويلنا ماذا أصاب رجالنا أو مالنا سعد ولا مقداد

فانتصر الرجال في معركة من أعظم المعارك، وأبلوا بلاء حسناً، فانتهت المعركة وحسمت في يوم واحد، فمن كان يظن أن هذه الفئة القليلة تستطيع أن تحسم المعركة في يوم واحد؟! فلقد بدأت المعركة من طلوعِ الشمس وما غابت الشمس إلا والمعركة قد حسمت، وصلى خالد في خيمة ماهان . إن النصر من عند الله، وليس من عند خالد ، والأمة تمتلك أمثال خالد الكثير، وتخيل خالداً وهو في قمة انتصاراته فيرسل عمر بعد أن مات أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه برسالة إلى الشام يعزل فيها خالداً في أوج انتصاراته، فقال عمر فيما قال: ما عزلت خالداً عن سخطة ولا عن خيانة، ولكني رأيت الناس قد فتنوا بخالد، فأردت أن يعلم الناس أن النصر من عند الله الصانع وليس من عند خالد ولم يتوقف خالد يوم أن عزل عن خدمة الإسلام، فهو يخدم الإسلام أميراً وجندياً وفي أي مكان يوضع فيه، وهكذا رجال الإسلام فليس همهم المناصب ولا العطايا، وإنما همهم الله والدار الآخرة.لقد خاض خالد سنوات طوالاً في أرض المعارك، فلو كشف عن جسده لرأيت كل موضع فيه ضربة بسيف أو طعنة برمح فلله در ذلك البطل، وقد طلب خالد الشهادة في مضانها هنا وهناك، وخاض أكثر من مائة معركة ولكن الله قضى على خالد أن يموت على فراشه، فلا نامت أعين الجبناء.فمن أخبار خالد أنه كان يقول: والله ما ليلة بتها والسماء تظلني والأرض تقلني في سرية من المهاجرين في ليلة دافئة أحب إلي من ليلة أدخل فيها على عروس أو أبشر بغلام (حياة الصحابة ١١\٤٨٣).**فانظر إلى الهمم، وقل لي: أين نحن من هؤلاء؟ كان إذا اشتدت المعركة وحمى الوطيس طأطأ برأسه إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم ناجى الله ثم قال: والله! ما هو إلا الموت والجنة وما إلى المدينة من سبيل. وقال فيما قال: شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن، فماذا شغل الشباب اليوم عن الآيات وتدبر القرآن؟ هل شغلهم الجهاد والإعداد والاستعداد أم شغلتهم القنوات والمباريات عن تدبر آيات الله؟ إن الأمة لن تنهض إلا على أكتاف الشباب، ولن تقوم للأمة قائمة ويتبدل الحال إلا على أكتاف الشباب. والشباب المسلم هم الذين جعلوا خالداً ومن معه قدوة لهم وساروا على طريقهم فتشبهوا بهم، فإن التشبه بالصالحين فلاح. فاليوم والظروف كما يعلم القاصي والداني من تآمر الكفار يمنة ويسرة على أن يطفئوا نور الله ولكن:** وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة:٣٢].**إن الإسلام يصنع الرجال كأمثال خالد وكخطاب وغيرهما من الرجال، وسبحان الله يموت كل يوم العشرات بل المئات بل الألوف ولكن لا يعني موتهم شيئاً، ويموت واحد فتفجع الأمة في أدنى الأرض وأقصاها لفقده**

.لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعيرُ

ولكن الرزية فقد فذ يموت بموته خلق كثير

ثم مات خالد ، والله تعالى قد كتب الموت والفنا على كل مخلوقاته، كما قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن:٢٦-٢٧] **.فاليوم والأزمة تشتد لابد من التفاؤل، ولابد من بث روح الانتصار، ورفع المعنويات بين أفراد الأمة، إنها سحابة صيف وستنقشع بإذن الله،** وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:٢٢٧]، يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [الصف:٨-٩]. **نعم أيها الناس! إن هذا الدين سينتصر بعز عزيز أو بذل ذليل، لكن أين دوري ودورك؟ وأين دورك أنت أيتها الصالحة المؤمنة؟ فالإسلام اليوم في أمس الحاجة لجهد كل واحد منا، وإن أعظم ما نقدمه للإسلام اليوم أن ننتمي للإسلام حقيقة الانتماء، وأن نطبق الإسلام واقعاً ملموساً في حياتنا، وأن نحافظ على الصلوات، ونعمر المساجد، وننتهي عن المحرمات.فقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم التفاؤل في الأزمات، فما ضاقت إلا فُرجت، وبعد الليل فجر سواء طال الليل أو قصر.**

متفائل واليأس بالمرصاد متفائل بالسبق دون جيادِ متفائل رغم القنوط يذيقنا جمر السياط وكثرة الجلاد
متفائل بالغيث يسقي روضنا وسماؤنا شمس وصحو باد متفائل بالزرع يخرج شطأه رغم الجراد كمنجل الحصاد
متفائل يا قوم رغم دموعكم إن السما تبكي فيحيا الوادي والبحر يبقى خيره أتضره يا قومنا سنارة الصياد
فدعوا اليهود بمكرهم وذيولهم نمل يدب بغابة الآساد متفائل بشرى النبي قريبة فغداً سنسمع منطقاً لجماد
حجر وأشجار هناك بقدسنا قسماً ستدعو مسلماً بجلاد يا مسلماً لله يا عبداً له خلفي يهوديُّ أخو الأحقاد
فطهر تربنا من رجسه لا تبق دياراً من الإلحاد قسماً بمن أسرى بخير عباده وقضى بدائرة الفناء لعاد
لتدور دائرة الزمان عليهم ويكون حقاً ما حكاه الهاد هذا يقيني وهو لي بل للصدى والكأس غامرة لغلة صاد
فاجعل يقينك بالإله حقيقة واطمع بكفك صارماً لسداد وإذا قطعت الرأس من حياتهم لا تنس أذناباً بكل بلاد

إن هذا الدين سينتصر بخالد وبغير خالد ، فالأمة التي أخرجت خالداً قادرة على أن تخرج أمثال خالد ، واليوم نرى تباشير الصباح قد ظهرت وأشرقت، فهاهم الشباب يعمرون المساجد، وهاهي الفتيات يتزين بزينة الإيمان، وهاهم الآباء في وسط هذه الأحداث يحثون الصغير والكبير على التمسك بهذا الدين .أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميمِ **إن هذا الدين سيظهر بعز عزيز أو بذل ذليل، لكن ما هو الدور الذي ينبغي أن أقوم به أنا وأنت وأنت؟** فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ * وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف:٧-٨].وقال جل في علاه: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [الزخرف:٤٤]**.اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!**

قعيد أحيا أمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله! إن جريمة اليهود الأخيرة حين اغتالوا شيخنا أحمد ياسين ليست بالجريمة الأولى، ولن تكون الأخيرة، فلقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى لقيام دولة الإسلام المجيد، فألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية، وذهبوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب المسلمين،** وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النساء:٥١]، **ولما غلبهم الإسلام بعز عزيز استمروا يكيدون له ببث المفتريات، وبالفت بين صفوف المسلمين وإثارة الفتن بينهم، وتأليب خصومهم عليهم، فاليهود هم الذين ألبوا الأحزاب على الدولة المسلمة الأولى في المدينة، فرد الله كيدهم في نحورهم.واليهود هم الذين ألبوا العوام، وجمعوا الشراذم، وأطلقوا الشائعات في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما تلاها من النكبات.أليس الذي قاد حملة الوضع والكذب في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في الروايات والسير يهودي منهم؟! قال تعالى:** يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ [الفتح:١٥]، **كما حرفوا التوراة والإنجيل.وفي عصرنا هذا، أليسوا هم الذين يقودون المعركة على الإسلام في كل شبر على وجه الأرض؟!أليسوا هم الذين يستخدمون الصليبية والوثنية في هذه الحرب الشاملة؟!أليسوا هم الذين يصنعون العملاء الذين يتسمون بأسماء المسلمين ويجعلونهم أبطالاً، ثم يشنون بهم حرباً صليبية صهيونية على كل جذر من جذور هذا الدين؟!وهل يغيب عنا وعن كل مسلم أنهم كانوا خلف إسقاط الخلافة الأخيرة، وكانوا وراء إثارة النعرات والانقلابات التي انتهت بإلغاء الخلافة وتقسيم بلاد المسلمين إلى دويلات؟!وهل يغيب عنا أن الذي فعل كل هذا هو أتاتورك اليهودي عليه لعنة الله؟!أليسوا هم الذين يقودون اليوم حملة التشويه ضد الإسلام وضد نبي الإسلام؟!فإن كانوا قد دبروا مؤامرة اغتيال الشيخ أحمد ياسين فلقد**

دبروا مؤامرات ومؤامرات لاغتيال نبينا صلى الله عليه وسلم مرات ومرات ولقد قاموا بقتل الأنبياء قبل ذلك وتآمروا على قتل عيسى عليه السلام، فأخزاهم الله حتى أصبح اسمهم: قتلة الأنبياء، ولقد وصفهم القرآن بهذه الجريمة الشنيعة فقال الله: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ [المائدة:٧٠]، وقال الله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [آل عمران:٢١]، **فلديهم جرأة عجيبة على الفتك بدعاة الحق للتخلص من معارضتهم لجرائمهم، ولوقوفهم في وجه أهوائهم حتى ولو كان هؤلاء الدعاة من أنبيائهم !فهاهو قاض من قضاتهم يقتل نبي الله** حزقيال **عليه السلام؛ لأنه نهاه عن منكرات فعلها.ثم هاهو أحد ملوكهم يقال له: منسي يقتل نبي الله** أشعيا بن أموص **عليه السلام، ويأمر بنشره على جذع شجرة في سنة سبعمائة قبل الميلاد؛ لأنه كان ينصحه ويعظه بترك السيئات والموبقات.وقاموا برجم نبي** الله آرميا **عليه السلام؛ لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم وكبائر معاصيهم.وقام ملك من ملوكهم يقال له:** هيرودس **بقتل نبي الله يحيى عليه السلام، فقد كان هذا الملك شريراً فاسقاً، وكانت له ابنة أخ يقال لها:** هيروديا ، **وكانت بارعة الجمال، فأراد عمها الملك أن يتزوج بها مخالفاً بذلك كل الشرائع السماوية، وكانت البنت وأمها تريدان هذا الزواج، فانتشر بين الرجال والنساء، فلما علم يحيى عليه السلام بذلك أعلن معارضته لهذا الزواج، وبين حرمة هذا الزواج في شرع الله، فلا يحل للعم أن يتزوج بابنة أخيه بأي حال من الأحوال، وهم يريدون أن ينتهكوا المحارم دون أن ينكر عليهم أحد، فحقدت أم الفتاة على يحيى وبيتت له مكيدة قتل، فزينت ابنتها هيروديا بأحسن زينتها وأدخلتها على عمها، فرقصت أمامه حتى ملكت مشاعره، فقال لها: تمني علي، فقالت له: أريد رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق، كما علمتها أمها الفاجرة، فاستجاب لطلبها وأمر برأس يحيى عليه السلام فقتل، وقدم لها رأسه في طبق والدم ينزف منه! وكان ذلك في سنة ثلاثين ميلادية.قال المؤرخون: وفي حادثة مقتل يحيى عليه السلام قتل عدد كبير من العلماء ممن أنكر على ذلك الحاكم هذا العمل الشنيع، ثم قام هذا الملك أيضاً بقتل زكريا عليه السلام؛ لأنه دافع عن ابنه يحيى عليهما السلام؛ ولأنه عارض ذلك الزواج الفاسد،** قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [التوبة:٣٠]. **ولم تنته مؤامراتهم ومحاولات اغتيال الأنبياء بعد تلك الحادثة، بل قاموا بعدها بسنوات ثلاث بمحاولة اغتيال عيسى عليه السلام الذي فضح دسائسهم وتزييفهم لدينهم، فاجتمع عظماؤهم وأحبارهم فقالوا: إنا نخاف من عيسى أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس، وهم يقصدون ذلك الدين المزيف الذي زيفوه وغيروه وبدلوه، فقال لهم رئيس كهنتهم يومئذٍ واسمه قيانا : لأن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره، فهم يريدون أن يموت نبي الله فداء لتزييفهم ومنكراتهم، فأفتى باستباحة قتل عيسى**

عليه السلام، فكشف الله أمرهم، وأنقذ نبيه من بين أيديهم، فخرج عيسى واختفى عن أعينهم ودخل القدس، وتلقاه أصحابه بقلوب النخل، فقال المسيح عيسى لأصحابه الحواريين: إن بعضكم ممن يأكل ويشرب معي يدل علي!الله أكبر! فالنفاق موجود من غابر الزمان، قاتل الله النفاق والمنافقين والخونة والخائنين، فدل على مكانه ذلك الخائن، فدخلوا إلى المكان الذي كان فيه عيسى عليه السلام، فألقى الله شبهه عليه، وغشى الله على أعينهم فلم يروا عيسى، وقاموا بقتل وصلب ذلك الذي دلهم وخان الأنبياء، فلما انكشف الأمر بعد الصلب أخفوا ذلك الأمر؛ لئلا يؤمن الناس بديانة عيسى عليه السلام، وحتى لا يتأكدوا من صدق نبوته ورسالته.ومما يدل على أنهم لم يستطيعوا قتل عيسى عليه السلام أو صلبه قول الله جل في علاه : وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [النساء:١٥٧-١٦١]. **ثم بعد عيسى عليه السلام كان من اليهود من اختار الهجرة إلى يثرب والمناطق الواقعة على طريق الشام، وسبب ذلك: ما يقرءون في كتبهم من البشائر بالنبي المنتظر الذي سيظهر الله به الدين، وكانوا يزعمون أنه لابد أن يكون هذا النبي المنتظر من بني إسرائيل، وأنهم سيكونون أول من يتبعه، وسيقاتلون العرب الوثنيين معه، وسيستعيدون ملك بني إسرائيل في الأرض، وهي أحلام وأوهام !ولما لم يأتِ هذا النبي الموعود به من بني إسرائيل وجاء من العرب أولاد إسماعيل عليه السلام حسدوهم -والحسد خصلة متوارثة فيهم- فكفروا به، وكفر به عامة اليهود ولم يؤمن منهم إلا قليل، ولم يكن الباعث لمن كفر منهم أن قلوبهم لم تصدقه، كلا، فهم قد عرفوه بصفاته المذكورة عندهم، وإنما كفروا به بغياً وحسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وقد أوضح الله ذلك في كتابه فقال:** وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة:٨٩]، وقال سبحانه : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [البقرة:١٤٦-١٤٧].**تقول أم المؤمنين صفية رضي الله عنها وأرضاها:** (لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر مغلسين -أي: في الصباح الباكر بعد الفجر-، قالت صفية : فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في

نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)، **فقد تأكدا وهما من أحبار اليهود أنه هو الرسول المنتظر وتلك صفاته التي جاءت في كتبهم، لكنه الحقد الأسود، والحسد الذي ملأ قلوبهم، وهذه مشكلة إبليس يوم أن خلق الله آدم وشعر بالاستعلاء والاستكبار، فاليهود والشيطان سواء، قال تعالى:** وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:١٠٩].**ثم لما أقام النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، أقام بينه وبينهم عهوداً ومواثيق وحسن جوار، فلم يزالوا ينقضون العهود والمواثيق، ويبرمون الخيانات، ويكيدون المكائد حتى نفد صبر النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ بإجلائهم من المدينة، وذلك بعد تجرئهم على نساء المسلمين، فبينما امرأة من المسلمات في سوق بني قينقاع تبيع قطعة ذهب لها، جلست إلى صائغٍ يهودي تشتري منه، وكانت محجبة الوجه، فجعل نفر منهم يستهزئون بها وبحجابها، ويطلبون منها أن تكشف وجهها وتأبى هي ذلك، فالعفيفة لا تكشف وجهها ولا تتخلى عن حجابها، فقد تخرج للسوق لحاجة لكنها لا تتخلى عن حيائها، فعمد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها من الخلف وعقده إلى ظهرها وهي جالسة دون أن تشعر المرأة بما فعل ذلك اليهودي، فلما قامت انكشفت سوأتها فانطلقت من اليهود ضجة ضحك وسخرية بالمرأة المسلمة العفيفة الطاهرة، فلما أحست المرأة بما فعل الصائغ بها من مكر صاحت واستغاثت بالمسلمين لشرفها المهان في سوق يهود، رفعت صوتها وا إسلاماه! وا إسلاماه! وا إسلاماه! فوثب رجل من المسلمين –استجابة لتلك الصيحات– على الصائغ فقتله في الحال، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فغضب المسلمون لمكر يهود وخيانتهم، فنبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدهم كما أمره الله:** وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ [الأنفال:٥٨]، **فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى قتالهم، فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة، وألقى الله في قلوبهم الرعب، ولم يستطيعوا أن يصمدوا لقتال المسلمين، وهكذا هم جبناء أذلاء يخافون من أطفال الحجارة، فكيف لو ملك أطفال الحجارة المدفع والدبابة؟!ولما طال عليهم الحصار نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم وأمكن الله نبيه منهم، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجالهم، وسبي نسائهم، ومصادرة أموالهم لاعتدائهم على أعراض المسلمين، فتدخل رأس النفاق ابن سلول فقال: يا محمد! أحسن في موالي، وكانوا حلفاء له قبل الإسلام، وما زال المنافق يلح على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم كارهاً: (هم لك)، فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وخرجوا منها أذلة صاغرين. نعم، فلقد تطاولوا على أعراض المسلمات فثارت ثائرة المسلمين، واليوم من يدافع عن**

أعراضنا في فلسطين وفي الشيشان وكشمير وهنا وهناك؟! يا ألله! فكم ارتفعت أصوات المسلمات والآهات فما وجدت آذاناً صاغية!

أذكر إخوتي في كل أرض بأن القدس دنسها اليهود ويا عجباً إلى ما النوم عنها وقد لعبت بمسجدها القرود
لئن كانت موانعنا قيود أما للقيد كسر يا أسود أما لليل من أجل قريب يحل مكانه فجر جديد
وقال آخر: أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب فحق ضائع وحمىً مباحٌ وسيف قاطع ودم صبيب
أمورٌ لو تأملهن طفل لطفل في عوارضه المشيب أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذاً يطيب
أما لله والإسلام حق يدافع عنه شبانٌ وشيب فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكمُ أجيبوا

عباد الله! وبعد إجلاء يهود بني قينقاع حاول يهود بني النضير (الواقدي ١\٣٦٣ – ٣٩٣)**اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد انطلق إليهم في أمر بينه وبينهم، فلما جاءهم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحال أبداً، فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟! فانتدبوا رجلاً منهم فقال: أنا لذلك، فنهاهم عنه أحد أحبارهم وهو سلام بن مشكم وقال لهم: هو يعلم، أي: أن الوحي سيخبره وسيفضحكم، فلم يقبلوا منه، فلما صعد أشقاهم ليلقي الصخرة على النبي صلى الله عليه وسلم نزل الوحي بالخبر، قال تعالى:** وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة:٦٧]، **وفضح المؤامرة، فانسحب النبي صلى الله عليه وسلم من المكان، وشاع خبر مكيدتهم وضج المسلمون من ذلك، فتهيأ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقتالهم، فحاصرهم وأخرجهم من المدينة أذلة صاغرين.ولم تنته مؤامراتهم ووسائل المكر والكيد ضد الإسلام ونبي الإسلام، فلما فشلت خططهم الماكرة لجئوا إلى أسلوب الضعفاء والجبناء فحاولوا دس السم للنبي صلى الله عليه وسلم، فقامت** بذلك زينب بنت الحارث اليهودية، **حيث قدمت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد دست فيها سماً، وكانت قد سألت: أي عضوٍ من الشاة أحب إلى محمد؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، فلما وضعتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم تناول الذراع، فأكل منه قضمة فلم يسغها، وكانت معه بشر بن البراء ، فأخذ منها كما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فمضغها وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: (إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم، ثم دعا بالمرأة اليهودية فاعترفت فقال:** ما حملك على ذلك؟ **قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيخبره الوحي بذلك)، فتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم عنها، ومات بشر من أكلته التي أكل.وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لأخت بشر بن البراء وكانت تكنى بأم بشر** : (يا أم بشر ! إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر) (ابي دواد ٤٥١٤)؛ **ولذلك رأى كثير من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة. ولم يكتفوا بالسم ومحاولات الاغتيال فقط، بل قام ساحر**

من سحرتهم واسمه لبيد بن الأعصم بعمل سحر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى إنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا، ثم قال: يا عائشة ! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه: أتاني رجلان –أي: ملكان على صفة رجلين– وهما جبريل وميكائيل، فقام أحدهما عند رأسي، وقام الآخر عند رجلي، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب –أي: مسحور– قلت: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم) (البخاري ٥٧٦٣) **ثم إن الله أذهب هذا السحر عن جسده صلى الله عليه وسلم بسر الدعاء والالتجاء إلى الله، ودله على مكان السحر.فإذا كانت تلك أفعالهم بالأنبياء والمرسلين فلا عجب مما يفعلونه بالشعوب والأمم بسبب حقدهم على البشرية أجمعين.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.**

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.عباد الله! هذه الأحداث التي تتوالى هنا وهناك هي فرصة للمسلمين لتصحيح مسار الصراع، وتحويل مجراه إلى وجهته الحقيقية، فهو صراع دينيٌ منذ أن بدأ، ولكن من طرف واحد، وهو طرف الأعداء، فهم يقاتلوننا بتوراتهم وإنجيلهم، أما المتصدرون للصراع من بني جلدتنا فلقد أرادوها علمانية حتى النخاع، واستسلامية إلى ما تحت القاع. لكم الله يا رجال فلسطين! ولكن الله يا نساء فلسطين! ولكم الله يا أطفال فلسطين!

أيا فلسطين من يهديك أفئدة ومن يعيد لك البيت الذي خربا   شردت فوق رصيف الدمع باحثة عن الحنان ولكن ما وجدت أبا تلفتي
تجدين في مبادئنا من يعبد الجنس أو يعبد الذهبا   يا شام إن جراحي لا ضفاف لها فامسحي عن جبيني الحزن والتعبا
أتيت من رحم الأحزان يا وطني أقبل الأرض والأمجاد والشهبا   أنا قبيلة آلام بكاملها ومن دموعي سقيت الأرض والسحبا
يا شام أين هما عينا معاوية وأين من زاحموا بالمنكب الشهبا   وقبر خالد في حمص نلمسه فيرجف القبر من زواره غضبا
يا رب حيٍ تراب القبر مسكنه ورب ميت على أقدامه انتصبا   يا ابن الوليد ألا سيف نؤجره فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا
أدمت سياط حزيران ظهورهم فأدمنوها فباسوا كف من ضربا   وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا متى البنادق كانت تسكن الكتبا
يا من يعاتب مذبوحاً على دمه ونفس شريانه ما أسهل العتبا   من جرب الكي لا ينسى مواجعه ومن رأى السم لا يسقى كمن شربا
حبل الفجيعة ملتفٌ على عنقي من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا

اعباد الله! إن لم تحفزنا المصائب، وترفع هممنا الآلام والأحزان فما الذي يحركنا ويعلينا؟! يا له من دين لو أن له رجال، والله لولا أن الإسلام حق بذاته مؤيدٌ بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تلق منه بقية تصارع قوى الشر في الأرض، التي ما تركت سبيلاً من المكر به إلا سلكته، ولا سبباً لإطفاء نوره إلا أخذت به، قال الله تعالى: وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [الأنفال:٣٠]، ويقول: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [يوسف:٢١]، **والله ما تعرض دين على مر السنين والعقود لمؤامرات ومخططات كما تعرض الإسلام، ولكن الله يقيض لهذا الدين رجالاً يحافظون**

عليه، ويدافعون عنه، ولا يضرهم من خالفهم أو خذلهم.إنها الهمم التي تصنع الرجال! أحمد ياسين شيخ مشلول على كرسي متنقل، مهدد بالقتل، ثم تأبى نفسه إلا أن يصلي الفجر في جماعة، فتباً للأصحاء والأقوياء الذين آثروا النوم على نداء رب العالمين، فلقد اتصفوا بصفات المنافقين وما أكثرهم، أحمد ياسين شيخ قعيد أيقض الأمة، ونال الشهادة فمتى يتحرك صحيح البدن قعيد الهمة؟!

أحمد ياسين يا أول الأطهار! في زمن الرذيلة والبغاء يا راحلاً للخلد لا أرثيك أنت بل لنا الرثاء
لن نقبل التعازي فيك، فلقد رفعت رءوسنا وعلمتنا دروساً في التضحية والفداء،
أحمد ياسين قالوا: بأنك مقعد، فكيف قعدت على قلب كأنك مشهد،
وكيف كسرت الحواجز بين البلاد والعباد؟ ألست بمقعد؟
ركبت إلينا سفينة نوح فأجر يتها وعيون البرية تشهد،

أحمد ياسين بتضحية العظماء أمثالك يأتي النصر، وبموت أمثالك تحيا الأمة، عشت مقعداً قائداً، ومت شهيداً رائداً، أياسين ! ماذا تبقى من العمر حتى تموت؟ أسبعون عاماً آخر؟ تجاوزت في أمنيات الدعاء حدود البشر وسافرت عبر براق الشهادة عبر القمروخلفت أبناء العروبة يستنكرون ويستصرخون كعادتنا نحن في الشجب لا نتأخر فسافر بعيداً بعيداً فنعم المرا كب ما قد ركبت ونعم السفرإن التخطيط لاغتيال الصادقين من العاملين والمجاهدين في سبيل الله مستمر ولن يتوقف، لقد قتلوا عمر رضي الله عنه في محرابه، وقتلوا عثمان رضي الله عنه وقرآنه بين يديه، وقتلوا علياً رضي الله عنه وهو منطلق إلى مسجده، وهاهم يقتلون أحمد ياسين بعد أن صلى الفجر في جماعة، وفاز بذمة الله، فهنيئاً لك اللحاق بركب الصادقين!

هم الرجال بأفياء الجهاد نموا وتحت سقف المعالي والمدى ولدوا
وجباههم ما انحنت إلا لخالقها وغير من أبدع الأكوان ما عبدوا
الخاطبون من الغايات أكرمها والسابقون وغير الله ما قصدوا

عباد الله! أمتنا ولودة، أمتنا معطاءة، أمتنا متجددة، فإن كانوا قد قتلوا أحمد ياسين فسيكون هناك ألف أحمد ياسين بإذن الله، فسر قوتنا في معتقدنا..، في قرآننا..، في تاريخنا، حتى في حجارتنا التي تنطلق من يد صغارنا.نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: (أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أو في آخره) **هاهم أبناء المسلمين في كل مكان يرددون: خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود! فسر قوتنا في شبابنا..، في شيبنا..، في نسائنا وأطفالنا. سنعيد حياة العز ثانية وسوف نغلب من حادوا ومن كفروا وسوف نبني قصور المجد عالية قوامها السنة الغراء والسور وسوف نفخر بالقرآن في زمن شعوبه بالفسق والخنا افتخروا وسوف نرسم للإسلام خارطة حدودها العز والتمكين والظفر بصحوة ألبس القرآن فتيتها ثوب الشجاعة لا جبن ولا خور بتضحيات العظماء يأت النصر بإذن الله، وبموت الأبطال تحيا الأمة، فلا نامت أعين الجبناء. اللهم تقبل أحمد ياسين ، اللهم تقبله في**

أعلى عليين، وأسكنه في جناتك جناتٍ النعيم، اللهم بلغه أعلى درجات الشهداء والصديقين، اللهم أبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه يا رب العالمين! اللهم تقبل شهداءنا في كل مكان يا رب العالمين! اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، اللهم فك أسرانا وأسراهم في كل مكان يا حي يا قيوم! اللهم كن مع إخواننا في فلسطين والشيشان، وكشمير والفلبين والعراق وأفغانستان، كن لهم عوناً وظهيراً، ومؤيداً ونصيراً، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، اللهم شتت شمل عدوك وعدوهم يا قوي! يا عزيز! اللهم عليك باليهود الغاصبين، والنصارى المعتدين، وأعداء الملة والدين، ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم لا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية، ولا تحقق لهم في بلاد المسلمين غاية، وأخرجهم منها أذلة صاغرين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللهم أصلح الشباب والشيب، واحفظ النساء والأطفال يا رب العالمين! عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر.

قوافل العائدات

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .أيتها الغالية! أيتها الأخت المسلمة المؤمنة! حياك الله وبياك وسدد على طريق الحق خطاك.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يجعلك آمنة مطمئنة، تقية نقية خفية.أيتها الغالية!العباد يشرقون ويغربون، وتلهيهم لذات الدنيا وشهواتها، ثم في النهاية لا بد للعبد وللأمة –حتى يجدا الراحة والسعادة والطمأنينة– أن يعودا وينيبا ويرجعا إلى علام الغيوب، فإن الدنيا مهما أعطت ومهما تبهرجت ومهما تزينت، فلن يجد العبد فيها ولا الأمة طعماً للسعادة. فالسعادة كل السعادة في العودة إلى الله، وفي الخضوع لأوامره، والانتهاء عن نواهيه تبارك وتعالى. الباحثات عن السعادة كثيرات، والباحثات عن الراحة والطمأنينة كثيرات، لكن أيتها الغالية! أين هي السعادة؟ أين مصادرها؟ ظنت كثيرات أنها في المال، فبحثن عنها هناك فلم يجدنها، وظنت أخريات أنها في الشهرة، فبحثن عنها هناك فلم يجدنها.جاء في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:** (لو كان لابن آدم واد من الذهب لابتغى ثانياً، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).(البخاري ٦٤٣٩) **وظنت كثيرات أن السعادة في الشهوات والملذات؛ فبحثن عنها هناك فلم يجدنها، فأين هي السعادة؟ وكيف الحصول عليها؟ وأين مكانها أعطيني السمع أيتها الغالية! وافتحي القلب قبل أن تفتحي الأذن، هيا نستمع وإياك إلى هذه القصة من فتاة كانت تبحث عن السعادة، هيا نسمع كلمات من فتاة انضمت إلى قوافل العائدات، فنحن في درس بعنوان: قوافل العائدات، فهيا نبدأ الدرس بقصة تلك التي عادت وانضمت إلى قوافل العائدات.تقول الفتاة: بدت أختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم، ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم، بحثت عنها –يعني: عن أختها– فوجدتها في مصلاها راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء، هكذا حالها في الصباح**

وفي المساء، وفي جوف الليل، لا تفتر ولا تمل، تقول عن نفسها: كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية، والكتب ذات الطابع القصصي، أشاهد الفيديو والتلفاز بكثرة، لدرجة أنني عرفت به، تقول: لا أؤدي واجباتي كاملة، ولست منضبطة في صلواتي، -ومثلها كثيرات- وبعد ثلاث ساعات متواصلة على التلفاز أغلقته، والأذان يرتفع من المسجد المجاور، فإذا بأختي تناديني من مصلاها، فقالت: ماذا تريدين يا نوره ؟ قالت لي بنبرة حادة: لا تنامي قبل أن تصلي الفجر، قلت: أوه! باقي ساعة على صلاة الفجر، والذي سمعتيه كان الأذان الأول، فنادتني بنبرة حنونة، وهكذا كانت قبل أن يصيبها المرض الخبيث، وتسقط طريحة الفراش، وقالت: تعالي بجانبي يا هناء ! وكنت لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها، فكم كنت أشعر بصفائها وصدقها! قلت لها: ماذا تريدين؟ قالت: اجلسي، قلت: ها قد جلست، ماذا لديك؟ فقرأت بصوت عذب رخيم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران:١٨٥]، وسكتت برهة ثم سألتني: ألم تؤمني بالموت؟ قلت: بلى، ولكن الله غفور رحيم، قالت لي: ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة؟ قلت: بلى، ولكن الله غفور رحيم، والعمر طويل، قالت: ألا تخافين -أخية- من الموت بغتة؟ أليست هند أصغر منك وقد توفيت في حادث سيارة، وفلانة وفلانة؟ أخية! الموت لا يعرف عمراً وليس له مقياس، فقد أجمع أهل العلم على أن الموت ليس له سبب معين، ولا وقت معين، ولا مكان معين، يأتي بغتة ونحن لا نشعر، قالت: فأجبتها: إني أخاف من الظلام، ولقد أخفتيني من الموت، فكيف أنام الآن؟ كنت أظن أنك ستقولين: إنك وافقت على السفر معنا في هذه الإجازة، فقالت بصوت متحشرج اهتز له قلبي: لعلي هذه السنة أسافر سفراً بعيداً! أسافر ربما إلى مكان آخر يا هناء ! وسكتت ثم قالت: الأعمار بيد الله، وأخذنا نمشي سوياً، ففكرت في مرضها الخبيث، وأن الأطباء أخبروا أبي سراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً، ولكن من أخبرها بذلك؟ أم أنها تتوقع هذا الشيء؟ قالت لي: ما لك تفكرين؟ هل تعتقدين أني أقول هذا لأنني مريضة؟ كلا، ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء. فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما عشرين سنة، ربما أكثر، ثم ماذا؟ لا فرق بيننا؛ فالكل سيرحل، وسنغادر هذه الدنيا إما إلى جنة وإما إلى النار، ألم تسمعي قول الواحد القهار: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:١٨٥]؟ تصبحين على خير، هرولت مسرعة وصوتها يطرق أذني: هداك الله، لا تنسي الصلاة.وفي الثامنة صباحاً سمعت طرقاً على الباب، وهذا ليس موعد استيقاظي، وسمعت صوت بكاء وأصوات، يا إلهي! ماذا جرى؟ قالوا لي: لقد تردت حالة نوره ، وذهب بها أبي إلى المستشفى، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لا سفر هذه السنة، مكتوب علينا البقاء هذه السنة في بيتنا، وبعد

انتظار طويل إلى الواحدة ظهراً، اتصل أبي من المستشفى قائلاً: تستطيعون زيارتها الآن، فأتوا بسرعة، فانطلقنا إلى المستشفى وأمي تدعو لها.إنها بنت صالحة مطيعة، لم أرها تضيع وقتها أبداً، فدخلنا المستشفى، ورأينا مناظر عجيبة! هذا يتأوه، وهذا يتألم، وهذا يصيح، وثالث: لا ندري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة، ولا يعرف قيمة الصحة إلا من فقدها، فصعدنا درجات السلم، وكانت في غرفة العناية المركزة، فأخبرتنا الممرضة أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حصلت لها، ولم يسمحوا إلا بدخول شخص واحد فقط، فدخلت أمي ووقفت أنظر من نافذة الغرفة الصغيرة، فرأيت عينيها وهي تنظر إلى أمي واقفة بجوارها، خرجت أمي ولم تستطع إخفاء دموعها، ثم سمحوا لي بالدخول والسلام عليها، بشرط أن لا أمكث طويلاً فحالتها لا تسمح، فدخلت وقلت: كيف حالك يا نوره ؟! لقد كنت بخير البارحة، فماذا جرى لك؟! أجابتني بعد أن ضغطت على يدي: أنا الآن –ولله الحمد– بخير، فقلت: الحمد لله، لكن يدك باردة، وكنت جالسة على حافة السرير، ولامست يدي ساقها فأبعدت يدي، فقلت لها: آسفة إذا ضايقتك، قالت: كلا، ولكني تفكرت في قوله تعالى: وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة:٢٩-٣٠]، **ثم قالت: عليك يا هناء ! بالدعاء لي، فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة:**

سفري بعيد وزادي لن يبلغني وقوتي ضعفت والموت يطلبني

ولي بقايا ذنوب لست أعلمها الله يعلمها في السر والعلن

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت، وبكيت، ولم أع أين أنا، استمرت عيناي في البكاء، أصبح أبي خائفاً علي أكثر من نوره ، لم يتعودوا مني هذا البكاء والانطواء في غرفتي، ومع غروب شمس ذلك اليوم الحزين، ساد صمت طويل في بيتنا، دخلت علي ابنة خالتي، ثم ابنة عمتي، وحصلت أحداث سريعة متتالية، كثر القادمون، واختلطت الأصوات، شيء واحد عرفته هو قولهم: نوره ماتت! لم أعد أميز من جاء، ولا أعرف ماذا قالوا، يا ألله! أين أنا؟ وماذا يجري؟ عجزت حتى عن البكاء، وأخبروني فيما بعد أن أبي ودع أختي الوداع الأخير بيده، وأني قبلتها، ثم لم أعد أتذكر إلا شيئاً واحداً: نظري حين نظرت إليها وهي ممددة على فراش الموت، وتذكرت قولها وهي تقرأ قوله تعالى: وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ [القيامة:٢٩] وعرفت عندها حقيقة، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة:٣٠]**.في تلك الليلة ذهبت إلى مصلاها المظلم وجلست فيه، تذكرت من قاسمتني رحم أمي، فنحن توءمان، وتذكرت من شاركتني همومي، وتذكرت من نفست عني كربتي، وتذكرت تلك التي كانت تدعو لي بالهداية، فكم ذرفت عيناها من الدموع في ليالٍ طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب، والله المستعان!هذه أول ليلة لها في قبرها، اللهم ارحمها، اللهم اغفر لها، اللهم نور لها قبرها، نظرت حولي فرأيت مصحفها وسجادتها، ورأيت الفستان الوردي الذي قالت لي: سأخبئه**

لزواجي، تذكرتها وبكيت، وبكيت على أيامي الضائعة، بكيت بكاءً متواصلاً، ودعوت الله أن يرحمني ويتوب علي ويعفو عني، دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تكثر أن تدعو، وفجأة سألت نفسي: ماذا لو كنت أنا الميتة؟ويا أيتها الغالية! اسألي نفسك هذا السؤال: ماذا لو كنت أنت الميتة؟ وما هو المصير؟تقول: لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي أصابني، بكيت بحرقة، ثم انطلق صوت: الله أكبر، الله أكبر، هاهو أذان الفجر قد ارتفع، ولكن ما أعذبه هذه المرة! أحسست بطمأنينة وراحة، وأنا أردد ما يقوله المؤذن، لففت ردائي وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر، صليت صلاة المودع كما صلتها أختي من قبل، وكانت آخر صلاة لها، ثم جلست أدعو وأقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم اقبلني في قوافل العائدات.أختي الغالية! لا أظنك ترضين بجهنم يوم القيامة موطناً، ولا بلهيب النار متنفساً، فما بالك تلقين نفسك فيها راضية، أراك تعصين رب الأرض والسماوات، الذي إن شاء أبدل فرحك حزناً وهماً وعافيتك مرضاً وسقماً، وسعادتك شقاءً ونكداً، فهل تستطيعين رد ذلك؟! أم هل تملكين من الأمر شيئاًأختي الغالية يوم القيامة لن يقف معك أب ولا أم ولا صاحبة ولا قريب، بل ستقفين وحيدة ذليلة قد أرهقتك الذنوب والمعاصي، وكبلتك الخطايا والعثرات، تنظرين يمنة فلا ترين إلا روحاً وريحاناً، وتنظرين يسرة فلا ترين إلا لهب جهنم ودخانها، وفحيح عقاربها ودوابها، ألا فاختاري: إما الانضمام إلى قوافل العائدات، فحينها أبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، وأبشري حينها بعز الدنيا وسعادة الآخرة، وإلا فاسمعي النتيجة: صياح بأعلى الصوت: يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا [الأحزاب:٦٦]، وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:٢٧-٢٩] **ويزداد الصياح عند قولهم:** قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ [المؤمنون:١٠٦-١٠٧] **فلا مجيب لهم، وإنما الحال كما قال سبحانه:** كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة:١٦٧].**أتدرين ما الداء والدواء والشفاء أيتها الغالية؟! قال الربيع بن خيثم لأصحابه:** الداء هو الذنوب، والدواء هو الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود (حلية الاولياء ٢\١٠٨).**قال الله عز وجل:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم:٨]، **فما هي التوبة النصوح أيتها الغالية؟!**قال عمر رضي الله عنه: التوبة النصوح: أن يذنب العبد ثم يتوب فلا يعود (الحاكم ٣٨٣٠).وقال الحسن البصري في معنى التوبة النصوح: أن يكون العبد نادماً على ما مضى، مجمعاً على أن لا يعود إليها.وقال أيضاً: التوبة النصوح: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإظمار

بأن لا يعود قال يحيى بن معاذ : الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب والتائبة: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس في كل همة. قال محمد الوراق رحمه الله: قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن (نضرة النعيم٤\١٢٩٣ - ٩٤).**بادر بها غلق النفوس فإنها ذخر وغنم للمنيب المحسن وقال الشاعر:**

من منا لم يخطئ قط ومن له الحسنى فقط إن أنت رمت محسناً رمت الشطط

أخية! ليس العيب أن تخطئي، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، كما قال صلى الله عليه وسلم، لكن العيب كل العيب أن تصري على الخطأ، فتدبري هذه الدعوة العظيمة من الرحمن الرحيم، وهو يدعوك ويدعو الجميع إلى المسارعة إلى رحمته وجنته، قال سبحانه وتعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران:١٣٣-١٣٤]، **لكن هل هم معصومون عن الخطأ؟ الجواب: لا، فلا عصمة لأحد، فقد قال الله عنهم:** وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران:١٣٥] **فالإصرار على الذنب هو الهلاك، وهو سبب التعاسة والشقاوة، ولكن لما أخطأ العبد أو الأمة ولم يصرا على خطئهما كانت النتيجة:** أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٧-١٣٨].**أيتها الغالية! ينقصنا الضمير الحي، النفس اللوامة التي إذا أذنبت لامت وعاتبت، فإن الإصرار على المعصية معصية أخرى، والقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضىً بها، وطمأنينة إليها، وذلك علامة الهلاك، وأشد من هذا كله المجاهرة بالذنب، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه، قال صلى الله عليه وسلم:** (كل أمتي معافى إلا المجاهرون) (البخاري ٦٠٦٩) **أو كما قال صلى الله عليه وسلم.فمن هي التائبة؟ التائبة: هي المنكسرة القلب، الغزيرة الدمع، الحية الوجدان، القلقة الأحشاء. التائبة صادقة العبارة، جمة المشاعر، جياشة الفؤاد، حية الضمير. التائبة خالية من العجب، فقيرة إلى الرب. التائبة بين الرجاء والخوف والنجاة والهلاك. التائبة في قلبها حرقة، وفي وجدانها لوعة، وفي وجهها أسى، وفي دموعها أسرار.التائبة لها في كل وقفة عبرة، إذا غرد الحمام بكت، وإذا صاح الطير ناحت، وإذا شدا البلبل تذكرت، وإذا لمع البرق اهتزت. التائبة تجد للطاعة حلاوة وللعبادة طلاوة، وللإيمان طعماً، وللإقبال لذة. التائبة تكتب من دموعها قصصاً، وتنظم من الآهات أبياتاً، وتؤلف من البكاء خطباً.التائبة كالأم اختطفت طفلها من يد الأعداء، وكالغريق في البحر نجا من اللجة إلى شاطئ الأمان.التائبة أعتقت رقبتها من أسر الهوى،**

وأطلقت قلبها من فكر المعصية، وفكت روحها من شباك الرذيلة، وأخرجت نفسها من بحر الخطيئة.أخية!

من واجب الناس أن يتوبوا. ولكن ترك الذنوب أوجب .والدهر في تركه عجيب. ولكن غفلة الناس عنه أعجب.

والصبر في النائبات صعب. ولكن فوات الثواب أصعب .وكل ما يرتجى قريب. والوقت من دون ذلك أقرب.

التوبة من تاب يتوب، ومعناها: العودة والرجوع، التوبة: ترك الذنوب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فالاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لن أفعل.أو يقول: فعلت لأجل كذا.أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت، وتبت ورجعت.ولا رابع لذلك، والأخير هو التوبة قال سبحانه: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور:٣١].أقسام الناس:قال سبحانه: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات:١١]، **قسم الله العباد إلى تائب وظالم، وليس هناك قسم ثالث، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، فمن لم تتب لا أظلم منها؛ لجهلها بربها وبحقه عليها، وبعيب نفسها، وآفات أعمالها، ففي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم:** (يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فوالله! إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة). **وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا يتوب في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وفي رواية:** (أكثر من مائة مرة)، **وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم:** (رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الغفور) **مائة مرة، وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ [النصر:١] إلا قال فيها:** (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي). **والتوبة –أخية– هي الرجوع إلى الله، ومفارقة صراط المغضوب عليهم والضالين، ولا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه في الدنيا والآخر ة.فتعالي نقول بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور بسيد الاستغفار:** (اللهم! أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، أبوء بذنبي- يعني: أعترف وأقر- فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).(البخاري ٦٣٠٦) **ولما كانت التوبة متوقفة على تلك الثلاثة الأشياء جعلت شروطاً لها، أما أولها فهو الندم، ولا تتحقق التوبة إلا به، فمن لم تندم على القبيح فذلك دليل على رضاها به، وإصرارها عليه، وفي الحديث الصحيح:** (الندم توبة). **وثانيها: الإقلاع، فلا توبة إلا بترك الذنب أيتها الغالية.وثالثها: العزم وهو دليل على الصدق في التوبة.ومن تمام التوبة تقديم الاعتذار بإظهار الضعف والمسكنة والانكسار، فقولي من صميم القلب: ما عصيتك جهلاً بك، ولا استهانة بحقك، ولا إنكاراً لاطلاعك، ولا نسياناً لوعيدك، ولكني ضحية الشيطان والنفس والهوى، وكلي طمع في مغفرتك، وكرمك، وسعة حلمك.لسان الحال:**

إلهي لا تعذبني فإني مقر بالذي قد كان مني ... وما لي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني

فكم من زلة لي في البرايا وأنت علي ذو فضل ومني ... إذ فكرت في ندمي عليها عضضت أناملي وقرعت سني

يظن الناس بي خيراً وإني لشر الناس إن لم تعف عني   أجن بزهرة الدنيا جنوناً وأقضي العمر فيها بالتمني
وبين يدي محتبس ثقيل كأني قد دعيت له كأني

التوبة الصحيحة لها علامات تعرف بها، منها:أولاً: أن تكون الأمة بعد التوبة خيراً مما كانت عليه قبلها.ثانياً: أنه لا يزال الخوف مصاحباً لها، فلا تأمن مكر الله طرفة عين، فخوفها مستمر إلى أن تسمع قول ملائكة الرحمة عند الموت: أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت:٣٠-٣٢]، **فهناك يزول الخوف والجزع. ومن علامات التوبة الصحيحة المقبولة: انخلاع القلب، وتقطعه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر الجناية وعظمها، فمن لم يتقطع قلبها في الدنيا حسرة وخوفاً على ما فرطت تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق، ورئي ثواب المطيعات، وعقوبة العاصيات، فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة .قال عمر بن ذر** : كل حزن يبلى، إلا حزن التائب عن ذنوبه. (سيراء اعلام النبلاء ٦\ ٣٨٨)**ومن علامات التوبة الصحيحة أيضاً: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء، كسرة أحاطت بالقلب من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً، فلا شيء أحب إلى الله من هذه الكسرة والخضوع، والتذلل والإخبات، والانطراح بين يديه، والاستسلام له، وما أحلى قول الأمة في هذه الحال: اللهم إني أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، وأسألك بقوتك وضعفي وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، إمائك سواي كثير، وليس لي رب سواك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك،** أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبتها، ورغم لك أنفها، وفاضت لك عينها، وذل لك قلبها(الصغير ٦٩٦)، **أن تغفر لي وترحمني ،فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم تجد ذلك في قلبها، فلتتهم تلك التوبة ولتراجع الحسابات، فما أسهل التوبة في اللسان! وما عالج أهل الصدق شيئاً أشق من التوبة الخالصة الصادقة.**

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل   ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها متنقلاً من مفصل في مفصل   ويرى وصول غذا الجنين ببطنها في ظلمة الأحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها في سيرها وحثيثها المستعجل   ويرى ويسمع حس ما هو دونها في قاع بحر مظلم متهول
امنن علي بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأول

قال شقيق البلخي : علامة التوبة: البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار(المجالسة وجواهر العلم ١\٥٦٩). **اللهم! اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهذا نداء من غافر الذنوب وقابل التوب، فاسمعي وتدبري وتأملي، قال عز وجل:** قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [الزمر:٥٤-٦١].**فهل سمعت؟ وهل فهمت؟ فالله ينادي من؟ بأحب الأسماء، وبألطفها ينادي الذين نسوه، والذين تجرءوا عليه، ثم يفتح لهم باب الرحمة، ولا يقنطهم منها.فيا أمة الله! يا من تواتر إحسان الله إليك؛ حيث أزاح عللك، ومكنك من التزود إلى جنته، وبعث إليك الدليل، وأعطاك مؤنة السفر، وما تتزودي به، وما تحاربي به قطاع الطرق عليك، فأعطاك السمع والبصر والفؤاد، وعرفك الخير والشر، النفع والضر، وأرسل إليك رسوله، وأنزل إليك كتابه للذكر والفهم والعمل، وأعانك بمدد من جنده الكرام يثبتونك ويحرسونك، ويحاربون عدوك، ويطردونه عنك، ويريدون منك أن لا تميلي إليه ولا تخالطيه- أي: الشيطان الرجيم- وهم يكفونك مؤنته، وأنت تأبين إلا مظاهرته عليهم، قال عز وجل:** أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف:٥٠]. **أمة الله! أمرك الله بشكره، لا لحاجته إليك، ولكن لتنالي به المزيد من فضله، فجعلت كفر نعمه والاستعانة بها على مساخطه شعاراً لديك، أمرك بذكره ليذكرك بإحسانه عليك، فجعلت نسيانه ونسيان أوامره هيناً عليك، تشكين من يرحمك إلى من لا يرحمك، وتتظلمين ممن لا يظلمك، وتدعين من يعاديك ويظلمك، وإن أنعم عليك بالصحة والعافية والمال والجاه استعنت بنعمه على معاصيه أمة الله! دعاك الرحمن إلى بابه، فما وقفت عليه، ولا طرقته، ثم فتحه لك فلم تلجيه، أرسل إليك رسوله يدعوك إلى دار كرامته، فعصيت الرسول وقلت: لا أترك ما أراه لشيء سمعت به، ومع هذا فلم يقنطك من رحمته، بل قال: متى جئت قبلناك، إن أتيت ليلاً قبلناك، وإن أتيت نهاراً قبلناك، إن تقربت مني شبراً تقربت منك ذراعاً، وإن تقربت مني ذراعاً تقربت منك باعاً، وإن مشيت إلي أتيتك هرولة، لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركي بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.من أعظم مني جوداً وكرماً؟! عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فرشهم، إني والجن والإنس في نبأ عظيم؛ أخلق ويعبد غيري! أرزق فيشكر سواي! خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد! أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويبتعدون عني بالمعاصي، وهم أفقر شيء إلي!فاسمعي النداء يا رعاك الله: من أقبلت إلي تلقيتها من بعيد، ومن أعرضت عني ناديتها من**

قريب، ومن تركت لأجلي أعطيتها المزيد، ومن أرادت رضاي أردت ما تريد، ومن تصرفت بحولي وقوتي ألنت لها الحديد، أهل ذكري أهل مجالستي، أهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم أبداً من رحمتي، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا إلي فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب، من آثرتني على سواي آثرتها على سواها، الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة، فإن ندمت عليها واستغفرتني غفرت لها على ما كان منها ولا أبالي، أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها، وأنا أفرح بتوبة التائبين وعودة العائدين. جاء في البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته في أرض مهلكة دوية، عليها طعامه وشرابه، فطلبها حتى إذا أيس من حصولها نام في أصل شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هي على رأسه، وقد تعلق خطامها بالشجرة، فلله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته)،(مسلم ٢٧٤٤) **وهذه فرحة إحسان وبر ولطف لا فرحة محتاج إلى توبة عبده. قال عز وجل:** أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [فاطر:١٦-١٧]، وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي! إنكم تخطئون في الليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم).(مسلم ٢٥٧٧) **فهيا أخية! بعد هذا النداء العظيم انضمي إلى قوافل العائدات، وهبي من غفلتك، وانفضي تراب زلتك، وشمري عن همتك، واسمعي النداء:** يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الأحقاف:٣١]. **تقول إحداهن: كان الدين هامشياً في حياتي، مع أنني كنت أحس أن الإسلام شيء عظيم، ولكني كنت تائهة، كنت أصلي الصبح فقط، وبقية الوقت كنت مشغولة بأعمالي في الوسط الفني، كنت أشعر بالملل والضيق من سهرات الوسط الفني مع أنني كنت في ذروة النجاح، فبدأت أحرص نوعاً ما على الصلاة، حتى كانت ليلة كنت في بيت صديق لقضاء ليلة رأس السنة – تأملي الضياع أيتها الغالية– ووسط الصخب والموسيقى والضجيج، سمعت صوتاً هزني هزة عنيفة، سمعت أذان الفجر، ومنادي الله يناديني، من يومها بدأت بالانسحاب من هذه اللقاءات وهذه الاجتماعات العفنة، أقبلت على كتاب الله أقرءوه وأنظر في تفسيره، كنت أجلس عند شباك حجرتي أتطلع إلى السماء، وأجد في ذلك متعة لا حد لها، لقد وجدت الشيء المفقود في حياتي، وجدت الإيمان، ووجدت في الإيمان الراحة مهما كانت الهموم، تقول: أقولها عن تجربة، فالقلب عندما يرتبط بالله يختفي منه القلق والضيق والحزن، ويحل مكانه الهدوء والراحة والاطمئنان، وراحة البال، كنت في الوسط**

الفني دائمة القلق، أحس أني أجري ألهث خلف سراب، زائدة العصبية مضطربة، الجو حولي مليء بالعفن والكذب، فأنقذني الله، وأخرجني من الظلمات إلى النور، قالت: أنا أعيش حالياً أعظم حب في حياتي، أحب الله بحق، وأناجيه، وأكلمه وأدعوه، جربت الحب الذي يقولونه وخضت في بحاره، ووجدت أن أعظم حب هو حب الله تبارك وتعالى.نعم أخية! من وجدت الله فقد وجدت كل شيء، ومن فقدت الله فقد فقدت كل شيء، قال عز وجل: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت:٥٣]**.والأخرى تقول: كنت أستعرض جمالي أمام العيون الحيوانية بلا حرمة تحت مسميات التحرر والتمدن، كنت في غيبوبة عن الإسلام، لا أعرف من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، رغم المال والجاه إلا أنه كان في داخلي خوف من شيء ما، كنت أخاف من مصادر الغاز والكهرباء، وكنت أظن أن الله سيحرقني جزاء ما أنا فيه من المعاصي، كنت أقول في نفسي: كيف أنجو غداً من عذاب الله؟ تقول: عندما تزوجت ذهبت مع زوجي إلى فرنسا لقضاء ما يسمى بشهر العسل، ثم ذهبنا إلى كنيسة –اسمعي ضياع أبناء المسلمين والمسلمات– ولما أردت الدخول أجبروني على ارتداء ما يستر جسمي؛ احتراماً لأماكنهم، فقلت في نفسي: سبحان الله! هكذا يحترمون دياناتهم المحرفة، فما بالنا نحن لا نحترم ديننا؟ فقلت لزوجي: أريد أن أصلي شكراً لله على نعمته، فأحضرت معي إلى الغد ملابس طويلة وغطاء للرأس، ودخلت المسجد الكبير بباريس، فأديت الصلاة، وعند باب المسجد عندما خرجت خلعت الحجاب وغطاء الرأس والملابس الطويلة، وهنا كانت المفاجأة: اقتربت مني فتاة فرنسية لن أنساها طوال عمري، ترتدي الحجاب، أمسكت يدي برفق، وضربت على كتفي، وقالت لي بصوت منخفض: لماذا تخلعين الحجاب؟ ألا تعلمين أنه أمر الله؟ كنت أستمع إليها بذهول، حاولت أن أتفلت منها، لكن أدبها وحوارها أجبراني على الاستماع، سألتني: تشهدين أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قلت: نعم، قالت: تفهمين معناها؟ قالت لي: إنها ليست كلمات تقال باللسان أخية! لا بد من التصديق وإتباع التصديق بالعمل، لقد علمتني الفتاة أقسى درس في حياتي، لقد اهتز قلبي لكلماتها، قالت لي وهي تنصرف: انصري هذا الدين أخية! ونصر هذا الدين لا يكون إلا باتباع الأوامر وترك النواهي والزواجر، تقول: خرجت من المسجد وأنا غارقة في التفكير، بالليل صحبني زوجي إلى مكان إباحي يتراقص فيه الرجال مع النساء شبه عرايا، يفعلون كالحيوانات، بل الحيوانات تترفع عن أفعالهم، تقول: كرهت نفسي الغارقة في الظلام، أردت الخروج بسرعة، وطلبت العودة إلى دياري وبلادي، ومنها بدأت رحلتي مع قوافل العائدات، تقول: لم أكن أعرف الطمأنينة والسكينة إلا كلما صليت وقرأت القرآن، هجرت الجاهلية رغم رفض زوجي ومن حولي، كلهم يريدونني أن أبقى في الظلام، ولكني لا أريد أن أرجع إلى الظلام بعد أن وجدت النور والحياة مع الله، ثم هدى**

الله زوجي بدعائي وتضرعي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.وثالثة تقول: سبقتني صاحبتي في ترك الفن والضياع، وبقيت مترددة، فأخذت المصحف يوماً ففتحته فوقعت عيني على قوله تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [المائدة:٩٢] فأغلقته، ثم فتحته مرة ثانية فوقعت عيني على قوله تعالى: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي [طه:٢٥-٢٨] **فأغلقته ثم فتحته مرة ثالثة فوقعت عيني على آية جعلتني أصرخ من الأعماق، إنها قوله تعالى:** وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:٧] **فقمت وأخرجت طراحة بيضاء ولبستها، ونظرت في المرآة فرأيت نوراً قد أحاطني، شعرت أنني في معية الله، وأنه سبحانه قريب مني، وأني قريبة منه، رفعت سماعة الهاتف واتصلت على صاحبتي أبشرها، قلت لها: ادعي لي بالثبات، فلقد انضممت إلى قوافل العائدات، تقول: أشعر أني قريبة منه وأنه قريب مني.نعم أليس هو القائل:** وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [البقرة:١٨٦]؟ **قريب أسمع وأجيب، وأعطي البعيد والقريب، وأرزق العدو والحبيب، قريب يغيث اللهفان ويشبع الجوعان ويسقي الظمآن، ويتابع الإحسان، قريب عطاءوه ممنوح، وخيره يغدو ويروح، وبابه مفتوح، حليم كريم صفوح.قريب يدعوه الغريق في البحار، والضال في القفار، والمحبوس خلف الأسوار، كما دعاه عبده في الغار. قريب فرجه في لمحة البصر، وغوثه في لفتة النظر، المغلوب إذا دعاه انتصر، اطَّلع فستر، وعلم فغفر، وعبد فشكر، قريب جواد مجيد، لا ضد له ولا نديد، أقرب إلى العبد من حبل الوريد، على كل نفس قائم وشهيد، محمود ممدوح حميد.قريب دعا المذنبين للمتاب، وفتح للمستغفرين الباب، ورفع عن أهل الفجأة الحساب.الله**

ربي لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو الشمس والبدر من أنور حكمته والبر والبحر من فيض عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوت ناجاه والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يلهج حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه.

أخية! هل سمعتي عن ضحايا الهواتف والمكالمات، إنها معاصٍ وفضائح وآهات ليلية، وزفرات وأنات، حب وهمي، ووعود كاذبة، والنهاية فضائح.تقول فتاة مسكينة: اتصل بي شاب في منزلنا، فخاطبني برقة، فرققت له، ترددت في البداية في الكلام معه، ولكن خطوات الشيطان تبدأ بخطوة، فأصبحت أنتظر هاتفه ومواعيده، ودارت بيننا أحاديث، ثم تحولت إلى قضية حب ووعود وأوهام، حتى كانت ليلة طلب مني أن أخرج معه؛ لأننا سوف نتزوج كما زعم ونتفق على الزواج، قال لي: ذرينا نتقابل حتى نرى بعضنا قبل الخطبة، فإن أعجبنا ببعضنا فبها، وإلا فكأن شيئاً لم يكن، فرفضت بشدة، وأخذ يصر على ذلك وهو يقول: إنه أمر يعين على الوفاق في الزواج، أصبحت في قلق وحيرة، هل أخلع ثوب الحياء، وأرمي العفاف؟ كلما اتصل طلب الرؤية والمقابلة، وأنا أعتذر، أصبحت أعيش في حيرة واضطراب، أصبحت أخاف أن يعلم والدي أو أخي، أصبحت أخاف من

نظرات المجتمع، وقبل ذلك كله الخوف من الله سبحانه وتعالى، في الصباح ذهبت إلى إحدى معلماتي في المدرسة فأخبرتها بقصتي وأنا أبكي، فقالت لي: لا عليك، وهدأت من خاطري، وقالت لي: الأمر بيدك والحبل ممدود معك، فاحذري من مثل هذا، احذري أن يسلبك العز والشرف، ويعطيك الذل والعار، احذري أن تستبدلي الجنة بالنار، تخيلي لو أنك ركبت معه مرة ثم مرة ثم مرة فكيف ستكون النتيجة، لا تغتري بحال أولئك الذئاب الأخباث اللئام، فإنهم وإن زينوا لك لين الجانب فإنهم يرتدون جلود الضأن، وقلوبهم قلوب الذئاب، إنها قلوب خلت من مراقبة الديان، وانساقت إلى سبيل الهوى والشيطان، فما قيمة الفتاة إذا ذهب شرفها وحياءها؟! أسألك بالله: ما المصير لو علم أهلك؟! كم من شابة قتلها أبوها، وأخرى قتلها أخوها! كم من شابة أصابها الجنون وذهب عقلها! كم من شابة طعنت نفسها! ما السبب؟ إنها سماعة الهاتف. تقول المسكينة: بكيت وبكيت، وقلت لمعلمتي: لقد أيقظتني من سبات عميق ومن غفلة عظيمة، رفعت الفتاة يدها إلى السماء قائلة: رباه! عفوك، رباه! حلمك ومغفرتك يا أرحم الراحمين! رباه! اقبل توبتي واجبر كسرتي، وأجب دعوتي.اللهم! اقبلها في قوافل العائدات.أخية! لا تكوني ساجذة ولا غبية، فاسمعي هذا الشاب الذي عاش يطارد الفتيات وله علاقات وعلاقات، فلما أراد الزواج قال لصاحبه: ابحث لي عن أسرة لديها فتيات محترمات، فقال له صاحبه: وأين اللاتي كنت تعرفهن؟ فقال – اسمعي ما قال–: هؤلاء غير محترمات، هؤلاء لا يصلحن للزواج، فالواحدة منهن إن كانت خرجت معي مرة فستخرج مع غيري مرات!!فاحذري –أيتها الغالية– أن تكوني فريسة لهم.والحل: انضمي إلى قوافل العائدات.إليك أخيراً بعض الأمور التي تعين على التوبة والاستمرار عليها.قيل: الصادق هو الذي يثبت على توبته، فأخلصي النية، واجتهدي في الأعمال الصالحة، واستشعري قبح الذنب وفداحته، وابتعدي عن مكان المعصية، وأتلفي الأدوات المحرمة من أشرطة ومجلات، وابحثي عن رفقة صالحة، وداومي قراءة القرآن وخاصة الآيات المخوفة والمرققة للقلوب، وتذكري أن العقوبة قد تكون معجلة، وداومي ذكر الله حتى يطمئن القلب، قولي:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي وإن كنتُ يا ذا الجود والمن مجرم

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلم

اتعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

اللهم اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.اللهم احفظ نساءنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.اللهم اجعلهن تقيات نقيات صفيات، حافظات للغيب بما حفظ الله.اللهم من أرادنا وأرادهن بسوء فأشغله في نفسه، واجعل تدبيره تدميره.اللهم اجعلهن ممن يستمعن القول فيتبعن أحسنه.اللهم احفظهن من بين أيديهن ومن خلفهن، اللهم! احفظهن في

دينهن ودنياهن يا رب العالمين!ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة!وأستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

قوافل العائدين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد..السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم. وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ. وأسأله سبحانه أن يغفر ذنب المذنبين، ويقبل توبة التائبين، وأن يدل الحيارى، ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين. أمر الله عز وجل بالتوبة فقال: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور:٣١]، ووعد جل في علاه بالقبول، فقال: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ [الشورى:٢٥]، ثم فتح الرحمن باب الرجاء، فقال: لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ [الزمر:٥٣].أخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يا أيها الناس! توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة.(مسلم ٢٧٠٢) **وأوحى الله** إلى داود عليه السلام: يا داود! لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلي، ولتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود! هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي في المقبلين علي؟)

. يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع   يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قوله كن امنن فإن الخير عندك أجمع   مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أرفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرع   ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لفضلك أن تقنط عاصياً فالفضل أجزل والمواهب أوسع

عنوان اللقاء: قوافل العائدين.وسيتكون اللقاء من: مقدمة، وبداية، وختام، وبينهما أخبار خمسة: الخبر الأول: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ [يوسف:١١١].**الخبر الثاني: سبحان مغير الأحوال.الخبر الثالث: أترضى أن تكون مثل هذا؟الخبر الرابع: طريق المخدرات.الخبر الخامس: هدايتي على يديه، ثم الختام.**

روى(البخاري ٦٤٠٨)رضي الله عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم جل في علاه وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويحمدونك، فيقول جل في علاه: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر تسبيحاً).**اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.** (قال: فيقول جل

في علاه: فما يسألونني؟ قال: فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة)، فأين المشمرون؟ (قال فيقول: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة)، اللهم أجرنا من النار. (فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، فيقول جل في علاه: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)، **فأبشروا يا أهل مجالس الذكر فربكم ذو رحمة واسعة.هذا منادي الله ينادي: ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي، وإني أشد شوقاً لهم، ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، من ذا الذي أقبل علي وما قبلته، وطرق بابي فما فتحته؟ من ذا الذي توكل علي وما كفيته، ودعاني فما أجرته، وسألني فما أعطيته؟ أهل ذكري أهل مجالستي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم أبداً من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المظالم. من أقبل علي تقبلته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لي أجري أعطيته المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، من صفا معي صافيته، من أوى إلي آويته، من فوض أمره إلي كفيته، ومن باع نفسه مني اشتريته، وجعلت الثمن جنتي ورضاي، وعد صادق، وعبد سابق،** وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ [التوبة:١١١].فيا فرحة التائبين بمحبة الله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:٢٢٢]. **الهج بحمده، واهتف بشكره، وقل: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.قل: أنا الميت الذي أحييته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، وأنا الضال الذي هديته فلك الحمد، وأنا الجاهل الذي علمته فلك الحمد، وأنا الجائع الذي أطعمته فلك الحمد كله، ولك الشكر كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، لا إله إلا أنت. يا رب حمداً ليس غيرك يحمد يا من له كل الخلائق تصمدأبواب غيرك ربنا قد أوصدت رأيت بابك واسعاً لا يوصد** روي عن منصور بن عمار قال: خرجت ليلة وظننت أني أصبحت، وإذا علي ليل، فقعدت عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهلاً، ولا لعقوبتك متعرضاً، ولا بنظرك مستخفاً، ولكن سولت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخى علي، فالآن مِن عذابك مَن يستنقذني؟ وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي؟ ويا ويلي كم أتوب وكم أعود، وقد حان

لي أن أستحي من ربي.قال منصور : فلما سمعت كلامه قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم:٦]. قال: فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً، ومضيت لحاجتي، فلما أصبحنا، رجعت وإذا أنا بجنازة على الباب، وعجوز تذهب وتجيء، فقلت لها: من الميت؟ فقالت: لا تجدد علي أحزاني، قلت: إني رجل غريب، فقالت: هذا ولدي، مر بنا البارحة رجل، لا جزاه الله خيراً، فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! هكذا والله صفة الخائفين يا ابن عمار ! **سبحان من وفق للتوبة أقواماً، وثبت عليها أقداماًأيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجيرفإن عذبتني فبسوء فعلي وإن ترحم فأنت به جدير إن علاج مشاكل الشباب والشيب وأصحاب الهموم والغموم هو الفرار إلى الله، بالانضمام إلى قوافل العائدين إلى الله بعد طول غياب، الذين أحرقتهم الذنوب والمعاصي، والذين جربوا الحياة في الظلام، ثم اكتشفوا النور، والذين بدلوا ذل المعصية بعز الطاعة، وانتصروا على النفس والهوى والشيطان وحزبه، والذين آثروا الجنة على النار، وندموا على ما فرطوا في جنب الله. قال صلى الله عليه وسلم:** (الندم توبة)، **وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب، فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة، فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب.وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.فليس عيب أن تخطئ، ولكن كل العيب أن تصر على الخطأ، وتتمادى فيه، وتنسى فضل الله عليك ورقابة الله لك.** جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم فقال: يا إبراهيم ! لقد أسرفت على نفسي بالذنوب والمعاصي، فقل لي في نفسي قولاً بليغاً، قال: أعظك بخمس، قال: هات الأولى، قال: لا تأكل من رزق الله إذا أردت أن تعصيه، قال: كيف يا إبراهيم ! وهو الذي يطعم ولا يطعم؟ قال: عجباً لك تأكل من رزقه وتعصيه؟ قال: هات الثانية! قال: الثانية: لا تسكن في أرض الله واعص الله، قال: كيف يا إبراهيم ! والأرض أرضه والسماء سماؤه؟ قال: عجباً لك، تأكل من رزقه وتسكن في أرضه وتعصيه؟ قال: هات الثالثة! قال: الثالثة: اذهب في مكان لا يراك فيه الله واعص الله، قال: أين يا إبراهيم ! وهو الذي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ؟ قال: عجباً لك، تأكل من رزقه، وتسكن في أرضه، وفي كل مكان يراك ثم تعصيه؟قال: هات الرابعة! قال: الرابعة: إذا أتاك ملك الموت ليقبض الروح، فقل له: إني لا أموت الآن. قال: من يستطيع يا إبراهيم ! والله يقول: إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ [يونس:٤٩]؟ قال: عجباً لك، تأكل من رزقه، وتسكن في أرضه، وفي كل مكان يراك، ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك وتعصيه؟ قال: هات الخامسة، قال: الخامسة: إذا جاءتك ملائكة العذاب تأخذك إلى النار فخذ نفسك إلى الجنة، قال: من يستطيع هذا يا إبراهيم ؟! قال: عجباً لك، تأكل من رزقه، وتسكن في أرضه، وفي كل مكان يراك، ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك،

ولا تملك لنفسك جنة ولا ناراً ثم تعصيه؟ قال: اسمع يا إبراهيم ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه. فأعلنها توبة وإنابة وفراراً إلى الله، ورجعة وانضماماً إلى قوافل العائدين.وأنت يا من تأكل رزقه، وتسكن في أرضه، وفي كل مكان يراك، ولا تستطيع رد الموت إذا أتاك، ولا تملك لنفسك جنة ولا ناراً، أما آن لك أن تتوب وتستغفر علام الغيوب؟ **أما آن لك أن تنضم إلى قوافل العائدين؟**

أما آن لما أنت فيه متاب وهل لك من بعد الغـــياب غياب   تقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترجوه وهو سراب

وليس للمرء من سلامة دينه سوى عزلة فيها الجلـــيس كتاب   كتاب حوى كل العلوم وكل ما حواه من العلم الشريف صــواب

فيه الدواء من كل داء فثق به فوالله ما عنه ينوب كتـــاب

هذه هي أخبار قوافل التائبين ماضياً وحاضراً، فلنأخذ من قصصهم العبرة الممزوجة بالندم والدموع، والمليئة بالصور والعبر، يشكو أصحابها قبل الانضمام إلى قوافل العائدين من الهموم والغموم والمآسي والآهات، حيث غرقوا في لجج المعاصي والمنكرات، من خمور ومخدرات، وفواحش ومنكرات، وكانت النجاة بالفرار إلى الله، والانضمام إلى قوافل العائدين. الخبر الأول: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ [يوسف:١١١].عن أبي هشام الصوفي رحمه الله قال: أردت البصرة فجئت إلى سفينة أركبها وفيها رجل معه جارية، فقال لي الرجل: ليس ههنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني ففعل، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقالت الجارية: ادع ذاك المسكين ليتغدى معنا، فجئت على أنني مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية! هاتي شرابك، فشرب وأمرها أن تسقيني، فقالت: يرحمك الله، إن للضيف حقاً، فتركني، فلما دب فيه الشراب قال: يا جارية! هاتي عودك وهاتي ما عندك، فأخذت العود وغنت، ثم التفت إلي فقال: أتحسن مثل هذا؟ فقلت: عندي ما هو أحسن منه وخير منه، فقال: قل؟ قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيمبسم الله الرحمن الرحيمإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ [التكوير:١-٩]، حتى انتهيت إلى قوله: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ [التكوير:١٠] وجعل الرجل يبكي ثم قال: يا جارية! اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى. ثم ألقى ما معه من الشراب، وكسر العود، ثم دعاني فاعتنقني وجعل يبكي، ويقول: يا أخي! أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت: نعم، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:٢٢٢]، وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ [الشورى:٢٥]، فتاب واستقام، وثبت على حاله، وصاحبته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات، فرأيته في المنام فقلت له: إلام صرت؟ فقال: إلى الجنة، قلت: بماذا؟ قال: بقراءتك علي: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ [التكوير:١٠]. **فلا إله إلا الله كيف سيكون حالنا** إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَت، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ، **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ.فلا إله إلا الله إذا نطقت العينان وقالتا: أنا للحرام نظرت، ونطقت الأذنان وقالتا: أنا للأغاني والحرام استمعت، ولا إله إلا الله إذا نطقت اليدان وقالتا: أنا للربا والحرام أخذت، ونطقت**

الرجلان وقالتا: أنا للحرام مشيت: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:٦٥] .. وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت:٢٢-٢٤].

مثل لنفسك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمــور ... قد كورت شمس النهار وأضعفت حراً على رأس العباد تمور

وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل الســحاب تسير ... وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضــياء كدور

وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها مـعمور ... وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت وتقول للأمـلاك أين نسير

فيقال سيروا تشهدون فضائحاً وعجائباً قد أحـضرت وأمور ... وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلــبه مذعور

هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم علـى الذنوب دهور

حتى ننجو ونفوز بذلك اليوم ونفرح لابد من الفرار إلى الله بالانضمام إلى قوافل العائدين، قال سبحانه: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور:٣١]. **الخبر الثاني: سبحان مغير الأحوال. قال الراوي: لقد تغير صاحبي، فضحكاته الوقورة تصافح أذني كنسمات الفجر الندية، وكانت من قبل ضحكات ماجنة مستهترة تصك الآذان وتؤذي المشاعر، ونظراته خجولة تنم عن طهر وصفاء، وكانت من قبل جريئة وقحة، وكلماته تخرج من فمه بحساب، وكان من قبل يبعثرها هنا وهناك، تصيب هذا وتجرح ذاك، لا يعبأ بذلك ولا يهتم، ووجهه هادئ القسمات تزينه لحية وقورة، وتحيط به هالة من نور، وكانت ملامحه من قبل تعبر عن الانطلاق وعدم المبالاة والاهتمام. نظرت إليه وأطلت النظر في وجهه ففهم ما يدور في خاطري، فقال: لعلك تريد أن تسأل: ماذا غيرك؟ قلت: نعم، هو ذاك، فصورتك التي أذكرها منذ لقيتك آخر مرة قبل سنوات تختلف عن صورتك الآن! فتنهد قائلاً: سبحان مغير الأحوال! قلت: لابد أن وراء ذلك قصة؟ قال: نعم، وسأقصها عليك، ثم التفت إلي قائلاً: كنت في سيارتي على طريق ساحلي، وعند أحد الجسور الموصلة إلى أحد الأحياء فوجئت بصبي صغير أمامي يقطع الطريق، فارتبكت واختلت عجلة القيادة من يدي، ولم أشعر إلا وأنا في أعماق المياه، فرفعت رأسي إلى أعلى لأجد متنفساً، ولكن الماء بدأ يغمر السيارة من جميع النواحي، مددت يدي لأفتح الباب فلم ينفتح، فتأكدت حينها أني هالك لا محالة، وفي لحظات -لعلها ثوان- مرت أمام ذهني صور سريعة متلاحقة، هي صور حياتي الحافلة بكل أنواع العبث والمجون، وتمثل لي الماء شبحاً مخيفاً وأحاطت بي الظلمات الكثيفة، وأحسست بأني أهوي إلى أغوار سحيقة مظلمة، فانتابني فزع شديد، فصرخت في صوت مكتوم:** يا رب أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ [النمل:٦٢]. **ودرت حول نفسي ماداً ذراعي أطلب النجاة، لا من الموت الذي أصبح محققاً، بل من خطاياي التي حاصرتني وضيقت علي الخناق، وأحسست بقلبي يخفق بشدة، فانتفضت وبدأت أزيح من حولي تلك الأشباح المخيفة، وأستغفر ربي قبل أن**

ألقاه، وأحسست أن كلما حولي يضغط علي، كأنما استحالت المياه إلى جدران من الحديد، فقلت: إنها النهاية لا محالة، فنطقت بالشهادتين، وبدأت أستعد للموت، وحركت يدي فإذا بها تنفذ في فراغ يمتد إلى خارج السيارة، وفي الحال تذكرت أن زجاج السيارة الأمامي مكسور، فقد شاء الله أن ينكسر في حادث منذ ثلاثة أيام، فقفزت دون تفكير، ودفعت بنفسي من خلال هذا الفراغ، وخرجت من أعماق الماء، فإذا الأضواء تغمرني، وإذا بي خارج السيارة. ونظرت فإذا جمع من الناس يقفون على الشاطئ، وكانوا يتصايحون بأصوات لم أتبينها، ولما رأوني نزل اثنان منهم وأخرجاني من الماء، فوقفت على الشاطئ ذاهلاً عما حولي، غير مصدق أني نجوت من الموت، وأني الآن بين الأحياء، كنت أتخيل السيارة وهي غارقة في الماء فأتخيلها وهي تموت، وقد ماتت فعلاً، وهي الآن راقدة في نعشها أمامي. لقد تخلصت منها وخرجت مولوداً جديداً لا يمت إلى الماضي بسبب من الأسباب، وأحسست برغبة في الركض بعيداً والهرب من هذا المكان الذي دفنت فيه الماضي الدنيء، ومضيت إلى البيت إنساناً آخر غير الذي خرج قبل ساعات، فدخلت البيت وكان أول ما وقع عليه بصري صور معلقة على الحائط لممثلات وراقصات ومغنيات، فاندفعت إلى الصور أمزقها، ثم ارتميت على سريري أبكي، ولأول مرة أبكي، وأحسست بالندم على ما فرطت في جنب الله، فأخذت الدموع تنساب في غزارة من عيني، وأخذ جسمي يهتز، وبينما أنا كذلك إذا بصوت لطالما سمعته وتجاهلته، إنه صوت الأذان يجلجل في الفضاء، وكأني أسمعه لأول مرة، فلعلكم تقرءون كلماتي هذه وأنا تحت التراب، قد فارقت الروح الجسد، وصعدت إلى باريها، فاسألوا الله لي الرحمة. اللهم يا من وسعت رحمته كل شيء! ارحم عبدك الضعيف المسكين

.يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المــجرم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مســـلم

لو رأيت تائباً لرأيت جسماً مطروحاً تراه في الأسحار على باب الاعتذار مطروحاً، سمع قول الإله يوحي فيما يُوحَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً [التحريم:٨]**.التائب مطعمه يسير، وحزنه كثير، ومزعجه مثير، وكأنه أسير، قد رمي مجروحاً، ولسان حاله يردد: توبوا إلى الله توبة نصوحاً، التائب أنحل بدنه الصيام، وأتعب قدمه القيام، وحلف بالعزم على هجر المنام، فبدل بدناً وروحاً وهو يردد:** تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:٨] **.الذل قد علاه، والحزن قد وهاه، يذم نفسه على هواه، وبهذا صار ممدوحاً، يردد ويعيد:** تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:٨]**.التائب يبكي جنايات الشباب التي بها قد اسود الكتاب، فإن من يأتي إلى الباب يجد الباب مفتوحاً، يردد ويقول**

قول الله: تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:٨]**.اللهم إننا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها. الخبر الثالث: هدايتي على يديه. يقول الشاب: لم أكن قد بلغت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي، ما زلت أذكر تلك الليلة، كنت سهران مع الأصحاب في إحدى الشاليهات، وكانت سهرة حمراء بمعنى الكلمة كما يقولون! أذكر ليلتها أني أضحكتهم كثيراً، فقد كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد، وبإمكاني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه، فكنت أسخر من هذا وذاك، ولم يسلم أحد مني حتى أصحابي، وصار بعض أصحابي يتجنبني؛ كي يسلم من لساني وتعليقاتي اللاذعة، وفي تلك الليلة سخرت من رجل أعمى رأيته يتسول في السوق، والأدهى أني وضعت قدمي أمامه ليتعثر، فتعثر وانطلقت ضحكتي حتى دوت في السوق، وعدت إلى بيتي متأخراً، ووجدت زوجتي في انتظاري، وكانت في حالة يرثى لها، فقالت: أين كنت يا راشد ؟ قلت ساخراً: في المريخ، عند أصحابي بالطبع، فقالت والعبرة تخنقها: راشد إني مريضة جداً، والظاهر أن موعد ولادتي صار وشيكاً، وسقطت دمعة صامتة على جبينها، فأحسست أني أهملت زوجتي، وكان المفروض أن أهتم بها، وأقلل من سهراتي، خاصة أنها في شهرها التاسع. ثم قاست زوجتي الآلام يوماً وليلة في المستشفى، حتى رأى طفلي النور، ولم أكن في المستشفى ساعتها، بل تركت رقم هاتف المنزل وخرجت، فاتصلوا بي حتى يعلموني بالخبر، ويزفوا لي نبأ قدوم سالم. وحين وصلت المستشفى طلب مني أن أراجع الطبيبة، فقلت: أي طبيبة؟ المهم الآن أن أرى ابني سالماً ، فقالوا لي: لابد من مراجعة الطبيبة، وأجابتني موظفة الاستقبال بحزن، فصدمت حين عرفت أن ابني به تشوه شديد في عينيه، ومعاق في بصره، وتذكرت المتسول، فقلت: سبحان الله، كما تدين تدان، ولم تحزن زوجتي فقد كانت مؤمنة راضية بقضاء الله، وطالما نصحتني وطلبت مني أن أكف عن تقليد الآخرين! كلا. هي لا تسميه تقليداً، بل غيبة، ومعها كل الحق، ولم أكن أهتم بسالم كثيراً، واعتبرته غير موجود في المنزل، فحين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة؛ لأنام فيها، ولكن زوجتي كانت تهتم به كثيراً وتحبه، أما أنا فإني لا أكرهه، لكني لم أستطع أن أحبه. وأقامت زوجتي احتفالاً حين خطى خطواته الأولى، وحين أكمل الثانية اكتشفنا أنه أعرج، وكلما زدت ابتعاداً عنه زادت زوجتي حباً وتعلقاً بسالم ، حتى بعد أن أنجبت عمر وخالداً.ومرت السنوات وكنت غافلاً لاهياً، غرتني الدنيا وما فيها، وكنت كاللعبة في يد رفقة السوء، مع أني كنت أظن أني من يلعب عليهم. ولم تيئس زوجتي من إصلاحي، فقد كانت دائماً تدعو لي بالهداية، ولم تغضب من تصرفاتي الطائشة، أو إهمالي لسالم ، واهتمامي بباقي إخوته، وكبر سالم ، ولم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في أحد المدارس الخاصة بالمعاقين. ولم أكن أحس بمرور السنوات، فأيامي سواء، ليل ونهار، عمل ونوم، طعام وسهر، حتى ذلك اليوم –وكان يوم جمعة– فاستيقظت**

الساعة الحادية عشرة ظهراً، وما يزال الوقت عندي مبكراً، فقلت: لا يهم، وأخذت دشاً سريعاً، ولبست وتعطرت وهممت بالخروج، واستوقفني منظر سالم فقد كان يبكي بحرقة، إنها المرة الأولى التي أرى فيها سالماً يبكي منذ كان طفلاً، فقلت لنفسي: أأخرج أم أرى ممَ يشكو سالم؟ ثم قلت: لا، كيف أتركه وهو في هذه الحالة، ولم أدر أهو الفضول أم الشفقة؟ لا يهم، سألته: لماذا تبكي يا سالم ؟! حين سمع صوتي توقف وبدأ يتحسس ما حوله، فقلت: ما به يا ترى؟! ثم اكتشفت أن ابني يهرب مني، وفي تلك اللحظة أحسست أين كنت منذ عشر سنوات، فتبعته وكان قد دخل غرفته ورفض أن يخبرني في البداية عن سبب بكائه، وتحت إصراري عرفت السبب: لقد تأخر عليه شقيقه عمر الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد في يوم الجمعة، وخاف سالم ألا يجد مكاناً في الصف الأول، فنادى والدته لكن لا مجيب، حينها رفعت يدي على فمه، كأني أطلب منه أن يكف عن حديثه، وأكملت حديثه قائلاً: حينها بكيت يا سالم! ولا أعلم ما الذي دفعني لأقول له: سالم ! لا تحزن، هل تعلم من سيرافقك اليوم إلى المسجد؟فأجاب سالم: لا شك أنه عمر، ليتني أعلم إلى أين ذهب. فقلت: لا يا سالم! أنا من سيرافقك إلى المسجد. فاستغرب سالم ولم يصدق، وظن أني أسخر منه، وعاد إلى بكائه، فمسحت دموعه بيدي وأمسكت بيده وأردت أن أوصله بالسيارة، فرفض قائلاً: أبي! المسجد قريب وأريد أن أخطو إلى المسجد، فإني أحتسب كل خطوة أخطوها. يقول: لا أذكر متى دخلت المسجد آخر مرة، ولا أذكر آخر مرة سجدت فيها لله، ولكنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم على ما فرطت طوال السنوات الماضية. يقول: ومع أن المسجد كان مليئاً بالمصلين، إلا أني وجدت لسالم مكاناً في الصف الأول، استمعنا لخطبة الجمعة معاً، وصليت بجانبه، وبعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفاً، فاستغربت كيف سيقرأ وهو أعمى، ولكن ذلك لم يتردد في نفسي، ولم أصرح به خوفاً من جرح مشاعره، وطلب مني أن أفتح له المصحف على سورة الكهف، فنفذت ما طلب، ووضع المصحف أمامه، وبدأ في قراءة السورة. يا ألله! إنه يحفظ سورة الكهف كاملة، وعن ظهر قلب. خجلت من نفسي، فأمسكت مصحفاً آخر، وأحسست برعشة في أوصالي، فقرأت وقرأت ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني. وفي هذه المرة أنا الذي بكيت حزناً وندماً على ما فرطت، ولم أشعر إلا بيد حنونة تمسح عني دموعي، لقد كان سالم يمسح دموعي، ويهدئ من خاطري، وعدنا إلى المنزل، وكانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم ، لكن قلقها تحول إلى دموع فرح حين علمت أني صليت الجمعة مع سالم. ومنذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة الجماعة في المسجد، وهجرت رفقاء السوء، وأصبحت إلى رفقة خيرة عرفتها في المسجد، وذقت طعم الإيمان، وعرفت منهم أشياء ألهتني عن الدنيا، ولم أفوت حلقة ذكر أو صلاة قيام، وختمت القرآن عدة مرات في شهر، وأنا نفس الشخص الذي هجره سنوات،

وقصرت لساني على الذكر؛ لعل الله يغفر لي غيبتي وسخريتي من الناس، وأحسست أني أكثر قرباً من أسرتي، واختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تطل من عيون زوجتي، والابتسامة ما عادت تفارق وجه ابني سالم ، ومن يراه يظنه ملك الدنيا وما فيها، وصليت كثيراً وحمدت الله كثيراً على نعمه.وذات يوم قررت أنا وأصحابي أن نتجه إلى إحدى المناطق البعيدة في برامج دعوية مع مؤسسة خيرية، وترددت في الذهاب، واستخرت الله، واستشرت زوجتي، وتوقعت أن ترفض، لكنه حدث العكس، فقد فرحت كثيراً، بل شجعتني حين أخبرت سالماً بعزمي على الذهاب فأحاط جسمي بذراعيه الصغيرين فرحاً، ووالله لو كان طويل القامة مثلي لما توانى عن تقبيل رأسي. بعدها توكلت على الله وقدمت طلب إجازة مفتوحة بدون مرتب، والحمد لله جاءت الموافقة بسرعة، وتغيبت عن البيت ثلاثة أشهر، وكنت خلال تلك الفترة أتصل كلما سنحت لي الفرصة بزوجتي، وأحدث أبنائي، وكنت قد اشتقت لهم كثيراً، ولكني اشتقت أكثر لسالم ، وتمنيت سماع صوته، فهو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت؛ لأنه إما أن يكون في المدرسة أو المسجد ساعة اتصالي بهم، وكلما حدثت زوجتي أطلب منها أن تبلغه سلامي وتقبله، وكانت تضحك حين تسمعني أقول هذا الكلام، إلا آخر مرة هاتفتها فيها فلم أسمع ضحكتها المتوقعة، فقد تغير صوتها، وقالت لي: إن شاء الله. وأخيراً عدت إلى المنزل وطرقت الباب، فتمنيت أن يفتح لي الباب سالم، ولكني فوجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره، فحملته بين ذراعي وهو يصيح: بابا بابا، وانقبض صدري حين دخلت البيت، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، فسعدت زوجتي بقدومي، ولكن هناك شيء قد تغير فيها، فتأملتها جيداً ورأيت نظرات الحزن التي ما كانت تفارقها، قد عادت مرة ثانية إلى عينيها، فسألتها: ما بك؟ قالت: لا شيء، وفجأة تذكرت من نسيته للحظات، وقلت لها: أين سالم ؟ فخفضت رأسها ولم تجب، ولم أسمع حينها سوى صوت ابني خالد الذي ما زال يرن في أذني حتى هذه اللحظة، قال: أبي! إن سالماً راح عند الله في الجنة، فلم تتمالك زوجتي الموقف، وأجهشت بالبكاء وخرجت من الغرفة، فعرفت بعدها أن سالماً أصابته حمى قبل موعد مجيئي بأسبوعين، فأخذته زوجتي إلى المستشفى، ولازمته يومين، وبعد ذلك فارقته الحمى حين فارقت روحه الجسد، فأحسست أن ما حدث ابتلاء واختبار من الله سبحانه وتعالى، أجل إنه اختبار وأي اختبار؟ وصبرت على مصابي، وحمدت الله الذي لا يحمد على مكروه سواه، وما زلت أحس بيده تمسح دموعي، وذراعه تحيط بي. كم حزنت على سالم الأعمى الأعرج، الذي لم يكن أعمى، بل أنا من كنت أعمى حين انقدت وراء رفقة السوء، ولم يكن سالم أعرج؛ لأنه استطاع أن يسلك طريق الإيمان رغم كل شيء، ولا زلت أتذكر كلماته وهو يقول: إن الله ذو رحمة واسعة. إن سالماً الذي امتنعت يوماً عن حبه اكتشفت أني أحبه أكثر من إخوانه، بكيت كثيراً وما زلت حزيناً، وكيف

لا أحزن وقد كانت هدايتي على يديه؟ اللهم تقبل سالماً في رحمتك، اللهم إنا نسألك الثبات حتى الممات.أبشر أيها التائب أبشر أيها العائد إلى قوافل العائدين، فإن الله سبحانه يقول: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:٢٢٢]، **يقول جل في علاه فاتحاً أبواب الرحمة:** قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:٥٣]. **ويقول جل في علاه:** إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الفرقان:٧٠].ويقول عز من قائل: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [هود:١١٤].**ويقول أرحم الراحمين:** وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢].ويقول: (يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي). **أبشر أيها التائب! أبشر أيها العائد! أبشر أيها المنضم إلى قوافل العائدين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:** (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)(ابن ماجة ٤٢٥٠).**أبشر أيها التائب! فإن الله يفرح بتوبة التائبين، وإن أنين المذنبين أحب إليه من سجع المسبحين**.يروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به: هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان، فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب، كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكاً موكلاً به لا يغلق، فاعمل ولا تنقط من رحمة الله. **قال عبد الرحمن بن أبي قاسم : تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر، وقول الله تعالى:** إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [الأنفال:٣٨] **فقال: إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً من الكافر، ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام.يروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة، ثم عصى الله عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: اللهم أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فناداه منادي أرحم الراحمين: أحببتنا فأحببناك، تركتنا فتركناك، عصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك،** وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ [الشورى:٢٥]. **اعلم أن الذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق فيها هو طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال الله:** ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣].**وقال سبحانه:** أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٦]. وقال سبحانه: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ [المؤمنون:٥٥-٥٦].**اعلم أن مما يعينك على التوبة والإسراع فيها والمبادرة إليها هو ذكر الموت وساعاته.إن الموت قريب، والعمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة، فاختر لنفسك النهاية التي تتمناها. فلا إله إلا الله كيف سيكون حالي وحالك عندما يقال:**

فلان بن فلان لقد دنا منه الأجل، وحانت منه ساعة الرحيل، فصائح بأعلى صوت: رباه ارجعون، رباه ارجعون .. رباه ارجعون، وصائح بأعلى صوت: واطرباه .. واطرباه .. غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه! فاختر الحال التي تريدها يا رعاك الله. لما حضرت حسان بن أبي سنان الوفاة قيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قيل له: فما تشتهي؟ قال: ليلة طويلة أصليها كلها(العاقبة في ذكر الموت ١\١٢٠). ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟! فقال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها، أو إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشد(مختصر منهاج القاصدين ٤\١٧٠)

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجاء مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظـما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ودوداً وتعفو منة وتـكرماً

فاعلم يا رعاك الله! أن الآمال تطوى، والأموال تفنى، والأبدان تحت التراب تموت، وأن الأيام والليالي تبليان كل جديد، وتقربان كل بعيد، وتأتيان بكل موعود ووعيد، فانتبه يا رعاك الله من رقدة الهجوع، وارجع إلى الله بالتضرع والخشوع، وقل: آن الأوان للانضمام إلى قوافل العائدين.قالوا: من رزق أربعاً لم يحرم أربعاً: من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة، والله يقول: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر:٦٠]، **ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة، والله يقول:** إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا [نوح:١٠]، **ومن رزق الشكر لم يحرم المزيد، والله يقول:** لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم:٧]، **ومن رزق التوبة لم يحرم القبول، والله يقول:** وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ [الشورى:٢٥]. **وختاماً: اعلم أن الحياة بدون الله سراب، وأن القلب لا يصلح إلا بالله جل وعلا، فإذا أقبل على الله تعالى اجتمع وانضم بعضه إلى بعض، ووجد نفسه وسلمت فطرته.يا أيها الإنسان! ما غرك بربك الكريم؟ إلى كم تعصي وتتمرد؟ وأقبح من قبيحك أنك تتعفف.يا ناصع الثوب والقلب أسود؛ ما هذا الأمل ولست بمخلد، أما تخاف من أوعد وتهدد؟ يا من شاب وما تاب، أين البكاء، أين الحذر من أليم العقاب؟ قل:**

ما أحلم الله عني حيث أمهلني وقد تماديت في ذنبي ويسترن
تمر ساعات أيامي بلا ندم ولا بكاء ولا خوف ولا حـزن
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعين الله تنظرن
يا زلة كتبت في غفلة ذهبت يا حسرة بقيت في القلب تـحرقن
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحـزن
دع عنك عذلي يا من كنت تعذلني لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرن
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عبرة منها تخلـصن

اكتب قصة الرجوع بقلم الندم والدموع، واسر بها على قدم الخضوع إلى باب الخشوع، وأتبعها بالعطش والجوع، وسل الرحمة فرب سؤال مسموع. قم وناد في الأسحار والناس نيام: يا رجاء الخائفين! يا أمل المذنبين! إن طردتني فإلى من أذهب؟ يا رحيماً بمن عصاك، يا حليماً على من تناساك، يا من شيمته الصبر:عصيتك جاهلاً يا ذا المعالي ففرج ما ترى من سوء حالي إلى من يهرب المخلوق إلا إلى مولاه يا مولى الموالي.فلله در أقوام تركوا فأصابوا، وسمعوا منادي الله يدعو فأجابوا، وحضروا مشاهد التقى فما غابوا، واعتذروا عن تحقيق ثم تابوا، ثم قصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا.اللهم سر بنا في درب النجابة، ووفقنا للتوبة والإنابة، وافتح لأدعيتنا الإجابة، يا من إذا سأله المضطر أجابه. اللهم تب علينا توبة نصوحاً، لا ننقض عهدها أبداً، واحفظنا في ذلك لنكون بها من جملة السعداء.اللهم اقبل توبة التائبين، واغفر ذنب المذنبين، واقبل الشباب والشيب في قوافل العائدين.اللهم ألهمنا القيام بحقك، وبارك لنا في الحلال من رزقك، ولا تفضحنا بين خلقك، يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، يا قاضي الحاجات! يا رافع الدرجات! يا مجيب الدعوات! يا رب الأرض والعرش والسماوات! سألناك فحقق رجاءنا فيما تمنيناه. يا من يملك حوائج السائلين نسألك عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين!اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه الأخيار، عدد ما غرد طير وطار، وعدد ما استغفر المستغفرون في الأسحار.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

لبيك اللهم لبيك

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.سبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً! يترددون إليه ويرجعون عنه ثم لا يرون أنهم قضوا منه وطراً، أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه، ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله:** وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [الحج:٢٦] **فتعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنوا إليه، وكلما تذكروا بعدهم عنه أنوا، قال الله تعالى:** إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران:٩٦-٩٧].**بيت بنته يد التقوى وشيده أبو النبيين للأجيال يرفعه أمجاده في كتاب الدهر حافلة ثوب الجلال عليه الرب يخلعه تدرعت بسياج الدين حرمته والله من عبث الباغين يمنعه أولاه بالحج تشريفاً وتكرمةً حتى غدت موئل التقديس أربعه وكعبة الروح للتوحيد شاهدة كالشمس تسطع نوراً وهي منبعه بيت خلق من الحجر، وأضيف إلى الله فأصبح محط أفئدة البشر، بيت من ذكره نسي مزاره، وهجر دياره، بيت من صبر عنه فقلبه أقسى من الحجارة.حج قوم من العباد، فجعلت** عابدة منهم تقول: أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فكانوا يصبرونها قائلين: الآن ترينه، فلما لاح البيت قالوا: هذا بيت ربك، فأسرعت مهرولة إلى البيت وهي تقول: بيت ربي! بيت ربي! حتى وضعت جبهتها على البيت باكية فما رفعت إلا وهي ميتة(صفوة الصفوة ٤\٤١٥)**! قتلها شوقها إلى بيت ربها: الطائفون الراكعون لربهم خفقت قلوبهم وضج لسان تتزاحم الأقدام في ساحاته وترق بين ظلاله الأبدانو كيف لا يحبونه وهو بيت ربهم؟ وقد أخبر الله أن فيه آيات: كالحجر الأسود وما أدراك ما الحجر؟ إنه من الجنة، فكيف يكون في الأرض شيء من الجنة ثم لا نشتاق إليه؟! وكيف يكون في الأرض**

شيء من الجنة ثم لا نذرف الدموع عنده وحواليه .!قال صلى الله عليه وسلم: (الحجر الأسود من الجنة).(الترمذي ٨٧٧) **وقال أيضاً بأبي هو وأمي:** (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطاً) (الكبير ١٣٤٣٨) **وهو حديث صحيح.وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:** (استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر واستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، فالتفت فإذا عمر يبكي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا عمر ! ههنا تسكب العبرات)، (ابن ماجة ٢٩٤٥) **وأقول أنا: هنيئاً للحجر تلك القبلات من أطهر فم وأغلى بشر، ثم قال صلى الله عليه وسلم:** (والله! ليبعثنه الله يوم القيامة – يعني : الحجر – له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استقبله بحق).(الترمذي ٩٦١) **فكم سكبت عند الحجر من عبرات؟! وكم رفعت عنده ومن حوله من طلبات ودعوات؟! وكم سمعت هناك من آهات وزفرات؟!وتتجلى صور التوحيد: يوم أن يقف الحاج خلف المقام بعد الطواف ليصلي ركعتين، فيقرأ في الركعة الأولى ب:** قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ [الكافرون:١–٢] **فيعلن الموحد رفضه لأي عبودية سوى الله، ثم يجدد الولاء في الركعة الثانية فيقرأ ب:** قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص:١] **والتي تتضمن التوحيد الخالص لله عز وجل. إنه التوحيد: يوم أن يلقى الصفا قائلاً:** إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ [البقرة:١٥٨] **ثم يردد في دعائه:** الحمد لله وحده، أنجز وعده، وصدق عبده، وهزم الأحزاب وحده.**إنه التوحيد: يوم أن يردد الحاج في يوم عرفة خير الدعاء.فمن مكة انطلق محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التوحيد، ويضحي هو وأصحابه من أجل التوحيد، ومن هناك ومن تلك المشاعر والبقاع ودع محمد صلى الله عليه وسلم أمته وهو يردد معهم:** (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك). (البخاري ١٥٤٩) **وقد كانت حجة الوداع أول حجة حجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وآخر حجة في حياته؛ ولذا سميت بحجة الوداع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ودع فيها المسلمين وهو يقول لهم:** (خذوا عني مناسككم) (مسلم ١٢٩٧) **فهو سيد المرسلين ومعلم التوحيد الذي ورثه من الأنبياء قبله، ثم بين لهم الحقيقة التي لا بد منها وهي: أن مصير كل إنسان كائن من كان هو الموت، فقال لتلك الجموع التي التفت من حوله:** (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا) **أي: لعلي لا أحج معكم بعد عامي هذا.ثم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم في عشية عرفة قوله تبارك وتعالى:** الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا [المائدة:٣] **فيبكي عمر رضي الله عنه عند نزولها ويقول:** وهل بعد التمام إلا النقصان؟!**ثم في أواسط أيام التشريق ينزل على النبي صلوات الله وسلامه عليه قوله تبارك وتعالى:** إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر:١–٣] ، **وعندها يعلم العارفون من الصحابة أن منيته صلى الله عليه وسلم قد اقتربت، وأن نفسه قد نعيت إليه، وأنه يودع أمته**

ولذلك أطلق النبي صلى الله عليه وسلم للأمة في تلك الأيام وصايا وثوابت ومسلمات ليتنا تدارسناها من حين إلى حين، ومن تلك العبارات والكلمات: قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد). (الكبير ١٦) **فأين الأمة اليوم من هذا الدرس العظيم، وقد تفرقت واختلفت بين قومية ووطنية؟! فقتلتها العصبية القبلية، والعادات الجاهلية؛ لأن التفاخر بالأنساب والألوان والأجناس باطل؛ فكلنا لآدم، وآدم من تراب، ألا تراهم في الحج بلباس واحد ونداء واحد؟!وقال:** (**أيها الناس! لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس،** فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ **فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده أبداً: كتاب الله وسنتي، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.يا أيها الناس! إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حقاً، إنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت؟** اللهم فاشهد).(البخاري ١٧٣٩) **فأين دعاة التحرر والمطالبون بحقوق المرأة من هذه الكلمات والعبارات؟أين أنت –يا أمة الله– حتى تعرفي قدرك وقيمتك في هذا الدين؟ فأنت عزيزة مكرمة.ودع نبي الأمة أمته في تلك المواقف والمشاعر بعد أن أوصى الحاضر بتبليغ الغائب، ودع الأمة وقد أتم الله به الدين وأقام به الملة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.**

نسينا في ودادكم كل غال فأنتم اليوم أغلى ما لدينا
تسلى الناس في الدنيا وإنا لعمر الله بعدكم ما سلينا
ولما نلقكم ولكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقينا

وسأسوق بعضاً من الأحاديث التي شوقنا بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج إلى بيت الله الحرام فقال: (تعجلوا إلى الحج؛ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له)(احمد ٢٨٧٠).**وقال صلى الله عليه وسلم:** (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه).(البخاري ١٨٢٠) **ولما سألته عائشة قائلة:** (نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال لها: لكن أفضل الجهاد حج مبرور).(البخاري ١٥٢٠) **وقال صلى الله عليه وسلم:** (ثلاثة في ضمان الله عز وجل – أي: في حفظه ورعايته – : رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله – فأبشروا يا عمار المساجد – ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله – فأبشروا أيها المجاهدون –، ورجل خرج حاجاً) (مسند الحميدي ٢٨٧٠) **فأبشروا يا حجاج بيت الله! فلما سمع الصادقون هذه الأخبار والآثار انطلقوا ملبين مجيبين: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.**

وإليك بعضاً من أخبار الملبين والمشتاقين: قال الجريري : (أحرم أنس بن مالك من ذات عرق،

فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل، فقيل له، فقال: يا ابن أخي! هذا هو الإحرام)(طبقات الكبرى لابن سعد ٧\٢٢) **فكيف لو رأى اشتغال الحجيج اليوم بالقيل والقال وكثرة السؤال، بل بالتدخين والغناء في أحب البقاع إلى الله؟!**وحج مسروق فما نام إلا ساجداً (طبقات الكبرى لابن سعد ٦\٧٩).**فلله درهم! عرفوا قيمة الزمان وحرمة المكان**. ووقف مطرف بن الشخير وبكر بن عبد الله المزني في عرفات فقال أحدهما: ما أحلى هذا الجمع، لولا أني فيهم! وقال الآخر: اللهم لا تردهم من أجلي.رحم الله العابدين، (صفه الصفوة ٣\٢٤٨) **فعلى كثرة علمهم وخوفهم وجهادهم كانوا لا يرون أنفسهم شيئاً.وفي زحام منى اصطدم رجل بسالم بن عبد الله بن عمر** ، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجل سوء، فقال سالم : (والله! ما عرفني إلا أنت) (صفه الصفوة ٢\٩٠) **فأين الذين يزكون أنفسهم؟!وهذا الأوزاعي الذي كان بعلم الله واعياً يقول عنه** ضمرة بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار؛ بل كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. (سير اعلام النبلاء ٧\١١٩) **وروى سليمان بن أيوب فقال:** سمعت سفيان بن عيينة يقول: شهدت ثمانين موقفاً في عرفة، وكان في كل موقف يقول: اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي بك وببيتك، فوقف مرة ولم يقل ذلك، فقيل له: لمَ لم تقل؟ قال: استحييت من ربي، فمات من سنته.كرر (صفة الصفوة ٢\٢٣٧) علي حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصاد قال مالك : أحرم علي بن الحسين ، فلما أراد أن يلبي قالها فأغمي عليه وسقط من ناقته وهشم رأسه (سير اعلام النبلاء ٤\٢٩٢).**فلله درهم! كم امتلأت قلوبهم خشية ورهبة من ربهم، فلسان حالهم:**

ليك إلهي قد أتيت ملبياً فبارك إلهي حجتي ودعائيا

قصدتك مضطراً وجئتك باكياً وحاشاك ربي أن ترد بكائيا

كفاني فخراً أنني لك عابد فيا فرحي إن صرت عبداً مواليا

أتيت بلا زاد وجودك مطعم يوما خاب من يهفو لجودك ساعيا

إليك إلهي قد حضرت مؤملاً خلاص فؤادي من ذنوبي ملبيا

ونقلت الأخبار عن الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم الكبير: **أنه كان إذا قرأ الحديث فمر به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقصته ناقته وهو محرم فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (لا تغطوا رأسه، وكفنوه بإحرامه؛ فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً)، (البخاري ١٨٣٩) **أنه كان إذا قرأ هذا الحديث بكى بكاءً شديداً ورق قلبه، فمات رحمه الله محرماً في مكة**

.روح دعاها للوصال حبيبها فسعت إليه تطيعه وتجيبه

يا مدعي صدق المحبة هكذ افعل الحبيب إذا دعاه حبيبه

وأقول: قولوا لمن لم يكن صادقاً: لا يتعنى ولا يتعب نفسه.ألف ابن القيم رحمه الله كتابه: (مفتاح **دار السعادة ١\٤٧) بمكة، يقول في مقدمة الكتاب:** وكان هذا من بعض النزول والتحف التي فتح الله بها علي حين انقطاعي إليه عند بيته، وإلقائي نفسي ببابه مسكيناً ذليلاً، وتعرضي لنفحاته في بيته وحوله بكرة وأصيلاً، فما خاب من أنزل به حوائجه، وعلق به آماله.**إن الله تفضل عليكم في جمعكم هذا؛ فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، فادفعوا باسم الله مغفوراً لكم، فسبحان الله كم ترفع في ذلك اليوم من الدعوات! وكم ترفع فيه من الطلبات! وكم تغفر فيه من الذنوب والزلات،** اللهم نحن عبيدك فأعتقنا من النار

.إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا رب أولى بذا كرماً فقد شبنا في الرق فأعتقنا من النار

قال ابن المبارك : **جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان، فقلت له:** **من أسوأ هذا الجمع؟ فقال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.فما أعظم حسن ظنهم بربهم! وهو أرحم الراحمين.**ووقف أحد الخائفين بعرفه فمنعه الحياء من الدعاء، فقيل له: لم لا تدعو؟ فسكت، فقيل له: هذا يوم العفو عن الذنوب، فبسط يديه ووقع ميتاً. (صفة الصفوة ٤\٤١٠) وكان أبو عبيدة الخواص **إذا غلب عليه الشوق في ذلك الموقف قال: واشوقاه! إلى من يراني ولا أراه.فهنيئاً لمن رزقه الله الوقوف بعرفة بجوار قوم يجأرون إلى الله بقلوب محترقة ودموع منسكبة، فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف وأقلقه! وكم فيهم من محب ألهبه الشوق وأحرقه! وكم فيهم من تائب نصح لله في التوبة وصدقه! وكم فيهم من هارب لجأ إلى باب الله وطرقه! وكم فيهم من مستوجب للنار أنقذه الله فأعتقه! وكم فيهم من أسير للأوزار فكه الله وأطلقه! وكم فيهم من راجٍ أحسن الظن بالله فوفقه! سبحان من لو سجدنا بالعيون له على حمى الشوك والمحمى من الإبر لم نبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشراً من العشر هو الرفيع فلا الأبصار تدركه سبحانه من مليك نافذ القدر سبحان من هو أنسي إذ خلوت بهفي جوف ليلي وفي الظلماء والسحر فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع حتى كادوا يهلكون! وكم من ليلة طاردتهم السباع في الغابات وفارقهم لذيذ المنام، وكم من ليلة أحاط بهم الخوف من كل مكان؛ فقطاع الطرق يعترضون المسافرين في كل وادٍ وفي كل مكان:رب ليل بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه يقول الحاج عثمان : توقفنا للمبيت ليلة قريباً من إحدى الغابات، فلدغتني حية فبدأ سمها يسري في جسمي، وأصابتني حمى شديدة وألم عظيم وحتى شممت رائحة الموت تسري في عروقي، فكان أصحابي يذهبون للعمل وكنت أمكث تحت ظل الشجرة إلى أن يأتوا آخر النهار، وكان الشيطان يوسوس لي: أما كان الأولى أن تبقى في أرضك بدل أن تكلف نفسك ما لا تطيق؟! ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط؟! قال: فأثرت**

هذه الوساوس في نفسي وبدأت أثقل وأضعف وكدت أرجع إلى أرضي وداري، فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي، فالتفت عنه ومسحت دمعة غلبتني، فكأنه أحس بما فيني فقال: قم فتوضأ وصل ولن تجد إلا خيراً بإذن الله؛ أما قال الله: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة:٤٥-٤٦]**، قال: فقمت فتوضأت وصليت، فانشرح صدري وأذهب الله عني الحزن، يقول: كان الشوق للوصول إلى بيت الله الحرام قد ملأ قلوبنا، وخفف عنا آلام السفر ومشاق الطريق ومخاطره، وقد مات ثلاثة منا في الطريق وكان آخرهم لما ركبنا السفينة إلى جدة، قال لنا في وصيته: إذا وصلتما إلى المسجد الحرام فأخبرا الله تعالى أني مشتاق للقائه، واسألاه أن يجمعنا ووالدتي في الجنة مع النبي صلى الله عليه وسلم.يقول الحاج عثمان : لما مات صاحبنا الثالث نزلني هم شديد وغم عظيم، وكان ذلك أشد ما لاقيت في رحلتي فقد كان أكثرنا صبراً وقوة، فخشيت أن أموت قبل أن أنعم بالوصول إلى المسجد الحرام، فكنت أحسب الأيام والساعات على أحر من الجمر.إذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن فلما وصلنا إلى جدة مرضت مرضاً شديداً، وخشيت أن أموت قبل أصل إلى بيت الله الحرام، فأوصيت صاحبي إذا أنا مت أن يكفنني في إحرامي، وأن يقربني قدر المستطاع إلى مكة، عل الله أن يضاعف لي الأجر ويتقبلني في الصالحين.فيوشك أن يحول الموت بيني وبين جوار بيتك والطواف فكم من سائل لك ربي رغباً ورهباً بين منتعل وحافي أتاك الراغبون إليك شعثاً يسوقون المقلدة الصواف قال: فمكثنا في جدة أياماً حتى خف عني المرض، ثم واصلنا المسير على الأقدام، فكانت أنفاسي تتسارع والفرح يملأ وجهي، والشوق يهزني ويشدني إلى أن وصلنا إلى المسجد الحرام، فسكت الحاج عثمان وهو يكفكف عبراته وهو يتذكر تلك الذكريات، ثم واصل الحديث قائلاً: أقسم بالله العظيم أني لم أر ولم أشعر بلذة في حياتي كتلك التي ملأت علي قلبي لما رأيت الكعبة المشرفة!يقول: فلما رأيت الكعبة سجدت لله شكراً، وأخذت أبكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الأطفال، فما أشرفه من بيت! وأعظمه من مكان! ثم تذكرت أصحابي الذين ماتوا في الطريق ولم يصلوا فأخذت أدعو لهم، وحمدت الله أن بلغني الوصول، وسألت الله ألا يحرمني ولا يحرمهم الأجر، وأن يجمعنا بهم في مقعد صدق عن مليك مقتدر.يقول: فمكثنا في مكة إلى موسم الحج، فحججنا ثم رجعنا إلى بلادنا بعد أن استمرت رحلتنا أكثر من سنتين، يقول: وها أنا الآن أقص لكم خبر تلك الرحلة التي مضى عليها أكثر من خمسين سنة، الله أكبر! فقد سمعوا منادي الله إذ يقول:** وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا [الحج:٢٧]، وسمعوا منادي الله يناديهم: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٣] **فخرجوا مسرعين وهم يرددون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن**

الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.ناداهم مناد الله قائلاً: يا غافلاً عني! أنا الداعي، يا متخلفاً عن زيارتي! أنا ألقى الطائف والساعي، يا مشغولاً عن قصدي لو عرفت اطلاعي، أنا أقمت خليلي يدعو إلى سبيلي: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا [الحج:٢٧]**أما والذي حج المحبون بيته ولبوا له عند المهل وأحرموا وقد كشفوا تلك الرءوس تواضعاً لعزة من تعنوا الوجوه وتسلم يهلون بالبيداء لبيك ربنا لك الملك والحمد الذي أنت تعلم دعاهم فلبوه رضاً ومحبةً فلما دعوه كان أقرب منهم تراهم على الرمضاء شعثاً رءوسهم وغبراً وهم فيها أسر وأنعم وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة ولم يثنهم لذاتهم والتنعم يسيرون من أقطارها وفجاجها رجالاً وركباناً ولله أسلموا نقرأ ونسمع عن أولئك الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس للوصول إلى بيت الحرام، ثم نرى من حال كثير من المسلمين اليوم ممن تحققت فيهم الشروط الشرعية الموجبة لحج بيت الله الحرام، ومع ذلك فهم يسوفون ويتباطئون، أفلا يتذكرون قول النبي صلى الله عليه وسلم:** (من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة). (الكبير ٧٣٧)**أتدرون من المحروم؟ إن المحروم هو من جاء وصفه في حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (إن الله عز وجل يقول: إن عبداً صححت له جسمه، وأوسعت عليه في المعيشة، يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم) (ابن حبان ٣٧٠٣) **وتأمل في قوله:** (**لا يفد إلي**) **فلم يقل: إلى بيتي؛ لأن الحج هو الرحلة إلى الله، فكيف لا يكون محروماً من لا يرحل إلى الله:لبيك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لكما خاب عبد سألك لبيك إن الحمد لك لولاك يا رب هلك لبيك إن الحمد لك اللهم! هاهم ضيوفك بين يديك وفدوا إليك شعثاً غبراً، وقفوا وقوف الراجين، ونفروا نفور المؤملين، وباتوا مبيت الخاشعين، وضحوا تضحية الشاكرين، ورموا رمي المعاهدين، وتحللوا تحلل المبتهجين، وطافوا طواف المودعين، فتقبل منهم ربنا، فأنت وحدك الغفور البر الرحيم.اللهم اجعل حجنا وحجهم مبروراً، وسعينا وسعيهم مشكوراً، وذنبنا وذنبهم مغفوراً.اللهم من أرادوا الحج فيسر لهم السبل يا رب العالمين! ومن حرم ذلك فاكتب له الأجر يا بر! يا رحيم!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا بر! يا رحيم!اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين.اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، اللهم صن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم، وثبت حجتهم يا رب العالمين!اللهم اكبت عدوك وعدوهم؛ فإنهم لا يعجزونك يا**

قوي! يا عزيز!ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لمن كان له قلب

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢] .. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١] .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.أحبتي! حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاكم، وجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين، وأن يكشف كرب المكروبين، وأن يقضي الدين عن المدينين، وأن يدل الحيارى ويهدي الضالين، وأن يغفر للأحياء والميتين.لعلكم أحبتي قرأتم العنوان أو سمعتم به: لمن كان له قلب، وهل من الممكن أن يكون هناك أناس بلا قلوب؟نعم أحبتي، القلوب الغافلة، والقلوب الشاردة اللاهية، فإن هذه القلوب لا تعتبر قلوباً حية، وإنما القلوب الحية هي التي تنتفع بكلام الله وبكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:** أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج:٤٦].**إن لم يكن ذكر الآخرة يحرك القلوب فما الذي يحركها؟!إن لم يكن ذكر الجنة يشوق القلوب فما الذي يشوقها؟!إن لم يكن ذكر النار يخوف القلوب فبالله عليكم قولوا لي: ما الذي يخوفها؟!إن لم يكن هذا الحديث يدعو الصالح إلى الزيادة في صلاحه، ويدعو العاصي إلى الكف عن غيه ومعصيته فما الذي سيدعوه؟!إن الحديث: لمن كان له قلب، إنما هو الحديث عن اليوم الآخر وما به من الشدائد والأهوال، وقد قرن الله تبارك وتعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، فقال سبحانه:** لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:١٧٧]، **وقال سبحانه:** ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [الطلاق:٢] **فقدم سبحانه ذكر الإيمان باليوم الآخر على بقية أركان الإيمان الأخرى؛ لأن الإيمان بذلك -أحبتي- هو الضابط الحقيقي لسلوك الإنسان.إن الإيمان بذلك اليوم وما فيه من الشدائد والأهوال لهو المحرك الحقيقي لهذا الإنسان، فلا رادع للعصاة عن عصيانهم إلا بذكر ذلك اليوم، ولا مشوق لأهل الصلاح للزيادة في صلاحهم إلا بذكر ذلك اليوم، قال تعالى:** ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ *

يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود:١٠٣-١٠٥].**إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام الأساسية، فقضية الإيمان باليوم الآخر هي التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد قضية التوحيد، واليوم الآخر وما فيه من الأمور الغيبية التي لا يدركها العقل، ولا سبيل لمعرفتها إلا بالنص القرآني والسنة النبوية، وفي كتاب الله -أحبتي- من ذكر اليوم الآخر وما فيه من الأهوال الشيء الكثير، فما تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب الكريم من صورة من صور ذلك اليوم، أو موقف من مواقف ذلك اليوم، فهو اليوم الذي لا يوم مثله، ولا يوم قبله، ولا يوم بعده، إنه اليوم العقيم، قال سبحانه:** وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ [الحج:٥٥]. **لماذا الحديث عن اليوم الآخر؟ والجواب: أن ذلك لأسباب عدة:أولاً: الغفلة التي استحكمت على حياة كثير من المسلمين، قال سبحانه:** اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى [الأنبياء:١-٣] **أي: بكثرة اللهو وكثرة المغريات.ثانياً: انشغال الناس بالدنيا وعمارتها أكثر من اشتغالهم بالاستعداد لليوم الآخر، قال سبحانه:** وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١].**ثالثاً: أن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب هو الموجه الحقيقي لسلوك الإنسان، فهناك فرق بين سلوك من يؤمن بالله واليوم الآخر، وسلوك من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمن علم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال الصالحة هي زاد الآخرة لم ينشغل بعمارة الدنيا عن عمارة الآخرة، قال سبحانه:** وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى [البقرة:١٩٧]، **وقال صلى الله عليه وسلم:** (من جعل الهموم هماً واحداً - أي: هم الآخرة - كفاه الله هم الدنيا وهم الآخرة) (الحاكم ٣٦٥٨) **فهناك فرق بين سلوك من يؤمن بالله واليوم الآخر وسلوك ضعيف الإيمان.**قال صاحب(الظلال ٧\٣٣٤): فالمصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا. انتهى كلامه رحمه الله.**فتجد المؤمن بالله واليوم الآخر له نظرة مختلفة للحياة، فترى فيه استقامة على دين الله، وترى فيه سعة تصور وقوة إيمان، وترى فيه ثباتاً في الشدائد وصبراً على المصائب، فهو يعلم** أن ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الشورى:٣٦]. **وأما الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما في ذلك اليوم من حساب وجزاء فهو يحاول جاهداً أن يحقق مآربه في هذه الحياة، لاهثاً وراء متعها، وحريصاً على جمعها، قد جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فهو يقيس الأمور بالمنفعة الشخصية والخاصة، ولا يلتفت إلى بني جنسه إلا في حدود ما يحقق له المصالح فتباً له ولأمثاله. استدل أهل العلم على إثبات اليوم الآخر بأدلة كثيرة، حيث إن الأولين قد أنكروا قضية الإيمان باليوم الآخر، وأنكروا قضية البعث والنشور، قال الله عنهم:** وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [الأنعام:٢٩]، وقال عنهم: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ

بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن:٧]؛ **لهذا ركز القرآن على قضية الإيمان باليوم الآخر، وإثبات البعث والحساب والجزاء، فجاءت أدلة كثيرة لإثبات ذلك اليوم، ومنها: قال تعالى**: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ [الحج:٥] أي: إن كنتم في شك من البعث: فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا [الحج:٥] **فمن قدر على خلق الإنسان في أطوار متعددة لا يعجز عن إعادته مرة أخرى، بل الإعادة أهون عليه من البدء.فقد** جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبيده عظمة بالية أكل الدهر عليها وشرب، ووضعها بين يديه ففتها، ثم نفخها في الهواء، ثم قال: يا محمد! أيحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال بأبي هو وأمي: (نعم ويدخلك النار).(الحاكم ٣٦٠٦) **فقال الله فيه**: أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس:٧٧-٧٨]، **قل له يا محمد!**: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس:٧٩] **من الأدلة على إثبات اليوم الآخر: المشاهد الكونية المحسوسة الدالة على إمكان البعث، قال سبحانه**: وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:٥-٧]، **فإحياء الأرض الميتة بالمطر، وظهور النبات فيها دليل على قدرة الخالق جل وعلا على إحياء الموتى وقيام الساعة. من الأدلة أيضاً: القدرة الباهرة المتجلية في خلق الأعظم، قال سبحانه**: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس:٨١-٨٣]، **فخالق السماوات والأرض على عظمهما قادر على خلق هذا الإنسان الصغير، كما قال هو سبحانه**: لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [غافر:٥٧].**من الأدلة أيضاً: الحكمة الإلهية، فالحكيم لا يترك الناس سدىً، ولا يخلقهم عبثاً، ولا يتركهم فلا يؤمرون ولا ينهون، ولا يزجرون على أعمالهم، قال تعالى**: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ [المؤمنون:١١٥]، وقال سبحانه: أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة:٣٦-٤٠] بلى قادر وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ [هود:١٧].

فلو أنا إذا متنا تركن الكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

اسمع وافتح قلبك قبل أن تفتح أذنيك، فإن في هذا الحديث ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص:٨٨]، **وجاء في حديث أبي هريرة كما في حديث الطور قال:** (ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فإذا اجتمعوا أمواتاً جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول: قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت، فيقول الله سبحانه وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: يا رب! بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله عز وجل العرش فيقول: أي رب! يموت جبريل وميكائيل! فيقول جل جلاله: اسكت إني كتبت الموت على كل من تحت عرشي؛ فيموتان، قال: ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار جل جلاله فيقول: يا رب! قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله سبحانه وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: يا رب! بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا، فيقول سبحانه: ليمت حملة العرش، فيموتون، فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يقول سبحانه: ليمت إسرافيل، فيموت، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب! قد مات حملة عرشك، فيقول سبحانه وهو أعلم: من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت أنا، فيقول الله: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً فكان كما كان أولاً، طوى السماء كطي السجل للكتب، ثم قال: أنا الجبار لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم ينادي سبحانه: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم ينادي سبحانه: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه تبارك وتعالى: لله الواحد القهار).(مسند إسحاق ابن رهويه ١٠) **تبدأ الشدائد والأهوال بنفخة واحدة، وهي نفخة الصعق، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ مرة أخرى وهي نفخة البعث، واسمع إلى القرآن وهو يحذر وينذر، ويذكر بشدة الشدائد والأهوال، فقال سبحانه مذكراً بأهوال ذلك اليوم:** يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:١-٢]، **إن في ذلك اليوم من الشدائد والأهوال ما فيه حياة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وقال سبحانه مصوراً تلك الشدائد:** إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ *كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ [الانفطار:١-٩] **.لو كان الإيمان بالله وباليوم الآخر قد خالط القلوب وتمكن منها لما غفلت عن ربها تبارك وتعالى، واسمع إلى هذه الشدائد والأهوال إن كان لك قلب، قال تعالى:** وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ

يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا [طه:١٠٥-١٠٨] **.واسمع رعاك الله! فالحديث لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، من سره أن يرى القيامة رأي العين فليسمع هذه الآيات:** إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ [التكوير:١-١٤]**.نعم، إن في هذا الحديث حياة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.فبنفخة واحدة بدأت القيامة، وبنفخة أخرى يبدأ البعث والنشور، وبعد النفخة الثانية:** فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر:٦٨] **إنه الخروج من القبور، والسير إلى أرض المحشر، قال تعالى:** يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج:٤٣-٤٤] وقال تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا [طه:١٠٨]، وقال سبحانه: وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا [طه:١١١] **فيسعون إلى أرض المحشر في سكون وخشوع لا تسمع منهم إلا صوت الأقدام والهمسات، ثم يقبض الجبار السماوات بيمينه والأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: (أنا الملك، أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟** وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر:٦٧] **وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الموقف، قال:** (يأخذ الله عز وجل سماواته وأراضيه بيديه فيقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول: أنا الملك، يقول ابن عمر : حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟) (مسلم ٢٧٨٨)**.وأما أرض المحشر –أحبتي– فأرض غير هذه الأرض، وأما سماؤه فسماء غير هذه السماء، قال سبحانه:** يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [إبراهيم:٤٨]. **وأما أحوال الناس في ذلك اليوم العظيم، فقد قال تعالى:** وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [إبراهيم:٤٩-٥٢] **نعم،** (أُوْلُوا الأَلْبَابِ) **لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء – أي: مائلة إلى الحمرة – كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد) رواه (البخاري ٦٥٢١)، **والقرصة: الرغيف. والنَّقي: الدقيق المنخول المنظف. وأما حال الناس: فحفاة عراة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:** (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة

غرلاً – أي: غير مختونين – قلت: يا رسول الله! النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض، قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة ! يا ابنة الصديق ! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)(البخاري ٦٥٢٧).**فمن الناس من يحشر على وجهه، كما قال سبحانه:** وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [الإسراء:٩٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلاً قال: يا رسول الله! كيف يحشر الكفار على وجوههم يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة : بلى وعزة ربنا) (البخاري ٦٥٢٣) **ثم يزداد الهول والكرب بأهل الموقف، فتدنو الشمس من رءوس العباد فيغرقون في العرق، فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال:** (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، قال سليم بن عامر : فو الله الذي لا إله إلا هو ما أدري ما يعني بالميل: أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين؟ قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً).(مسلم ٢٨٦٤) **عبد الله! أما تتفكر وتتدبر في الموقف وشدته، وفي ذل الخلق وانكسارهم في ذلك اليوم الطويل، والأبصار خاشعة، والقلوب وجلة، وأنا وأنت والجميع في انتظار النهاية كيف تكون؟ وأن يكون المصير؟**

مثل لقلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور قد كورت شمس النهار وأضعف تحراً على رءوس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت وتقول للأملاك أين نسير
؟فيقال سيروا تشهدون فضائحاً وعجائباً قد أحضرت وأمور وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور

ثم تزداد الشدائد والأهوال، فيؤتى بجهنم يسمع: لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان:١٢]، قال سبحانه: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي [الفجر:٢١-٢٤]، **وعند ذلك يندم النادمون، ويتحسر المتحسرون، ويتمنون أن لو ساعة واحدة يرجعون ليعملوا صالحاً، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) (مسلم ٢٨٤٢) **لو تركت على أهل المحشر لأتت عليهم من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى:** إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا [الفرقان:١٢-**١٤**] .**إنه يوم:** مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج:٤]، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا [المعارج:٦-٧]، **إنه يوم الطامة ويوم الصآخة، إنه يوم الفرار قال تعالى:** يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس:٣٤-٣٧]، **والناس على هذه الحال في الموقف الشديد، والكرب العظيم، ويطول الانتظار والكل ينتظر الحساب والوقوف بين يدي الملك الديان.ثم يأتي الفرج في أهل الموقف بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء عن أبي هريرة عند مسلم ، قال**: (أُتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم. فرفع إليه الذراع فنهس منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. أتدرون بم ذاك؟ ثم قال: يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فلا يغادر منهم أحداً، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، حتى إذا اجتمعوا في صعيد واحد، وأدنيت الشمس من رءوس العباد، وغرق الناس بعرقهم، وازدادت الأهوال والشدائد على الناس نظر بعضهم إلى بعض فقالوا: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغنا من الهم والغم والكرب؟ ألا ترون من يشفع لنا عند ربنا؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم آدم فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر. خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأمر الملائكة أن تسجد لك – سجود تشريف لا سجود عبادة – ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم والكرب؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي. فيتبرأ منهم أبو البشر، فيزداد الغم والهم والكرب على الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي. اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام).**يا صاحب القلب! تخيل أنا وأنت معهم**: (فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كذبت ثلاث كذبات – لو عددناها لوجدناها من صالح الأعمال – نفسي نفسي).**أحبتي! هذا هو حال الأنبياء، وحال أولي العزم من الرسل، ومقال الحال يقول**: اللهم سلم سلم! **فكيف يكون حالي وحالك؟! وكيف يكون حال العصاة المقصرين والمفرطين؟!** (اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: أنت نبي الله وكليمه. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي. اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: أنت نبي الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً. ويقول: نفسي نفسي. اذهبوا إلى محمد صلوات ربي وسلامه عليه، فيأتون محمداً – وفي رواية (مسلم ١٩٤)فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت نبي الله وخاتم المرسلين، وغفر

الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم والكرب؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فأقول: أنا لها أنا لها، فأنطلق إلى العرش فأخر ساجداً – اسمع فالحديث لمن كان له قلب– فيفتح الله علي ويلهمني من محامده ما لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي أمتي).**وانظر إلى الحبيب فهو لم ينسانا على شدة الموقف والأهوال، نادى بأعلى الصوت: أمتي أمتي، فأين أمته شيبهم وشبابهم ونساؤهم؟ أين هم من سننه وسيرته ونصرة دعوته؟ أما قال الله:** فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:٦٣]. (فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده! إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر) وفي رواية: (وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام) (الحاكم ٥١٣٩).

يا مدعي حب طه لا تخالفه فالخلف يحرم في دين المحبين

ما لي أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تهويناً وتدوين

اخذها سماوية خيراً تفوز به أو اطرحها وخذ رجس الشياطين

هل سمعت أيها الأخ الحبيب عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ومن يرد عليه، ومن يصد عنه؟فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ترد علي أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، قالوا: يا نبي الله! أتعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما – أي: علامة – ليست لأحد غيركم، تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء، وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب! هؤلاء من أصحابي فيجيئني ملك فيقول: وهل تدري يا محمد ما أحدثوا من بعدك؟) (مسلم ٢٤٧).**كم غيروا! وكم بدلوا! وكم تهاونوا! وقد اختلف العلماء متى يكون الورود على الحوض وأين؟ فقيل: قبل الصراط. وقيل: إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط والله أعلم.وأما وصف الحوض ففتح قلبك رعاك الله! فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه –أي: آنيته– كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً) (البخاري ٦٥٧٩) **ثم يبدأ الحساب، فتكشف الحقائق، وتظهر الفضائح، قال تعالى:** يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٨] **تذكر يا عبد الله! أنك بين يدي الله موقوف، وسيكلمك ربك ليس بينك وبينه ترجمان، فتنظر أيمن منك فلا ترى إلا ما قدمت، وتنظر أشأم منك فلا ترى إلا ما قدمت، وتنظر أمامك فلا ترى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، وستقف وستسأل عن القليل والكثير ، وعن الصغير**

والكبير، وعن العمر فيم أفنيته؟ وعن الشباب كيف قضيته؟ وعن المال من أين اكتسبته وفيم أنفقته؟ فلا تظن أن الحساب سيكون يسيراً، إنه حساب بالذرة، قال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧]، وفي ذلك اليوم قال سبحانه: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران:٣٠]، ويقول تعالى: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [النحل:١١١].وحال الناس كما أخبر الله عنهم، فقال: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩]. **وستسأل عن الصلاة كيف أديتها؟ وهل حفظتها؟وستسأل عن الصوم والزكاة، وعن كل صغيرة وكبيرة، وعن كل كملة قلتها وسمعتها، وستسأل عن حقوق وواجبات وأوامر ومنهيات.وأما حال الناس في الحساب: فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، ويدعو ثبوراً، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه – أي: ستره – فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى العبد في نفسه أنه قد هلك، قال الله: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (البخاري) [هود:١٨]).وقال تعالى: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ [المؤمنون:١٠٥-١٠٦].الأمنية: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ [المؤمنون:١٠٧].الجواب: قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ [المؤمنون:١٠٨]. إنها محكمة، شعارها: لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [غافر:١٧]، **وقاضيها: الملك الديان الذي: حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، والشهود في المحكمة: السمع والبصر واللسان:** وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت:١٩-٢٤].**فلا إله إلا الله كيف يكون الحال إذا شهدت العينان وقالت: أنا إلى الحرام نظرت!ولا إله إلا لله إذا شهدت الأذنان فقالت: أنا إلى الحرام استمعت!ولا إله إلا لله إذا شهدت اليدان وقالت: أنا بالحرام بطشت وأخذت!ولا إله إلا الله إذا شهدت الرجلان وقالت: أنا**

للحرام مشيت!وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فينادى أهل الجنة: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقال لهم: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، ثم ينادى أهل النار فيقال: يا أهل النار! أتعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح ثم ينادى: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، وينادى: يا أهل النار! خلود فلا موت(البخاري ٤٧٣٠)، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:٣٩-٤٠] **إنه اليوم الآخر، إنه اليوم الذي لا يوم بعده، قال تعالى:** وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الأنعام:٩٤]

.يا عجباً للناس لو فكرو اوحاسبوا أنفسهم وأبصروا   وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر   ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر

يا صاحب القلب! تخيل الموقف وقد تطايرت الصحف والكتب، وإلى أي فريق ستنتمي إلى أصحاب اليمين أم إلى أصحاب الشمال؟وبأي يد ستأخذ الكتاب بالشمال أم باليمين؟قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ [الحاقة:١٩-٢٠]، **النتيجة:** فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة:٢١-٢٤].**وفي المقابل:** وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ [الحاقة:٢٥-٢٦].**الأمنية:** يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ [الحاقة:٢٧-٢٩].**النتيجة:** خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ [الحاقة:٣٠-٣٢].**ما ذنبه؟** إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ [الحاقة:٣٣-٣٧] **نسأل الله السلامة والعافية!إن الحديث إنما ينفع صاحب القلب، فإن كنا نعرف هذا ونسمع هذا فلا بد من العمل والصدق والإخلاص والصبر والاحتساب، وإلا سنقول:**

واحسرتي واشقوتي من يوم نشر كتابيه   واطول حزني إنأكن أوتيته بشماليه
وإذا سألت عن الخطأ ماذا يكون جوابيه   واحر قلبي أن يكون مع القلوب القاسيه

يا عبد الله! أتظن أن الموقف قد انتهى؟ لا، فإن القادم أشد وأعظم! ستؤمر –أيها المسكين– أن تعبر الصراط، ثم إما إلى جنة وإما إلى نار، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ويضرب الجسر على جهنم فأكون أول من يجيب ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم! وبه كلاليب – أي: في الصراط – مثل شوك السعدان – نبت له شوك معكوف – غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، يخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق الهالك بعمله، ومنهم الناجي المقطع بالكلاليب، ومنهم من يعبره كطرف العين، ومنهم كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في جهنم، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يسحب سحباً) (البخاري

٨٠٦) **فقل لي بربك: كيف سيكون العبور؟ أبت نفسي تتوب فما احتيالي إذا برز العباد لذي الجلال وقاموا من قبورهم سكارى بأوزار كأمثال الجبال وقد نصب الصراط لكي يجوز ومنهم من يكب على الشمال ومنهم من يسير لدار عدن تلقاه العرائس بالغوالي يقول له المهيمن يا ولي يغفر تلك الذنوب فلا تبالي أسألك بالله: كيف سيكون العبور؟ قيل لأحد الصالحين وقد مات فرئي في المنام: ماذا صنع الله بك؟ قال: وضعت قدماً على الصراط والقدم الأخرى في الجنة. نهاية ذلك اليوم: إما إلى جنة وإما إلى نار، قال سبحانه:** وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ [الزمر:٧١-٧٢].**وأما الفريق الآخر**: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [الزمر:٧٣-٧٤].

***

مفرق الجماعات

أحبتي! قسوة القلب مرض عظيم ابتلينا به في هذا الزمان، فأصبحنا نسمع القرآن ولا نتأثر، وندفن موتانا ولا نعتبر، ونسمع المواعظ والعبر ولا نتذكر، والسبب قسوة القلب.وما من داء إلا وقد أنزل الله له دواء، فدواء قسوة القلب –يا رعاك الله– هو مداومة النظر في كتاب الله بتدبر وتفكر، فإن هذا الكتاب لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ [ص:٢٩] **كم فيه من المواعظ والعبر، كم فيه من الآيات والسور؟ لكن كما قال الله:** ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً [البقرة:٧٤]. **موعظة بليغة وكلام موجز وعظنا به النبي صلى الله عليه وسلم، أجمع أهل العلم على أن هذه الموعظة من أبلغ مواعظه صلى الله عليه وسلم.لقد أبلغ في الموعظة وأوجز في الكلام، كلام يسير ولكنه يحملُ معاني كثيرة، ولا عجب فإنه صلى الله عليه وسلم قد أُوتي جوامع الكلم، يقول الكلام القليل فيه من المعاني الشيء الكثير.فمن مواعظه البليغة صلوات ربي وسلامه عليه قوله:** (أكثروا من ذكر هاذم اللذات). (ابن حبان ٢٩٩٥) **نعم أيها الغالي!يوم أن غفلنا عن الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والسؤال وشدته، ويوم القيامة وكرباته، والصراط وحدته؛ يوم أن غفلنا عن هذه الأشياء قست القلوب –يا رعاك الله– فأصبحت كالحجارة بل هي أشد قسوة.لذلك قال بأبي هو وأمي:** (أكثروا من ذكر هادم اللذات).**ما ذُكر الموت في قوي إلا ضعفه، وما ذُكر في عزيزٍ إلا أذله، وما ذُكر في كثير إلا قلله، الموت:**

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حُط ذا عن نعشه ذاك يركبُ نشاهد ذا عين اليقين حقيقة وكأنا بما علمنا يقيناً نكذبُ

إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا كل يوم واعظ الموت يندبُ نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها وعلّ الردى مما نرجّيهِ أقربُ

الموت كما قال أهل العلم: مفارقة الروح الجسد والحيلولة بينهما، انتقالٌ من حال إلى حال، وانتقالٌ من دار إلى دار.سمّى الله الموت مصيبة، كما قال جل في علاه: إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ [المائدة:١٠٦].ل**كن المصيبة الأعظم من الموت –يا رعاك الله– الغفلة عن الموت.. عدم تذكر الموت.. عدم الاستعداد للموت، أعظم من مصيبة الموت يا رعاك الله.لذلك قال أهل التفاسير في** قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ [الملك:٢] قالوا: يعني أكثركم للموت ذكراً؛ لأنه من كان للموت ذاكراً كان للموت مستعداً.(الجامع لاحكام القران ١٨ \٢٠٧) قال أبو علي الدقداق : **من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاث: أكرم بتعجيل التوبة، ونشاط في العبادة، وقناعة في القلب، ومن نسي الموت عوقب بثلاث: تسويف التوبة، وكسل في العبادة، وعدم قناعة القلب. إذاً مما يرقق القلوب التفكير في الموت وفي أحواله وفي القبر وظلماته.لذلك قال بأبي هو وأمي صلوات ربي وسلامه عليه:** (ألا إني قد نهيتكم عن زيارة

القبور، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة).(ابي داود ٣٢٣٥) **يوم غفل الناس عن الآخرة قست القلوب وعُطّلت الصلوات، وارتُكبت المحرمات، وتكاسل الناس في فعل الطاعات.**

فيا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

قل لي بالله العظيم.. قل لي يا رعاك الله.. هل تفكرت يوماً وأنت تخرج في الصباح أنك لن ترجع إلى بيتك مرة ثانية؟!هل تفكرت أن اليوم قد يكون آخر يوم لك في الحياة؟!إذا أتاك ملك الموت في هذا اليوم فهل أنت راضٍ عن نفسك؟!لا تغفل يا رعاك الله! ممن أعرفهم اتصل على أهله في الواحدة ظهراً قال لهم: لقد استأذنت من العمل مبكراً فما هي طلباتكم؟ قالوا: نريد كذا ونريد كذا ونريد كذا، قال: ساعة واحدة وأكون عندكم.مرت ساعة مرت ساعتان ومرت ثلاث ولم يظهر له أثر، اتصل متصل قُبيل المغرب بقليل يقول: عظم الله أجركم في فلان، في الساعة التي خرج فيها من مكان عمله ارتطمت سيارته بسيارة أخرى وانتقل من هذه الحياة إلى حياة ثانية.قل لي بالله العظيم: هل كان يظن يوم اتصل على أهله أنه لن يصل إليهم؟!هل كانوا هم يظنون يوم أملوا عليه الطلبات أن الطلبات لن تصل؟! بل الذي يحمل الطلبات لن يصل؟!كان أحد الصالحين يقوم في هزيعِ الليل الأخير، يرقى أعلى مكان في قريته، ثم ينادي بأعلى الصوت: الرحيل.. الرحيل.. ا لرحيل.. كل يوم يكرر هذه الكلمات القليلة: الرحيل.. الرحيل.. الرحيل.. حتى جاء يوم وانقطع ذلك الصوت.فقال أمير القرية: أين فلان؟ قالوا: مات. قال: لا زال يذكر الناس بالموت حتى مات (التذكرة للقرطبي ١\٨) **هو.نعم. كان يذكرهم بالموت فأتاه الموت، لكن على أي حال أتاه؟!**

لا زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمّال فأتاه متيقظاً متشمراً لم تلهه الآمال

قال أحدهم لصاحبٍ له وكانت حاله سيئة: أبا فلان! الحال التي أنت عليها أترضاها للموت؟! قال: لا والله. قال: وهل نويت أن تغير هذه الحال إلى حال ترضاها للموت؟! قال: ما اشتاقت نفسي إلى هذا بعد، قال: وهل بعد هذه الدار دار معتمل؟! قال: لا والله. قال: وهل تظن أن لا يأتيك ملك الموت وأنت على هذه الحال؟! قال: لا والله. قال: والله ما رأيت عاقلاً يرضى بهذه الحال (قصر الامل ١\٧٠)!

ستنقلك المنايا من ديارك ويبدلك الردى داراً بدارك

وتترك ما عنيت به زماناً وتُنقل من غناك إلى افتقارك

وفي عينيك دود القبر يرعى وترعى عينُ غيرك في ديارك

نعم أيها الغالي!لا تغفل عن الموت، فلقد أجمع أهل العلم على أن الموت ليس له مكان معين، ولا زمن معين، ولا سبب معين، ولا عمر معين، يأتيكم بغتة وأنتم لا تشعرون قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨].. وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق:١٩] **يعني ذلك ما كنت منه تفر وذلك ما**

كنت منه تهرب.طال الزمان أو قصر لابد أن يأتي الموت.والناس عند الموت على حالين يا رعاك الله.إما محب للقاء الله فيحب الله لقاءه، وإما كارهٌ للقاء الله فيكره الله لقاءه.قالت عائشة : (يا رسول الله! كلنا يكره الموت، قال: لا يا عائشة ليس ذاك، لكن هو العبد الصالح تأتيه ملائكة الرحمن تبشره بروح وريحان، ورب راض غير غضبان، فيفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقائه). (مسلم ٢٦٨٤) **أما العبد العاصي.. أما العبد الغافل.. أما الذي تناسى الموت وسكراته، فتأتيه ملائكة الرحمن، تبشره بسخط وعذاب من الله، فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه** .قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: أشترط عليكم شروطاً ثلاثة لمن أراد أن يجلس في مجلسي، شروط ليتنا اشترطناها في مجالسنا اليوم، قال: إذا جلستم في مجلسي فأنا أشترط عليكم شروطاً ثلاثة:أولها: لا تتكلموا في الدنيا. ثانيها: لا تغتابوا أحداً في مجلسي. ثالثها: لا تمزحوا عندي أبداً.فكانوا **يتذاكرون الموت وسكراته، والقبر وظلماته، حتى إذا انفضوا كانوا كمن قام عن جنازة.لا عجب! في آخر اللحظات ودع وهو** يقول تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص:٨٣]. (سير اعلام النبلاء ٥\١٤١)**الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة، سيأتي اليوم الذي ستُمدد فيه على فراشك تريد أن تودع الصغير فلا تستطيع.. تريد أن تودع الكبير فلا تستطيع.. وحيل بينهم وبين ما يشتهون.ليت شعري كيف يكون الحال في تلك الساعة، يوم تشخص العينان وتبرد الأطراف واليدان، وتلتف الساقان، تريد أن تتكلم فلا تستطيع، تريد أن تقول فلا تستطيع**..وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ [ق:١٩-٢١]. **فاتقوا الله عباد الله.. ابكوا على أنفسكم قبل أن يُبكى عليكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، احملوا أنفسكم على الطاعات قبل أن تحملوا على الرقاب، استعدوا للموت قبل أن ينادي بأعلى الصوت رباه ارجعون فلا يستجاب لنا.. لساعة تجلس تحاسب فيها نفسك خير من أيام وساعات تهدر فيها الأعمار.هذه الأيام مطايا أين العدة قبل المنايا ؟أين الأنفة من دار الأذايا ؟أين العزائم أرضيتم بالدنايا؟ إن بلية الهوى لا تشبه البلايا وإن قضية الزمان لا كالقضايا يا مستورين ستكشف الخفايا.. إن ملك الموت لا يقبل الوساطة.. ولا يأخذ الهدايا أيها الشاب! ستُسأل عن شبابك.. أيها الشيخ تأهب لعتابك.. أيها الكهل تدبر أمرك قبل سد بابك.. يا مريض القلب قف بباب الطبيب.. يا منحوس الحظ اشك فوات النصيب.. بالجناب قليلاً وقف على الباب طويلاً.. واستدرك العمر قبل رحيله وأنت بداء التفريط عليلاً..يا من نذرُ الموت عليه تدور.. يا من هو مستأنس في المنازل والدور.. لو تفكرت في القبر المحفور وما فيه من الدواهي والأمور.. كانت عينُ العين منك تدور.. يا مظلم القلب وما في القلب نور.. الباطن خراب والظاهر معمور.. إنما ينظر للبواطن لا للظهور.. يا من كلما زاد عمره زاد إثمه.. يا من يدور في المعاصي**

فكره وهمه.. يا قليل العقل وقد رق عظمه.. يا قليل العِبَر وقد تيقن أن القبر عمّا قليل يضمه.. كيف نعظ من مات قلبه لا عقله وجسمه..نعم أيها الغالي! لابد من الرحيل طال الزمان أو قصر، سيأتي ذلك اليوم الذي ستودع فيه الحياة، لكن قل لي بالله كيف سيكون الحال عند ساعات الرحيل الذي أخر الناس عن التوبة والصدق والاستعداد للآخرة طول الأمل، ولقد قال الله عنهم: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣].**الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت** كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن:٢٦-٢٧].**الكل سيموت لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] ولأن الله قال: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِينْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ [الأنبياء:٣٤].. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥]. **مات الحبيب الذي كان يقول في آخر لحظات الحياة:** (ألا لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).(البخاري ٤٣٦) **من وصاياه في ساعات احتضاره وفي ساعات وداعه، أنه كان يقول:** (الصلاة وما ملكت أيمانكم). (ابن ماجة ٢٦٩٨) **صعد المنبر آخر ما صعد فقال:** (من أخذت منه مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، من سببت له عرضاً فهذا عرضي فليقتص منه، من ضربت له جسداً فهذا جسدي فليقتص منه؛ إن رجلاً خيره الله بين ما عنده وبين زينة الدنيا فاختار ما عند الله؛ فبكى الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فقالوا: ما الذي يبكي هذا الشيخ الكبير؟!) (البخاري ٣٩٠٤) **لقد علم أنها آخر ساعات الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه..في آخر ساعات احتضاره أخذ يضع يده في ركوة من الماء ويمسح على وجهه، ويقول:** (لا إله إلا الله إن للموت لسكرات.. إن للموت لسكرات. (المعجم الكبير ٧٨). **اللهم هون علي الموت وسكراته.. اللهم هون علي الموت وسكراته..** فلما رأت فاطمة شدة البلاء على أبيها أخذت تقول: واكرب أبتاه.. واكرب أبتاه.. واكرب أبتاه.. فأخذ يقول لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم.. لا كرب يا فاطمة على أبيك بعد اليوم (البخاري ٤٤٦٢)، ثم أخذ يشخص ببصره إلى السماء ويرفع بيده السبابة وهو يناجي ربه ويقول: اللهم اغفر لي.. اللهم ارحمني.. اللهم تب علي.. اللهم الرفيق الأعلى.. اللهم الرفيق الأعلى.. اللهم الرفيق الأعلى). **ثم سكتت الأنفاس الطاهرة، وتوقف القلب الكبير؛ لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **لأن الله قال:** وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِينْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ [الأنبياء:٣٤].. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥]. **فلما فارقت الروح الحياة وسكت ذلك الجسد الطاهر الشريف أخذت فاطمة تقول: واأبتاه.. واأبتاه أجاب رباً دعاه.. واأبتاه أجاب رباً دعاه.. واأبتاه جنة الفردوس مأواه.. واأبتاه إلى جبريل ننعاه.. فلما دُفن، قالت فاطمة لأنس : أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله؟! يقول أنس : فقلت في نفسي: والله ما طابت، ولكننا ألجمناها إلجاماً.مات الحبيب لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت. ثم يموت الصديق رضي الله عنه وأرضاه خليفة**

الحبيب، وفي ساعات احتضاره وكانت ساعات احتضاره بليل.. أخذ يقول لعائشة : في أي يوم نحن؟ قالت: يوم الإثنين. قال: في أي يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يوم الإثنين، ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم مراراً في منامه، سألوه في أيام مرضه: عرضت نفسك على الطبيب؟ قال: نعم قالوا: ماذا قال؟ قال: قال إني فعال لما أريد.. فلما اشتدت عليه السكرات، ورأت عائشة سكرات الموت على أبيها، أخذت تستشهد ببيت تقول فيه:أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاقت بها الصدر **فقال: يا عائش ! لا تقولي ذلك، ولكن قولي**: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق:١٩]. **نعم أيها الغالي!** قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨].أوصى أبو بكر عمر وصية في آخر حياته ليتنا فهمناها، قال: يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل (مصنف ان ابي شيبة ٣٨٢١١).مات الصديق لأن الله قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة الجبروت. ثم يموت الفاروق رضي الله عنه وأرضاه وهو يصلي الفجر، هل لسبب شرعي ضُيعت صلاة الفجر؟! أم بسبب المكوث ساعات وساعات أمام الشاشات والقنوات؟ طعن وهو يقرأ قوله جل في علاه:** إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ [يوسف:٨٦].**نعم أيها الغالي! طعن شهيد المحراب، فلما أفاق كانت أول كلمة قالها: أصلى الناس؟اسمع –يا رعاك الله– أول كلمة تلفظ بها عمر يوم أفاق من غيبوبته، قال: أصلى الناس؟ ثم رأى الدم ينزف منه نزفاً، تيقن أن الموت قد اقترب، كان هناك شغل يشغله وهم يهمه،** قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة أم المؤمنين وقل لها: يقرئك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست أميراً للمؤمنين بعد اليوم..قل لها: يبلّغك عمر السلام ويستأذنك أن يُدفن مع صاحبيه.يريد أن يكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم حتى في الممات. فذهب عبد الله بن عمر وطرق الباب على عائشة وقال لها: يقرئك عمر السلام، ويقول لك: أتأذنين له أن يدفن مع صاحبيه؟فقالت الصديقة بنت الصديق : والله إني كنت أريده لنفسي، ووالله لأوثرن عمر على نفسي..فلما رجع عبد الله بن عمر ورآه عمر قد أقبل، قال: أجلسوني، فقال: ما الخطب يا عبد الله بن عمر ؟قال: أبشر يا أمير المؤمنين فقد رضيت.فتهلل وجه عمر رضي الله عنه وأرضاه.. لأن القضية كانت تشغله وتهمه.ما كان يوصي بمال ولا بعيال ولا بحلال، القضية قضية مرافقة في الدنيا وفي الآخرة.فقال عمر : إن أنا مت فغسلوني وكفنوني ثم احملوني واطرقوا عليها الباب، وقولوا: يستأذن عمر مرة ثانية، فإن أذنت وإلا فخذوني إلى مقابر المسلمين.فلما حانت ساعة الاحتضار وبدأت تتنزل عليه كربات الموت، أخذ عبد الله بن عمر رأسه ووضعه على فخذه، فقال عمر : ضع وجهي على التراب علّ الله أن يرحم عمر ، ليتني خرجت منها كفافاً لا لي ولا علي، وددت أن أمي لم تلدني.. ليتني كنت ورقة تعضد..من هو؟! عمر الصوام القوّام يقول: وددتُ أني خرجتُ منها

كفافاً لا لي ولا علي.مات عمر .. مات عمر لأن الله قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت. ثم يموت عثمان رضي الله عنه وأرضاه، يموت وقد رأى في منامه في تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: تفطر عندنا غداً، فأصبح صائماً رضي الله عنه وأرضاه، تسلقوا عليه البيت وطعنوه وهو يقرأ القرآن، فتدفقت تلك الدماء على لحيته الطاهرة، ثم أخذ يدعوا ويقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.. اللهم اجمع شمل أمة محمد.. اللهم اجمع شمل أمة محمد.عثمان وما أدراك ما عثمان ؟! تلك اللحية التي لطالما تبللت بالدموع من خشية الله، تلك اللحية التي لطالما تبللت بكاء وخشية من الله جلّ في علاه.عثمان الذي إذا ذكرت الجنة والنار يبكي، وإذا ذُكر القبر يبكي بكاءً شديداً، فإذا قيل له: لا تبكي للجنة والنار كبكائك للقبر؟! قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:** (القبر أول منازل الآخرة) (ابن ماجة ٤٢٦٧)**إذا كان الذي فيه هيناً فما بعده أهون، وإن كان الذي فيه شديداً فما بعده أشد.مات عثمان قارئ القرآن الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم:** (ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم) (الحاكم ٤٥٥٣) **عثمان الذي نفس بأمواله كربات المسلمين، عثمان الذي كان أباً للأرامل والفقراء والمساكين. مات لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت.**

وبعد ساعات الفجر تحلو دقائق الاستغفار فخرج علي مستغفراً ربه بعد قيام الليل منطلقاً إلى صلاة الفجر، فيطعن وهو في طريقه إلى المسجد.شتان بين خواتيم وخواتيم، شتان بين من يقتل وهو يسير إلى المسجد، وشتان بين من يسير إلى معصية الله.ثم يوم علم علي أنها النهاية قال: أبقوه، فإن أنا بقيت قتلت أو عفوت، وإن أنا مت فاقتلوه وعجلوه فإني مخاصمه عند ربي جل في علاه؛ ولم يتلفظ بعدها بكلمة إلا قول: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. حتى فارق الحياة.علي المجاهد العنيد والمقاتل الصنديد يموت وهو يسير إلى صلاة الفجر.مات لأن الله قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت. مات أبو هريرة راوي الحديث والمرافق للنبي صلى الله عليه وسلم في روحته وجيئته. ماذا يقول في ساعات الاحتضار؟! يقول:** آه من قلة الزاد وطول الطريق، (حياة الصحابة ١\ ٨٥ تنسب لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه) **راوي الحديث ناقل السنة وناقل العلم الشرعي للأمة، يقول: آه من قلة الزاد وطول الطريق. فماذا يقول المفرطون أمثالنا؟! ماذا يقول المقصرون أمثالنا؟! ماذا يقول المذنبون والمضيّعون؟! مات أبو هريرة لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت.ثم يموت أعلم الأمة بالحلال والحرام** معاذ رضي الله عنه وأرضاه، كانت ساعة احتضاره بليل، فقال لابنه: أصبحنا؟ قال: ليس بعد. ثم سأله مرة ثانية: أصبحنا؟ قال: ليس بعد، ثم سأله مرة ثالثة قال: أصبحنا؟

قال: نعم، قال: أعوذ بالله من ليلة صبيحتها إلى النار.. أعوذ بالله من ليلة صبيحتها إلى النار.. ثم أخذ يدعو ربه ويناجيه ويقول: اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك، وأنا الآن أرجوك، اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك وأنا الآن أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء، ولا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لصيام الهواجر، وقيام الليل، ومجالسة العلماء (حلية الاولياء ١\٢٣٩).**انظر على ماذا يبكون.. انظر على ماذا يتحسرون،**

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنهاإلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

مات لأن الله قال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت.امرأة من الصالحات أُلقي في روعها أنها تموت، فقالت لزوجها: أريد أن أذهب إلى مكة، أريد أن أرى بيت الله جلّ في علاه، ودّعت الصغير والكبير كأنها تودعهم لآخر مرة، طافت وسعت ودعت وتضرعت، ثم في طريق العودة انقلبت السيارة وأصيبت في رأسها إصابة بالغة، فنزل زوجها ومددها على جانب الطريق فإذا هي رافعة إصبعها السبابة تتشهد وتقول: لا إله إلا الله، أقرئ أهلي مني السلام وقل لهم الملتقى الجنة.ماتت لأن الله قال:** إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠] **ولأن الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت. شتان بين موت الصالحين وبين موت أهل السفور وأهل الفجور.شاب من الشباب أعرفه تمام المعرفة، فيه من الحياء شيء قليل لا يكفي لأن يردعه عن الحرام، فكم مررنا على بيت ذلك الشاب والشباب عنده مجتمعون في لهو وضياع للأوقات والأعمار.كنت أمر عليهم في أوقات الصلاة وأقول: يا شباب! لله حق فأدوا حق الله ثم اصنعوا ما تشاءون، عل الله أن يتدارككم برحمته.كانوا لا يستجيبون، ثم جاءت الأخبار أنهم قد نووا السفر إلى بلاد الكفار، حيث يحارب الله بالمعاصي، ذكرناهم.. خوفناهم.. ولكن تمكن منهم الشيطان وزين لهم أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، ذهبوا ورجعوا بعد ثلاثة أيام يحملونه في تابوت، ما الخبر؟ ما القصة؟ ما الخطب؟أكثروا من اللهو والضياع والمعاصي فأصابته نوبة قلبية وخر ميتاً في مكانه، ذهبوا وهم يسيرون جميعاً على الأقدام ورجعوا وهم يحملونه على أكتافهم، هل كان يظن يوم أن سافر أنها آخر سفرة يسافرها في حياته.وقفتُ على قبره.. تذكرتُ الأيام الماضية، وكم ذكرناهم وكم قلنا لهم ولكن لا تحبون الناصحين، كم قلنا لهم وكم وعظناهم، ولكن إنّا لله وإنا إليه راجعون.أهكذا يموت الشباب؟! قلت في نفسي: ما جاء من أرض جهاد حتى نكون به من الفرحين، ما جاء من أرض علاج حتى نكون عليه من المشفقين، ما جاء من أرض يطلب فيها العلم حتى نكون به من المباهين.الكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت. فاتقوا**

الله عباد الله.. اتقوا الله عباد الله فالعمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة.أكثروا من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، أكثروا من مجالس الذكر فإنها تحيي القلوب. فإذا قسا القلب فلابد من الإكثار من ذكر الله، وتذكر الآخرة وتذكر الموت، وتذكر النهاية يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [الحشر:١٨-١٩]**.اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير عملنا خواتيمه، وخير أيامنا يوم نلقاك.اللهم أطل أعمارنا، وأصلح أعمالنا.اللهم امنن علينا بتوبة نصوح قبل الموت، وشهادة عند الموت، ورحمة بعد الموت يا رب العالمين!لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم، بها نحيا وبها نلقى الله.اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله. اللهم هون علينا الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والسؤال وشدته، والقبر وضمته، ويوم القيامة وكرباته.اللهم عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة.اللهم اغفر ذنبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا.اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ذات بيننا، وانصرنا يا قوي يا عزيز! على القوم الكافرين.أستغفر الله العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

***

من حال إلى حال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين، ويكشف كرب المكروبين، ويقضي الدين عن المدينين، وأن يدل الحيارى، ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين.أيها المسلمون: ليس الهدف من مثل هذه الاجتماعات هو ضياع الأوقات، ولا التسلية، وإنما الهدف منها هو التعاون على البر والتقوى، وأن يقال لنا حين نقوم من هذا المجلس: (قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات). (مصنف ابن ابي شيبة ٣٠٠٩١) **والهدف منها أن الصالح يزداد في صلاحه، وأن الضال يصحح مساره وينتبه لنفسه قبل أن تزل الأقدام، وقبل أن يطلب الرجوع إلى الحياة فلا يستجاب له.إن الهدف من هذا اللقاء هو كيف ننجو جميعاً من عذاب الله، وكيف نفوز بجناته جنات النعيم، والهدف أن نسلك جميعاً طريق الهداية وطريق الاستقامة الذي جعله الله صراطاً مستقيماً، ولو كان منحرفاً يمنةً أو يسرةً لكان في سلوكه صعوبة، لكن من فضل الله علينا وعلى الناس أن جعل الصراط مستقيماً، يقول ابن مسعود** : (خط لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً، وخط على جوانبه خطوطاً، وقال: هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وهذا صراط الله مستقيماً، ثم قرأ قوله جل في علاه: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام:١٥٣])، (النسائي الكبرى ١١١١٠) **فالعمر فرصة إما أن يستغل في الطاعات، وإما أن يستغل في المعاصي والمنكرات، فالإنسان يعيش عمراً واحداً، وهو مطالب أن يستغل هذه الساعات والدقائق واللحظات فيما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، والإنسان العاقل هو الذي يعرف قيمة الوقت، ويعرف قيمة الحياة.هذه مقدمة بين يدي الآيات والأحاديث النبويات والقصص التي أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يترك بها أثراً علي وعلى كل من يسمعها.إن مرحله الشباب مرحلة مهمة من مراحل العمر، وما يكون بعد الشباب من العمر إنما ينبني على الشباب، فهي أهم مرحلة من مراحل العمر، ولعلك تلاحظ هذا في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم:** (أنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن العمر إجمالاً، ثم يسأل عن الشباب خاصة)، **فليس الشباب قطعة من العمر؟ بلى هو قطعة من العمر، إذاً: فلماذا السؤال عن مرحلة الشباب خاصة دون غيرها؟ والجواب: لأنها أحلى مراحل العمر وأقواها، ويستطيع الشاب في فترة شبابه أن يعطي مالا يستطيع أن يعطيه في فترات قادمة، ولا في فترات ماضية، إن الكوكبة التي كانت حول النبي صلى الله عليه**

وسلم هم الشباب، وما قام هذا الدين إلا على أكتاف الشباب، وما استطاعت هذه الأمة أن تسود الأرض، وأن تغير معالم الأرض إلا بعمل الشباب وهممهم، لكن أي شباب نعني؟ إننا نعني الشباب الذي تربى على القرآن، الشباب الذي تربى على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، الشباب الذي اختار قدوته محمداً عليه صلوات ربي وسلامه وأصحابه، اختار أولئك الرجال وسار على دربهم، يقول الناظم:

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السلاح وصناعة الأبطال علم قد دراه أولو الصلاح

من لم يلقن أصلهمن أهله فقد النجاح لا يُصنع الأبطال إلافي مساجدنا الفساح

في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصـ حاح شعب بغير عقيدة ورق تذريه الرياح

من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح

ففي هذه الأماكن المباركة يصنع الأبطال والرجال، فالعمر فرصة، وكل يوم يمضي يقربنا من النهاية، و(الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).(الترمذي ٢٤٥٩) يقول الحسن البصري : **إن أقواماً غرتهم الحياة الدنيا فخرجوا منها بلا رصيد من الحسنات، يقولون: إننا نحسن الظن بالله، قال: كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.قال الله:** نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ [الحجر:٤٩-٥٠]، **إن سبب صلاح الشباب هم الشباب أنفسهم، وسبب ضياع الشباب هم الشباب أنفسهم. قال الله:** وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:٢٧-٢٩]، **فالصحبة لها دور كبير في استقامة الشاب وصلاحه وهدايته، فما مررنا على سجن من السجون، أو إصلاحية من الإصلاحيات، وتكلمنا عن الشباب وعن سبب مآسيهم إلا ذُكر لنا أن سبب الضياع الذي يعيشه الشباب هم الشباب أنفسهم، فكم زين شاب لشاب المعصية، فلما زلت الأقدام قال: إني بريء منك، وكم تخلى صاحب عن صاحبه بعد أن وقع الفأس على الرأس. إن أحوج ما يحتاجه الشباب اليوم هي الصحبة والرفقة الصالحة التي تعينهم على الخير إذا فعلوه، وتذكرهم به إذا نسوه.**

شاء الله في علاه أن نجتمع بإنسان في منطقة عمل، وهو ينتمي إلى تيار وأنا أنتمي إلى تيار آخر، فليس هناك أي نقطة توافق بيني وبينه، فإما أن يؤثر علي وإما أن أؤثر عليه، لكن دائماً الحق يعلو ولا يعلى عليه، والمفترض أن صاحب الاستقامة هو الذي يؤثر ولا يؤثر عليه الآخرون، فهو من جدة وأنا من الظهران، ونعمل في نفس العمل في منطقة جيزان، فأمرنا أنا وهو بالاجتماع هناك حتى نؤدي هذا العمل، فاجتمعت به ومنظري يختلف عن منظره، وتوجهاته تختلف تماماً عن توجهاتي، وأفكاره تختلف تماماً عن أفكاري، فقلت في نفسي: كيف ستكون هذه المدة مع هذا

الشاب؟ وقال هو في نفسه: ثلاثة أشهر فترة عمل مع هذا، لا أدري كيف ستمر الأيام وتنقضي! فقد جمعنا مكتب واحد، ومكان نوم واحد، وسيارة واحدة نذهب ونجيء معاً. وكنت لا أقبل بالصلاة إلا في المسجد، وتجد في بعض المؤسسات يجعلون غرفة مصلى تقام فيها الصلاة، مع أن المسجد قريب منهم، فإذا لم يتعود الإنسان أن يحث الخطا إلى المساجد فما قيمة هذه الأقدام؟!وإن لم تتعود أن تخطو وتسير إلى المسجد في الجمعة والجماعات فما قيمة هذه الأقدام؟! وأول صلاة حضرت وأنا وإياه في المكتب قلت له: هيا نصلي، قال: الغرفة قريبة، قلت: لا، أنا لا أصلي في الغرف، أنا لا أصلي إلا في المسجد، قال: كلهم يصلون في الغرفة، قلت: أنا لا أصلي إلا في المسجد، فإن المسجد لا يبعد أكثر من مائة متر أو مائتي متر، فكيف نستثقل الخطا إلى المساجد؟! إنك ما خطوت لله خطوة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة، وستعرف هذا يوم توضع الموازين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة)، **فأجر الخطوات إلى الطاعات لا يضيع أبداً،** فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ [آل عمران:١٩٥].**فسبحان الله! بدأ هذا الشباب يخطو معي إلى المسجد في كل صلاة، وبدأ يتعود على الذهاب إلى المسجد، ولأنه يسكن معي في غرفة واحدة فهو مضطر إلى أن يقوم لصلاة الفجر، وسبحان الله ما أثقل صلاة الفجر عليه! فقد كان يستغرق وقتاً طويلاً حتى ينتبه من رقدته وغفلته، فكم هي ثقيلة الطاعات على ضعاف الإيمان، وكم هي سهلة على من سهلها الله عليه، فبدأ يتعود على الاستيقاظ لصلاة الفجر، وبدأ يتعود على الذهاب إلى المسجد، وبدأت حياته تتغير، وقد كان صاحبي على موعد مع حياة جديدة بدايتها انطلاقة من المسجد.وهكذا ينطلق الشباب مع الهداية من المساجد، واعلم أن أي هداية ليس مبناها المسجد فليست بهداية حقيقية، وأي هداية لا تربطك ببيت الله فليست بهداية حقيقية:لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح وقد كنا في شهر شوال بعد رمضان، ومن هديه صلى الله عليه وسلم أن يتبع رمضان بست من شوال،** (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر)،(مسلم ١١٦٤) **فهذه الطاعة أيام معدودة: ستة أيام، والبعض قد يصوم شهراً كاملاً ثم يستثقل هذه الأيام الستة، وقد كنا في أحد المكاتب فقال قائل في ذلك المكتب: اليوم تفطرون معنا، فقلت: لم نبدأ الصيام بعد.وسنبدؤه غداً، فقال صاحبي: صيام أيضاً! ذهاب إلى المسجد، واستيقاظ لصلاة الفجر، والآن تريد أن تلزمنا بالصيام أيضاً! قلت: وما الذي يؤخرك عن الصيام؟ أما صمت رمضان؟ قال: بلى، قلت: إذاً ما الذي يمنعك أن تنال مثل هذا الأجر،** لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ [التوبة:٤٢].**فسبحان الله نستثقل أمور الطاعات ولا نستثقل أمور الدنيا! متى سنعرف أننا لم**

نعط العمر إلا لنصرفه في الطاعات والقربات، والتقرب من الله رب الأرض والسماوات.فبدأنا الصيام من اليوم الثاني، ولك أن تتخيل منظر صاحبي وهو يستيقظ قبيل الفجر بنصف ساعة حتى يشرب كأساً من الحليب، ويأكل شيئاً من الطعام؛ استعداداً للصيام!فبدأ صاحبي يتعود على إقامة الصلاة، وعلى التقرب إلى الله بالقربات: من صيام، وقراءة قرآن، فأتممنا من الصيام خمسة أيام، ثم جاءتنا مهمة عمل إلى جدة، فاضطررنا إلى السفر وقطعنا الصيام، فتبقّى علينا صيام يوم واحد، فقلت: نصومه إن شاء الله إذا رجعنا من السفر، فمكثنا في جدة ما شاء الله أن نمكث، ثم رجعنا فإذا بصاحبي يذكرني، ويقول: يا شيخ! باقي علينا صيام يوم، فقلت: سبحان الله! الذهاب إلى المسجد، والذهاب إلى الطاعات، والانشغال بالقربات غيرت من حياة صاحبي، وهذا ما يحتاجه الشباب اليوم، إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ [الرعد:١١]**.وفي تلك المنطقة ارتبطنا بكلمات ودروس ومحاضرات، فبدأ صاحبي يقول لي: إذا ذهبت إلى المساجد بعد نهاية الدوام للكلمات وللقاء الشباب فإني سأرافقك، فقلت: أبشر بالذي يسرك، والله! لن أخطو خطوة إلّا وأنت معي.كنا ننتهي من الدوام، وأحضر ثيابي معي، وأغير في مكان العمل، ثم ننطلق إلى أقرب مكان يكون لنا فيه ارتباط، فبدأ صاحبي يخالط الأخيار والصالحين، فرأى منظرهم يختلف، ورأى أن كلامهم يختلف ورأى أن سيماهم تختلف عن الآخرين، فكلامهم ومظهرهم كله مرتبط بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال:** (كل أمتي يدخلون الجنة إلّا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)،(البخاري ٧٢٨٠) **فكم هي الأوامر التي تخالف اليوم، وكم هي السنن التي تهمل في حياة الناس اليوم،** وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ [النور:١٥]**.ومع الوقت قال لي صاحبي: أنا أريد أيضاً أن أجهز نفسي قبل الذهاب إلى الكلمات والدروس والمحاضرات، فألبس ثياباً نظيفة، وأريد أن أتعطر وأتطيب حتى أخالط الآخرين، فقلت: لك ما تريد، فصار يحضر ثيابه، ثم نغير ونبدل وننطلق إلى أقرب مكان يكون لنا فيه ارتباط، وكان ذلك في قرية من القرى، وكان الارتباط عندنا من صلاة المغرب حتى صلاة العشاء، ثم أصروا عليّ وقدموني لصلاة العشاء، وعندما كنت أسوي الصفوف إذا بصاحبي في ميمنة الصف يخط ثوبه في الأرض شبراً، ورأيته يكبكب ثوبه ويرفعه إلى ركبته، فلما انتهينا وانطلقت أنا وإياه راجعين إلى مكان إقامتنا قال لي بصريح العبارة: يا شيخ! ثيابي تفشل، هكذا بالحرف الواحد، قلت: غيرِّ، من الذي يحول بينك وبين التغيير، فغير صاحبي ثيابه، وغير نمط الحياة رأساً على عقب. وبعد أيام وجدته يحمل في جيبه مشطاً صغيراً، وكل يوم يمشط لحيته المكونة من شعيرات صغيرة لا تكاد تظهر، فقلت له: لماذا هذا المشط؟ قال: أريد أن تكون لي لحية أحسن من لحيتك، وكان يسألني: ماذا يقولون في دعاء الاستفتاح؟ وماذا يقولون في السجود؟ وماذا يقولون في الركوع؟سبحان الله! عمره**

على وشك الثلاثين ولا يعرف من الدين شيئاً، وهكذا كثير من الناس يعيشون ولا يعرفون من دينهم شيئاً، فأخذ صاحبي يتعلم كل يوم أموراً جديدة تحيي قلبه، وتغير في حياته، وبعد كل صلاة يخرج الناس من المسجد وهو يجلس في مصلاه، فيفتح حصن المسلم الذي فيه أذكار الصلاة، وأذكار المساء، وأذكار الصباح، وأذكار النوم، وبدأ صاحبي يتعلم كيف يكون الاتصال بالله جل في علاه، فالله يقول: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]، ويقول: أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد:٢٨]، **فبدأت حياة صاحبي تتغير رأساً على عقب، وبدأ صاحبي حياة جديدة شعارها العودة إلى الله، شعارها هداية واستقامة ودعاء وتضرع إلى الله، وسؤال الثبات على هذه الاستقامة، فقد جمعتنا غرفة واحدة، فكم من ليلة استيقظ في ساعات الليل الأخيرة فأجده فارشاً سجادته وصافاً قدميه بين يدي الله، لقد جرب صاحبي طعم الطاعة، وقد سألته بعد حين وقلت له: كيف كنت تعيش؟ قال: والله لقد كنا أمواتاً فأحيانا الله، وإن الحياة من قبل لا قيمة لها ولا طعم ولا لون، فقد كنا كالأنعام بل كنا أضل.وقال: إن عمله كان يبدأ من الساعة السادسة صباحاً حتى الثانية ظهراً، ثم يرجع فيأكل ثم ينام بلا صلاة ولا طاعات ولا واجبات، فينام حتى الحادية عشر أو الثانية عشر ليلاً، فيفوت صلاة العصر والمغرب والعشاء، ثم يمكث الساعات الطوال أمام الشاشات والقنوات حتى يحين موعد العمل، ثم يذهب إلى العمل، فأي حياة هذه؟ وما قيمة الحياة بهذه الصورة؟!** أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان:٤٣-٤٤]، **فلما استقام صاحبي تغيرت حياته، وصار ملازماً للمسجد مع صفوف المصلين، وتغيرت حياة صاحبي يوم بدل الأغنية بالقرآن، وتغيرت حياة صاحبي لما بدل الرفقة السيئة بمصاحبة الأخيار، فأصبح مثلاً يضرب في تلك البلاد، فوالله إنه من شدة حيائه وخوفه صار مضرباً للمثل هناك، فما يتناقل الناس في تلك المنطقة إلا أخبار فلان، فقد كان ميتاً وإن كان يشرب ويأكل ويروح ويغدو مع الناس، لكن الناس بلا هداية كالأموات، فالذي يعيش بلا هداية ميت لا قيمة له، كما قال الله:** أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا [الأنعام:١٢٢]، **فشتان يا إخوان! بين أصحاب الجنة وبين أصحاب النيران، أيستوي الأعمى والبصير؟ أتستوي الظلمات والنور؟ أيستوي الأحياء والأموات؟ لا يستوون.أحبتي! إن نعمة العقل نعمة عظيمة يمتلكها كل إنسان، ولا يستعملها إلا القليل، أما يعرف الإنسان ما يضره وما ينفعه؟!**

أما آن عما أنت فيه متاب وهل لك من بعد الغياب إياب تقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترجوه وهو سراب
فلم يبق للراجي سلامة دينه سوى عزلة فيها الجليس كتاب كتاب حوى كل العلوم وكل ما حواه من العلم الشريف صواب
وفيه الدوا من كل داء فثق به فوالله ما عنه ينوب كتابُ

فانطلق صاحبي يحفظ القرآن، ويحفظ الأحاديث الصحاح، وهذا بعد أن كان يمضي الساعات الطوال أمام الشاشات والقنوات فيما قال لي، فقلت له: كيف كنت تخطط الأوقات؟ قال: أحضرت معي جهاز فيديو وخمسين شريطاً، فكنت أقضي الساعات وأنا أشاهد هذه الأفلام، قلت: أين الفيديو؟ قال: بعته، قلت: وأين الأشرطة؟ قال: كسرتها، وهذا من صدق توبته، فالصادق في توبته يتخلص من آثار المعصية، وإخوانكم في هذا المخيم يجمعون أشرطة الشر ويستبدلونها بأشرطة الخير، فاحمد الله تعالى أنك تجد من يعينك على الطاعة، فهذا فضل من الله جل في علاه أن هيأ لك من يقوم بمثل هذه المخيمات، ويبذلون من أوقاتهم ومن أموالهم الشيء الكثير، لماذا هذا؟ وماذا يريدون مني ومنك؟ وما المقصد من هذا الاجتماع؟ إن المقصد من ذلك أن نسير أنا وأنت على طريق الاستقامة، ولن نلتقي هنا إلا لكي يكون ملتقانا الجنة، فقد تكون هذه أول وآخر مرة تراني فيها، لكن اللقاء هناك في جنات النعيم، أسأل الله أن يجمعني وإياكم في دار كرامته. اخترنا لكم قصصاً وآيات وأحاديث وأخباراً من أخبار أولئك الذين اشتاقت نفوسهم إلى ما عند الله، أولئك الذين يسيرون في الأرض ويرددون قوله جل في علاه: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ [الذاريات:٢٢]، **فهم سماويون لا أرضيون ولا دُنيويون ولا طينيون، يمشون في الأرض وقلوبهم معلقة في السماء، قال الله عنهم:** وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا [الفرقان:٦٣-٦٥]، **فهذا ليل ونهار عباد الرحمن الذين يريدون أن يفوزوا بجنات الرحمن، فاسمع إلى أخبار المشتاقين إلى جنات النعيم ثم قل أين نحن من هؤلاء.ففي مجلس من مجالس الذكر والقرآن وهو مجلس عبد الواحد بن زياد يقول عبد الواحد : كنا نتذاكر فضل الشهادة في سبيل الله، وفضل الشهداء، والدرجة الرفيعة التي أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وقد جاء في الحديث:** (إن للشهداء في سبيل الله مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض)،(مسلم ١٨٨٤) **فتأمل هذا الفضل العظيم الذي هو صفقة بينه جل جلاله وبين عباده الصالحين، فقد اشترى منهم الأنفس والأموال على أن يكون الثمن هو الجنة، فهذا وعد سابق، وعهد صادق،** وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة:١١١]، **ففي مجلس عبد الواحد بن زياد قال: كنا نتذاكر الشهادة في سبيل الله، وفضل الشهداء والمجاهدين، ثم قرأ قارئ في المجلس:** إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة:١١١]، **فقام غلام في السادسة عشرة من عمره فقال: يا عبد الواحد ! آلله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؟ قلت: نعم يا صغيري! وكان يتيماً ورث عن أبوية مالاً كثيراً، قال: فإني أشهدك يا عبد الواحد ! أني بعت نفسي ومالي لله على أن يكون الثمن الجنة،**

فمع أن هذا الغلام في السادسة عشرة من عمره إلَّا أن أفعاله أفعال الرجال، وأما اليوم فابن السادسة عشرة والثامنة عشرة يقال عنه: مراهق، وفي السابق لم يكونوا يعرفون هذه المصطلحات التي لا تمت إلى الإسلام لا من قريب ولا من بعيد، فمن كان في هذه السن فهو شاب مكلف لا بد أن يقوم بالطاعات، وأن يترك النواهي والمحرمات، فقام الصغير وقال: يا عبد الواحد ! آلله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؟ قلت: نعم يا صغيري! قال: فإني أشهدك أني بعت نفسي ومالي لله على أن يكون الثمن الجنة، قلت: يا صغيري! أخاف حين تسمع صليل السيوف، ورمي السهام والرماح أن تفر، قال: بئس حامل القرآن أنا إذا فررت من الموت في سبيل الله، يقول عبد الواحد : فلما كان الصباح كان أول من أتى إلي يحمل ماله كله معه، فقال: يا عبد الواحد ! هذا مالي كله جهَّز به المجاهدين في سبيل الله، وجهَّز نفسه، وأعد عدته وخرج مع من خرج، يقول عبد الواحد : لقد رأيت منه العجب العجاب، لقد كان قواماً بالليل، صواماً بالنهار، وكان في خدمتنا، فيوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعطي هذا، وفي خدمة هذا، فقلت: سبحان الله! على ماذا تربى هذا اليتيم؟ إن الذي تربى عليه هذا اليتيم هو القرآن، فهو الذي صنع هذا الشاب الصغير، وصنع قبله أقواماً، وسيصنع القرآن بعده أجيالاً وأجيالاً، إنه القرآن المنزل من عند الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ فأثر القرآن سيظل باقٍ في هذه الأمة شاء أعدائها أم أبوا، فكلما ظنوا أنهم قد استأصلوا شأفة هذا الدين رددت الأمة آيات القرآن، فرجعت فيها الروح أقوى مما كانت، ولم يتعرض دين من الأديان لمؤامرات بالليل والنهار كما تعرض لها هذا الدين، ومع هذا بقي هذا الدين شامخاً عزيزاً؛ لأن الله تكفل بحفظه، قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:٩]، فاستعد الشاب وخرج، فلما صفت الصفوف رأيت فارساً مغواراً، ومجاهداً صنديداً، ومقاتلاً عنيداً، وما توقعت أن هذا يخرج من هذا الغلام الصغير، وكل يوم والمعركة تزداد، وهو في كرّ وفرّ، فتراه في الميمنة وتراه في الميسرة، ويتحمل أعباء كثيرة لا يتحملها إلا صناديد الرجال وعمره ست عشرة سنة، يقول عبد الواحد : وفي يوم زاد علينا أذى الكفار، واجتمعت علينا صفوف كثيرة، وعند الظهيرة توقف القتال وأخذتنا إغفاءه واستراحة كما يستريح المحارب، يقول: فأغفى غلامي إغفاءة ثم استيقظ وهو يقول: واشوقاه للعيناء المرضية! فقال أصحابي: وسوس الغلام، قلت: ما بك يا صغيري! قال: يا عبد الواحد ! رأيت رؤيا فاكتمها عليّ حتى ألقى الله، قلت: وماذا رأيت يا صغيري؟ قال: رأيت أني في روضة من رياض الجنة وفيها من الحور العين ما الله به عليم، فإذا هن يشرن إلي ويقلن: هذا زوج العيناء المرضية، قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: انطلق انطلق، فانطلقت حتى إذا أتيت على نهر من ماء غير آسن عليه من الحور العين ما نسّاني ما خلفت ورائي، فإذا هن يشرن إلي ويقلن هذا زوج العيناء المرضية هذا زوج

العيناء المرضية، قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: انطلق انطلق، فانطلقت أمامي حتى أتيت على نهر من لبن لم يتغير طعمه، فإذا على جوانبه من الحور العين ما نسّاني ما خلفت، فإذا هن يشرن إلي ويقلن: هذا زوج العيناء المرضية، هذا زوج العيناء المرضية، قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: انطلق انطلق، فانطلقت أمامي حتى إذا أتيت على نهر من خمر لذة للشاربين فإذا عليه من الحور العين ما نساني ما خلفت، فإذا هن يشرن إلي ويقلن: هذا زوج العيناء المرضية، هذا زوج العيناء المرضية قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: انطلق، انطلق فانطلقت حتى إذا أتيت على نهر من عسل مصفى، فإذا عليه من الحور العين ما أنساني ما خلفت ورائي، فإذا هن يشرن إلي ويقلن: هذا زوج العيناء المرضية، هذا زوج العيناء المرضية، قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: انطلق أمامك، فانطلقت أمامي فأتيت على خيمة من لؤلؤ مجوفة مرتفعة في عنان السماء، فإذا على بابها من الحور العين ما نساني ما خلفت، فإذا هن يشرن إلي ويقلن: هذا زوج العيناء المرضية، قلت: أين هي العيناء المرضية؟ قالوا: هي في الداخل بانتظارك، فدخلت فرأيت ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، رأيت تلك التي نصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ورأيت تلك التي لو ضحكت لغطى نور وجهها نور الشمس والقمر، رأيت تلك التي لو بصقت في بحر لجي لأصبح عذباً فراتاً، ورأيت تلك التي أنستني ما خلفت ورائي، فأردت أن أضمها فقالت: انتظر يا حبيبي! أنت فيك روح الحياة، تفطر عندنا اليوم! وقدكان صائماً رحمه الله في أرض القتال، فتجدهم في أرض المعركة في صوم وتقرب إلى الله بالطاعات، قال: ثم أفقت يا عبد الواحد ! فواشوقاه للعيناء المرضية! اكتم رؤياي يا عبد الواحد ! حتى ألقى الله، يقول عبد الواحد : فما هي إلا لحظات حتى ظهرت سرية من الكفار فانطلق إليها الغلام يصول يمنة ويسرة فقتل منهم تسعة وكان هو العاشر، فجئته فإذا هو يتشحط في دمه وعلى وجهه ابتسامة، وهو يقول: أهلاً بالعيناء المرضية، أهلاً بالعيناء المرضية. فعلى ماذا تربى هذا الغلام؟ لقد تربى على كلام الرحمن، وتربى على تلك الآيات التي تربي الأنفس وتمنيها بما عند الله جل في علاه: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ *كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ [الدخان: ٥١-٥٩]، **فجنات الرحمن تحتاج إلى فئة صادقة مؤمنة لم تغرها الحياة الدنيا، بل تريد ما عند الله جل في علاه، فهذه هي أخبارهم، فما هي أخبار الشباب اليوم؟! فهم كانوا يبيتون سجداً وقياماً، فعلى ماذا يبيت الشباب اليوم؟! وهم تغنوا بالقرآن الكريم، فبماذا يتغنى الشباب اليوم؟! وهم ملئوا الآذان بآيات الرحمن فبماذا ملأ الشباب الآذان اليوم؟ وهم كانت**

أمنيتهم واحدة وهي: أن ينالوا رضا الله وجنات النعيم، فما هي أمنيات الشباب اليوم؟! إن سبب صلاح الشباب هم الشباب أنفسهم، وإن سبب ضياع الشباب اليوم هم الشباب أنفسهم، فاخترنا لكم قصصاً من الماضي وقصصاً من الحاضر، وهذه القصص مطعمات بآيات لو تنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. فمن

هذه القصص: أن جماعة كانوا على ضلالة، وكانوا يتعاونون على الإثم والعدوان، وينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر، حتى منَّ الله على واحد منهم بالاستقامة، فاستقام وصلح حاله، فأراد لصاحبيه الهداية والاستقامة، فاجتهد عليهما حتى هدى الله الثاني، ثم الثالث، فبعد أن كانوا مفاتيح شر أصبحوا مفاتيحاً للخير، وتعاهدوا فيما بينهم أن يعوضوا الأيام الماضية في المعاصي والمنكرات، وأن يستغلوا ما بقي من العمر في الطاعات والقربات، فاتفقوا فيما بينهم أن يجتمعوا كل يوم قبيل الفجر بساعة حين يتنزل الرحمن نزولاً يليق بجلاله، فينادي: هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ [الأنبياء:١-٢]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:١-٢]، فالله تعالى يعطي الفرص مرات ومرات، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فقد كان الثلاثة مجتمعين على المعاصي، ثم بدل الله حالهم واجتمعوا على الطاعات، وقرروا فيما بينهم أن يجتمعوا كل يوم قبيل الفجر بساعة ثم ينطلقون إلى مسجد من المساجد، فيصلون فيه إما فراداً وإما جماعة ما شاء الله أن يصلوا، واستمروا على هذه الحال مدة طويلة، وفي يوم من الأيام تأخر الذي كان عليه الدور أن يمر على الشباب حتى لم يبق على صلاة الفجر إلا نصف ساعة، فلما جاءهم وقفت بجانبهم سيارة تكاد تنفجر من صوت الموسيقى والألحان، وما كأن هذا الوقت ساعة مباركة وساعة استجابة، فأشار إليه الأول فلم يستجب لهم، وأشار إليه الثاني فلم يعطهم بالاً، وأشار إليه الثالث فلم يلتفت إليهم، فانطلق بسرعة حين انطلقت الإشارة، فقالوا فيما بينهم: ما رأيكم لو نسعى في هداية هذا الشاب؟ فننطلق خلفه عل الله يكتب هدايته في هذه الليلة المباركة؟ فأخذوا يلحون على الله بالدعاء أن يهدي هذا الشاب، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)، وأي نعمه أعظم من نعمة الهداية والاستقامة، فانطلقوا خلفه، وبدءوا يشيرون إليه بالأنوار العالية عله يتوقف، فظن صاحبنا أن القضية عراك، وظن أنها قصة تحدٍ في ساعات الليل الأخيرة، فتوقف متحدياً، ونزل من السيارة، وكان شاباً طويل القامة، عريض المنكبين، مفتول العضلات، فقال: ماذا تريدون؟! فابتسموا في وجهه وقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: من أراد العراك لا يبدأ بالسلام، وهؤلاء لا يريدون العراك،

قال: ماذا تريدون؟ قالوا: أما تعلم في أي ساعة أنت الآن؟ الساعة الآن قبيل الفجر، وهي ساعة السحر، وهي من أعظم الساعات، ولا يرد الله فيها الدعاء، أما عندك حاجة تطلب الله إياها الآن؟ قال: أما تعرفون من أنا؟ أظنكم لا تعرفوني! قالوا: من أنت؟ قال: أنا حسان الذي لم تخلق النار إلا لي! قالوا: اتق الله، فإن باب الرحمة واسع، والرحمن يقبل من أتاه، (من أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً) **.فبدءوا يذكرونه بواسع رحمة الله، وأن الله يقول:** وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢]، **ويقول في الحديث القدسي:** (يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني ولا رجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم ! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم ! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي)، وهو الذي يقول: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الفرقان:٧٠]، **فالله بابه مفتوح بالليل والنهار، وهو الذي يقبل توبة التائبين، ويغفر ذنوب المذنبين فارتم ببابه، واسأله الرحمة، فأخذ حسان يبكي ويقول: أيقبلني بعد أن أذنبت وفعلت كذا وكذا وكذا؟! فلم يبق باب من أبواب المعاصي إلا دخلته، ولم تبق مصيبة من المصائب إلا ارتكبتها ثم هو يقبلني؟! قالوا: نعم، ويبدل السيئات حسنات، قال: أنا الآن سكران، وأنا الآن على معصية، فاحتضنوه وأخذوه إلى أقرب دار لهم، فاغتسل حسان، وتطيب وتعطر، ولبس أحسن الثياب، ثم انطلق معهم ليشهد أول صلاة منذ سنوات مضت، يقول لهم: لي سنوات لم أعرف لله أمراً ولا نهياً، وسنوات لم أركع لله فيها ركعة واحدة، فاغتسل وتطيب ودخل المسجد، وقد كان حسان على موعد مع الهداية، فانطلق الإمام يقرأ:** وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا [الإسراء:٧٨]، **فأخذ الإمام يقرأ بصوت حنون، ويردد تلك الآيات، ويرغب الناس فيما عند الله جل في علاه، ويبشرهم بجنات النعيم، ثم قرأ الإمام أرجى آية في كتاب الله:** قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا [الزمر:٥٣]، **فما إن قرأها الإمام حتى ارتفع الصياح في المسجد، وامتلأت أركانه نحيباً وشهيقاً وبكاءً عالياً، والإمام يقرأ وحسان يزيد في البكاء، فلما انتهى الإمام من صلاته التف حوله المصلون يهنئونه بالتوبة والرجعة والعودة إلى الله، فحسان الذي كان يقول: ما خلقت النار إلا لي كان على موعد مع الهداية، وكان ذلك على يد هؤلاء الشباب، فالشباب هم سبب صلاح الشباب، والشباب هم سبب ضياع الشباب.وبدأ حسان يحكي مأساته: فعلت كذا وفعلت كذا، ولي أب وأم كبيران في السن لم أرهما منذ شهور طويلة، وهما بحاجة إلى أن أكون بجانبهما، فأريد أن أرى أبي، وهو يصلي في المسجد الفلاني، ويمكث في ذلك المسجد حتى شروق الشمس، فانطلقوا به إلى ذلك المكان، فوصلوا وقد أشرقت الشمس وارتفعت، فإذا بشيخ كبير خارج من المسجد، فقال: هذا**

أبي، هذا أبي، ضعف بصره، وانحنى ظهره، وخطواته متثاقلة، وكم هو هذا الأب بحاجة إلى مثل هذا المفتول العضلات؛ حتى يكون في خدمته ورعايته، فجاءوا فسلموا عليه، وقالوا: معنا حسان ، فما أن سمع الأب اسم حسان حتى قال: حسان؟! الله يحرق وجهك بالنار يا حسان ! عذبك الله كما عذبتني يا حسان !، فأخذ حسان يبكي وارتمى على الأرض، فقالوا لأبيه: إن حسان قد جاءك تائباً منيباً راجعاً إلى الله، قال الأب: حسان يتوب؟! قالوا: نعم، وقد صلى الفجر في جماعة، وغير الحياة وبدل، وانظم إلى قافلة التائبين والعائدين إلى الله، فأخذ الأب يبكي واحتضن ابنه باكياً وفرحاً بتوبة حسان وعودته إلى ربه جل في علاه، والتف الثلاثة من حولهما يبكون فرحاً بتوبة حسان ، وأصبح منظرهما في الشارع مؤثراً، شيخ كبير يحتضن مفتول العضلات ويبكي على هدايته.ثم انطلقوا إلى المرأة العجوز وأخبروها فأخذت تبكي بكاءً شديداً فرحاً بتوبة حسان ، أقول: لله أفرح بتوبة حسان مع أن الله تعالى لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، (يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيها لكم يوم القيامة، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا نفسه).**فانطلق حسان مع التائبين، وأقبل على بيوت الله يتربى في المساجد وفي حلقات القرآن حتى تغير حاله رأساً على عقب، فحسان الذي كان يقول: ما خلقت النار إلا لي صار حاله في كل يوم يتبدل، فصار يقبل على الله أكثر من الأيام الماضية، حتى قال في نفسه يوماً: إن عليه من الذنوب والمعاصي ما الله به عليم، ولا يكفر هذا إلا أن أسيل كل قطرة من قطرات دمي رخيصة في سبيل الله، ولا يكفر هذا إلا أن أقدم النفس رخيصة من أجل الذي أعطاني كل شيء، فجاء إلى الأب الشيخ الكبير وقال له: يا أبي! أنا أريد أن أنطلق إلى ساحات الجهاد، وأريد أرفع كلمة الله، وأريد أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وأريد أن أبذل كل قطرة من قطرات دمي في سبيل الله، قال الأب: يا حسان ! لقد فرحنا بعودتك وباستقامتك وتريد أن تحرمنا الآن منك! قال: يا أبي! إن كنتم تحبوني فلا تحولوا بيني وبين الموت والشهادة في سبيل الله، فقال الشيخ الكبير: لك ما أردت إذا وافقت العجوز، فانطلق إليها مقبلاً رأسها وقدميها وقال: أماه! ائذني لي أن أنطلق إلى أرض الجهاد، فإن علي من الذنوب ما لا يكفره إلا أن تسيل كل قطرة من قطرات دمي رخيصة في سبيل الله، فقالت الأم: يا حسان ! لقد فرحنا بك وبعودتك واستقامتك أفتتركنا الآن وترحل؟! قال: أماه! إن كنتم تحبوني فدعوني أنطلق، دعوني أنطلق، قالت بشرط: على أن تكون شفيعاً لنا عند الله يوم القيامة.فعلى ماذا تربي الأمهات الأبناء اليوم؟ هل تربيهم على حب الله ورسوله؟ وهل تربيهم على**

بذل كل غالٍ ونفيس لأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى؟! فالله المستعان.فانطلق حسان إلى ساحات القتال والجهاد، وإلى ساحات العزة والكرامة والشرف، وهناك يشعر المؤمن بعزة الإسلام، فالجهاد هو الذي يبدل حال هذه الأمة من ذل إلى عز، ومن ضعف إلى قوة، قال (ابن كثير ٤\٣٥) في قوله جل في علاه: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:٢٤] قال: هو الجهاد الذي يحيي هذه الأمة، **ولن يحييها إلا أن تعد نفسها وتبذلها من أجل مرضاة الله، وفي أيام وأشهر قليلة تعلم حسان فنون القتال، فتعلم وأعد نفسه حتى يكون جندياً من جنود الله، وما هي إلا أشهر حتى كان حسان في الاقتحامات وفي المواجهات، ويقولون عنه: ذاك الشجاع المقدام، المفتول العضلات، الطويل القامة، لقد رأينا منه العجب العجاب من صيام وقيام وخدمة، وهكذا حال أولئك الذين يريدون ما عند الله جل في علاه، فإن الحياة ترخص في نظرهم، ويتمنون أمنية واحدة وهي: أن يفوزوا بجنات النعيم، وجوار الرحمن الرحيم. يقول الشباب: وفي يوم من الأيام كنا على قمة جبل نصد هجوماً عنيفاً علينا، فكان القصف بالطائرات، وأصوات المدافع والدبابات، وكانت ترمي قمة الجبل، فسبحان الله! أخطأت القذائف كل الأهداف ولم تصب إلا حسان ، فرأيناه يسقط من قمة الجبل إلى سفحه بين الصخور، فهرعنا خلفه وأسرعنا إليه في سفح الجبل، فإذا به قد تكسرت عظامه، والدم يقطر من كل جنب منه، فقلنا: كيف أنت يا حسان ؟ فقال بابتسامة: اسكتوا، والله! إني لأسمع صوت الحور العين يناديني من خلف الجبل.فهذا هو حسان الذي كان يقول: ما خلقتْ النار إلا لي دخل الرحمة من أوسع أبوابها، وبعد أن كان يناديه منادي الشيطان أصبحت تناديه الحور العين، وأصبحت الحور العين ترقص فرحاً وطرباً وشوقاً للقاء حسان ، لقد غيَّر حسان ؟ حاله، وبدل واستقام فاستقبله الله بأوسع الأبواب: باب التوبة وباب الرحمة، وباب المغفرة،** أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد:١٩-٢٤]، **فالقضية قضية صبر على الطاعة، والقضية قضية صبر عن المعاصي والمنكرات، والقضية قضية صبر على الأذى في سبيل رب الأرض والسماوات الذي قال:** وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:١٢-٢٢] **أي: إن صبرتم على طاعتي فسعيكم مشكور، وإن صبرتم عن معصيتي فسعيكم مشكور، وإذا صبرتم على الأذى في سبيلي فسعيكم مشكور.فحسان الذي كان يقول: ما خلقت النار إلا لي تناديه الحور العين من خلف الجبل:**

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيوان   لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان

أسرع وحث السير جهدك إنما مسراك هذا ساعة لزمان   حمر الخدود ثغورهن لآلئ سود العيون فواتر الأجفان

والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران   ريانة الأعطاف من ماء الشباب فغصنها بالماء ذو جريان

والقدّ منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوسط القضبان   لا الظهر يلحقها وليس ثديها بل واحق للبطن ولا بدوان

لكنهنّ كواعب ونواهد فثديهنّ كأحسن الرمان   والمعصمان فإن تشأ شبهما بسبيكتين عليهما كفان

كالزبد ليناً في نعومة ملمس أصداف درٍ دورت بوزان   الريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان

وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والألحان   يا سلعة الرحمن لستِ رخيصة بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ خطاب عنك وهم ذوو إيمان   يا سلعة الرحمن سوقك كاسد ولقد عرضت بأبخس الأثمان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال:٢٠-٢٣].**واخترنا لكم ختاماً ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه كان يصف الصفوف ثم قال لأصحابه:** (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، **فتتطاير تلك الكلمات إلى أذن ذلك الشاب الذي طالما بات وهو يسأل الله الجنة،** (فقال: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخٍ بخٍ، قال: وما حملك على قول بخٍ بخٍ، قال: إلا أن أكون من أهلها، قال: أنت من أهلها، وكان بيده تمرات فرماها وقال: والله! إنها لحياة طويلة إن أنا عشتُ حتى أكل هذه التمرات)، **ثم انطلق ولسان حاله:**

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد إن التقى من أعظم السداد

وكل زاد عرضة النفاذ غير التقى والبر والرشاد

فمن أراد الوصول فعليه بالأصول، فإن لم تكن الأمنية التي نحيا من أجلها هي ما أعده الله فلا خير في هذه الحياة، فهذا ما اخترناه لكم ولكل واحد منا الخيار، فالطريق واضح: إما جنة وإما نار، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان:٣]، **وإن نعمة العقل نعمة عظيمة لو استخدمناها الاستخدام الصحيح، فهذه أخبار السابقين واللاحقين، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يلحقنا بهم في جنات النعيم.اللهم! تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واعف عنا إنك أنت العفو الكريم، وتب علينا يا مولانا! إنك أنت التواب الرحيم.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبة أجمعين.**

من حياة عمر بن عبد العزيز

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧١].**أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! يقول المولى سبحانه وتعالى:** كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران:١١٠].**أمتكم أمة مجيدة كريمة عظيمة، اختارها الله لتكون واسطة العقد في هذا التاريخ، فهي الشاهد على الناس والرسول عليها شهيد يوم القيامة، إنها أمة تمرض ولكنها لا تموت، وقد تغفو أحياناً ولكنها لا تنام، وتغلب أحياناً لكنها لا تقهر بإذن الله.أخرج الله منها منائر للتوحيد وهداة للبشر ومشاعل للحضارة الحقة. فمع علم من أعلام هذه الأمة نقف وقفة عظة وتذكر وتدبر، علم يجب على الأمة أن تجعله قدوة من القدوات يوم كادت تغيب القدوات، حتى يكون حديث شيوخها في المنتديات وقصصاً لأطفالها الذين شغلوا بالقصص الهابطة والرسوم المتحركة، وحديثاً لشبابها الذين طالما شغلوا بالحديث عن اللاعبين والفنانات، وملئوا أسماعهم وأبصارهم بالأفلام والمسلسلات، إنه من جعل كبير المسلمين له أباً، وأوسطهم له أخاً، وأصغرهم له ابناً، فوقر أباه وأكرم أخاه وعطف على ولده، إنه القيم والأخلاق والمثل، وما أجمل وأروع أن نرى المثل والأخلاق رجالاً وواقعاً ملموساً!إنه من العادلين إذا ذكر العدل، ومن الخائفين من الله إذا ذكر الخائفون، إنه من حيزت له الدنيا بأكملها، فتولى عنها يريد ما عند الله، فلم يصلح بينه وبين الله أحد من خلقه، فخاف الله وما تكبر وما تجبر وما ظلم، خشي الله فعدل، خشي الله فأمن، خشي الله فرضي.أظنكم قد عرفتموه، إنه عمر بن عبد العزيز ، وما أدراكم ما عمر ؟إنها الهمم تتكلم وتتحدث، كان يقول لزوجه فاطمة** : يا فاطمة ! إن لي نفساً تواقة اشتاقت إلى الإمارة، فتولى الإمارة، فارتفعت الهمم، فقال لها: يا فاطمة ! إن لي نفساً تواقة اشتاقت إلى الخلافة، فتولى الخلافة، فارتفعت الهمم: فقال لها: يا فاطمة : إن لي نفساً تواقة تشتاق إلى الجنة،(وفيات الاعيان ٢\٣٠١)

إنه رجل لا كالرجال، وسيرته لا كالسير، وعذراً أن نفيه حقه في هذه العجالة، لكن حسبكم وحسبي أن نقف عند بعض المواقف، نقف ونتذكر ونعتبر، ونقرأ التاريخ.اقرءوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ [يوسف:١١١] **فهيا بنا نبحر في بحر عمر ، ومن لآلئه نقتبس ونتذكر، ومن درره ننهل، وعند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة بإذن رب العالمين.تولى الخلافة رضي الله عنه فكان مجدداً بحق، كانت خلافته ثلاثين شهراً، لكنها خير من ثلاثين قرناً، لم يضيعها في كسب دنيوي، ولا شهوة عاجلة، لكنه جعلها وقفاً لله رب العالمين، فبارك الله في سنتين ونيف، بويع بالخلافة، وقام ليلقي أول خطاب له على المنبر: فتعثر في طريقه إلى المنبر من ثقل المسئولية، ومن خوف رب البرية، فوقف يتحدث إلى الناس قائلاً: لقد بويعت بالخلافة على غير رغبة مني، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم رجلاً، فصاح الناس صيحة واحدة ممزوجة بالبكاء: قد اخترناك يا عمر ورضينا بك، فبكى وقال: الله المستعان! ثم أوصاهم من على المنبر قائلاً:** أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، ثم رفع صوته: أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، ونزل من على المنبر باكياً.بعد ذلك عرضت عليه الخيل والدواب ليركبها لتكون موكبه إلى قصر الخلافة كما كان يفعل أسلافه، (حلية الاولياء ٥\٢٩٧) **فأعرض قائلاً: ما أنا إلا رجل من المسلمين أغدو كما يغدون، وأروح كما يروحون.عاد إلى بيته معلناً أنه من تواضع لله رفعه، ترك قصر الخلافة ودخل غرفته المتواضعة، وجلس حزيناً يئن تحت وطأة المسئولية، ثم استدعى زوجه فاطمة مبتدئاً بالأقربين، استدعى فاطمة العابدة الزاهدة بنت الخليفة وأخت الخلفاء، قال لها: إني بعت نفسي من الله، فإن كنت تريدين العيش معي فحي هلا، وإلا فالحقي بأهلك، وهذه الحلي التي تلبسينها تعلمين من أين أتى لك بها أبوك، رديها إلى بيت المال، والله! لا أجتمع مع هذه الحلي في دار واحدة، قالت الزاهدة الراغبة فيما عند الله: بل أردها، والحياة حياتك يا عمر ، وللآخرة خير وأبقى للذين آمنوا واتقوا. خرج إلى الأمة ليردها إلى الله الواحد القهار فكان فعله يصدق قوله، كان لا يشغله عن الله شاغل، ليله قيام وبكاء وخشوع وتضرع، ونهاره عدل وإنصاف ودعوة وبذل وعطاء، فما ليلنا ونهارنا يا عباد الله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا قيوم السماوات والأرضين. ملأ الأرض عدلاً بعد أن كادت تملأ جوراً، إيه يا عمر! قد عشت عمرك زاهداً في كل ما جمع البشر أتعبت من سيجيء بعدك في الخلافة يا عمر!بعد كل صلاة ينادي مناديه: أين الفقراء؟ أين المحتاجون؟ فيقدم لهم الطعام والأموال، فلا والله ما تنساه البطون الجائعة ولا الأكباد الظمأى ما دام في الأرض بطن جائعة أو كبد ظمأى.هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله**

سائله رزقه الله الخشية، ومن رزق الخشية فقد رزق خيراً كثيراً، والذي يجعل الله نصب عينيه يفتح الله عليه: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ [البقرة:٢٨٢]**.فتح الله على عمر فتحاً لا يخطر على البال ولا يدور بالخيال، فكان أخوف الناس لله، وهو يرجو الأمان من الله:** يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء:٨٨-٨٩]، **وفي الحديث القدسي يقول الحق تبارك وتعالى:** (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إن أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة). (ابن حبان ٦٤٠) **دخل عليه أحد العباد** وهو محمد بن كعب القرظي، فجعل ينظر في وجهه، فإذا هو وجه شاحب، وبدن نحيل، كأن جبال الدنيا قد سقطت عليه، فقال: يا عمر ! ماذا دهاك؟ يا عمر ! ما الذي أصابك؟ والله! لقد رأيتك وأنت أجمل فتيان قريش تلبس اللين، وتجلس على الوثير، لقد كنت لين العيش، نضر البشرة، والله لو دخلت عليك يا عمر في غير هذا المكان ما عرفتك، فتنهد عمر باكياً، قال: أما إنك لو رأيتني بعد ثلاث ليالٍ من دفني وقد سقطت العينان، وانخسفت الوجنتان، وعاثت في الجوف الديدان، وتغير الخدان، لكنت لحالي من حالي أشد إنكاراً وأشد عجباً!فبكى محمد وبكى عمر وبكى الناس حتى ضج المجلس بالبكاء (سيرة عمر بن عبد العزيز ١\٥٣)**.جعل الهم هماً واحداً، فرضي الله عنه ورحمه، إنه هم الآخرة وكفى، عرف عمر نفسه، وعرف همه وغايته، فرحم الله امرأً عرف قدر نفسه، لقد كسدت عنده بضاعات المنافقين والشعراء والدجالين، وقام عنده سوق المساكين والفقراء، يدخل عليه أحد الشعراء فيمدحه، فلم يجد سماعاً لما يقول، ولم يعطه عمر شيئاً من أموال المسلمين، فخرج وهو يقول: رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء. وجدت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا أدنى الصالحين والعباد فجعلهم بطانته، وطلب منهم أن يوفوه ويبصروه بعيوبه، يقول لهم: لقد توليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأعينوني، فكتب له أحدهم: صم هذا اليوم يا عمر ! ولا تفطر حتى تلقى الله. وكتب له مطرف بن عبد الله : يا أمير المؤمنين! لو كان لك خصم لدود لأعجزك، فكيف بخصمين؟ كيف بثلاثة؟ كيف وخصمك يوم القيامة أمة محمد صلوات ربي وسلامه عليه؟!جمع سبعة من الصالحين وقال: أنتم جلسائي كل ليلة، لكنني أشترط عليكم شروطاً ثلاثة -ليتنا اشترطنا هذه الشروط في مجالسنا، اسمعوا وبلغوا هذه الشروط، فرب مبلغ أوعى من سامع-:أولها: لا تغتابوا، ولا تعيبوا في مجلسي أحداً.ثانيها: لا تتحدثوا في الدنيا.ثالثها: لا تمزحوا وأنا جالس أبداً.فكانوا يجتمعون بعد العشاء، فيتحدثون في الموت وما بعده، ثم ينفضون عن مجلسهم، وكأنهم انفضوا عن جنازة.كتب له أثناء خلافته سالم بن عبد الله بن عمر كتاباً شديداً يقول فيه: يا أمير المؤمنين! لقد تولى الملك قبلك أناس ثم صرعوا وهاهي مصارعهم، فانظر إليها لترى، كانوا ينظرون إلى اللذات بعيون فأكلت، ويأكلون ببطون فنهشت، ويتلفتون بخدود أكلها الدود، فاحذر أن تحبس في جهنم يوم أن يطلق**

العادلون، فلما قرأ ذلك انهد باكياً قائلاً: اللهم لا تجعلني مع المحبوسين يوم أن يطلق العادلون. لقد حمل هم الأمة، خلع كل لباس إلا لباس التقوى، لم يأخذ قليلاً ولا كثيراً، همه الآخرة لا الدنيا، كانت له نظرة مختلفة عن نظرات الناس، حتى مع الناس، وأخذ الناس يتسابقون يوم عرفة مع الغروب إلى مزدلفة وهو يدعو ويتضرع ويقول: لا والله ليس السابق اليوم من سبق جواده وبعيره، إن السابق من غفر له في هذا اليوم.كان شديد الخوف والمراقبة لله، إذا أراد النوم ارتجف صدره، فتقول زوجه: ما بالك يا عمر ؟ فيقول: تذكرت قول الله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:٧]، فخفت خوفاً أورثني ما ترين.فما حالنا مع القرآن؟! فما حالنا مع الآيات والذكر؟!عمينا عن الذكر والآيات تندبنا لو كلم الذكر جلموداً لأبكاه مقياسه في تقييم الناس هو التقوى، وهكذا يجب أن تكون مقاييسنا: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات:١٣]، يقول عمر : والله ما رأيت متقياً إلا وددت أني في جلده.استدعى مزاحماً يوماً فقال له: يا مزاحم ! لقد رأيتك تصلي الضحى في شعب من الشعاب لا يراك فيه إلا الله، فأحببتك والله! فكن عوني على نفسي، فإذا رأيتني ظلمت فخذ بتلابيبي وقل: اتق الله يا ابن عبد العزيز !فما بالهم إذا نصحوا أخذتهم العزة بالإثم؟ لقد كان يحب العفو ويحب الإحسان، نال منه رجل يوماً، فقيل له: رد على هذا السفيه يا عمر ، فقال: إن التقي ملجم.والصمت عن جاهل أو أحمق شرف وإن فيه لصون العرض إصلاح أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة والكلب يخسأ لعمري وهو نباح كان رضي الله عنه لا يرد مظلمة، دخل أحدهم يبايعه فقبض يده، قال له: يا أمير المؤمنين! لم قبضت يدك؟ قال: اغرب عني، تجلد فلاناً سبعين جلدة؛ لأنه آذى ابنك! ما غضبت لله، ولكن غضبت لنفسك ولولدك، والله لن تلي لي عملاً بعد اليوم، فعزله عمر .قطع أعطيات بني أمية وصلاتهم، فغضبوا وأرسلوا له ابنه عبد الملك، فقال له: قل لهم يا بني: إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الأنعام:١٥].ألجم عمر نفسه بهذا اللجام، فهلا ألجمنا أنفسنا بهذا اللجام؟ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الأنعام:١٥].ولى العباد والزهاد واختارهم، فقامت الدنيا، يقول ميمون بن مهران : لقد أخبرنا رعاة الأغنام بأن الذئاب أيام خلافة عمر ما كانت تعدو على الأغنام! سبحان الله! حتى البهائم تسعد في ظل العدل وتأمن، فلما توفي عمر عدت الذئاب على الأغنام فعرف أهل البوادي أنه قد مات رجل عادل، فالعدل أمن وطمأنينة وسكينة، وبالعدل قامت السماوات والأرض. وكان شديد المحاسبة لنفسه، ورعاً تقياً، كان يقسم تفاحاً أفاءه الله على المسلمين، فتناول ابن له صغير تفاحة، فأخذها عمر من فمه، وأوجع فم الصغير، وذهب الصغير لأمه باكياً، فأرسلت من اشترى له تفاحاً.عاد عمر إلى البيت، وما عاد بتفاحة واحدة، فقال لفاطمة : هل في البيت تفاح؟ إني أشم رائحة تفاح في البيت، قالت: لا والله! وقصت عليه قصة الصغير، فذرفت عيناه،

وقال: والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأني انتزعتها من قلبي، ولكني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من مال المسلمين، سبحان الله! ورب مشهد كهذا خير لعمر من الدنيا وما فيها وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت:٣٥].كان متواضعاً لله، مدحه رجل في وجهه، فقال: يا هذا! أما إنك لو عرفت من نفسي ما أعرف ما نظرت إلى وجهي، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه. كان شديد الخوف من الله، ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، كان يذكر الله في فراشه كما تقول زوجه، ثم ينتفض كما ينتفض العصفور المبلل حتى أقول – يعني زوجه–: ليصبحن الناس ولا خليفة لهم، ثم تقول: يا ليت بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين،(البداية والنهايه ٩\ ٢٢٩) والله ما رأينا من سرور منذ تولى عمر الخلافة.تقول زوجه فاطمة : أمسى ذات ليلة وقد فرغ من استعراض حوائج المسلمين، ثم أطفأ السراج، ثم قام فصلى ركعتين، ثم جلس واضعاً رأسه على يديه، ودموعه تسيل على خده، ويشهق الشهقة فأقول: خرجت نفسه، وانصدعت كبده، فلم يزل كذلك حتى أصبح الصبح وهو باكٍ يتألم، ثم أصبح صائماً، تقول زوجه: فدنوت منه، وقلت: يا أمير المؤمنين! كثير منك ما كان ليلة البارحة، أأمر ألم بك أم ماذا دهاك؟! فأجابها – وقد نصب خوف الله أمام عينيه– قائلاً: إني نظرت في نفسي فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها، وأحمرها وأسودها، يتيمها وأرملتها، ثم ذكرت الغريب والفقير واليتيم في أقاصي البلاد، فعلمت أن الله سيسألني عنهم، وأن محمداً سيكون خصمي في ذلك اليوم، فخفت لعله يثبت لي عند الله عذراً، فدمعت عيناي، ووجل قلبي، وكلما ذكرت ذلك ازداد وجلي، ثم انهد باكياً رضي الله عنه ورحمه.أواه! من لنا بمثل عمر ؟ عجزت نساء الأرض أن ينجبن مثلك يا عمر !بكته فاطمة زوجه بعد وفاته حتى ذهب بصرها، ودخل عليها إخوتها قائلين: ما هذا يا فاطمة ؟! أتجزعين على عمر فهو والله أحق من يجزع عليه، أم جزعاً على شيء من الدنيا؟ فأموالنا بين يديك، فخذي ما أحببت واتركي ما شئت، قالت: لا والله لا هذا ولا ذاك، لكني رأيت من عمر ليلة منظراً ما تذكرته إلا بكيت، رأيته ليلة قائماً يصلي، فجلس يقرأ حتى أتى على قول الله جل في علاه: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:٤–٥] فصاح: واسوء صباحاه، ثم وثب، ثم سقط يئن حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم هدأ، ثم صاح: واسوء صباحاه، ثم قام وهو يقول: ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث، وتكون الجبال فيه كالعهن المنفوش، حتى طلع الفجر، ثم سقط مغشياً عليه، فلما سمع الأذان قام، فصلى بالمسلمين، تقول: فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي، فلم أملك رد عبرتي. فأسأل الله أن يؤمنه وأن يؤمننا يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:٤–٥]، خاف الله في الدنيا فنسأل الله أن يؤمنه في الآخرة.هذه مواقف من حياة عمر وخوفه من الله، وزهده وعدله، وهذا هو عمر الذي جلس للناس مربياً وأباً وأخاً، هذا

هو عمر لمن أراد أن يقتدي بعمر (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (البخاري ٥١٨٨) (ما من راع استرعاه الله رعية فمات حين يموت وهو لها غاش إلا حرم الله عليه الجنة)(مسلم ١٤٢).**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح اللهم أخرج من أصلاب هذه الأمة رجالاً كعمر يردون الأمة إليك رداً جميلاً.اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا.أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.أما بعد: عباد الله! فلكل أجل كتاب، ولكل بداية نهاية،** كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن:٢٦-٢٧].كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥] **يموت كل صغير وكبير، وذكر وأنثى، ومقر وجاحد، وزاهد** وعابد فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران:١٨٥]، **تنتهي حياة الأخيار بنهاية حميدة، فكأن الأخيار ما بئسوا مع من بئس، ما كأنهم سهروا في طاعة الله، ما كأنهم تعبوا، ما كأنهم جاعوا بعد أن تنعموا؛ لأنهم غمسوا غمسة في الجنة فزال كل بؤس وألم ونصب وتعب، وتنتهي في المقابل حياة الفجار في حفرة من حفر النار، ما كأن الفجار تنعموا ولا أكلوا فعند أول غمسة في النار يزول كل نعيم، ولا خير في لذة من بعدها النار. وتأتي وفاة عمر الذي كان أعظم ما قاده إلى الله ذكر الموت، اشتد عليه المرض وأدخل عليه الأطباء ووضعوا له العلاج المناسب، والشفاء بيد رب العالمين،** فقال: والله لو كان دوائي في أن أرفع يدي اليمني إلى أذني ما فعلت (الكامل في التاريخ ٤\٣٢٦)، **والله ما أنا بحريص على الدنيا فقد مللتها، ولكني أسأل الله أن يُسلِّم.استدعى خادماً ثم قال: أسألك بمن سيجمع الناس ليوم لا ريب فيه، أأنت سممتني في الطعام؟ قال الخادم: إي والله قال: فكم أعطوك على ذلك؟ قال: ألف دينار، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله، والله يحب المحسنين.دخل الناس عليه يعودونه، وكان كلما عاده أحد قال: اعف عني عفا الله عنك.قام وخطب بالناس، فكان مما قال في آخر كلامه:** اتقوا الله قبل حلول الموت بكم، إني لأقول هذا وما أعلم أحداً عنده من الذنوب أكثر مما عنديثم خنقته عبرته، فأخذ طرف ردائه، فوضعه على وجهه يبكي، فما بقي أحد إلا بكى لبكائه، (حليةالاولياء ٥\٢٩٥)، **ولم يخطب بعدها رحمه الله.في ضحى يوم عيد الفطر حلت بعمر سكرات الموت التي لا بد من حلولها في كل واحد منا، ونسأل الله أن يحسن لنا الختام، فجاءه مسلمة بن عبد الملك فقال له: إنه قد نزل بك ما ترى، وإنك تركت صبيتك صغاراً لا مال لهم، فأوص بهم إلي، فجلس عمر وقال: والله! ما منعتهم حقاً هو لهم، ووالله لن أعطيهم ما ليس لهم، إن بني هؤلاء أحد رجلين: إما رجل**

يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما مكب على المعصية فلم أكن لأعينه على معصية الله، ثم أمر فقال: ادعوا أبنائي جميعاً، فدعوهم وكانوا بضعة عشر صبياً كأنهم فراخ، نظر إليهم بحنان الوالد، نظر إلى ضعف طفولتهم، وبراءة أعينهم، فذرفت عيناه الدموع، ثم قال: أفديكم بنفسي أيها الفتية الصغار الذين تركتكم ولا مال لكم، أي بني! إن أباكم كان بين أمرين، إما أن يغنيكم فيدخل النار، أو يفقركم فيدخل الجنة، فاختار أن يفقركم ويدخل الجنة، لكن وليي الله فيكم الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، انصرفوا عصمكم الله.فانصرف أبناؤه، فجعل يبتهل إلى الله في خشوع ويقول: رباه! أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، رباه! ما عندي ما أعددته للقائك إلا خوفي منك، وحسن ظني بك، وأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، ثم أمر الناس أن يخرجوا، فكانوا يسمعونه يردد: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص:٨٣]. (اخبار ابي حفص ٨٣\١) **أسلم عمر الروح إلى باريها، فرحمة الله عليه:جسد لفف في أكفانه رحمة الله على ذلك الجسد كان يقول قبل وفاته:** إذا غسلتموني وكفنتموني ووضعتموني في لحدي، فاكشفوا عن وجهي، فإن ابيض فاهنئوا، وإن اسود فويل لي ثم ويل لي.يقول رجاء : فكنت فيمن غسله وكفنه، وأدخله في لحده، وحللت العقدة من كفنه، ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو كالقراطيس بياضاً.بيض الله وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (سير اعلام النبلاء ١٤٣\٥).**أسلم الروح عمر فأُسكت فم لطالما تلجلج بذكر الله، وأغمضت عينان لطالما ذرفتا من خشية الله، واستراحت يدان لطالما مدتا إلى ما يرضي الله، ودع الأمة والجياع قد شبعوا، والخائفون قد أمنوا، والمستضعفون قد نصروا بإذن الله، وجد اليتامى فيه أباً لهم، والأيامى كافلاً لهم، والتائهون دليلاً لهم، والمظلومون نصيراً لهم.وحلت المصيبة بالمسلمين وأغلقت القلوب بحزنها، والعيون بدمعها** .فاليوم تنعم يا عمر بجوار من أهدى البشر فسقي رفاتك وابل من ماء غيث منهمر يقول مسلمة : يرحمك الله يا عمر ! لقد لينت قلوباً قاسية، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً(سيرة عمر لابن عبد الحكم ١١٠٩).**ذهب عمر بعد أن حقق العدل والطمأنينة والسكينة والأمن والإيمان في سنتين وبضعة أشهر وخمسة أيام، فما حققنا نحن على مدى سنوات طوال؟كان كثيراً ما يقول ويردد: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل أنت فيهما، إن الأعمار لا تقاس بالأعمار، لكن بالهمم والمقاصد والأهداف.مات عمر وما مات ذكره، ولا يموت ذكر الصالحين، لهج المسلمون بالدعاء والثناء عليه، ليس المسلمون فحسب، فها هو ملك الروم ليون الثالث يقول: لو كان رجل يحيي الموتى بعد عيسى لكان عمر ، والله لا أعجب من راهب جلس في صومعته وقال: إني زاهد، لكني أعجب من عمر يوم أتته الدنيا حتى أناخت تحت قدميه، فركلها بقدميه وأعرض عنها وهو يقول:** إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [الأنعام:١٥].**هذه سيرة عمر أيها الأخ الكريم، هل أعجبتك، إن**

أعجبتك فاقتدِ بها، اقتد بعمر وبالصالحين لعلك تكون منهم، فإن لم تستطع وجاهدت نفسك فأحبهم، فإن المرء مع من أحب.اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا أرحم الراحمين.اللهم اجز عمر عن المسلمين خير الجزاء يا رب العالمين! اللهم اجز كل العادلين عن رعيتهم خير الجزاء يا حي يا قيوم!اللهم أبرم لأمتنا أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر يا حي يا قيوم!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم قيض لهم البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير إذا فعلوه، وتذكرهم به إذا نسوه.اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، يا حي يا قيوم!اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.اللهم انصر المستضعفين في العراق وفي الشيشان وكشمير والفلبين وأفغانستان، اللهم انصرهم في كل مكان يا حي يا قيوم، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً، ومؤيداً ونصيراً، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم تقبل شهداءنا وشهداءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين!اللهم اجمع كلمتنا على الحق يا حي يا قيوم!اللهم قيض لهذه الأمة ولاة أمر صالحين، وعلماء ربانيين ودعاة مخلصين يردونها إليك رداً جميلاً يا حي يا قيوم!اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزلازل والمحن ما ظهر منها وما بطن، يا رب العالمين!اللهم من أرادنا وبيوت المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره تدميره يا رب العالمين!اللهم من حاربنا عبر الشاشات والقنوات، اللهم فلا تبارك لهم يا حي يا قيوم! اللهم اجعل كيدهم تدبيراً ومكراً عليهم يا قوي يا عزيز!اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا، يا عليم يا خبير!عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر.

***

نجاة أهل الصدق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! منذ فترة مضت مر بي هذا الموقف ولعله موقف يتكرر هنا وهناك: في ضحى أحد الأيام بينما أنا على طريق الدمام الساحلي متجهاً إلى مدينة الخبر، إذا برجل على جانب الطريق يشير إلي باستحياء، فاستحيت أنا وتوقفت، فقال: أنا ليلة البارحة أطلت السهر واستيقظت متأخراً فما وجدت من يوصلني إلى مكان وظيفتي، قلت: أين تعمل؟ قال: أنا أعمل في ميناء الدمام، قلت: الأمر هين وأنت على طريقي. ركب الرجل، ثم دار بيني وبينه هذا الحديث: قال: ماذا سأقول لرئيسي الآن؟ كيف سأبرر له تأخري؟ قلت: الأمر هين، قل له كما قلت لي تماماً، أطلت السهر، واستيقظت متأخراً، ولم تجد أحداً يوصلك إلى مكان الوظيفة، قال: لن يقبل مني. قلت: مصيبة! نتحدث بالصدق ونقول الحقيقة ثم لا يقبل منا!وهذا هو واقعنا اليوم، فنكذب ونلفق بالأيمان الكاذبة حتى نعد من الصادقين، وإن صدقنا وقلنا الحق لم يقبل منا، فماذا نفعل؟ أليست هذه من علامات آخر الزمان؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (إن من ورائكم أياماً خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة) (مسند احمد ٧٨٩٩)**هذه أشراط الساعة ظهرت فينا** والله المستعان فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد:١٨-١٩]. **قلت –والحديث لا زال بيني وبينه مستمراً–: أنت تريد رضا من؟ إن أنت تحدثت بالصدق فسترضي الله تبارك وتعالى، وإن أنت كذبت فستسخط الله تبارك وتعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:** (من ابتغى رضا الله في سخط

الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن ابتغى رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه، وأسخط الناس عليه) (الكبير ١١٦٩٦).**لسان حال الصادق:**

فليتك تحلو والحياة مريرة   ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

من الذي يملك الضر والنفع؟ أليس هو الله؟!أنت تبتغي رضا من؟ رضا الله أم رضا المخلوق؟! أحبتي! كثير اليوم من يجامل، ويتنازل عن دينه، ويتنازل عن مبادئه، ويتنازل عن قيمه في سبيل عرض من الدنيا قليل، لما تنزل قول الحق تبارك وتعالى: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم:٥٩] **قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل:** (أتضيع أمتي الصلاة؟) **أتضيع أمة محمد الصلاة! تعجب بأبي هو وأمي، هل يعقل أن أمة محمد تنام وتتخلف عن الصلوات؟ فقال جبريل عليه السلام:** (يا محمد! يأتي أقوام من أمتك يبيعون دينهم كله بعرض من الدنيا قليل) **نسأل الله أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.هذا موقف يمر بي وبك في كثير من الأحيان، يمر بنا في متاجرنا.. في أماكن وظائفنا .. في شوارعنا.. في كل مكان، أصبح الكذب سمة بارزة في المجتمع، الجميع يكذب إلا من رحم الله تبارك وتعالى، وقل أن نرى الصادقين. اعلم –بارك الله فيك– أن الصدق امتحان وابتلاء، ولكن عواقب الصدق دائماً حميدة، والكذب –والعياذ بالله– وبال وشر على صاحبه، وعواقبه دائماً وخيمة، وحبل الكذب قصير مهما طال، والبضاعة النادرة إذا قلت في الأسواق غلا ثمنها، وزاد طلب الناس عليها، والبضاعة التي نحتاجها اليوم بضاعة الصدق.**قال ابن القيم رحمه الله: من منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥] منزلة الصادقين، المنزلة التي فرقت بين المؤمنين وبين المنافقين، المنزلة التي فرقت بين أهل النيران وبين أهل الجنان، الصدق الذي صرع الباطل وطرحه، من صال به لم ترد صولته، ومن جال به لم ترد جولته، وهو باب الدخول على الرحمن، قال الله: هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ [المائدة:١١٩]، وقال: لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ [الأحزاب:٨]، مرتبة الصادقين أدنى من مرتبة النبوة وأعلى من مرتبة الشهداء، قال الله: فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا [النساء:٦٩].**الصدق من مراتب الأنبياء كما قال الله عن أنبيائه:** وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا [مريم:٤١]، وقال عن إسماعيل: إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا [مريم:٥٤]، وقال عن يوسف: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ [يوسف:٤٦]. **بلغ مرتبة الصدق من هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لكن السؤال: كيف بلغها؟ وكيف وصل إلى تلك المرتبة العالية؟وصلها بالأفعال لا بالأقوال، والمواقف هي التي تبين طبيعة الرجال، أما في الرخاء فالجميع يدعي، لكن يأبى الله إلا**

أن يمتحن هذا ويمتحن ذاك، ليظهر كل إنسان على حقيقته، وهذه سنة ماضية في الأولين وسنة ماضية في اللاحقين: الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا [العنكبوت:٢-٣] وما أقلهم! وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت:٣] وما أكثرهم!عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ [التوبة:٤٣].**الصدق مرتبة رفيعة بلغها الصديق رضي الله عنه وأرضاه بأفعاله، قالها وصدق الأقوال بالأفعال، والأفعال أبلغ أثراً من الأقوال،** جاء أهل مكة إلى أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه في أول البعثة يقولون له: إن صاحبك -يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم- يدعي أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع من ليلته. القلوب التي لم ترض بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً لم تستطع أن تتصور هذا، فقالوا: يا أبا بكر ! صاحبك يدعي أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع من ليلته، فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: أوقد قال؟ قالوا: نعم، قال: صدق(تهذيب الاثار ١١\٤٦١)! **بكل صراحة وبكل ثقة ويقين، وبلا أدنى تردد ولا ريب، وهذه من علامات الإيمان:** إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا [الحجرات:١٥]، **ما عنده شك أن قدرة الله مطلقة، وأن علم الله مطلق، وأن الله على كل شيء قدير. قالوا: إنه يقول: أسري به وعرج به في ليلة واحدة، والمطايا لا تقطع هذه المسافة إلا في شهور طويلة، ثم ترجع في شهور أطول بعد تعب وعناء، وصاحبك من ليلة واحدة أسري به ثم عرج به إلى السماء، قال: أوقد قال؟ قالوا: نعم، قال: صدق، نصدقه فيما هو أعظم من هذا، نصدقه في خبر السماء صباح مساء، أفلا نصدق أنه أسري به ثم عرج به إلى السماء؟! ف** سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء:١] **فسمي أبو بكر من بعدها بالصديق ، وجاء بالصدق وصدق به.والمواقف التي تثبت أن الصديق أهل لهذه الكلمة كثيرة، يوم الهجرة يوم امتحان عظيم، فيه تغير مجرى حياة البشرية، وانتقلت قوة الإسلام من مكة إلى المدينة، ومن هناك انطلقت كتائب الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان يوم الهجرة يوماً عظيماً، والذي حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالهجرة، وبدءوا بالخروج آحاداً وفرادى وجماعات، وبقي -بأبي هو وأمي- ينتظر الأمر من السماء حتى يخرج إلى المدينة، وأبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه- يعد العدة لمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم، إنها رحلة من أخطر الرحلات، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مطلوب حياً أو ميتاً، تخيل رجل تطلبه استخبارات الجزيرة كلها، رجل مطارد من القاصي والداني، من يأتي به حياً أو ميتاً فله مائة ناقة من أطيب أموال العرب، فمن الذي يجازف في مرافقته؟ وماذا تعني مرافقة هذا الرجل في تلك الرحلة الصعبة؟ تعني الموت، لا معنى لتلك الرحلة والمرافقة إلا الموت**

والهلاك. فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر يخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة؛ بكى الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وأخذ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: الصحبة الصحبة، أسألك بالله الصحبة الصحبة(ابن هشام ٣\١١١)! **أتعي ماذا تعني الصحبة؟ أتعي ماذا تعني تلك المرافقة في تلك الرحلة؟ إنها الموت والهلاك، يقول عمر رضي الله عنه وأرضاه: ما غبطت الصديق على شيء كيوم الهجرة. فهو يوم غير الله فيه مجرى البشرية. وفي طريق الهجرة أظهر الصديق العجب العجاب، أظهر من الصدق والتفاني في خدمة الدين ما الله به عليم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر** : (تارة يسير عن يميني، وتارة عن شمالي، وتارة من أمامي، وتارة من خلفي، قلت: عجب أمرك يا أبا بكر ! قال: يا رسول الله! أتذكر الرصد فأخاف عليك، إن أنا هلكت يهلك رجل واحد، وإن أنت تهلك تهلك البشرية كلها) استحق الصديق أن يكون ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:٤٠]. **ثم المواقف تبين أن الصديق صادق في قوله وفي فعله، في الرخاء يدعي الجميع وصلاً لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك، دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للنفقة، فقال عمر : والله لأتصدقن اليوم بصدقة ما تصدقها الصديق . منافسة على الطاعات، ومسابقة إلى مرضاة رب الأرض والسماوات، لا كما هو الواقع اليوم، سباق على الدنيا وعلى حطامها، انقلبت الموازين، فبدلاً من أن نتسابق إلى مرضاة الله، بدأنا نتسابق على حطام الدنيا الفانية، يقول عمر : والله لأسبقن الصديق اليوم. فأتى بنصف ماله، أتدري ماذا يعني نصف المال؟ أن تخرج نصف الرصيد الذي تملكه، وتنفقه بنفس طيبة راضية في سبيل الله، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنصف ماله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:** (ماذا أبقيت لأهلك يا عمر ؟ قال: أبقيت مثله) **أي: أنفقت النصف وأبقيت النصف الآخر لأهلي. ثم ظل عمر يترقب قدوم الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فجاء ووضع ماله كله في حضن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:** (ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله)(الترمذي ٣٦٧٥) **فقال عمر : تباً لك يا عمر ! مثلك ينافس الصديق ؟ما غيرته الخلافة وما غيرته الإمارة، بل زادته تواضعاً وبذلاً للناس رضي الله عنه وأرضاه، يقول عمر : كنت أراه يصلي الفجر، ثم ينطلق من مصلاه مسرعاً، فقلت: إلى أين يذهب الصديق في مثل هذه الساعة، فتتبعته، فوجدته يدخل بيتاً من بيوت المسلمين، فيمكث فيه حيناً من الزمن، ثم يخرج، فقلت: سأرى ماذا يفعل الصديق في ذلك البيت؟ يقول عمر : فلما خرج الصديق دخلت البيت، فإذا فيه امرأة عمياء معها صبية صغار، قلت: من أنت يا أمة الله؟! قالت: عمياء حسيرة كسيرة، قلت: ومن هذا الرجل الذي يدخل عليكم؟ قالت: ما نعرفه، ما تدري أن هذا خليفة النبي صلى الله عليه وسلم! ما تدري أن هذا هو أمير المؤمنين وقائدهم رضي الله عنه وأرضاه! قال عمر : وماذا يصنع عندكم؟ قالت: يحلب شاتنا، ويكنس دارنا، ويطعم**

صغارنا، ثم يمضي في سبيله! هذا الصديق رضي الله عنه وأرضاه، ما غيرته الخلافة والإمارة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر : لأسبقن الصديق غداً، قال عمر : فجئتها مبكراً قبل أن يأتيها الصديق في ذلك اليوم، فقالت لي: لقد سبقك صاحبك! جاءها أبو بكر في ذلك اليوم قبل الوقت المعتاد الذي كان يأتيها فيه! فقال عمر : تباً لك يا عمر ! مثلك ينافس الصديق ؟!سخروا أنفسهم وسخروا أموالهم وسخروا أوقاتهم كلها لمرضاة الله تبارك وتعالى، فقال الله عنهم: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب:٢٣]. **المواقف هي التي تبين حقيقة الرجال، أعظم مصيبة مرت على الأمة هي وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ما ابتليت الأمة ببلاء، وما أصيبت بمصيبة أعظم من فقد النبي صلى الله عليه وسلم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم حين مات ترك رجالاً يعرفون قيمة المسئولية، يعرفون أنهم مسئولون عن هذا الدين، وأنهم سيبذلون كل غالٍ وكل نفيس من أجل نصرة هذا الدين، لما مات النبي صلى الله عليه وسلم بدأت علامات النفاق وبدأت المصائب والآلام تهاجم المدينة الصغيرة من كل الجهات، ارتدت الجزيرة ولم يبق على الإسلام إلا مكة والمدينة، وبدأت الروم والفرس تتربص بالمسلمين الدوائر، فقيض الله للمرتدين أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه، فشاور القوم: ماذا تقولون في هذه الأوضاع؟ شتان بين حال الأمة بالأمس وحالها اليوم، في الأمس وجدت الأمة من ينصر دينها، ويصون أعراضها، ويحقن دماءها، ويحفظ مقدساتها في كل مكان، أين لنا بمثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟! قال أبو بكر لمن معه: ما رأيكم؟ شاورهم في المرتدين، قالوا: هناك جيش صغير أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم لتأديب الروم بقيادة أسامة بن زيد الشاب الصغير ابن السابعة عشرة! اسمع يا ابن السابعة عشرة، قواد الجيوش من أبناء السابعة عشرة والثامنة عشرة، فماذا يقدم لنا أبناء السابعة عشرة والثامنة عشرة اليوم؟ بعث معاذ سفيراً إلى اليمن وهو ابن ثمان عشرة سنة، فماذا يقدم لنا الشباب اليوم؟النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بارك لذلك الجيش ودعا له بالخروج، ثم مات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج الجيش، وارتد من ارتد، وجمع أبو بكر المهاجرين والأنصار يستشيرهم في الأمر، فقال عمر : نصبر على المرتدين ما داموا يقيمون الصلاة حتى تنجلي الأمور، وتذهب الأحزان، وتخف الآلام، ثم شاور عثمان وعلياً فقالا بمثل مقولة عمر رضي الله عنهم وأرضاهم، أما الصديق الملهم من ربه فكان له رأي آخر، قال: أما جيش أسامة فيمضي في طريقه، من يكون ابن قحافة حتى يخالف أمراً من أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبقية الباقية من الرجال تجتمع في المسجد استعداداً للخروج لمقاتلة المرتدين، والله** لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.(البخاري ٧٢٨٤) **وقال مقولته التي لا زال التاريخ يشهد لها:** أينقص الدين وأنا حي (

جامع الأصول ٦٤٢٦)؟!فانظر إلى ديننا، وإلى بيوتنا وأسواقنا، وإلى كل مكان، من منا قال هذه المقولة، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وبذل الغالي والنفيس من أجل نصرة هذا الدين؟خرج جيش أسامة وخرج أبو بكر رضي الله عنه بالرجال، فقاتلوا المرتدين، ومن أول معركة انتصر الصديق ، وعاد للمدينة واستعد للخروج مرة ثانية، فأشاروا عليه بالبقاء، وقالوا: يا خليفة رسول الله! لا تفتنا في نفسك، فجهز الجيوش، وانطلقت الألوية، حتى فاءت الجزيرة ورجعت إلى دين الله أفواجاً، من الذي أعادها؟أعادها الرجال، أعادها الذين صدقوا مع الله، فصدق الله معهم، بالمواقف يعرف الرجال، وفي الشدة يعرف الرجال لا في الرخاء.تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [آل عمران:١٧٩]. أعظم مجالات الصدق: الصدق مع الله تبارك وتعالى، لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، أسألك بالله العظيم: هل الصادق ينام عن الصلوات؟ أليس النوم وقت الصلاة من علامات المنافقين؟ أليس التخلف عن الصلوات والتكاسل في أداء الطاعات من صفات المنافقين والعياذ بالله؟ فأين صليت اليوم؟ وهل كنت صادقاً أم كنت من الكاذبين؟!ومن أعظم مجالات الصدق: أن نصدق مع أنفسنا، ومن صدق مع الله صدق مع نفسه.ومن أعظم مجالات الصدق: أن نصدق مع الآخرين، وأن نحب للآخرين ما نحب لأنفسنا.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد: أحبتي! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، اتقوا الله عباد الله! اتقوا الله وكونوا مع الصادقين.أتدرون من الصادق؟ الصادق هو الذي يصدق في توبته وفي رجعته وإنابته إلى ربه تبارك وتعالى، لذلك جاء في سياق سورة التوبة بعد أن ذكر الله أخبار الثلاثة الذين خلفوا: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة:١١٨]، ثم قال الله في الآية التي تليها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:١١٩] أي: كونوا مع الذين تابوا وصدقوا في توبتهم ورجعتهم وإنابتهم إلى ربهم تبارك وتعالى.كثير منا يتوب، ولكنه يكذب في توبته، ويتمادى في خطئه وزلته، وتناسى أن الله يمهل، وأنّ الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون.قال منصور بن عمار : كان لي صديق مسرفا على نفسه، ثم تاب، وكنت أراه كثير العبادة والتهجد، ففقدته أياماً، فقيل لي: هو مريض، فأتيت إلى داره، فخرجت إلي ابنته، فقالت: من تريد؟

قلت: قولي لأبيك: فلان، فاستأذنت لي، ثم دخلت، فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه، وقد اسود وجهه، وذرفت عيناه، وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف منه: يا أخي! أكثر من قول: لا إله إلا الله، ففتح عينيه فنظر إلى بشدة ثم أغمي عليه، ثم أفاق، فقلت له ثانية: أكثر من قول: لا إله إلا الله، ثم قلتها له ثالثة، ففتح عينيه وقال: يا أخي منصور ! هذه كلمة قد حيل بيني وبينها، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قلت: يا أخي! أين تلك الصلاة؟ أين ذلك الصيام؟ أين التهجد والقيام؟ فقال: كان كل ذلك لغير الله، وكانت توبتي كاذبة، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني، وأذكر به، وكنت أفعل ذلك رياء للناس، فأبى الله إلا أن يطرحه، قال: فكنت إذا خلوت بنفسي أغلقت الأبواب، وأسدلت الستور، وشربت الخمور، وبارزت ربي بالمعاصي، ودمت على تلك مدة من الزمان، فأصابني مرض، وأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتي هذه: ناوليني المصحف وأخرجوني إلى وسط الدار في الفناء، قال: فأخذوني إلى وسط الدار في الفناء، ومعي المصحف، فنظرت فيه وقرأت فيه، فقلت: اللهم بحق كلامك هذا في هذا القرآن العظيم إلا شفيتني، وأنا أعاهدك ألا أعود إلى الذنب مرة ثانية، ففرج الله عني، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من المعاصي والذنوب، وأنساني الشيطان العهد الذي بيني وبين ربي، فبقيت على ذلك مدة من الزمن، في شهوات ولذات ومعاص، أحارب رب الأرض والسماوات، فمرضت مرة ثانية مرضاً شديداً أشرفت فيه على الموت، فأمرت أهلي وقلت: أخرجوني إلى فناء الدار، وجيئوني بالمصحف، أفعل كما فعلت في المرة الأولى، فقرأت القرآن ثم رفعته إلى صدري وقلت: اللهم بحرمة هذا المصحف الكريم وكلامك إلا ما فرجت عني، قال: فاستجاب الله، لي وفرج عني، وعاهدت الله ألا أرجع إلى الذنب والعصيان مرة ثانية، لكني عدت وتناسيت وتغافلت، فوقعت في هذا المرض الذي تراني فيه الآن، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كعادتي وكما تراني، ثم قلت لهم: ائتوني بالمصحف لأقرأ فيه، فلما فتحت المصحف في هذه المرة، لم أر حرفاً واحداً من كلامه، فعلمت أن جبار السماوات والأرضين قد غضب علي، كم عاهدته وكم تبت وكذبت في توبتي، وكم وكم أمهلني وأعطاني من الفرص الواحدة تلو الأخرى! فعلمت أنه سبحانه قد غضب علي، فرفعت رأسي إلى السماء، وقلت: اللهم فرج عني، يا جبار الأرض والسماء، فسمعت كأن هاتفاً يقول:

تتوب عن الذنوب إذا مرضت وترجع للذنوب إذا برئت

فكم من كربة نجاك منها وكم كشف البلاء إذا بليت

أما تخشى بأن تأتي المنايا وأنت على الخطايا قد دهمت

قال منصور بن عمار : فو الله ما خرجت من عنده إلا وعيني تسكب العبرات، فما وصلت الباب إلا وقيل لي: إنه قد مات، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ [سبأ: ٥٤].لذلك قال الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم:٨]. **يجب على الناس أن يتوبوا، ولكن ترك الذنوب أوجب، والدهر في مروره عجيب! ولكن غفلة الناس عنه أعجب، وكل ما ترتجي قريب، ولكن الموت دون ذلك أقرب. اتقوا الله –عباد الله– وكونوا مع الصادقين. الصدق طريق الجنة، والكذب طريق النار، قال صلى الله عليه وسلم:** (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)(البخاري ٦٠٩٤). **أيبتلي الصادق؟ نعم يبتلى. أيخذل؟لا والله. توجد عقبات كثيرة تعترض الصادقين فيتجاوزونها؛ لأنهم علموا ما هو الثمن المترتب على الثبات والصدق مع رب العالمين قال الله:** زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران:١٤-١٥]. **من هم؟** الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:١٦]. **ما هي صفتهم؟** الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٧]. **اللهم اجعلنا منهم ومعهم، اللهم أدخلنا مدخل صدق، وأخرجنا مخرج صدق، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً. اللهم اجعلنا ممن يقولون الحق ولا يخافون فيك لومة لائم. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا –يا ربنا– من الراشدين، واحشرنا في زمرة الصادقين المخلصين المنيبين يا رب العالمين! اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم اغفر ذنوب المذنبين، واقبل توبة التائبين، وتحمل منا وتجاوز عنا يا أرحم الراحمين! عباد الله!** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠] **فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.**

***

نعمة النوم وآدابه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله!نعم الله علينا كثيرة لا تحصى:** وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا [إبراهيم:٣٤]، **ومن بين هذه النعم نعمة أنعم الله بها علينا، ونتلبس بها جميعاً، بل لا يكاد يمر يوم إلا ونحن تحت تأثيرها، وقل أن نحسب لهذه النعمة حسابها، وقليل فينا من يشكر الله عليها، وكثير منا من هو غافل عن شكره فيها، كما هو غافل عن الشكر في نعم أخرى مثيلة لها، إنها نعمة النوم، وهي نعمة مجهول قدرها، فإذا ما أصيب المرء بمرض أو أرق، أو مسه شدة جوع أو برد حالت دون نومه فإنه يدرك قيمة هذه النعمة، وما أطول ليل الأرقين! وما أنغص نوم المرضى والمهمومين! وفي المقابل فما ألذ النوم بعد الإعياء والتعب وطول الكد والبحث في سبل الحياة دون أن يكدره مرض أو هم أو غم!عباد الله! إنّ النوم كما هو نعمة فهو أيضاً آية من آيات الله، ألا ترى الخالق جل جلاله يغشي الليل النهار فيظلم الكون، وتسكن الحياة، وتنكفئ الأحياء، وتقل الحركة، ويهدأ الناس، فيطيب المنام، وتسكن الأعضاء بعد كللها، وتستريح بعد تعبها، وصدق الله إذ يقول:** وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [الفرقان:٤٧].**تفكر عبد الله! -وأنت مدعو للتفكر والتأمل- وتأمل في قوله تعالى:** أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [النمل:٨٦]، **وتأمل في قوله تبارك وتعالى:** وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ [الروم:٢٣].**عباد الله! إن تلك النعمة رحمة واحدة من رحمات الله على عباده تستوجب الشكر، قال سبحانه:** وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [القصص:٧٣]، **فلا تستطيع أي قوة في هذا الكون سوى قوة الله أن تجعل الليل هادئاً ساكناً للمنام، ولا النهار مبصراً للحركة وانتشار الأنام، وأي قوة مهما بلغت**

فلن تستطيع أن تتصرف ما لو استمر الزمان ليلاً سرمدياً، أو نهاراً أبدياً، فلا أحد يستطيع ذلك إلا الذي خلق الخلق وقدره تقديراً، وهذه آيات عظيمة، والتفكر فيها يدعو لمزيد من الإيمان، فتدبر في قوله تبارك وتعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ [القصص:٧١-٧٢].**إن في النوم سراً من أسرار الله في هذا الكون لا يقدر عليه إلا الله، إن في النوم موتاً ووفاة، لكنها موتة صغرى، ووفاة إلى أجل، قال سبحانه:** وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الأنعام:٦٠]، **فالأنفس في المنام يتوفاها الله جميعاً، فمن شاء أن يفسح لها في الأجل أعادها إلى الحياة مرة أخرى، فقد كنت ميتاً منذ سويعات فأحياك الله، وأما النفس التي قدر عليها الوفاة فإن يمسكها فلا يقظة بعد هذه النومة، فمن ذا الذي يقّدر هذا، أو يعرف قيمة هذا؟ ومن الذي يستطيع أن يفعل هذا إلا الله تبارك وتعالى؟ فتأمل في قوله تبارك وتعالى:** اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الزمر:٤٢] **فهناك سر عجيب يتكرر في النوم، ولا يكاد يوقظ قلوب الغافلين، أو يستدعي تفكر المتفكرين، ففي لحظة سريعة يغيب المرء عن الحياة والأحياء، وفي أخرى يستيقظ فإذا هو يعيش الحياة ويبصر الأحياء، فيستدل بالنوم –وهو الموتة الصغرى– على الوفاة الكبرى، وبالاستيقاظ على البعث والنشور. فإي وربي لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وهناك في أرض المحشر ينكشف ليل المفسدين، وتكشف سوءات الفسقة والفاجرين، الذين نسوا أنهم إن غابوا عن أعين الخلق فهم في رقابة الخالق الذي لا تخفى عليه منهم خافية ليلاً ولا نهاراً، ففي الآخرة ينكشف الفرق بين قوم** كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ [الذاريات:١٧]، **فكانوا في صلاة وتلاوة وذكر ودعاء،** وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات:١٨]، **وبين أناس يحيون الليل بسهرات صاخبة، ومجون وفواحش، وهم يظنون أنها ليالي حمراء، وغداً تبدو لهم ولغيرهم ليال سوداء.فخلاصة القول: أنه لا ينبغي للعاقل أن يتخذ من هدأة الليل مجالاً للفسوق والفجور بدلاً من أن يشكر الله على هذه النعمة، ويأوي إلى فراشه ذاكراً شاكراً مستودعاً ربه نفسه: إن أمسكها أن يرحمها، وإن أرسلها أن ليحفظها بما يحفظ به عباده المؤمنين، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يقول أحدهم إذا أوى إلى فراشه:** (باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمهما، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)(البخاري ٦٣٢٠)، **فما أجمل هذا الدعاء لو تعلمناه وعملنا به!وكما أن النوم نعمة وعبادة تعينان على طاعة الله فهو ليس كذلك إذا حال بين العبد وبين طاعة ربه، فالصلاة خير من النوم،**

وهذا نداء يطلقه المؤذنون في فجر كل يوم، والخيرون من الناس هم الذين يستجيبون لهذا النداء، وأكثر الناس عن آيات ربهم غافلون، ومن تكرر نومه عن صلاة الفجر دون عذر شرعي فذلك الذي بال الشيطان في أذنيه.وكذلك يكون من ضعف النفس ونزغ الشيطان، إذا حال بين المرء وطلب علم نافع، أو داعب الأجفان في خطبة الجمعة أو حال بين المرء وبين عمل صالح. وهو رحمة وأمنة في حال الجهاد، ولقد أصاب المسلمين ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء في بعض ملاحمهم مع المشركين، كما قال تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ [الأنفال:١١].يقول الله تعالى: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ [غافر:٦١].**بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.** الحمد لله رب العالمين فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام:٩٦].**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، ويعلم مستقرها ومستودعها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان نومه أعدل النوم، وهو كما** قال ابن القيم رحمه الله: أنفع ما يكون من النوم، وأنفع النوم –كما قال الأطباء– ثلث الليل والنهار: ثمان ساعات، (زاد المعاد ١\١٥٩) **ويتفاوت الناس على حسب أعمالهم واحتياجهم لساعات النوم، فمنهم من تكفيه أربع، ومنهم من تكفيه ست، لكن لا تزاد ساعات النوم على ثمانِ ساعات.اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنبياء والمرسلين.عباد الله! إن للمصطفى صلى الله عليه وسلم هدياً في النوم حري بنا أن نتعلمه ونعمل به؛ حتى يكون نومنا عبادة لله رب العالمين، فكان إذا أوى إلى فراشه قال:** (باسمك اللهم أحيا وأموت). (البخاري ٧٣٩٤)**وكان من هديه أن يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، ويقرأ:** قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص:١]، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [الفلق:١] وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [الناس:١]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، ويفعل ذلك ثلاث مرات، (البخاري ٥٠١٧) **فيبدأ بهما على رأسه ووجهه ثم ما أقبل من جسده.وكان صلى الله عليه وسلم ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم يقول:** (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك). (الترمذي ٣٣٩٨) **ومن دعائه أيضاً إذا أوى إلى فراشه:** (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي)، (مسلم ٢٧١٥) **وهذا الحديث يذكرنا بجموع من المسلمين في زماننا هذا تسلط عليهم الأعداء فأخرجوهم من ديارهم، فهاموا على وجوههم بحثاً عن الزوايا، وبحثاً عن ركن يأوون إليه، أو طعام يستطعمون به، فنسأل الله أن يردهم إلى بلادهم، ويمكن لهم في أرضهم، ويمكن لهم من عدوهم، قال صلى الله عليه وسلم:** (من أصبح آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده

قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (الترمذي ٢٣٤٦) وفي رواية (بحذافيرها)،(الاحاد والمثاني ٢١٢٦) **ألا فلنشكر الله على هذه النعم.وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذكر الله في حال النوم تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً، وتلك وصيته لأقرب الناس إليه وهي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وذلك حينما سألاه الخادم: فقال صلى الله عليه وسلم:** (ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم: إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، وكبراه أربعاً وثلاثين، فذلكما خير لكما من خادم).(البخاري ٣١١٣) **ومن هديه صلى الله عليه وسلم حال النوم: الوضوء والتطهر، وفي هذا يقول:** (طهروا هذه الأجساد طهركم الله؛ فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه ملك في دثاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك هذا فإنه بات طاهراً). (الأوسط ٥٠٨٧) **ومن هديه أيضاً: قراءة آية الكرسي، فلا يزال على قارئها من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وبالجملة:** (من اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه إلَّا كانت عليه من الله ترة) أي: حسرة وخسارة وندامة، رواه (أبو داود٤٨٥٦). **وكان من هديه صلى الله عليه وسلم الاضطجاع على الشق الأيمن، وهناك صفة ذميمة في النوم أيقظ النبي صلى الله عليه وسلم صاحبها، ألا وهي النوم على البطن، فعن يعيش بن طخفة الغفاري رضي الله عنه قال: قال أبي:** (بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحركني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، فنظرت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه (أبو داود٥٠٤٠) **بإسناد صحيح، وفي بعض الروايات:** (تلك نومة أهل النار)، (ابن ماجة ٣٧٢٥ -) **والعياذ بالله.ومن أدب الإسلام: ألا ينام المرء وبيده بقايا من أثر الطعام حتى يغسلها، قال عليه الصلاة والسلام:** (من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه). (أبي داود ٣٨٥٤) **ومن آداب النوم: أن ينفض الإنسان فراشه احتياطاً مما قد يخلفه فيه من بعده، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:** (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك اللهم أرفعه، إن قبضت روحي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).(البخاري ٦٣٢٠)**عبد الله! إذا كنت لا تدري إذا صعدت روحك إلى بارئها حال النوم أتكون ممن تمسك روحه فلا يقوم، أم ممن ترسل لتكمل بقية أجلها، فليس يليق بك أن تودَّع الدنيا بالفجور والعصيان، أو يكون آخر ما يقرع سمعك ألحان وغناء وأصوات الموسيقى والتخيلات الباطلة، بل ودَّع الدنيا بخير ما ينبغي أن تودَّع به، ثم نم على ذكر الله تبارك وتعالى، واحتسب نومتك عبادة عند الله، وتذكر دائماً أنها ربما تكون آخر نومة تنامها، فاشكر الله على عافيته وكفايته وإيوائه لك، ونم وأنت عازم على القيام للصلاة المكتوبة، وإذا استيقظت فاحمد الله وقل كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام:** (الحمد لله الذي

أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)، **وإذا تعاريت من الليل –أي: استيقظت في وسط الليل– فقد أرشدك النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقول:** (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإن قلت: اللهم اغفر لي! أو دعوت استجيب لك، وإن قمت فتوضأت ثم صليت قُبلتْ صلاتك). رواه (البخاري ١١٥٤)**عبد الله! وإذا أصابك أرق أو فزع أو وحشة فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم أصحابه أن يقولوا في حال الفزع:** (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، ومن شر عباده، ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون) رواه (أحمد ٦٦٩٦)**وغيره وهو حديث حسن.وورد:** (أن رجلاً شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأرق، فقال له قل: اللهم! غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، يا حي يا قيوم أنم عيني، وأهدئ بالي، فقالها الرجل فذهب عنه الأرق). (الكبير ٤٨١٧) **وهكذا أحبتي يبدو الإسلام عظيماً في كل تشريعاته، فهو ينظم أمور الحياة في الليل والنهار، وفي اليقظة والمنام، وصدق الله:** مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام:٣٨] **.اللهم فقهنا في ديننا، وارزقنا شكرك وذكرك وحسن عبادتك. اللهم لك الحمد كما آويتنا وكفيتنا، وأنمتنا وأيقظتنا.اللهم اكف من لا كافي له، وآو من لا مأوى له، وأطعم من لا مطعم له.ألا وصلوا على البشير النذير، والسراج المنير الذي أمركم الله بالصلاة عليه فقال عز من قائل:** إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:٥٦]**.اللهم! صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اهدنا وعافنا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، يا أرحم الراحمين!اللهم اجعل يقظتنا ونومنا طاعة وعبادة لك يا رب العالمين!اللهم اجعل طعامنا تقوياً في طاعتك، ومنامنا تقرباً إليك يا رب العالمين! وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، قو عزائمهم، واربط على قلوبهم، وثبت الأقدام، وفك أسرانا وأسراهم يا رب الأنام، وأنزل عليهم رحمة وتأييداً من عندك يا حي يا قيوم! اللهم من سعى في فكاكهم ففك رقبته من النار يا رب العالمين!اللهم اكبت عدوك وعدونا فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز! وأخرجهم من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، واجعلهم لمن خلفهم آية، ولا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية يا رب العالمين!اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا حي يا قيوم!عباد الله!** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]**فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر.**

هذا ما رأيت في رحلة الأحزان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين.أحبتي! انتهى عام، ونحن على وشك أن نبدأ عاماً آخر، فما أسرع انقضاء الأيام والليالي، فالأيام والليالي تبليان كل جديد، وتقربان كل بعيد، وتأتيان بكل موعود ووعيد.إن مرور الأيام وانقضاء الليالي له معنى واحد وهو: أني أنا وأنت نقترب من النهاية، ومعناه: أن الأجل يقترب والفرصة تقل يوماً بعد يوم، ولا معنى له غير هذا المعنى، فكل ليلة وكل يومٍ ينقضي هو من عمري ومن عمرك أنت، والآجال تنقص ولا تزيد، والأعمار تنقص يوماً بعد يوم لا تزيد، فأعمارنا في نقصان يوماً بعد يوم.وعلى مدى عام إلى يومنا هذا حدثت أحداث، واستجدت أمور، وتغيرت أشياء لا يعلم بها إلا الحكيم الخبير الذي قال:** يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ [النور:٤٤].**إن محاسبة النفس في نهاية العام دليل على الجدية والهمة العالية، فالتاجر الناجح هو الذي يراجع الحسابات حيناً بعد حين؛ لذلك أمرنا الله بمراجعة الحسابات فقال:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ [الحشر:١٨]، **والكيّس هو الذي يحاسب نفسه كل يوم، فإن لم يكن ففي الأسبوع مرة، فإن لم يكن ففي الشهر مرة، فإن لم يكن ففي السنة مرة، فإن لم يكن ففي العمر مرة، فلابد أن نقف ونراجع حساباتنا، ولن أقف مع ما فعلتَ أنتَ أو فعلتِ أنتِ أو ماذا قدمنا أو أخرنا، فخلال العام الماضي حدثت أمور جسام، وآيات عظام يخوف الله بها عباده، ولعلي مع نهاية هذا العام أقف وقفات، مع ما حدث في هذا الكون الذي يدبره الواحد الأحد، والذي لا**

يتحرك متحرك في كونه إلا بعلمه، ولا يسكن ساكن في أرضه ولا في سمائه إلا بقدرته وأمره وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ * قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام:٥٩-٦٧]. **لعل أعظم ما حدث في عامنا المنصرم هو ما حدث في شرق آسيا، تلك الآية العظيمة التي بلغ خبرها القاصي والداني، كيف لا وفي دقائق معدودة حدث ما حدث من الآيات العظام، لقد تغير مجرى هذا الكون رأساً على عقب، لقد تحركت الأرض، وماجت الجبال، وفاضت المياه والبحار والأنهار، واهتزت الأرض تحت أقدام البشر، فمات من مات، وهلك من هلك، وشرد من شرد، وأصيب من أصيب، وحدثت مصائب وآلام لا يعلم بها إلا الله، لقد حدثت في دقائق معدودة، ولكن للأسف الشديد فإن سكان الأرض لم يستفيدوا من تلك الآية، ولم ينزلوها في مكانها الصحيح، فالذي حدث أن وسائل الإعلام نقلت لنا الخبر وتكلمت عن أسباب الزلازل وأسباب الفيضانات، ونظروا إليها من المنظور العلمي، وما ذكروا أنها عقوبة من الله جزاء مخالفة أهل الأرض أوامر الله تبارك وتعالى، فالأمر أمره، والأرض أرضه، والسماء سماؤه،** يفعل ما يشاء ولا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [الأنبياء:٢٣]. **لقد رأينا بأم أعيننا على شاشات التلفاز والقنوات تلك الأحداث التي جرت، لكن ليس الخبر كالمعاينة، فقد نقلت لنا وسائل الإعلام الخبر إلا أننا لا نستطيع أن نتصور ما حدث هناك حقيقة، فالذي حدث -والله الذي لا إله إلا هو- أمر يفوق تصور الإنسان، ولا يستطيع الإنسان بعقله المحدود أن يتصور ما حدث هناك، حتى حين ترى وتقف في تلك الأماكن فإن العقل يقف حيراناً، كيف حدث هذا؟! وكيف تم هذا في لحظات؟! وما هي تلك القوة التي أحدثت كل هذا الدمار في لحظات معدودة؟! إنها قوة الجبار الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له: كن فيكون. وقد ذهبت إلى هناك وشاهدت بأم عيني ماذا حل من الدمار، ورأيت ومع إنني رأيت لكنني والله لا أستطيع أن أصور حقيقة الأمر، فالأمر أكبر مما أستطيع أن أستوعبه أنا أو تفهمه أنت، والأمر أعظم من أن نذكره في كلمات، والأيام القادمة وما يليها ستكشف لنا حقيقة الأمر الذي كان هناك، في كل يوم كنت أتنقل**

من منطقة إلى منطقة والسؤال الذي كان يدور في خاطري دائماً ماذا كان يصنع هؤلاء حتى حل عليهم هذا؟ هل هو زنا وشرب خمور؟ الأمر أعظم من هذا كله، والأيام القادمة ستكشف لنا الحقيقة ما الذي دفعني للذهاب؟ لقد شاهدت مثلكم ما بُثَّ على شاشات الفضائيات، ورأينا ما حل من الدمار، لكن حز في خاطري أنني رأيت الصليب يتجول هنا وهناك في بلاد المسلمين، حز في خاطري أني رأيت المعونات تقدم إلى المسلمين ممن يضعون الصليب على صدورهم وعلى ظهورهم! فقلت: أين نحن عن إخواننا هناك؟ وأين الهيئات والمنظمات الإسلامية؟نعم لقد قدمت معونات وبلادنا أيضاً ممن قدم المعونات لكنها كلها ذهبت تحت إطار الأمم المتحدة التي يتزعمها الصليب، والذي قدم تلك المعونات هو الصليب للمسلمين هناك، فحز في خاطري أن أيام العيد قادمة وأنه ليس بين المسلمين من يواسيهم في مصابهم وفي آلامهم إلا أبناء الصليب، ورأيت من فتيات الصليب ومن شبابه متطوعين أتوا من كل مكان لكي يساعدوا في عمليات الإنقاذ والإعمار والتنظيف وإخراج الموتى، وما رأيت من العرب أحداً، ولا من المسلمين أحداً، ورأيت من شبابهم وكبار سنهم صغاراً وكباراً يتجولون بين الملاجئ والمستشفيات، وليس ذلك منهم حباً في الإسلام والمسلمين، والله! ما جاءوا لأنهم يحبوننا، لكنهم جاءوا حتى يبينوا للمنكوبين أن الصليب معهم، وأن الصليب يساعدهم في نكباتهم.فقررت الذهاب قبيل بداية شهر ذي الحجة بأيام، قالوا لي: تأخر إلى ما بعد الحج، لكني أعرف أن الجرح إذا تطاول عليه الزمان يبرأ يوماً بعد يوم، والذي نراه اليوم ليس كالذي نراه غداً وبعد غد، اليوم سترى أشياء ثم هذه الأشياء ستندثر وتختفي، ولن ترى ما تراه في بداية الأمر وفي أول المصاب، ثم إني أردت أن أكون بين أولئك في أيام العيد لأنظر كيف سيقضون أيام العيد! فقررت السفر، فاخترت صحبة للذهاب معي، لكن صحبتي تخلت وتقاعست في آخر اللحظات، وعذرهم أن الظروف الأمنية لا تسمح، وأن الظروف الصحية لا تسمح، وأن الأوضاع هناك مضطربة ولا أحد يستطيع أن يذهب إلى هناك، فقلت: سبحان الله! كيف ذهب أبناء الصليب وما وضعوا هذه العراقيل وهذه العقبات، لماذا عندما نقدم دائماً نتأخر ونضع العراقيل ونضع العقبات ولا يضعونها هم؟! لذلك تقدموا هم وتأخرنا نحن، فقررت السفر ولو كنت بمفردي.واستشرت أمي رحمها الله فقالت: ما دام الأمر طاعة، وفي مرضاة الله فصلِّ واستخر ثم توكل على الله، فكانت هذه الكلمات دافعاً لي على أن أعزم على الذهاب ولو كنت سأذهب بمفردي، فاتصلت على الإخوان في الكويت من جمعية إحياء التراث الكويتي، ولهم مكتب هناك، ثم مع بداية الأحداث فتحوا مكتباً آخر في المناطق المنكوبة فقالوا: سنستقبلك وسنرتب لك الأمور، وهذا شجعني على الذهاب حتى وإن كنت بمفردي.فما الذي دفعني للذهاب؟لقد دفعني إلى ذلك أولاً: أن الذي حدث هناك آية من آيات الله أردت أن تكون واعظاً

لي أنا أولاً ثم واعظاً للذين سأنقل لهم الصورة، وأردت من ذهابي أيضاً أن أرى بأم عيني حقيقة ما حدث، فصحيح أننا سمعنا ونقل لنا من هنا ومن هناك لكن ليس الخبر كالمعاينة، وليس من رأى كمن سمع، فأعددت العدة للسفر، وأسميت الرحلة من أولها إلى آخرها برحلة الأحزان، فهذا ما رأيت في رحلة الأحزان، وكيف لا تكون رحلة أحزان وقد رأيت مصرع آلاف من البشر؟! كيف لا تكون رحلة أحزان وقد رأيت من أحوال المسلمين ما يدمي القلب، ويقض المضجع، ويدمع العين؟!لقد رأيت أهوالاً عظاماً لعلي أستطيع أن أصورها لكم في هذه الساعة المحدودة وإلا فالأمر أعظم مما سأتكلم وأعظم مما سأقول انطلقت من هنا في يوم الخميس الثالث من ذي الحجة في الخامسة من مساء يوم الخميس عن طريق جسر الملك فهد ، من هنا بدأت أحزاني، والجسر فيه زحام شديد لا يعلمه إلا الله، فكنت أتلفّت يمنة فلا أرى إلا شباباً من شبابنا ومن أبنائنا والموسيقى في كل مكان، والضحكات من هنا وهناك، وهم طوابير، فوالله! لقد وقفنا في الطابور أكثر من ساعتين حتى استطعنا أن نصل إلى المكان الذي نختم جوازاتنا فيه، ونتجاوز النقطة إلى النقطة التي تليها على مدى تلك الساعات، ووالله! ما رأيت إلا أمماً من الشباب تجاوزت الآلاف، أين سيذهبون؟ وماذا يريدون من الذهاب إلى هناك؟ وهل الوقت أصلاً يسمح لمثل هذا اللهو؟ فأمتنا جراحاتها في كل مكان، فهل هذا وقت لهو وضحك وتوزيع ابتسامات، هل هذا وقت معاص ومنكرات، فما رئي صلاح الدين مبتسماً، وحين سئل قال: كيف أبتسم والأقصى بين أيدي الصليبيين؟ فكم للأقصى وهو يئن ويشتكي؟!

هاهو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاد
يا ويحنا ماذا أصاب شبابنا أو ما لنا سعد ولا مقداد؟

تجاوزنا أول النقاط ووصلنا إلى مطار البحرين، وهناك اختلط الحابل بالنابل فلا تعرف الرجال من النساء، ولا تعرف هل هذا رجل أم امرأة! فتقدمت بجوازي وتذكرة سفري إلى تلك التي تعمل في خطوط طيران الخليج، وكانت تتبسم لمن قبلي كلهم، وهذه هي وظيفتهم التبسم في وجه العملاء، فلما رأتني استنكرت وعبس وجهها وتغير، وكنت أعرف أن الرحلة إلى اندونيسيا مليئة بالنساء والخادمات، فقلت لها: لي مطلب واحد وهو: أن أكون على النافذة، وأن أكون بجانب رجل، قالت: ليس عندي لك مكان إلا هذا، قلت: من حقي أن أطلب المكان الذي أريده فأنا راكب على هذه الطائرة، ومن واجبكم أن تقدموا الخدمات المسموحة والممكنة لي، قالت: ليس هناك إلا ما أعطيتك إياه، قلت: أكيد لا يوجد غير هذا المكان؟ قالت: لا يوجد غير هذا المكان، ثم أعطتني تذكرة سفري، وبطاقة صعود الطائرة، قلت لأصحابي الذين رافقوني إلى المطار: هل يعقل أني سأركب في طائرة لمدة تسع ساعات بجانب امرأة؟ فكيف لو نمت وسقطت عليها

بجانبي، أو هي نامت وسقطت علي، لا والله! لا يعقل، فتكلمنا مع أحد مسئولي المطار الذين يتعاملون مع الركاب، فقال: هات التذكرة، ثم أعطاني المكان الذي أريد، فلماذا لم تقدم لي تلك المرأة هذه الخدمة؟أصبح الإسلام متهماً في كل مكان، والمصيبة ليس منهم وإنما هي من أبناء جلدتنا، والمصيبة ليست خارجية بل المصيبة في فهم أبنائنا وبناتنا لهذا الدين.فتجاوزنا هذه المرحلة ثم ركبت الطائرة فإذا بثلاثة من الشباب العرب في حالة سكر، جلسوا بجانبي، أنا على النافذة وهم في الثلاثة الكراسي الوسطى في الطائرة، ثم انتظرنا قبل الإقلاع نحو نصف ساعة، فبدءوا يطلقون السب والشتم واللعان، وبدءوا يستهزءون بالعرب والمسلمين، فسكت ثم تمادوا يسبون الإسلام، لقد بدأ أبناء الإسلام يتطاولون على الإسلام، ويقول أحد هؤلاء السكارى: يظنون أن الدين صلاة، ليس هذا هو الدين، -فيتناقش مع صاحبه وكأنه ينزل عليه الوحي في الطائرة، قالوا: يظنون أن الدين صلاة وإطلاق لحى، إن الدين طهارة القلب ليس صلاة ولا كثرة عبادة، وهنا لم أستطع السكوت أكثر مما سكت، فلقد تجاوزوا الحد، فقلت لهم: اسمعوا يا سكارى؟! أمركم على أنفسكم لكن لا تتجاوزوا في الكلام، فلقد ضايقتم ركاب الطائرة، فقال لي: يا أفغاني! يا كلب!!! اذهب وقاتل من أجل فلسطين يا جبان! قلت في نفسي والله! الأفغاني أفضل من وجهك ولكنهم سكارى، فعقولهم في وادٍ وهم في وادٍ آخر، وقد قال الله عن عباد الرحمن: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا [الفرقان:٦٣]، فهذا إن كان في كامل عقله وقواه فكيف بسكران مثل هذا؟ فقلت: لقد ضايقتم ركاب الطائرة، قال: ما أحد اشتكى إلا أنت، وهنا ثارت الطائرة كلها عليهم، وقامت لهم امرأة محجبة -لله درها- وأسمعتهم من غليظ الكلام، قالت: ألا تخشون الله في الأرض، أما تخافون من العقوبة بين السماء والأرض؟ أما تخشون وأنتم تسمعون عن العقوبات الإلهية في كل مكان، كيف تأتون الآن وتعصون الله؟ والله! لا أجالسكم في مكان واحد ثم انطلقت إلى الأمام، لقد تقاعس الرجال عن إنكار المنكر، فقامت المرأة وأنكرت عليهم، فتوعدوني وقالوا لي: الموعد في مطار أبو ظبي! وهنا تذكرت أحد أصحابي أحتاجه في مثل هذا الموقف، وأعرفه تمام المعرفة، وباستطاعته أن يمسك اثنين بقبضته، فتمنيته معي في ذلك الموقف لكن أراد الله أمراً آخر.فلما وصلنا إلى مطار أبو ظبي بحثت عنهم فلم أجدهم، وفترة الانتظار في أبو ظبي تمتد إلى ثلاث ساعات، وما أدراك ما مطار أبو ظبي؟! فالمنكرات في كل مكان، فأين الفرار؟ فما وجدت مهرباً إلا إلى الله، فرأيت مصلى صغيراً فأويت إليه، فمكثت فيه لمدة ثلاث ساعات أقرأ القرآن، كما فر كثير من الصالحين إلى ذلك المكان، فلا مفر من الفتن إلا إلى الله تبارك وتعالى عندما حانت ساعة الرحيل انطلقت إلى البوابة التي ينادى عليها ففوجئت أن السكارى معي على نفس الطائرة، فقلت: لم أتخلص منكم هناك وستظلون معي تسع ساعات الآن؟! فركبوا معي وكانوا في

الكراسي التي أمامي تماماً لكنهم لم يتكلموا بكلمة طوال الرحلة، ماذا كانوا يصنعون؟ إنهم كانوا يتبادلون كئوس الخمر لتسع ساعات حتى أهلكهم الخمر، فناموا باقي الرحلة، فأقلعنا في الساعة الثانية ليلاً، أي: أنه بعد ساعتين أو ثلاث سيكون وقت صلاة الفجر، وعلى متن الطائرة أكثر من ثلاثمائة راكب ما بين رجل وامرأة وأكثرهم نساء، فنظرت في واقع هؤلاء النساء: ما الذي دفعهن للسفر آلاف الأميال؟ لقد تركن بيوتهن وتركن أهليهن وتركن كل شيء بحثاً عن لقمة العيش، مع العلم أن اندونيسيا ليست بالبلد الفقير، فهي أكبر دولة مسلمة من حيث تعداد السكان، وتعدادها أكثر من مائتين وعشرين إلى مائتين وثلاثين مليوناً، وهي رابع أكبر دولة في العالم، فجزرها وأراضيها تمتد ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، وحتى تقطع اندونيسيا من أولها إلى آخرها تحتاج أن تركب الطائرة لمدة خمس ساعات، إنها جزر مترامية الأطراف، غنية بالنفط والمعادن والمياه والزراعة والقوة البشرية وبكل شيء، والعجيب أن شعبها من أفقر شعوب العالم! سأذكر لك السبب حين نصل إلى تلك الديار.فوفقني الله إلى رجل اندونيسي فيه من الخير الشيء الكثير، فبدأنا نتكلم أنا وإياه على مدى الرحلة عن أحوال المسلمين هنا وهناك، وأعجبني –رغم أنه لا يتكلم العربية بطلاقة– استشهاده بآيات القرآن، فقد كان يستشهد بآيات القرآن ويضعها في مكانها الصحيح، فحانت صلاة الفجر، فقلت له: نصلي ثم لابد –إبراءً للذمة– أن نخبر أهل الطائرة أنه قد حان وقت صلاة الفجر، فبدأ هو يطوف على من أمامنا وأنا أطوف على من خلفنا: أنه قد حانت صلاة الفجر، وركاب الطائرة تجاوزوا الثلاثمائة، فوالله! ما صلى إلا خمسة، سبحان الله! نحن بين السماء والأرض، وأنت بحاجة إلى أن تستشعر أنك في حاجة إلى الله في مثل هذا الظرف، وأسألكم بالله لو حدث خلل فني بسيط في الطائرة من الذي سيجيرنا من عذاب الله؟ ومن الذي سيدفع عنا عذابه؟ ومن الذي سندعوه في تلك اللحظات؟

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا لما وصلنا إلى الشاطئ عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعةٍ وما سقطنا لأن الحافظ الله

بعد تسع ساعات متواصلة من الطيران بين السماء والأرض وصلنا يوم الجمعة في وقت صلاة العصر، واستقبلني أحد الإخوان الأفاضل هناك مع ابن له في العشرين سنة، فأعجبني منظره ومنظر ذلك الابن الذي يجيد اللغة العربية على أحسن ما يكون، فانطلقت معهم وفي الطريق قلت لهم: نريد مسجداً لكي نصلي فيه فقد حان وقت صلاة العصر، وأريد أن أجمع الظهر والعصر، فقال لي: لا أدري أين سنجد مسجداً قريباً، فقلت: أليست هذه بلدة مسلمة؟ قال: بلى، ولكن ليس من السهل أن تجد مسجداً قريباً، فقلت: الحمد لله! في بلادنا أينما تلتفت تجد المآذن ولا تبعد المساجد عن بعضها بعض، ففي كل مائة متر أو أكثر هناك مسجد، وأما هناك ففي كل خمسة أو

عشرة كيلو مترات تجد مسجداً، فبحثنا عن مسجد فما وجدنا، فقالوا: لن يكون هناك وقت للصلاة إلا في الفندق الذي سنسكن فيه، فاتجهنا إلى مصلى الفندق أول ما وصلنا، فصليت الظهر وصليت معهم العصر، ثم خرجت معهم للغداء، فكلما ألتفت يمنة ويسرة لا أرى إلا كاشفات عاريات، والله! لا أرى إلا مصائب في كل مكان.إندونيسيا المسلمة لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، إندونيسيا المسلمة لا تعرف من مظاهر الإسلام إلا الاسم فقط، والأعجب أن عطلتهم يوم السبت والأحد! قلت: ماذا تصنعون يوم الجمعة؟ قال: الناس في أعمالهم، قلت: وكيف يصلون الجمعة؟ قال: يصلي من يصلي ويبقى من يبقى، فقلت: ويوم السبت والأحد هل تذهبون إلى الكنائس؟ قال: لا، لكن هذه هي عطلة البلد الرسمية.الله أكبر! بلد مسلم لكن الصليب فرض عليهم أن تكون عطلتهم مع أحفاد القردة وأبناء الصليب، ثم قلت: فوّت هذا الأمر، لكن نساؤكم في كل مكان محجبات بأضيق الثياب، فما رأيت محجبة تلبس وسيعاً إلا النساء الكبيرات، وأما فتياتهم فلا يعرفن إلا البنطال، والله! ما رأيت امرأة تغطي وجهها إلا امرأة واحدة من أهل هذه البلاد مع زوجها في زيارة إلى هناك، وأما بناتهم ونسائهم فما رأيت من تغطي وجهها أبداً، والغالب عليهن حجاب على الرأس، وبنطال ضيق يفصِّل الجسد أشد التفصيل. وفي مطار من المطارات رأيت كاشفات عاريات، والتفت أهل المطار إلى امرأة محجبة حجبت رأسها ولكنها ضيقت ثيابها تضييقاً حتى جعلت كل من في المطار يلتف حولها، والله! لو كشفت شعرها ولبست ثوبها كان أحسن من أن تفعل ما فعلت، أما قال الله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ [الأحزاب:٥٩].فتغدينا ثم رجعت إلى فندقي وبت تلك الليلة وأنا في أهبة الاستعداد وعلى أحر من الجمر إلى أن أذهب إلى الأماكن المنكوبة، فأنا ما جئت للمكوث في جاكرتا لرؤية المنكرات، ولقد رأيت في ليل جاكرتا عجباً! فقد أخذوني ليلاً نمشي من مكان إلى مكان فما رأيت إلا نساء على جوانب الطريق، قلت: ما هذا؟ قالوا: هذا ليل جاكرتا، نوادي ليلية وملاه ومراقص ودعارة في الشوارع وفي كل مكان، قلت: أليس هذا بلداً مسلماً؟! فنحن نستنكر رؤية من تكشف وجهها فكيف وأنت ترى نساء يعرضن أنفسهن على جوانب الطريق؟! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، متى سأسافر إلى هناك؟ فأنا أريد أن أفر من هذه المنطقة، قال لي: ليس هناك مجال إلا يوم الإثنين أو الثلاثاء، فعطلتنا يوم السبت والأحد، ويوم السبت والأحد ليس هناك مكاتب ولا مؤسسات طيران تعمل فلا بد من الانتظار حتى يوم الإثنين صباحاً لكي نرتب أمور السفر إلى إقليم آخر، ونحن الآن في جاكرتا، ونحتاج للوصول إلى جزيرة سومطرة التي فيها الإقليم المنكوب أكثر من ساعتين ونصف بالطائرة، ولأن الفترة فترة إغاثة وفترة نكبة فقد كانت الوفود تأتي من كل مكان من العالم، فالحجوزات ملأت الفنادق والمطارات والشقق، والحجوزات صعبة جداً.. قلنا: سننتظر،

وسنرى ماذا نستطيع أن نفعل في يوم الإثنين.واستغلالاً ليوم السبت جاءني في الساعة الواحدة صاحبي وقال: سآخذك إلى معهد أيتام فيه مدرسة لكفالة الأيتام وتربيتهم، وهي ابتدائية ومتوسطة وثانوية، ثم بعد أن يتخرجوا من الثانوية يدخلون في معهد لكفالة الدعاة لمدة سنتين ثم يتخرجون دعاة، يتقنون اللغة العربية ويتقنون بعض العلوم الشرعية ثم ينشرونهم في قراهم التي أخذوهم منها، وهناك في المعهد ارتاح قلبي، فعلى مدى ساعتين ونصف ونحن في طريقنا إلى هناك، وبسبب الزحام الشديد امتدت الرحلة إلى أربع ساعات، فطرقهم ضيقة، وزحامهم شديد، وفي طول الطريق لا ترى إلا معاقل للمنكرات، ماذا يحدث بك وأنت قد تعودت على عدم رؤية مثل هذه المناظر؟ إنه يضيق صدرك شيئاً فشيئاً.ثم وصلت إلى ذلك المعهد فانشرح صدري وأنا أرى الصغار في حلقات القرآن، وأرى الكبار في المسجد يتعلمون ويعلمون، فاطمأن قلبي نوعاً ما، وعلمت أنه لازال هناك خير، صحيح أن الغالب شر لكن هناك خير وأهل الخير يعملون على قدر استطاعتهم وعلى قدر إمكاناتهم، وكل الجهود التي رأيناها هناك هي مقدمة لهم من خارج إندونيسيا، إما من هذه البلاد، أو من إحدى دول الخليج التي تساعدهم وتعاونهم على نشر الدعوة الصحيحة، والغالب على إندونيسيا التصوف إلا ما رحم الله، فهم لا يعرفون من الدين إلا التصوف، ويظنون أن هذا هو الدين، فوقفت حائراً متسائلاً أقول: يا ألله! كيف استطاع أهل المنهج الخاطئ أن ينتشروا في إندونيسيا كلها؟ وأين أهل المنهج الصحيح؟ وكيف استطاع أهل التصوف أن ينتشروا في هذه الجزر كلها ولم يستطع أهل المنهج الحق أن ينتشروا في كل مكان، ويصححوا المنهج؟ أما كان المنهج صحيحاً؟ بلى، كان المنهج صحيحاً ثم اجتهد هؤلاء حتى غيروا منهج أهل البلد وقلبوه رأساً على عقب!فلما دخلت المعهد اطمأن قلبي، ثم رجعنا من المعهد في الثامنة ليلاً بعد أن سمعنا من قراءات الصغار وكلام الكبار، وشهدنا مواقف جميلة معهم، ووصلنا في العاشرة تقريباً فالطريق أيضاً مزدحم، وفي يوم الأحد لم يكن هناك إلا الانتظار حتى يأتي يوم الإثنين، فكنا نرتب فيه أمور السفر، قلت له: لا أريد أن أذهب إلى أي مكان سأخلو بنفسي في هذا اليوم استعداداً للسفر، وبعد صلاة الظهر من يوم الأحد خرجت أنا بنفسي أمشي على قدمي وأترقب، والجميع ينظر إلي وكأني شيء غريب عندهم: رجل صاحب لحية وثوب يمشي في تلك الطرقات، فالجميع ينظر إلي باستغراب، وبعضهم يشير إلى لحيتي، وبعضهم يأتيني ويقول لي: أنا مسلم، قلت: سأسأل المارة أين أقرب مسجد؟ لكنهم يظلون يفكرون: هاه هنا لا لا هناك، إلى أن وصلت إلى أقرب مسجد لكي أصلي فيه صلاة الظهر، فدخلت المسجد وقد أذن لصلاة الظهر، فوالله الذي لا إله إلا هو! مئات من البشر خارج المسجد، وما صلى معنا إلا صف واحد، فتعجبت كيف يسمعون النداء ولا يجيب منهم أحد، فعلمت أن المأساة أعظم مما تتصور، يسمعون المنادي ينادي: حي على الصلاة،

حي على الفلاح، والله! ما يجيب منهم أحد، إنهم يصلون لكنهم لا يعترفون بصلاة الجماعة، حتى أني حين ناقشت أحدهم في وجوب صلاة الجماعة قال لي: أنت حنبلي؟ أنتم تجبرون الناس على الصلاة في المساجد، قلت: ما أقيمت المساجد إلا لصلاة الجماعة، ولا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا ضعاف الإيمان.وتجاوزت أحزاني في المسجد وخرجت أبحث عن مطعم قريب، ويوجد هناك مطاعم عربية كثيرة، فالسواح العرب كثير من كل مكان، لما منعنا من السفر إلى شرق آسيا حول شباب الضياع وجهتهم إلى إندونيسيا، فأصبحت إندونيسيا هي محطة الضياع للشباب العربي، وأصبحت هي مكان اللهو والخمر والزنا بالنسبة للسواح العرب والشباب المسلمين، فدخلت المطعم وهم يتكلمون العربية؛ لكثرة السواح الذين يأتونهم، ثم أكلت، ثم فوجئت بدخول خمسة من الشباب، والله! لولا أنهم يتكلمون العربية ما ظننت أنهم من أبناء المسلمين، إن أشكالهم ورءوسهم لا تدل على ذلك، لقد صبغوا رءوسهم هذا شعره أخضر، وهذا شعره أصفر، وهذا شعره أحمر، فقلت: يا ألله هكذا يصنعون إذا أتوا وابتعدوا عن أهليهم، فأردت أن أكلمهم، لكن بعد أن انتهيت بحثت عنهم فإذا هم دخلوا من الباب الأول وخرجوا من الباب الآخر، فتحملت أحزاني ورجعت إلى فندقي، وبت تلك الليلة على أحوال لا يعلمها إلا الله، فهذه مشاهد تجعل الإنسان يتفكر ويقول: هل حقيقة أني في أكبر بلد مسلم؟ وهل حقيقة أني بين شعب يؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟إندونيسيا بلد رضخ تحت الاستعمار الهولندي عشرات السنين فغير فيه المستعمر كل شيء، حتى أيام العيد غيروها، وأنا أعرف أننا قد نختلف في عيد الفطر لاختلاف المطلع واختلاف الرؤيا، لكن لا نختلف في عيد الأضحى، والغريب أن العيد هنا كان يوم الخميس وكان العيد هناك يوم الجمعة! قلت: كيف هذا؟! قال: عيدنا مع الحكومة، وليس مع المسلمين، قلت: بالأمس الأربعاء وقف المسلمون في عرفة فاليوم هو يوم النحر وكان يوم الخميس، فإذا كان عيدكم يوم الجمعة فماذا نسمي يوم الخميس؟! يوم الأربعاء يوم عرفة ويوم الخميس يوم النحر، ويوم الجمعة يوم القر بمنى، فماذا تسمون هذه الأيام؟ هذه أيام لها مسميات، قال: عيدنا مع الحكومة، والله! ما خرجوا في الشوارع بالاحتفالات إلا يوم الجمعة، وباقي العالم الإسلامي في عالم آخر.وجاء يوم الإثنين، فذهبت أنا ومن استقبلني إلى مكتب جمعية إحياء التراث، وبدأنا بترتيبات السفر، وكان معي مبلغ من المال جمعته من بعض الإخوة الأفاضل من هنا وهناك؛ لعلّي أقدم به بعض العون للمنكوبين وللمصابين، وأجبر بعض الخواطر، وإلا فالخواطر تحتاج إلى ملايين حتى تجبر، فقد خسروا بيوتهم وممتلكاتهم وكل شيء، وما خرجوا من الدمار إلا بثيابهم التي يلبسونها، فخسروا كل شيء ولم يبق لهم أمل إلا بالله ثم بإخوانهم المسلمين، فمعي مبلغ من المال صغير، ولما صرفناه أصبح كبيراً، فقلت: يا إخوان! كيف أحمل هذه المبالغ وفيها أصفار كثيرة لا

تستطيع أن تعدها، لكثرة أصفارها، فالعملة الإندونيسية ما فيها خير، فأين ذهبت البركة في الأموال، والبركة في الأعمار، والبركة في الثروات؟! كلها ذهبت وانطمست بسبب الذنوب والمعاصي، ووالله الذي لا إله إلا هو! إندونيسيا ليست بالبلد الفقيرة، وقد أخبرني أهلها عن كثير من الثروات التي تحتويها بلادهم لكنهم يعيشون في فقر لا يعلمه إلا الله، فأكثر من (٤٠%) من الشعب الإندونيسي يعيش بمعدل دولار واحد في اليوم، أسر كاملة تعيش بمعدل دولار واحد في اليوم، أي: ثلاثة ريالات فقط مصروف أسرة كاملة في اليوم الواحد، وعلى الرغم من تعداد أفرادها صغاراً وكباراً فأكثرهم والله لا يعرف إلا الفقر والعوز والحاجة، وبالرغم من فقرهم لكنهم استمرءوا المعاصي على فقرهم، فالفقير يجعله فقره يلجأ إلى الله، لكن فقرهم جعلهم يستمرئون المعاصي والفواحش والمنكرات، إنه بلد من أعظم البلدان، إذا قلت لك: ٩٠% من شعب إندونيسيا يدخن فقد أخطأت، بل ٩٠% ليس عنده ما يأكل وما يشرب، لكن عنده ما يشتري به الدخان، وعنده ما يشتري به وسائل اللهو ووسائل الضياع، فتحملت أحزاني وأنا أسمع الأخبار تأتي من هنا ومن هناك، وأنا أعد نفسي للذهاب إلى تلك الديار قال لي صاحبي: الوصول إلى هناك سيكون بصعوبة، الحجوزات ليست بسهولة، ولكني وجَدت لك حجزاً يوم الثلاثاء مساءً، ثم تسافر إلى بلدة تمكث فيها ليلة، ثم في الصباح الآخر تغادر إلى تلك الديار المنكوبة، واسم الإقليم المنكوب (أتشى)، والبلد المنكوب اسمه (بند أتشى)، وهي عاصمة ذلك الإقليم، قال لي: لن تجد طعاماً ولن تجد أدوية، فاستعد بطعامك وشرابك ودوائك قبل أن تذهب إلى هناك، فاستعدينا، وأرسل معي مرافقاً يتكلم العربية حتى يكون لي معيناً في رحلتي، فجزاهم الله خيراً، ووفروا لي كل أسباب الراحة، واشترينا طعاماً ودواء، واشترينا كل ما نحتاجه للسفر إلى هناك.وفي يوم الثلاثاء مساءً انطلقنا إلى المطار وهناك زحام شديد بكل ما تعنيه الكلمة، وعندما ترى ذلك الاختلاط تسأل الله أن يحفظك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واستشعرت عظيم الرفقة في السفر حين يكون معك أخ يعينك على الطريق، فالطريق يحتاج إلى رفيق، والذئب يأكل من الغنم القاصية. وصلنا إلى المطار، ولشدة الزحام ولكثرة الرحلات تأخرت رحلتنا، وبدلاً من أن تقلع الطائرة في الخامسة والنصف أقلعت في الثامنة والنصف، وصلنا إلى هناك بعد ساعتين ونصف إلى بلد يبعد عن البلد المنكوب بالسيارة ثنتي عشرة ساعة، وهذا ليس لأجل أن المسافة طويلة، لكن لأن الطرق ضيقة، وإلا فالمسافة ستمائة كيلو، لكن لضيق الطريق ولازدحامه الشديد تقطع المسافات في ساعات طوال، فلما وصلنا استقبلنا أحد الإخوان هناك، وبدأنا نبحث عن مكان نبيت فيه في تلك الديار، فالفنادق كلها مليئة ولا تجد فيها أي مكان، فتجولنا بين فندق وثان وثالث ورابع وخامس ثم وصلنا إلى مكان كان في الأصل مستشفى لكن لشدة الزحام حوّلوا غرف المستشفى إلى فندق حتى يستقبل هيئات الإغاثة

وهيئات الإنقاذ، فبتنا عندهم تلك الليلة، ففوجئت أن الباب يطرق علينا طول الليل، فإذا بالداعرات والمومسات ينتشرن بين الفنادق كلها ويطرقن الأبواب على السواح، آذونا في ليلنا كله نسأل الله العفو والعافية، وأنا أردد في نفسي وأقول: هل أنا في بلد مسلم أم ماذا؟! أحقيقة أنا في بلد مسلم أم أين أنا؟وفي الصباح الباكر صلينا الفجر ثم انطلقنا إلى المطار بعد أن بتنا في خطر عظيم لا يعلمه إلا الله، فوصلنا إلى تلك الديار في الثامنة صباحاً، فلما نزلنا استغربت من وجود صور بالآلاف على مقدمة المطار وعلى جدرانه وفي كل مكان، وهي صور لأطفال ولرجال ولنساء، قلت: ما هذا؟ قال: هؤلاء الذين فقدوا في هذا الدمار، فصورهم معلقة في كل مكان، فآباء يبحثون عن أبنائهم، وأبناء يبحثون عن أمهاتهم، فقد ضلوا فلا يعرف أين هذا وأين ذاك، فهناك إحصائية تذكر في جريدة في اليوم الذي وصلت فيه أن عدد الذين ماتوا أكثر من مائة وستين ألفاً على مدى ثمانية عشر يوماً، وأنا وصلت إلى تلك الديار بعد مرور ثمانية عشر يوماً من حدوث تلك الحادثة، فمات أكثر من مائة وستين ألفاً، وهناك أكثر من مليون مشرد لا ملجأ لهم ولا مأوى، وأكثر من خمسة عشر ألفاً مفقودون، لا يعرف هل هم تحت الركام أم في الملاجئ أم في المستشفيات؟ فانطلقنا فاستقبلني أفراد مكتب هيئة إحياء التراث الذين بعد أن حدث ما حدث هناك استأجروا لهم مكتباً هناك، وبدءوا بالعمل على إغاثة المنكوبين والمحتاجين، قال صاحبي: لا مجال للذهاب إلى المقر سنبدأ الجولة من الآن، والمطار يبعد عن عاصمتهم المنكوبة خمسة وعشرين كيلو، وبعد أن تجاوزنا المطار بخمسة كيلو مترات بدأت أرى آثار الدمار، وعلى بعد عشرين كيلو عن أمواج البحر ليس الدمار كبيراً، لكن كلما اقتربنا نرى العجب العجاب، وأنا أتلفت يمنة ويسرة والله ما أرى إلا دماراً فأقول: أمن المعقول أن الدمار بلغ إلى هنا؟! قال: سترى العجب العجاب، اصبر فقط. وقد قمت بتصوير المشاهد التي رأيت حتى لا يقال: إن الكلام الذي تقوله ليس حقيقة، فقد سجلت وصورت كل ما رأيته، وكتبت الرحلة من أولها إلى آخرها بكل أحزانها وبكل آلامها، وقد تخللتها ابتسامات لكن الأحزان والدموع أكبر مما تتصور، فسجلت هذا وسجلت ذاك، ثم صورت الأحداث كما رأيتها وسأحرص إن شاء الله على أن أخرج ما كتبت في كتيب صغير، وأخرج ما صورت في شريط فيديو؛ حتى يرى الناس حقيقة ما حدث هناك.فاقتربنا من قرية تبعد عن شاطئ البحر ثمانية كيلو مترات قلت: سبحان الله! ما هذا؟! قال لي: سترى أعظم، قلت: أعظم من هذا؟ قال: والله! ما رأيت شيئاً إلى الآن لقد رأيت يا إخوان بيوتاً مدمرة، وأشجاراً تراكمت وتقطعت من أصولها، وسيارات تراكمت بعضها على بعض، وقد اختلط الحابل بالنابل، ورأيت سيارات مع الأشجار ومع أثاث البيوت ومع كل شيء، وتحتها جثث من البشر لا يعلم عددهم، إن التفت يمنة أرى عشرات الجثث قد مددت، وإن التفت يسرة أرى مثلها، حيثما التفت أرى آثار الموت،

والروائح الكريهة تشم من كل مكان، قلت: يا ألله! ما الذي حدث؟ قالوا لي: الأمر أعظم، إلى الآن لم ترَ شيئاً، أنت الآن في منطقة تبعد عن شاطئ البحر بثمانية كيلو مترات، لقد حدث في هذه المنطقة أن المياه تدفقت الساعة السابعة والنصف أو الثامنة صباحاً والناس نيام أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ [الأعراف:٩٧]، **فاقتحمت عليهم المياه بيوتهم في الثامنة صباحاً وهم نيام، فلم يستطع أحد أن يخرج من مكانه، لقد كسرت المياه الأبواب، واقتحمت النوافذ، وبلغت المياه داخل البيوت إلى مترين وثلاثة أمتار، فغرق من غرق، ومن سلم من الغرق فقد كسرته تلك الأشجار، وتلك السيارات، وذلك الأثاث المدمر، لقد كسرت عظامهم، وكسرت جماجمهم، ثم تراكمت عليهم تلك الأشجار والسيارات والبيوت التي تهدمت، من أين أتت تلك السيارات؟ لقد أتت من شاطئ البحر! قذف البحر بكل ما كان على شاطئ البحر على بعد ثمانية أو عشرة كيلو مترات، قذفت تلك الأمواج مع قوتها وشدتها كل ما كان على شاطئ البحر على بعد ثمانية أو عشرة كيلو مترات.ثم وقفت حائراً وأنا أرى منظراً عجيباً، قلت: ما هذا؟! قال: هذه سفينة! أنا لا أتكلم عن سفينة خشبية أو مركب صيد، أنا أتكلم عن ناقلة كبيرة طولها ستون متراً ووزنها خمسمائة وستون طناً، قلت: ما الذي أتى بها إلى هنا؟ قال: قذفتها الأمواج حتى أوصلتها إلى هنا! السفينة تحمل مولدات من الكهرباء كانت على شواطئ البحر فقذفتها الأمواج كالريشة، قلت: هل هذا معقول؟! قال: معقول والأمر أدهى وأعظم! وقد قال لي من عرف أني سأذهب إلى هناك وقد ذهب قبلي: قال: سترى قيامة مصغرة، أليس يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض؟ لقد انقلبت الأرض رأساً على عقب، فلاهي بالبيوت التي يعرفونها، ولا بالأشجار التي كانوا يرونها، ولا بالبحار التي كانت هادئة، لقد تغير كل شيء!ووجدت أناساً عند بيوت محطمة فقلت لهم: ماذا تفعلون؟ قالوا: أهلنا في الداخل نريد إخراجهم، وقد مضى على موتهم أكثر من ثمانية عشر يوماً، إنهم يجتهدون ويأتون من أماكن بعيدة لاستخراج أقاربهم من بيوتهم المدمرة ، فوقفت مع أناس، قال أحدهم: هنا أخي وزوجته وأطفاله الأربعة، وكثير منهم يجتهدون في إخراج أهلهم حتى يدفنونهم فرادى، لكن حين يخرجونهم ويرون مقدار التشوه ومقدار العفن الذي أصابهم يوافقون على دفنهم في المقابر الجماعية على أطراف القرى، فيحفرون لهم حفراً كبيرة، ومعدل من يدفن فيها كل يوم أكثر من سبعمائة، كيف يدفنونهم؟ إنهم يحملونهم ثم ترمي الدركترات بعضهم على بعض، فلا يستطيع أحد أن يتولى دفنهم؛ لشدة العفن والتلف الذي أصيبت به تلك الجثث.ووقفت مع أحدهم فقال: أنا عمدة هذه البلدة، كنت مستيقظاً قبيل أن يحدث ما حدث، يقول: فشعرت بهزات أرضية، وكان أجدادنا يقولون: إذا شعرتم بالزلزال وأنتم قريبون من البحر ففروا إلى الجبال، يقول: فخرجت أصيح في الشوارع وفي طرقات القرية: الهرب .. الهرب.. الهرب.. الهرب، ففر معي أكثر من**

ألفين، وآلاف قضوا نحبهم تحت الأمواج، وتحت الركام، فأنقذت أهلي وفررت ومعي ألفان ممن فروا معي.فصعدنا على ظهر السفينة والتفت يمنة ويسرة فقلت: أحقيقة ما أشاهد؟ هل معقول أن هذا كله حدث؟ قال لي: أنت لا زلت إلى الآن بعيد عن مركز الحدث، إنك إلى الآن لم تر شيئاً! قلت: لا إله إلا الله! لم أر شيئاً؟! كل هذا الدمار وتقول لي: لم تر شيئاً؟! قال: إي نعم، إلى الآن لم ترَ شيئاً، فالأمر أعظم مما تتصور!فانتهينا من جولتنا في هذه القرية بعد أن رأينا عشرات الجثث تنقل من هنا ومن هناك، ثم انطلقنا إلى مكان أقرب يقع على شاطئ البحر، ووقفت على شاطئ البحر فلم أرَ شيئاً يا إخوان! أرض استوت تماماً لا ترى فيها شيئاً، قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا [طه:١٠٦-١٠٧]، أين البيوت؟! لقد زالت عن بكرة أبيها، أين القرى؟! أين البشر؟! ذهبوا كلهم. هل تظن أن بيوتهم خشبية؟ لا والله! بل هي عمارات ومبان شاهقة من الحديد والإسمنت، وقد زالت عن بكرة أبيها، والله! لا ترى إلا قواعد البيوت على مد البصر! قلت: لا إله إلا الله! أي قوة لهذه الأمواج حتى اقتلعت هذه البيوت من أصلها واقتلعتها من مكانها؟! سبحان الله! حجار وطين وحديد وكل ما تستطيع أن تتصوره زال عن بكرة أبيه، أين ذهب؟ لقد ساقته الأمواج إلى القرى التي تبعد عشرات الكيلو مترات عن تلك القرى، ففي جانب البحر لا ترى إلا أرضاً قد غسلتها الأمواج تماماً.ترى القواعد الأرضية، وبلاط البيوت في كل مكان قد تساقط، أما أثاثهم وسيارتهم وممتلكاتهم فاقتلعتها الأمواج عن بكرة أبيها، ورمت بها على بعد عشرات الأمتار والكيلو مترات إلى القرى التي تليها.وقفت أمام البحر وقد كان هادئاً أهدأ ما يكون فقلت: هل يعقل أن الأمواج خرجت من هنا؟! قال لي: الأمر أعظم، سأريك أعظم مما رأيت!فانطلقنا إلى مكان آخر على شاطئ البحر من جهة مقابلة، وحتى تدرك عظم الشواطئ التي أصيبت بالدمار فإن طولها أكثر من مائتين وخمسين كيلو، ودخلت المياه إلى اليابسة إلى بعد عشرة كيلو مترات، بطول الساحل مائتا وخمسون كيلو دخلت المياه إلى اليابسة إلى بعد عشرة كيلو مترات! فما هي القوة التي مع هذه الأمواج؟ إنك لا تستطيع أن تتصورها.فذهبنا إلى قرية أخرى على شاطئ البحر فما رأيت إلا دماراً، وقفت في قرى تبعد عن شاطئ البحر بكيلو مترات فرأيت فيها من الدمار ما الله بها عليم، ثم أخذت أقترب شيئاً فشيئاً من شاطئ البحر، حتى وقفت على تلك الأمواج الزرقاء، فقلت والبحر في أهدأ حالاته: أيعقل أن تلك الأمواج خرجت من هنا؟ نعم لقد خرجت من هنا، لكن لماذا خرجت؟ وكيف خرجت؟ انتقلنا من ذلك الموقع إلى موقع آخر على شاطئ البحر، إن الشواطئ من أجمل ما ترى العين، وصاحب القلب الحي يقف هناك ويقول: ما أعظم الله! فإنه يرى جمال وبديع خلق الله تبارك وتعالى، وبدلاً من أن يذهب الناس إلى هناك للتفكر، ذهبوا لمحاربة الجبار بالمعاصي والمنكرات في أرضه وتحت سمائه.فأخذوني إلى قرية أخرى، فوقفت على شاطئها فرأيت

مثل الذي رأيت هناك، إلا أنه اختلف شيء واحد وهو أن الأرض قد استوت تماماً من أولها إلى آخرها، لقد زالت المباني التي من الحديد والإسمنت عن بكرة أبيها إلا بيتاً وجدته ملقاً على جانب القرية، قلت: هذا البيت قد نجا، قال: لا هذا ليس بالدور الأول هذا الدور الثاني للبيت الذي تدمر تماماً، هذا يبعد عن شاطئ البحر حوالي مائتين أو ثلاثمائة متر، سبحان الله! ومع قوة الأمواج وشدتها اقتلعت الدور الأول بكل ما فيه، ثم طفا الدور الثاني وقذفت به الأمواج بعيداً عن الدور الأول بحوالي ستين أو سبعين متراً! ما هي القوة التي مع هذه الأمواج حتى تحمل مثل هذا؟! حملت السفينة ووزنها خمسمائة وستون طناً وقذفت بها إلى مسافة ثمانية كيلو مترات، فكيف ستصنع بما كان على شاطئ البحر؟!التفت إلى جهة أخرى فإذا ببنيان فيه مآذن وقبة بيضاء فقلت: ما هذا؟ قال: هذا مسجد القرية نجا من الدمار! قلت: لا إله إلا الله! فانطلقت إلى هناك، واقتربت من المسجد وفي قلبي رهبة، التفت يمنة ويسرة فلم أر شيئاً قائماً أبداً، فالبيوت التي لها قواعد حديدية وإسمنتية قد تدمرت، وبعضهم ممن رأى المسجد ورأى ما حوله قال: كانت البيوت خشبية فما قاومت الأمواج والتيارات، لا والله! بنيان المنازل كان أقوى من بنيان المسجد، والمسجد عمره عشرات السنين، وبعض المباني كانت حديثة، فهذا البيت الذي ذكرت لكم انتهى من بنيانه منذ ثلاثة أشهر فقط، وهو لا يزال في أقوى قوته، وفي أقوى قواعده، ومع هذا فقد زال تماماً، دخلت المسجد، فإذا به لم يصب إلا بضرر قليل، ويحتاج إلى ترميمات قليلة ليعود كما كان، هل تظن أنه المسجد الوحيد الذي هو بهذه الحال؟ لقد رأيت عشرات المساجد مثله!ركبت سفينة في رحلة بحرية لمدة ست ساعات فرأينا قرى مدمرة عن بكرة أبيها لم ينجُ منها أحد، ورأيت المساجد في وسط تلك القرى، كل شيء تدمر إلا المساجد! سألت أكثر من نجا: كيف نجوتم؟ قالوا: لجأنا إلى المساجد، وهكذا فإن الناس في الشدة يلجئون إلى الله. ماذا كان يحدث على تلك الشواطئ حتى حل بها ما حل؟ وقفت حائراً أتفكر، يا ألله! ما الذي حدث هنا؟ قرى أُبيدت عن بكرة أبيها فما رأيت مثل هذا إلا في كلام الرحمن فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا [النمل:٥٢] وقوله: فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ [القصص:٥٨]، فما الذي حدث حتى أغضبوا الجبار جل جلاله فغارت بحاره وأرضه وصنعت بالبشر ما صنعت؟! قلت لأحد الذين نجوا: ما الذي كان يحدث هناك؟ قال: كان يحدث على الشواطئ أمر يفوق الخيال، اختلط الحابل بالنابل، قلت: من السواح؟ قال: لا، بل من المسلمين أنفسهم، فقد أصبحوا يعاقرون الفاحشة على مرأىً ومسمع من كل منهم، فهذا يزني بتلك، وهذا يزني بتلك، والجميع ينظر بعضهم إلى بعض! ثم يأتي الكفار فيزنون ببنات المسلمين على الشواطئ والمسلمون يرون ذلك ولا يتحرك فيهم شيء! قلت لهذا: أين تسكن؟ قال: هذا بيتنا! فلم أر شيئاً، قلت له: من فقدت؟ قال: فقدت أمي

وأبي، قلت: أين كنت في تلك الساعة؟ قال: كنت أتجول على المساجد أعلق فيها صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة وضوئه في تلك الساعة التي حل فيها الدمار، سبحان الله! وَأَنجينا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ [الأعراف:١٦٥]، قال: كنت أنكر عليهم ما كان يحدث هناك، وكنت أحذرهم أن العقوبة ستحل علينا، ولكن لقد أسمعت لو ناديت حياً. قال لي أحد الناجين: أنا أعمل في مصنع إسمنت مرتفع على جبل، فأحسست بزلزال في ساعة مبكرة من الصباح، فانطلقت إلى مكان عملي قبيل الساعة السابعة والنصف أو الثامنة، فشعرت بالأرض تتحرك، فخفت على أهلي ورجعت إلى البيت، فعندي زوجتان وعشرة أطفال، فدخلت الدار فإذا هم نيام، فاطمأننت عليهم ثم رجعت إلى مكان عملي، فما هي إلا لحظات حتى جاءت الأمواج وأخذت كل شيء، قال: كانت تلك النظرة الأخيرة لأهلي، فكأني ذهبت أودع أهلي وأطفالي العشرة والزوجتين، ففي لحظات ذهبوا مع من ذهب! قلت: فماذا رأيت؟ قال: رأيت عجباً!فما الذي حدث يا إخوان؟ إن إندونيسيا أكبر الدول المتضررة تبعد عن مركز الزلزال أربعين كيلو متراً، وفي المقابل آلاف الكيلو مترات في تايلند، والصومال أصابها الموج أقوى ما يكون! إن كان الموج قوياً على تلك الجهات على بعد مسافتها فأسألكم بالله ماذا تتوقع أن يحل بتلك الشواطئ؟يقول لي: فلما ودعتهم واطمأننت عليهم رجعت إلى مصنع الإسمنت، وبعد لحظات رأيت أمواجاً سوداء تأتي من وسط البحر، فلما ضرب الزلزال في البحر انحسرت المياه داخل الأرض واختلطت بالحمم واللهب والنار التي توجد في قاع البحر، فاختلطت بها المياه وارتفعت درجات الحرارة، يقول: وعندما انحسر الماء داخل الأرض انحسرت المياه عن الشواطئ، وظهرت الأسماك، فالذين كانوا على شواطئ البحر دخلوا إلى البحر يجمعون الأسماك.قال: وبعدها بلحظات رأيت أمواجاً سوداء ارتفاعها عشرون أو ثلاثون متراً تطوي الأرض طياً، سرعتها تجاوزت الستمائة أو السبعمائة كيلو متراً، وبدأ الصياح يأتي من كل مكان، ودرجات حرارة الأمواج مرتفعة جداً، وقد رأيت هذا في الجثث التي رأيناها، لقد احترقت تماماً، واحترقت الأشجار، والأراضي، والبيوت، واحترق كل شيء، فزيادة على الغرق يوجد حرق!يقول: رأيت أمواجاً سوداء تطوي الأرض طياً، ورأيت كل شيء يهلك أمامي ولا أستطيع أن أفعل شيئاً، فتذكرت أبنائي الذين تركتهم هناك، فذهبوا مع من ذهب.

فماذا كان يصنع هؤلاء حتى يحل بهم ما حل؟ والله! إن القضية أعظم من الزنا، وأعظم من شرب الخمور، والله! ما أراهم إلا أنهم قد تحدوا الله، والله ما أراهم إلا أنهم قد بلغوا درجة عظيمة من الطغيان حتى حل عليهم مثل هذا العذاب المهين، فلا تسمع إلا أصوات الاستغاثات من كل مكان، فالأمهات يهرولن والصغار يولولون، والمياه تندفع من كل مكان، إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة:١١-١٢]، ووالله! ما رأيت إلا قيامة قد قامت هناك،

فأكثر من مائة وستين ألفاً ماتوا في لحظات! ومليون مشردون في كل مكان!فما دمر الله القرى إلا لظلمها، فحين سألت ذكروا لي كل أصناف الذنوب والمعاصي، وكل أنواع الظلم والطغيان، فسحر وشعوذة،وقتل للأبرياء، وزناً وانتهاك للمحارم، وكل أنواع المعاصي والمنكرات، والأدهى والأمر أنه لم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل كانوا قد رضوا بما كان يحدث هناك، فوالله ما رأيت دماراً كما رأيت، وما رأيت سبباً لهلاكهم إلا أنهم رضوا بما يحدث هناك، فالزنا في كل مكان، وشرب الخمر في كل مكان، فلماذا يُصنع بهم ما صُنع؟ لا يعلم ماذا كان يصنع هناك إلا الله جل في علاه، والذي أعرفه وأنا متيقن به: أنهم أغضبوا الله فأحل بهم ذلك العذاب، فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ [الزخرف:٥٥]، **وقد تقول: إن بينهم من يصلي ويصوم، فأقول: نعم، لكن ما فائدة الصلاة والصيام ونحن نرى أوامر الله تنتهك؟ وما فائدة الصلاة والصيام ونحن نرى الله يعصى ولا يتحرك فينا متحرك؟ فلا ينجو المجتمع إلا إذا تعاون أهل السفينة على إنقاذها، أفنترك العصاة وأصحاب الشهوات وأصحاب المنكرات يفعلون ما يشاءون حتى يحل بنا ما حل بهم؟ وهل نسكت حتى يحل بنا العذاب إذا تعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتَرك العصاة؟قال الله:** وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا [النساء:٢٧]، **فمن يحفظنا من بأس الله إن جاءنا؟ أتظن أن الصلاة والصيام ستنجينا؟** (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث)(البخاري ٣٣٤٦). **ألسنا نرى الفساد اليوم انتشر في كل مكان؟ ألسنا نرى المعاصي والمنكرات في كل مكان؟ فماذا يمنع أن يحل بنا ما حل بهم؟ هل نحن أكرم على الله منهم؟ لا والله! قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم عذاباً فتدعونه فلا يستجيب لكم)،(الأوسط ١٣٧٩ -) **فإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حل بنا أعظم مما حل بهم.إنها قرىً مسلمة من أولها إلى آخرها وجاء النصارى يحتفلون على شواطئهم بالشرك وبأن الله له ولد، فلم ينكروا ذلك، وجاء أهل الصليب على شواطئهم يزنون ببنات المسلمين وما تكلم منهم أحد،** فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً [النمل:٥٢] ، وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا [الكهف:٥٩]، **لما دمر الله قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها قال** وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود:٨٣]، **فهاهو الربا في كل مكان، وهاهي والمعاصي في كل مكان!ووالله مهما قلت فلن أستطيع أن أصف لكم ما حدث؛ فالأمر أعظم، ووالله! ما أرى القوم إلا أنهم قد أغضبوا الجبار جل جلاله، والجبار حليم، والجبار رحيم، لكنهم وصلوا إلى درجة عظيمة من الظلم والطغيان.وفي يوم الجمعة صليت معهم، وبعد الصلاة أذنوا لي بكلمة بعد الصلاة، فذكرتهم بالذنوب والمعاصي والفواحش والمنكرات، ثم قام أحدهم وقال للذي ترجم الكلمة: قل للعرب والمسلمين: أين أنتم؟ الآن تأتوننا يوم أن حل بنا العذاب؟ أين أنتم من قبل عنا؟ لماذا تركتمونا للنصارى؟ لماذا تركتمونا للصليب؟ يقول: فعلى مدى**

أيام ما رأينا مسلماً واحد يواسينا في مصابنا: نعم والله! ما رأيت في الملاجئ إلا الصليب، يوزع النصارى الحلوى على الصغار، والله! ما رأيت إلا علامات الصليب تتجول في كل مكان، تقدم الإعانات للمسلمين، فأين نحن عنهم؟!أما قال الله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات:١٠].**قلنا: ذلك بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، فأين ذنوبنا ومعاصينا نحن؟ ومن الذي يمنع عنا مثل هذا العذاب؟ إن سكتنا -والله- ليحلن بنا أشد مما حل بهم.فهل قرأتم الجرائد منذ أيام مضت؟ عندما منعت الاتصالات على برنامج (أكاديمي استار) للتصويت للعصاة والزناة يقول أحدهم في إحدى الجرائد: هذه حرية شخصية نصوت لمن نريد، ونفعل ما نريد، يعني اتركونا نعصي الله، فهل هذه حرية شخصية؟! وهل نترك أمثال هؤلاء؟!قال الله:** فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ [الأنعام:٤٤-٤٧].وقال الله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ [التوبة:٧١].وقال الله: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج:٤١].فعندنا من المنكرات أكثر مما عندهم، لكن لازال عندنا أولئك الذين ينكرون وأولئك الذين يقولون الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، وبمثل هؤلاء ننجو ونأمن من عذاب الله فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ [هود:١١٦-١١٧]، **فتخيل لو أن صغاري وصغارك كانوا بينهم! وتخيل لو أن نساءنا وأطفالنا كانوا بينهم!** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء:٨-٩]، **ذكر الله هذه الآيات بعد تدمير القرى الظالمة التي ظلمت وطغت وتجرأت على الله جل في علاه.فالله الله! كن سبباً من أسباب النجاة، وأْمر بالمعروف، وانه عن المنكر، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإن تخلينا فلا نلومن إلا أنفسنا، فالأمر -والذي نفسي بيده- أعظم من أن أبينه لك في ساعة، والأمر أعظم من أن ينقل بالكلام، والله! إني لا أستطيع أن أصف لكم حقيقة ما رأيت، مررت على الملاجئ، ومررت على المستشفيات ورأيت المصائب والآلام، وهم ينتظرون من يخفف عنهم تلك المصائب والآلام.في يوم السبت الذي وصلت فيه كتب في كل جرائدهم: إحباط محاولة اختطاف ثلاثمائة يتيم من الجمعيات النصرانية! فهم يخطفون الصغار والأيتام الذين فقدوا أمهاتهم وآباءهم، يأخذونهم إلى بلادهم فينصرونهم ويمسحون هويتهم المسلمة، وقد أخذوا من أخذوا وسرقوا من سرقوا من الأطفال، ولا أحد يعلم بهم، وقد جاءوا**

بطائراتهم يدعون أنهم يقدمون المساعدات، ووالله! ما أتوا حباً في المسلمين، فالله قد أخبرنا عنهم أنهم لن يرضوا عنا أبداً، والله أعلم بهم.فالله الله! فالمسلمون هناك يحتاجون من يدعو لهم، ويحتاجون من يزورهم، ويحتاجون من يمد لهم يد العون، إن أعظم ما نقدم لهم أن نصنع ابتسامة، وأن نشعرهم أننا معهم قلباً وقالباً، يقول لي: أين أنتم؟! أين دعاتكم؟! أين أبناؤكم؟! سبحان الله! يقول: لا يأتي منكم إلا من يزنون بنسائنا وبناتنا!!فالله الله بالالتفاف حول المسلمين، فإن لم نلتف حولهم في مصابهم ونعينهم على آلامهم فمتى يكون ذلك؟!أسأل الله أن يخفف عنهم مصابهم، وأن يرحم موتاهم، وأن يجعل ذلك عبرة لنا وآية، وأن يحيي بها قلوبنا، وأن يغير بها حياتنا، وأن يجعلنا بها من المتعظين والمعتبرين.اللهم ارحم موتاهم، واشف مرضاهم، وأعنهم على ما حل بهم، اللهم اجعلنا عوناً لهم على ذلك.اللهم ارحم ضعفنا وضعفهم، وارحم تقصيرنا وتقصيرهم، وتجاوز عن سيئاتنا وسيئاتهم، واجعلنا ممن يقولون الحق ولا يخافون فيك لومة لائم.اللهم طهر مجتمعاتنا وبلاد المسلمين من الشرك والبدع والخرافات والضلالات والمعاصي والمنكرات، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك -يا مولانا!- نعم المولى ونعم النصير.

همم تناطح السحاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله! يختلف الناس في مطالبهم.. في أهدافهم.. في غاياتهم، وهم كذلك يختلفون في أمر آخر، يختلفون في الهمم التي توصلهم إلى تلك الأهداف وتلك المقاصد وتلك المطالب، فهم يختلفون في المطالب والمقاصد، ويختلفون في الهمم التي توصلهم إلى أهدافهم، فمن الناس من يتكلم عن أهداف عالية ومقاصد سامية، ولكن أفعالهم لا تصدق أقوالهم، قال أهل العلم: هذا متمنٍ مغرور، فما نيل المطالب بالتمني.وآخرون لا يتكلمون ولكن أفعالهم تدل على أنهم أصحاب همم عالية، إذا ناداهم منادي الله لبوا وأجابوا وما ترددوا ولا تكاسلوا ولا تهاونوا. ومن يخطب الحوراء لم يغها المهر. فالناس تتفاوت في غاياتها وأهدافها، وتتفاوت في هممها التي توصلها إلى تلك الأهداف لاحظ الفرق بين همة هذا وهمة ذاك، أعرابي يعترض النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه فيقول:** (يا محمد! أعطني من مال الله الذي أعطاك، فإنه ليس بمالك ولا بمال أبيك)، (البخاري ٥٨٠٩) **وتخيل همة ربيعة بن كعب الأسلمي وهو يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوئه ليلة، ثم يقول له النبي صلى الله عليه وسلم:** (اسأل ما تريد، قال: أتمنى رفقتك في الجنة يا رسول الله!) (مسلم ٤٨٩) **فشتان بين من يطلب الجنة ومن يطلب توافه الأمور.جاءت غنائم للنبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يوزعها بين أهل الصفة وبين المحتاجين، وأبو هريرة يرقب المنظر وهو من أهل الصفة لا يجد مكاناً يؤويه ولا لباساً يواريه ولا طعاماً يملأ بطنه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم بحاجته:** (يا أبا هريرة أما تسألني من هذه الغنائم التي يسألني إياها الناس؟ فقال: يا رسول الله! أنا أسألك سؤالاً واحداً، فقال له صلى الله عليه وسلم: وما هو؟ فقال: أن تعلمني مما علمك الله). **أهل الدنيا وأهل الهمم الدنية يطلبون ما يواري جلودهم وما يملئون به بطونهم، أما أهل الهمم العالية فلا يرضون بدون الله تبارك وتعالى، قال: أنا أسألك أن تعلمني مما**

علمك الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (أوَ غير ذلك؟ قال: هو ذاك)، **يعلم أن الله يرفع أهل العلم درجات، يعلم أنه ما تقرب متقرب إلى الله بأفضل من طلب العلم الذي يوصله إلى أعالي الدرجات. فبالعلم يعبد الله ويوحد، بالعلم يقدس الله ويمجد،** يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [المجادلة:١١] **طريق الجنة طريق العلم** (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة).(مسلم ٢٦٩٩) **قال أبو هريرة رضي الله عنه:** (فأخذ نمرة كانت على ظهري فوضعها بيني وبينه، حتى أني أرى دبيب النمل عليها، ثم أخذ يحدثني ويحدثني ويحدثني حتى قال: صرها إليك، فصررتها فأصبحت لا أسقط حرفاً واحداً من كلامه)، (حلية الاولياء ١١\٣٨١) **راوي الحديث الأول من؟ أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه، ناقل السنة الصحيحة هو أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه.أهل الدنيا يطلبون الدنيا وأهل الهمم العالية يطلبون ما عند الله تبارك في علاه. أبو هريرة رضي الله عنه في آخر حياته يبكي ويقول:** آه من قلة الزاد وطول السفر(تاريخ دمشق ٦٧\٣٨٣)، **روى أكثر من ستة آلاف حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يشكو قلة الزاد وطول السفر.** يقول ابن القيم رحمه الله: ووالله ما أعظم الهمم وما أشد تفاوتها، فهمم معلقة بالعرش، وهمم تدور حول الحشر (الجواب الكافي ١١\٨٢). **جاءت مجموعة من الشباب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كل منهم يطلب حاجته، هذا يريد شفاعة، وهذا يطلب مالاً، وهذا يريد قضاء حاجة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقضي حوائجهم، إلا واحداً منهم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا أريدك في أمر بيني وبينك، فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من قضاء حوائج هؤلاء الشباب التفت إلى صاحب الهمة العالية، فقال: وما شأنك أنت؟ قال: أنا لا أريد مالاً ولا أريد حاجة من حوائج الدنيا، أنا أريد طلباً واحداً، فقال صلى الله عليه وسلم:** وما هو؟ قال: أريد مرافقتك في الجنة -فدلّه على الطريق- فقال صلى الله عليه وسلم: أعني على نفسك بكثرة السجود، فإنك ما سجدت لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة). **إن الهمم هي التي تحرك الرجال، لاحظ الفرق بين فلان وفلان، لماذا يستطيع هذا أن يترك فراشه في البرد القارس والبرد الشديد وينطلق ملبياً لنداء الله؟ ما الذي دفعه حتى ترك شهوته وفراشه مجيباً نداء ربه تبارك وتعالى، في حين لم يستطع فلان أن يتحرك من مكانه وهو يسمع منادي الله ينادي: الصلاة خير من النوم! بل هو يعلم أن تخلفه عن الصلاة يجعله في عداد المنافقين. ما الذي يجعل فلاناً من الناس لا يقبل على درهم حرام؟ ويجعل فلاناً آخر لا يبالي أمن حلال أم حرام يأكل؟ ما الذي دفع هذا وما الذي أوقع ذاك؟ ما الذي ردع هذا وجعل ذاك يقع في الحرام؟ إنها الهمم العالية التي لا ترضى بدون الجنة ثمناً. لذلك** قال ابن الجوزي رحمه الله: إن العمر غال، فلا تقبل للعمر ثمناً إلا الجنة **الناس على نوعين لا ثالث لهما: منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، يعرف هؤلاء كما يعرف أولئك، فالأفعال أبلغ أثراً من الأقوال. قال أحد المربيين لأحد**

أبنائه: إياك ثم إياك أن يكون همك المأكل والمشرب والمسكن والمنكح، فهذا هم النفس، فأين هم القلب، إن همك ما أهمك، فليكن همك الله والدار الآخرة. سئلوا عن عمر بن عبد العزيز الذي بلغ بهمته العالية مبلغ الرجال حتى عد خامس الخلفاء الراشدين في خلافة قصيرة لم تتجاوز السنتين والخمسة أشهر وأياماً معدودة، ولكنه حقق فيها من الإنجازات ما الله به عليم، كيف استطاع؟ تساءلوا فيما بينهم: كيف استطاع ابن عبد العزيز عمر أن يحقق ما حقق؟ فقالوا: والله ما خطا خطوة إلا ونيته لله. جعل الحياة وقفاً لله تبارك وتعالى، فحقق في فترة قصيرة ما لم يحققه أقوام في سنوات طوال. قبل أن يتولى الإمارة كان يقول لزوجه فاطمة : يا فاطمة إن لي نفساً تواقة تشتاق إلى الإمارة. فتولاها، فلما تولاها ارتفعت الهمم، فقال لها: يا فاطمة إن لي نفساً تواقة تشتاق للخلافة. فتولاها، فأصبح أميراً على المسلمين، أميراً على أكثر من أربعين بلداً من بلاد الإسلام والمسلمين، دانت مشارق الأرض ومغاربها تحت إمارته. فلما بلغ الخلافة ارتفعت الهمة فقال لها: يا فاطمة إن لي نفساً تواقة تشتاق إلى الجنة. فسعى من أجل الجنة وعمل من أجلها، ولما كان في ساعات احتضاره في نهار العيد أمر الناس بالخروج فخرجوا من عنده فسمعوا قارئاً يقرأ: تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص:٨٣]. **لله دره، جعل الهم هماً واحداً، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (من جعل الهموم هماً واحداً -يعني: هم الآخرة- كفاه الله هم الدنيا وهم الآخرة) **قل لي واسألني: كيف ترتفع الهمم؟أولاً: لا بد أن نحدد لحياتنا هدفاً، وأن نجعل لحياتنا قيمة، كثير من الناس حياتهم كالعدم، بل فقدهم أحسن من وجودهم، ماذا قدموا لأنفسهم، وماذا قدموا لدينهم، وماذا قدموا لأمتهم؟ يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، هذا همهم وهذه حياتهم. أما أصحاب الهمم العالية فلهم هدف ولهم مقصد، هدفهم أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، يحيون ويعيشون ويموتون من أجل هذا، فإذا تحدد الهدف وضح الطريق.واعلم يا صاحب الهمة العالية! أن في الطريق عقبات وزلات يتجاوزها صاحب الهمة العالية إذا عرف معنى:** إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥]. يقول ابن القيم : إن العبد المؤمن إذا وقف أمام الجبل وقال أزيحه يزيحه بإذن الله، إذا وقف صاحب الهمة العالية والإيمان الراسخ في القلب أمام جبل وقال: أزيله أزاله بإذن الله، إذا عرف معنى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥]. (مدارج السالكين ١\٨١) **واعلم -رعاك الله- أن لا شيء مستحيل في هذا الكون إلا أمران: الأمر الأول: تغيير الأمور الكونية، الله يأتي بالشمس من المشرق، فهل نستطيع أن نأتي بها من المغرب؟ مستحيل.الأمر الثاني: تغيير الأمور الشرعية، فدين الله لا يقبل التغيير ولا يقبل التبديل، الله فرض صلاة الظهر أربعاً فهل نستطيع أن نجعلها ثلاثاً أو خمساً؟ مستحيل.هذان هما المستحيلان فقط، أما ما دونهما فلا مستحيل. واعلم وأنت تسير في الطريق أن كلمة (مستحيل) لا توجد إلا في قاموس العاجزين،**

واعلم أن أسهل شيء يمكن تحقيقه هو الفشل. ولا بد أن تعرف أن للطريق عقبات تتجاوزها إذا عرفت معنى إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥]، **ولكن حدد وأنت تسير في الطريق أنت تعمل من أجل من؟ هل العمل لله أم لغير الله؟ هل المقصد الآخرة أم المقصد الدنيا؟ هل الهدف جنة الرحمن أم الدنيا وما فيها؟ فحدد الطريق وحدد لمن تعمل ترتفع الهمم أيضاً بالإقبال على كتاب الله. القرآن هو الذي صنع الجيل الأول، ونحن اليوم في بعد عن القرآن لا يعلمه إلا الله، ألهونا بالأغاني والشاشات والقنوات، هدفهم إبعادنا عن مصدر عزنا ومصدر قوتنا الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم:** (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي) (الموطأ ١٥٩٤)**.دخل الاستعمار الجزائر وخيم على أهلها عشرات السنين، حتى إذا ظنوا أنهم تمكنوا من البلاد وأهلها، إذا بالرجال والنساء والأطفال يخرجون ويملئون الشوارع رافعين القرآن يرددون: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً من أين استمدوا القوة؟ ومن أين رجعت الروح؟ من القرآن، ترجع القوة وترجع الروح إذا رجعنا إلى كتاب الله تبارك وتعالى، والأعداء أكبر همهم الآن إبعادنا عن هذا الكتاب العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ [فصلت:٤٢]. اقرأ في آيات الجنة، اقرأ في آيات النار، ألا ترتفع الهمم؟ تأمل في قوله:** إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ [الصافات:٤٠-٧٠]**.إن لم ترفع مثل هذه الآيات الهمم فما الذي يرفعها؟ إن لم تشتق النفوس إلى الجنة فما الذي يشوقها؟ إن لم تهرب النفوس من النار فماذا تفعل في هذه الآيات؟ ترفع الهمم آيات الجنة وآيات النار وتبردها بقلب سليم ترفع الهمم بقراءة أخبار الرجال، لن أحدثك عن أقوياء ولا عن أصحاء، بل سأحدثك عن أصحاب عاهات من أهل الأعذار، ولكن أعذارهم لم تحل بينهم وبين الوصول إلى الله تبارك وتعالى. كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى من أهل الأعذار، ولكنه رأى النور بقلبه فسار في الطريق يلتمس له نوراً، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: بيتي بعيد والطريق كله هوام،**

وليس لي قائد يقودني إلى المسجد. لديه جميع الأعذار الشرعية ليصلي بالبيت، فقال صلى الله عليه وسلم: (أتسمع النداء؟ فقال: نعم، فقال له صلى الله عليه وسلم: لا أجد لك عذراً). (النسائي ٨٥٠) **فما تخلف الأعمى عن صلاة الجماعة، وما نام عن صلاة الفجر، فلماذا ينام المبصرون؟ ولماذا يتخلف الأقوياء؟ ولماذا يتكاسل الأصحاء؟ الأعمى يلبي النداء، ولكنه ليس بأعمى، الأعمى والله من تخلف عن أوامر الله وإن كان يسمع ويرى، الأعمى والله الذي صد عن طريق الله وهو يرى الناس يسلكون صراط الله المستقيم. هل تظن أن همة الأعمى وقفت إلى المحافظة على الصلوات، لا ورب الأرض والسماوات، لما جهز عمر رضي الله عنه الجيوش للخروج إلى بلاد الشام تجهز الأعمى للخروج، وخرج لابساً عدة الحرب، فإذا بعمر رضي الله عنه يقول له: إلى أين تذهب يا ابن أم مكتوم وأنت ممن عذرك الله؟ أما قال الله عز وجل:** لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ [الفتح:١٧]؟ **فقال بهمة العالية: تحول بيني وبين الشهادة يا ابن الخطاب ؟ فقال رضي الله عنه: ماذا تصنع معهم؟ فقال له: أكثر سواد المسلمين. فخرج مع من خرج، ولما صفت الصفوف، لم يقل: أصف في الصفوف الخلفية، واحموني من النبال وضرب الرماح، بل وقف في وسط المعركة بهمته العالية وبنيته الصادقة، ثم قال: أنا أحمل لكم الراية اليوم! وهل تدري معنى مسئولية حمل الراية؟ فالراية لا يحملها إلا الأبطال، لا يحمل الراية إلا من هو أهل لحمل الراية، وهل تدري ما قد كتب على هذه الراية؟ مكتوب عليها لا إله إلا الله. فوقف الأعمى وهو ليس أعمى، الأعمى والله أنا وأنت، حين عرف أصحاب الهمم العالية قيمة حياتهم، بذلوها من أجل الله تبارك تعالى، قال: أنا أكفيكم الراية، فحمل راية لا إله إلا الله في أرض المعركة، وهو يعلم أن الثمن غال، يعلم أنه مستهدف في أرض المعركة لإسقاط الراية، وما سقطت الراية من يد الأعمى؛ لأنه صاحب همة عالية، انتهت المعركة مع غروب ذلك اليوم، فبحثوا عن ابن أم مكتوم فإذا هو متبسم قد فارق الحياة يحتضن تلك الراية، وقد نصر الله المسلمين ذلك اليوم نصراً مؤزراً. لكن كيف خرج، خرج من أجل إعلاء هذه الراية، كيف يبعث؟ يبعث بين ملايين البشر الذين لا يحصيهم إلا الله وهو يرفع هذه الراية. أسألكم بالله في ذلك اليوم الذي سيجمع الله فيه الأولين والآخرين، كم هم الذين يحملون هذه الراية؟ وكم هم الذين عاشوا من أجلها؟ وكم الذين ضحوا في سبيلها؟ اللهم اجعلنا منهم ومعهم، اللهم انصرنا بالإسلام وانصر الإسلام بنا يا رب العالمين! نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد: أحبتي! أوصيكم**

ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.اعلم أنه من شب على شيء شاب عليه، فمن شب على طاعة شاب على طاعة ومات على طاعة وبعث على طاعة بإذن الله، والأعمال بالخواتيم. هذا خبر رجل من الرجال تربى على طاعة الله، وأفنى عمره وشبابه في مرضاة الله، وبذل كل لحظة من حياته حتى مماته من أجل إرضاء الله عز وجل، منذ التاسعة والعاشرة وهو يحب الأذان، حُبب إليه رفع الأذان، كان يستأذن مؤذن المسجد –وهو طفل صغير– أن يرفع الأذان من حين إلى حين، فكان يؤذن له، حتى إذا بلغ الثانية عشرة والثالثة عشرة وقد اعتذر مؤذن المسجد، عُيِّن مكانه لحبه للأذان رغم صغر سنه. فالتزم بالأذان صغيراً، وشب على حب المسجد، فشب وهو يرفع الأذان ويردد في كل يوم: الله أكبر.. الله أكبر، بلغ مبلغ الرجال ولما يتخلف عن الأذان! أسألكم بالله وهو يداوم على الأذان كم مرة حافظ على تكبيرة الإحرام؟ كم جلس بين الأذان والإقامة يدعو الله ويتضرع إليه؟ وكم جلس يقرأ القرآن، وكم جلس في روضة من رياض الجنة؟ أصبح أباً وما تخلف عن رفع الأذان، وما منعته دنياه ولا تربيته لأبنائه عن رفع الأذان، والصدع بـ(لا إله إلا الله والله أكبر) حتى أصبح شيخاً كبيراً وما تخلف عن ذلك، يمسك الناس ويفطرون على أذانه، فهو من أغبط الناس وأحفظهم على الأذان.أصبح شيخاً كبيراً، ثقلت خطاه وهو يذهب إلى المسجد وما تخلف عن الأذان، شب أبناؤه وكبروا، وقد تربوا تحت ظله ورعايته يحبون المساجد كما كان أبوهم.وينشأ ناشئ الفتيان فيناعلى ما كان عوده أبوه أراد أهله وأبناؤه بعد سنوات طوال أن ينتقلوا إلى دار بعيدة عن مسجده الذي تربى فيه وترعرع فيه وقضى أيام حياته فيه، فانتقلوا فأصبح من الصعب أن يلتزم بالأذان ذهاباً وإياباً خمس مرات، فقال لأبنائه: خذوني إلى المسجد صلاة الفجر ولا ترجعوا لي إلا بعد صلاة العشاء، واستمر على هذه الحال سنوات طوالاً، يمكث في بيت الله من صلاة الفجر حتى صلاة العشاء في قراءة قرآن وذكر وخدمة لبيت الله تبارك وتعالى. حتى ثقلت خطاه وأقعده المرض في البيت، وأصبح من أهل الأعذار، فكان إذا سمع النداء يبكي ويتذكر كم مرة صدع بـ(لا إله إلا الله.. والله أكبر). وجاءت صلاة ظهر في أحد الأيام فأحس في نفسه خفة وقوة، وقال لأبنائه: خذوني إلى المسجد، فاغتسل وتطيب ولبس أحسن الثياب، ثم ذهب إلى المسجد مبكراً قبل رفع الأذان، واستأذن من المؤذن حتى يرفع الأذان في ذلك اليوم، فأذن له، فرفع الأذان بعد أن انقطع عنه لفترة طويلة، أخذ يردد: الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله، وهو يبكي، ويتذكر تلك الأيام الجميلة كم صدع بهذا النداء الخالد. فلما انتهى من أذانه ودعا بالمأثور رجع إلى الخلف يصلي لله ركعتين، صلى وركع وسجد ولم يرفع رأسه بعدها، ذهب إلى ربه وهو ساجد أمامه، عاش وهو يحب الأذان، ومات بعد أن صدع بالأذان، شب عليه وشاب عليه ومات عليه. هو يحب الأذان، ويحب الصلاة، ويحب المسجد، ويحب القرآن، ويحب

الدعاء، ويحب التسبيح والتكبير والتهليل، فماذا نحب أنا وأنت؟ أحبا الله فأحبهم، وبذلوا أنفسهم في مرضاته فأحسن لهم الختام، بالهمم العالية، بالنيات الصادقة يصل المرء إلى ما يريد إليه.فيا أيها الشاب! اعمل فإنك في زمن القوة، أيها الشيخ الكبير! اعمل فأنت في زمن الإمهال، فالأعمار معلومة والآجال محدودة، وسينال كل منا زرع ما حصد، إما أن توصلك همتك العالية إلى أعلى الدرجات، أو تودي بك في الدركات. فاسألوا الله الهمة العالية، واطلبوا العون على مرضاته. يقول شيخ الإسلام : تأملت أجمل الدعاء وأنفع الدعاء، فوجدته طلب العون على مرضاته، (مدارج السالكين ١\٧٨) **فردد صباح مساء: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.اللهم أعط نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك أنت وليها ومولاها.اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتبعاه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! وول علينا خيارنا واكفنا شرارنا، ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والفواحش والفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين. اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق يا حي يا قيوم! اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء دينك، انصرهم في الفلوجة وفلسطين، انصرهم في الشيشان وأفغانستان، انصرهم في السودان وفي كل مكان، انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، صن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم، يا ذا الجلال والإكرام.اللهم عليك بالصليبيين المعتدين، وباليهود الغاصبين، وبالشيوعيين والوثنيين الآثمين.اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، وأرنا فيهم عجائب قدرتك وقوتك يا رب العالمين!اللهم اشف صدورنا بهزيمة الصليبيين، اللهم اشف صدورنا بقتلهم وتمكين المجاهدين يا رب العالمين!اللهم أخرجهم من العراق، ومن فلسطين، ومن بلاد المسلمين أذلة صاغرين، إنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز!عباد الله!** إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

***

وبشر الصابرين

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي لهوأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ }{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً }{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً ، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً } **أما بعد :فإنَّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشرَّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .عباد الله :إلى كل مؤمن مهموم..وكل مبتلىً مغموم ..إلى الراضين بالقضاء والقدر ..إلى المحتسبين عند الله الأجر ..اسمع كلام الله عز وجل حين قال :** { سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } **فالأيام والليالي لا تدوم لي ولك على وتيرة واحدة .. وكما قال الله :** { وَ تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } **أي تتقلب بأهلها صباح مساء ..والمؤمن في حياته وأطواره لا يخلو من حالتين : إما أن يحصل له ما يحب ويندفع عنه ما يكره ، فوظيفته في هذه الحالة الشكر والاعتراف بأنَّ ذلك من نعم الله عليه ، فيعترف بها باطناً ، ويتحدث بها ظاهراً ويستعين بها على طاعة الله ، وهذا هو الشاكر حقاً.الحالة الثانية : أن يحصل للعبد مكروه أو يفقد محبوباً فيحدث له هم وغم ، فوظيفته هنا الصبر لله فلا تسخّط ولا ضجر ولا شكوى للمخلوق بل الشكوى للخالق جل في علاه كما قال الله على لسان يعقوب :** { إِنَّمَآ أَشْكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللهِ } **.والبلاء عباد الله الذي يصيب العبد يكون في أربعة أشياء :في نفسه ، في عرضه ، في أهله ، وماله .. ولا يخرج البلاء عن هذه الأربعة ..عباد الله ..لأن تعلم أنَّ الذي ابتلاك هو أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وقيّوم السماوات والأراضين ، وأنه ما ابتلاك ليهلكك أو ليعذبك ، إنما ابتلاك امتحاناً لك ليسمع تضرعك ونجواك وابتهالك ...فسبحان من ابتلاك لترفع إليه شكواك..**قال أحد المبتلين في دعائه : ربي كم أدعوك فلا تستجيب دعائي فقال الله : إني أحب أن أسمع صوتك (الرسالة القشيرية ١\١٧٦) **فيا الله.. كم في البلاء من النعم التي تخفى على العبد ..وتأمل في حال العبد حين البلاء كيف يذل وينكسر ويقر ويعترف ، كم يلح على الله في الدعاء ، وكم يتضرع إلى ربِّ الأرض والسماء ، وكم ، وكم يظهر من الذلّة والمسكنة لله ربّ العالمين ..ولولا المصيبة والابتلاء ما عرف العبد هذا.. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :** (عجباً لأمر المؤمن

إنَّ أمره كلّه خير إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن) .(مسلم ٢٩٩٩) **فالمؤمن عباد الله على خير في كل حال ونحن عباد الله نحتاج إلى الصبر في كل المجالات وفي كل الأوقات في الشدة وفي الرخاء.. فمن مجالات الصبرعند حبس النفس عند المصائب.. من مجالات الصبرعند حبس النفس عند المصائب ..** فعن أسامة قال : أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أنَّ ابناً لي يُقبض – يعني يحتضر – فائتنا ، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ السلام ويقول : (إنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب) ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينّها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ وأبيّ وزيد ورجال ، فرُفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع – يعني تتحرك و تضطرب – فقرّبه إليه وعيناه تذرفان ، فقال سعد : ما هذا يا رسول الله!! قال : (هذه رحمة).. (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) (البخاري ١٢٨٤) **فلا يتنافى ذلك مع الصبر ..وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند فقد إبراهيم** : (إنَّ العين لتدمع وإنَّ القلب ليحزن وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون لكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا) ..(إلا ما يرضي ربنا ..).(البخاري ١٣٠٣) **ومن أعظم مجالات الصبر التي نحتاج فيها للصبر الجهاد في سبيل الله .. وما أدراك ! وما أدراك ما يتحمل المجاهدون في سبيل الله !**..عن عبد الله بن أوفى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس فقال : (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ثم قام فقال : (اللهمُ منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم).(البخاري ٣٠٢٤) **وسُئل عن أجر المجاهد في سبيل الله فقال للرجل** : (لا تقدر على ذلك) ، فألح الرجل في السؤال فقال : (هل تستطيع أن تقوم الليل لا تنام وتصوم النهار لا تفطر ؟!)، فقال: لا ، فقال : (فذلك أجر المجاهد)..(فذلك أجر المجاهد في سبيل الله)(البخاري ٢٧٨٥)..**من أحواله إذا عرف كيف يتعامل مع الظروف والأحوال .. نحتاج للصبر عند حفظ الأسرار ، ونحتاج للصبر لترك الفضول من العيش ، ونحتاج إلى الصبر لترك الغضب والعفو عن الناس ، نحتاج إلى الصبر لترك الذنوب .. أن نكرر إذا اعترضتنا الذنوب : إننا نخاف الله ..نحتاج للصبر في فعل الطاعات والمداومة عليها ، نحتاج إلى الصبر في طلب العلم والدعوة إلى الله ، ونحتاج إلى الصبر في كل مجالات الحياة ..وكل الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الرجال إنما تدل على صبرهم .. فالشجاعة صبر ، والحلم صبر ، والزهد صبر ، والعفة صبر.وللصبر مراتب خمسة** ذكرها الفيروزآبادي :أولها صابر: وهو أعمّها .ومصطبر: وهو المكتسب للصبر.ومتصبِّر : أي يحمل نفسه على الصبر .وصبور : العظيم الصبر في الوصف والكيف.ثم صبّار : يعني الشديد الصبر في القدر والكم (القاموس المحيط ١\٥٤١). وقال ابن القيم رحمه الله الصبر باعتبار متعلقه

ثلاثة : صبر الأوامر والطاعات حتى يؤديها .صبر عن المخالفات والنواهي حتى لا يقع فيها .وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها .(عدة الصابرين ١٩\١)وقال الفيروزآبادي الصبر ثلاثة أنواع : صبر بالله ، وصبر مع الله ، وصبر لله .**عباد الله بعد هذا الكلام وهذه** المقدمة ما هو الصبر؟**قالوا: الصبر هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً، ورعايتها إخلاصاً ، وتحسينها علماً.أعيد : الصبر هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً .. نعرف من يصلي الفجر يوماً وينقطع أيام .. نعرف من يصلي الفجر يوماً وينقطع أيام .. فالصبر حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دواماً ، ورعايتها إخلاصاً ، وتحسينها علماً.والصبر هو كف النفس عن المعاصي وثباتها في مقاومة الشهوات ومقاومة الهوى في العلن وفي الخلوات .. كم نصبر أمام الناس! .. كم نصبر أمام الناس .. وإذا خلونا بالمحارم .. إذا خلونا بالمحارم انتهكناها ..وقالوا الصبر هو الرضا بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه أو شكوى معه**

.يجري القضاء وفيه الخير نافلة إن جاءه فرحٌ أو نابه ترحٌ ..

. لمؤمنٍ واثق بالله لا لاهي في الحالتين يقول الحمد للهِ

ولقد أمرنا الله بالصبر، ونهانا عن ضده ، وأمرنا بالاستعانة به.أما في الأمر فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ } .**أما في النهي عن ضده فقال :** { فَاْصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } .**أما بالأمر في الاستعانة به فقال الله :** { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ } .**وأثنى الله على الصابرين بأنه يحبهم وكفاهم شرفاً .. أخبر أنه يحبهم وأنه معهم ..أما الثناء فقال الله :** { وَ الصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ البَّأسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ } .**أما إخباره بحبه لهم ففي قوله :** { وَ اللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } .**وقال في الأنفال مخبراً عن معيته لهم :** { وَ اصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } .**ومن آيات الصبر أخبرنا سبحانه أن الصبر خير لأصحابه .. ومن آيات الصبر التي مرت بنا أخبرنا سبحانه أن الصبر خير لأصحابه وأنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب.. بل أطلق البشرى لهم فلم يقيدها .. فتأمل في هذه** الآيات { وَ أَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }،وقال:{ إِنَّمَا يُوَفَّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، وقال : { وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ وَ الجُوْعِ وَ نَقصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَ الأَنفُسِ وَ الثَمَرَاتِ وَ بَشْرِ (من؟!) بَشْرِ { الصَّابِرِينَ } **اللهم اجعلنا منهم ..وجمع للصابرين من الفضل والأجور ما لم يجمعها لغيرهم فقال الله :** { أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِم وَ رَحْمَةٌ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ قال السعدي رحمه الله : أولئك – أي الموصوفون بالصبر المذكور – عليهم صلوات من ربهم .. أي ثناء وتنويه بحالهم ورحمة...ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر .. ومن رحمته إياهم أن فقههم للصبرالذي ينالون به كمال الأجر ، وأولئك هم المهتدون الذين عرفوا الحق وهو في هذا الموقع علمهم بأنهم

لله وأنهم إليه راجعون .ثم قال رحمه الله : ودلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم ، فحصل له الذم من الله والعقوبة والضلال والخسارة ..فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين ، وما أعظم عناء الجازعين .. انتهى كلامه رحمه الله (تفسير السعدي ١\٧٥) **عباد الله .. حتى تتحقق مقاصدنا وآمالنا فلا بدَّ من الصبر ..وكما قيل من صبر ظفر..فلولا الصبر لما حصد الزرَّاع بذرة ، ولما جنى الفارس ثمرة ، وكل ناجح لم ينجح إلاَّ بصبّره في تحقيق نجاحه فلا عوائق ولا موانع تقف أمام الصابرين قال علي بن ابي طالب (شعب الايمان ٩٦٢٠)**

إني رأيت وفي الأيام تجربةٌ ... للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر

فقلَّ من جدّ في أمر يحاوله واصطحب الصبر إلاَّ فاز بالظفر

قد يقعون لكنهم سرعان ما ينهضون..قد يفشلون مرة ومرة لكن الصابرين لا ييأسون ..

لا ييأسنَّ وإن طالت مطالبةٌ ... إذا استنعت بصبرٍ أن ترى فرجاً

أقول هذا من أراد أمر من أمور الدنيا لا بدَّ أن يصبر ويصابر .. فكيف من أراد الفلاح بالآخرة !!.. كيف من أراد الفلاح بالآخرة !.. كيف من أراد حور وقصور وحبور! فطلَّاب الجنَّات أولى بالصبر والتحمّل ..كيف وقد حُمِّلوا الأمانة التي لتنوء بحملها السماوات والأرض والجبال ..عباد الله.. إنَّ أهل الإيمان أشدّ تعرضاً للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم لأنهم ينشدون الجنة وهي سلعة الله الغالية ..فلا بدَّ لها من ثمن ولا مفرَّ من الثمن .. ولقد دفع الثمن أهل الحق على مرّ العصور، فلا بدَّ أن يدفعه من سار على طريقهم ..بسم الله الرحمن الرحيم : { الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُوا آَمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ } .قال صلى الله عليه وسلم : (أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتدَّ عليه البلاء وإن كان في دينه رقة خُفف عنه البلاء و لا يزال البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)(الحاكم ١٢١)**عباد الله لا بدَّ من الابتلاء لا بدَّ من الابتلاء لأهل الإيمان ، ولا بدَّ ..لا بدَّ حينها من الصبر والثقة واليقين برب العالمين ، لكن لماذا الابتلاء !!قال أهل العلم لأمور عدة أولها تطهير الصفوف كما** قال الله { مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المؤْمنينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلِيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِبِ }.**ومن حكم البلاء أيضاً تربية المؤمنين ففي الابتلاء نضج وتقوية للصفوف و صقل للمعادن كما قال** الله { وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنوُا وَ يَمْحَقَ الكَافِرِينَ } ، وكما قال الله { وَ لِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِصَ مَا فِي قُلُوبِكُم وَ اللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }**ومن حكم البلاء أيضاً رفعة الدرجات ومضاعفة الحسنات وتكفير للسيئات فيخرجون من الابتلاء كيوم ولدتهم أمهاتهم ..فالذنوب عباد الله لازمة للبشر فمن رحمته تعالى ابتلاهم وتعاهدهم بالبلاء من حين إلى حين لتتحات عنهم خطاياهم بالصبر كما قال صلى**

الله عليه وسلم :(فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)(الترمذي ٢٣٩٨) **وإن كان الصبر ضرورة لأهل الإيمان فهو أكثر وأشد ضرورة للرسل والأنبياء ومن سار على طريقهم من الأتباع الصادقين . قال الله لنبيه** { فَاْصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } . **وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أشد هؤلاء ابتلاءً . قال بأبي هو وأمي** : (لقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحد ، ولقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد) (الترمذي ٢٤٧٢).. **حوصر في الشعب عُذب أصحابه مات أبناءه طعن في شرفه وعرضه .. مؤامرات لاغتياله أُخرج من دياره ومع هذا يردد ويقول** : (أفلا أكون عبداً شكوراً) **حوصر في الشعب .عُذب أصحابه مات أبناءه طعن في شرفه وعرضه .. مؤامرات لاغتياله أخرج من دياره ومع هذا يردد ويقول** : (أفلا أكون عبداً شكوراً) **..ثم صبر الأتباع الصادقين من بعده كما قال الله** { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } ، **وقال الله عن أتباع الأنبياء** { وَ كَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ مَا ضَعُفُواْ وَ مَا اسْتِكَانُواْ وَ اللهُ يُحِبُّ } من ؟! { وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } **اللهم اجعلنا منهم ..عباد الله بعث عمر برسالة إلى أبي موسى قال فيها اعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن لكن الصبر عما حرّم الله أحسن .. الصبر في المصيبات حسن لكن الصبر عما حرّم الله أحسن ..لا بدَّ أن تعلم رعاك الله أن الحال لا تدوم على وتيرة واحدة فما من بلاء إلاَّ وخلفه فرج والعكس بالعكس ..تأمل في قوله تبارك وتعالى** { لِكَيْلا تَأْسَواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُواْ بِمَا آتَاكُمْ وَ اللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} **فلا بدَّ أن يعلم المبتلى أن الفرج آت لا محالة ..فالمصائب والبلا كان** محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال : سحابة صيف ثم تنقشع (عيون الاخبار ٢٣\١١)**..لكن قبل أن تنقشع لا بدَّ من الصبر والثقة واليقين بربّ العالمين .قال بعض السلف :**
أفضل العبادة انتظار الفرج من الذي بيده مفاتيح الفرج .(الترمذي ٣٥٧١)

يا صاحب الهم إنَّ الهم منفرجٌ لا تجزعنَّ إنَّ الفارج الله

إذا بليت فثق بالله وارضى به إنَّ الذي يكشف البلوى هو الله

وحتى تهون عليك المصيبة عبد الله انظر إلى مصاب غيرك آدم عانى المحن إلى أن خرج من الدنيا ..أُخرج من الجنة ، وتاه في الأرض ، وقتل هابيل قابيل.. وبكى نوح ثلاثمائة عام ، وصبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وأخذ الطوفان ابنه ولم تؤمن زوجته ثم أُلقي في النار الخليل ، ووضع ابنه وزوجه في وادٍ غير ذي زرع ، ثم يأمره الله بذبحه ثم هو يصبر ويحتسب.. وبكى يعقوب حتى ذهب بصره وقاسى موسى من فرعون ومن بني إسرائيل ما قاسى وعيسى ابن مريم لا مأوى له إلاَّ البراري والصحراء ومحمد مطارد في الغار ، قاسى الفقر، وقُتل أصحابه ..هذا حال الأنبياء وهم أشد الناس حباً وثقة بالله ..سأقف مع بلاء إبراهيم وصبره ولكن في الخطبة الثانية ..

سأقف مع بلاء إبراهيم وصبره ولكن في الخطبة الثانية ..نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الحمد لله على إحسانه والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه . اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه ..عباد الله .. أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومن تقوى الله الصبر على الطاعات، الصبر عن المنكرات ، والصبر على قضاء الله وقدره في عباد الله .. في خبر إبراهيم عليه السلام عجب العجاب فتعالوا نتبع الخبر .. تعالوا ننتبع الخبر أنا وإياكم بإيجاز واختصار ..إبراهيم عليه السلام حُرم الولد لسنوات طوال ثم رُزقه على كبر ، ثم أمره الله أن يضعه وأمه في وادٍ غير ذي زرع والخبر معروف { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المحَرَّمِ } ثم لما كبر الغلام وشب وتعلق قلب إبراهيم به .. كيف لا والله يصف ذلك الغلام بوصف عجيب قال الله { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } ثم ها هو الأب الشيخ الكبير المقطوع من الأهل والقرابة ..المهاجر من الأرض والوطن ، رُزق بغلام لطالما تمنى أن يناله ثم أُعطيه ..موصوف من ربه بالحلم ..فما كاد يأنس به ويشب ويترعرع أمام عينه فإذا هو يرى في منامه أنه يذبحه ..فيرى في منامه أنه يذبحه فيدرك إبراهيم أنها إشارة من ربه بالتضحية .. إنه الابتلاء والامتحان.. فهل تردد أو توانى!! أبداً والله.. ولم يأت في قلبه إلا الشعور بالطاعة ، ولم يخطر بباله إلا التسليم والاستسلام لربّ العالمين .. تأملوا الأمر كان إشارة ولم يكن وحياً صريحاً ولا أمراً مباشراً ولكنها إشارة من ربه وهذا يكفي لله أكبر كم من الأوامر الصريحة اليوم كم من الأوامر الصريحة اليوم تُترك ويتهاون بها لم يتسخط إبراهيم ولم يعترض ..لم يقل لماذا يا رب أذبح ابني الوحيد ! لم ينزعج ، لم يجزع ، ولم يضطرب ..إنما قبول ورضى وهدوء يظهر ذلك في كلامه لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } كلمات المتمالك لأعصابه المطمئن لأمر الله الواثق بأداء الواجب.. كلمات مؤمن صادق لم يتعجل ويندفع لينتهي الأمر بسرعة ويستريح .. ووالله الذي لا إله إلا هو إن الأمر أشق مما تتصوروالله الذي لا إله إلا هو إن الأمر أشق مما تتصورهو لم يطلب منه أمراً قد يودي بحياته إنما يطلب أن يتولى الأمر بنفسه .. إنما يطلب أن يتولى الأمر بنفسه وأن يتولى الذبح بيديه ثم هو ذا يعرض الأمر على الابن ، ويطلب من الابن التروي في الأمر { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } سبحان الله أما كان في أخذ الابن على حين غرة راحة له وانتهى الأمر..أما كان في أخذ إبراهيم للابن على حين غرة راحة له و انتهاءً للأمر ..ها هو يعرض عليه الأمر وكأنه أمراً مألوفاً فالأب مبتلى بفعل الأمر، والابن مبتلى

بالسمع والطاعة ..أين الأبناء الذين يعقون آباءهم !!! أين الآباء الذين يعقون أبناءهم !! ها هو الأب يعرض على ابنه أن يقتله فيقول الابن مستمعاً مجيباً { يَا أَبَتِ افْعَلْ مِا تُؤْمَرُ (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين } **فلله درّ الأب ولله درّ الابن ، والتربية لم يعد لها دور .. يعرض عليه الذبح لرؤية رآها فيستسلم الابن للأمر ..** { قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مِا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }**لم يتلقَ الأمر في طاعة واستسلام فقط بل برضى ويقين ..وطمانينة ..كل الأحوال وفي كل المسارات ..ء أيامٌ معدودة ثم تأمل في قول** الابن { يَا أَبَتِ } **في كل أدب ومودة ..فالذبح لا يخفيه ولا يزعجه ولا يفقده أدبه** { افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ }.. **فهو يعلم أن الرؤيا إشارة من ربَّ العالمين فهو يعلم – أي الابن – أنَّ الرؤيا إإشارة من ربّ العالمين .. ثم أظهر الابن ضعفه وأنه لن يحتمل ذلك شجاعة وقوة ، ولكن أدباً مع ربه واستعانة بالله** { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين } **أدب وروعة في الإيمان ، وعظمة في الاستسلام ..ثم بعد الحوار يبدأ التنفيذ .. ثم بعد الحوار يبدأ التنفيذ**{ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ } قال اسماعيل لأبيه اشدد رباطي اشدد رباطي ليسكن جسدي كما سكن قلبي ، واكفف ثيابك عن دمي لئلا يصيبها فتحزن أمي لرؤيته و أقرئها أمي مني السلام (اخبار مكة للفاكهي ٥\١٢٣) **فقال إبراهيم : نعم العون .. نعم العون أنت يا بني ..فأين الأبناء يعينون آباءهم اليوم !!! أين الأبناء يعينون آباءهم بعد أن بلغهم من الكبر ما بلغهم .. بل لقد تكلّم معي قبل أن أدخل المنبر الآن .. من يقول لي يقف أمام وجهي ويسبني ويشتمني .. يقف ابن العشرينات أمام وجهي ويسبني ويلعنني ويتطاول علي في الكلام .. يقول الأب : حتى أصبحت خائفاً على نفسي منه .. حتى أصبحت خائفاً على نفسي منه ..قال اسماعيل لأبيه : اشدد رباطي ليسكن جسدي كما سكن قلبي ، واكفف ثيابك عن دمي لئلا يصيبها فتحزن أمي لرؤيته و أقرئ أمي مني السلام .. قال إبراهيم : نعم العون أنت يا بني ..** قال ابن الجوزي : الله اكبر.. ليس العجب أمر الخليل بالذبح ، إنما العجب مباشرة الذبح بيديه .. ليس العجب أمر الخليل بالذبح العجب أنه باشر الذبح.أنه باشر الذبح بيديه ، ولولا حبّ الآمر لما هان المأمور .. ولولا حبّ الآمر لما هان المأمور بيده (المدهش لابن الجوزي ١\٨٧)...ثم أتت لحظات التنفيذ { فَلَمَّا أَسْلَمَا }.. { فَلَمَّا أَسْلَمَا } **وكبه على وجهه واستسلم الأب للأمر.. واستسلم الابن للذبح.. هذا هو حقيقة الإسلام .. هذا هو حقيقة الإسلام ..استسلام لله بالأمر والطاعة والرضا والتسليم ،** { وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} **ووضع السكين وأعملها في رقبته فلا السكين قطعت ولا الغلام جزع ..** { تَلَّهُ لِلْجَبِينِ } **ووضع على رقبته السكين وأعملها في رقبته فلا السكين قطعت ولا الغلام جزع .. ، ثم أعاد الكرة مرة مرة .. مرة تلو المرة وهو يحذ السكين في كل مرة ، فلا السكين تقطع ولا الغلام يجزع ..اعلم بارك الله فيك ..أنه ليس المراد من الابتلاء التعذيب .. اعلم بارك الله فيك..أنه ليس المراد من الابتلاء التعذيب ..ولكن المراد منه التهذيب** { لِيَبْلُوَكُمْ

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } ..**فلا تخرج الأعمال على أحسن صورة إلا بالتهذيب والتدريب ..لقد استسلم إبراهيم ورضي اسماعيل ولم يبقَ إلا أن تُزهق الروح ويسيل الدم ، ثم الابتلاء ورفع الامتحان ، وظهرت النتائج أن الله لا يريد الدماء والإجساد .. ظهرت النتائج أن الله لا يريد منا الدماء والإجساد ..ولكن يريد منا الإسلام والتسليم والصدق واليقين .. لكن يريد منا الإسلام والتسليم والصدق واليقين ..ولقد حقق الأب والابن هذا بكل صبر وثقة ومعين** ..{ وَنَادَيْنَاهُ أَّن يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المبِينُ ، وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } **لقد حققت الرؤيا وسلَّمت واستسلمت ..فلا ابن ولا مال أعز وأغلى من الله وحده .. فلا ابن ولا مال أعز وأغلى من أمر من أوامر الله وحده ..نعم يا إبراهيم لقد فعلت وجدت وأعطيت أعز شيء في هدوء ورضا واطمئنان ولم يبقَ إلا اللحم والدم وهذا ينوب عنه ذبح عظيم ..وهذا ينوب عنه ذبح عظيم انظر الفرق بين اذبح ولدك وباشر الذبح بيدك ، وبين من قيل لهم اذبحوا بقرة فلم يذبحوها فنحن لا نريد دم اسماعيل ولا لحمه ولكن نريد منكما الإسلام والاستسلام ، والصبر على القضاء والثقة واليقين ..عباداالله .. إبراهيم هو خليل الرحمن ، والخلة هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبقَ فيه موضع لغير المحبوب .. حتى لم يبقَ موضع لغير المحبوب ..ولذا سمي الخليل خليلاً ، وهذا هو السر والله أعلم الذي لأجله أمر الله الخليل بذبح ولده ، وثمرة فؤاده وفلذة كبده ..سأل الولد فأعطيه ، وتعلق به قلبه وأخذ شعبة من قلبه ، والخلة منصب لا يقبل الشراكة والقسمة .. والخلة منصب لا يقبل الشراكة والقسمة ..فغارالخليل على خليله .. فغار الخليل على خليله ..أن يكون في قلبه أحد سواه فأمره بذبح ولده .. فأمره بذبح ولده ..ليخرج المزاحم من قلبه ، فلما وطَّن نفسه على ذلك وعزم عليه حصل المقصود فلم يبقَ في إزهاق نفس الولد مصلحة فحال الله بينه وبين ذلك وفداه بالذبح العظيم ..فجاء** الأمر { يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ } ...**أي من أطاعنا وامتثل أوامرنا** {لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ} **.عباد الله ..ما تمر به بلادنا اليوم من فتن ومصائب وأهوال جسام .. تحتاج إلى صبر وثقة ويقين بربّ العالمين ، وأنه لا يأتي من الله إلاَّ خير .. وأنه لا يأتي من الله إلاَّ خير ..سحابة صيف وستنقشع** { وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ }..**فردد وكرر وادعو دائماً :اللهم .. اجعلنا ممن إذا أنعمت عليه شكر ، وإذا ابتليته صبر ، وإذا أذنب استغفر..اللهم .. حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشديناللهم.. لا تحرمنا خير ما عندك بأسوء ما عندنا يا حيّ يا قيّوماللهم.. انصر من نصر الدين واخذل من خذل عبادك الموحدين**عباد الله .. ألا إنَّ الله أمركم بأمر بدأ به بنفسه وثنَّى به بالملائكة المسبحة بقدسه **فقال جلَّ من قائل**(إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَ سَلِّمُواْ تَسْلِيماً)**اللهم صلي وسلم وبارك**

على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعيناللهم ارضى عن صحابته أجمعين ، وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعليوسائر الصحابة وسائر التابعين ومن سار على هديهم واقتدى بهداهم إلى يوم الدين وعنا معهم بجودك وكرمك ورحمتك

***

وصايا جبريل عليه السلام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله!** (روى الحاكم في مستدركه ٧٩٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس).**فهذه خمس وصايا أوصى بها أمينُ الوحي في السماء أمينَ الوحي في الأرض، وكل وصية من هذه الوصايا تحتاج إلى وقفة تفكّر وتأمل، فجبريل يذكر محمداً صلى الله عليه وسلم، ومحمد صلوات ربي وسلامه عليه يقوم بتذكير الأمة، والذكرى تنفع المؤمنين،** فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [الغاشية:٢١-٢٦].**فهذه خمس وصايا:الوصية الأولى**: (**يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت**)، **وهذا مصداق قول الحق تبارك وتعالى**: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠]، ومصداق قول الحق تبارك وتعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥]، فالكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن:٢٦-٢٧].

والموت فاذكره وما وراءه فما لأحد عنه براءه

وإنه للفيصل الذي بهِ يعرف ما للعبد عند ربهِ

والقبر روضة من الجنانَ أو حفرة من حفر النيرانِ

لذلك أوصانا نبينا صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة فقال: (أكثروا من ذكر هاذم اللذات)(ابن حبان ٢٩٩٥) **أي**: **قاطع اللذات الذي يحول بين العبد وبين لذاته وشهواته.يقول ابن عمر** : (كنت عاشر عشرة من الأنصار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل: من أكيس الناس يا رسول الله؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكيس الناس أكثرهم للموت ذكراً، وأشدهم له استعداداً،

أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وشرف الآخرة)، (الكبير ١٣٥٣٦) **وليست القضية قضية الموت فقط، لكن ليت شعري كيف ستكون الخواتيم؟ وليت شعري كيف سيختم لكل واحد منا أعلى طاعات أم على مخالفات ومنكرات؟يقول الله تعالى:** وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت:٤٦]، **فمن عاش على الطاعة مات على طاعة، وبعث على طاعة بإذن الله، ومن شب على حب المعصية، شاب على حب المعصية، ومات عليها والعياذ بالله.فقضية ذكر الموت هي القضية التي تحيي القلوب، فما قست قلوب الناس اليوم، ولا غفل الناس إلا لما أغفلوا ذكر الموت وما وراءه.وما قست القلوب، وابتعدت عن ذكر علام الغيوب، وتهاونت في الطاعات، وتجرأت على المحرمات إلا لما غفلت عن ذكر الموت.وقد كان ذكر الموت هو مدار حديث الصالحين بالليل والنهار؛ لأنه الحقيقة التي لا بد منها، وهو الغائب الذي يوشك أن يطرق الباب بلا استئذان ولا مقدمات، فلا يعرف وزيراً، ولا يعرف ملكاً ولا أميراً، والكل عند الموت سواسية، فقد تفعل كل الأشياء باختيارك إلا الموت فلن يكون لك فيه خيار، فلا بد أن تموت؛ لأن الله قال:** كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥]، **فكل نفس ستموت إلا ذو العزة والجبروت.والسؤال الذي يطرح نفسه: هل أنت مستعد للموت وما وراءه أم أنك ممن سينادي بأعلى صوته: رباه! ارجعون؟ فتريد أن تستدرك ولو لحظات مما فاتك، وتتمنى أنك كنت تصلي الفجر في جماعة، وتتمنى أنك كنت من الصائمين، وتتمنى أنك كنت من المتصدقين، وتتمنى أنك حفظت الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، فالعمر واحد، والفرصة واحدة، ولقد أجمع أهل العلم على أن الموت ليس له وقت معين، ولا سبب معين، ولا مكان معين، بل يأتيكم بغتة وأنتم لا تشعرون.إلى الله**

نشكو قسوة في قلوبنا وفي كل يوم واعظ الموت يندب

نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها وحبل الردى مما نؤمل أقرب

ونبني القصور المشمخرات في الهوا وفي علمنا أنا نموت وتخرب

فانظر –بارك الله فيك– فما من بيت إلا ودخله ملك الموت، فأخذ حبيباً أو قريباً وتخطانا إليهم، وسيأتي اليوم الذي يتخطاهم إلينا، وقد كان السلف رحمهم الله إذا ساروا في الجنائز ترى منهم العجب العجاب، يقول ثابت البناني : كنا إذا سرنا في الجنازة فلا ترى فينا إلا متقنعاً باكياً، وكنا لا ندري من نعزي لكثرة الباكين.**وأما اليوم فضحك واستهزاء وتمثيل لمشاهد ومسلسلات عند المقابر، فالكل سيموت إلا ذو العزة والجبروت، وعش العمر الذي تريده لكن اعلم أنه سينقضي عمرك طال الزمان أم قصر،** قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨]، **فهذه الوصية الأولى:** (عش ما شئت فإنك ميت) **الوصية الثانية: (أحبب من شئت فإنك مفارقه)، وكل وصية من هذه الوصايا مرتبطة بالتي قبلها، يقول الله جل في علاه:**

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٤-١٧].ف(أحبب من شئت فإنك مفارقه)، **فيا من تحب الزوجة! وطِّن نفسك على الفراق، ويا من تحب الصبية الصغار! وطِّن نفسك على الفراق، ويا من تحب الأصحاب والأحباب! وطِّن نفسك واستعد للفراق والانتقال من دار إلى دار.واعلم -بارك الله فيك- أن بعض المحبَّات قد تنقلب إلى عداوات يوم القيامة، فاعرف من تحب -بارك الله فيك- ، وما أجمل المحبة في الله! وما أجمل العطاء في الله! وما أجمل البذل في الله! وما أجمل الاجتماع في الله - تبارك وتعالى-! (أحبب من شئت فإنك مفارقه)، فبعض المحبات قد تنقلب إلى عداوات:** وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:٢٧-٢٩].وقوله: الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف:٦٧]، **فاعرف من تحب.**

يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لا يعرفوني

وذو الميراث يقتسمون مالي ولا يألون إن جحدوا ديوني

وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيا الله! ما اسرع ما نسوني

احتضر أحد الصالحين فاجتمع أولاده من حوله، فاجتمعت الزوجة والأبناء والبنات، فقال للزوجة: ما يبكيك؟ قالت: أبكي ترملي من بعدك، وقال للأولاد: وأنتم ما يبكيكم؟ فقالوا: نبكي يتمنا من بعدك، فقال: تباً لكم! كلكم يبكي على دنياي، أما منكم من يبكي على آخرتي؟ أما منكم من يبكي عليّ إذا وُسَّدتُ التراب، وفارقني الأهل والأحباب؟! فاعرف من تحب بارك الله فيك، وهنيئاً لمن أحب القرآن، هنيئاً لمن أحب صيام الهواجر، هنيئاً لمن أحب الدعوة إلى الله، هنيئاً لمن أحب الإخوان في الله ومن أجل الله تبارك وتعالى.بكى معاذ في ساعات احتضاره، وناجى ربه في تلك اللحظات، ثم قال: اللهم! إنك تعلم أني كنت أخافك، وأنا الآن أرجوك، اللهم! إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء، ولا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لصيام الهواجر، وقيام الليل، ومجالسة العلماء.فهم يحبون الدنيا من أجل هذا، فلأي شيء نحب الدنيا؟ ولماذا نحب البقاء؟ف(عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه)، فلا بد من الفراق، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة:٢٩-٣٠]. **الوصية الثالثة:** (**واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به**)، **فيا من تعمل الصالحات أبشر! فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، ويا من تعمل السيئات**

لا تغتر بإمهال الله لك، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم: ٣١-٣٢].وقوله: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران: ٣٠] .وقوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧] ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩].**وروى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى:** (يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيها لكم يوم القيامة، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).**إن أعمارنا صفحات نطويها يوماً بعد يوم، فنفتح صفحة الليل ثم نطويها، ونفتح صفحة النهار ثم نطويها، ثم نسطر فيها أعمالنا من خير أو شر، وكل ذلك يكتب، ثم تأتي آخر الصفحات ليختم للعبد على ما عاش عليه، والليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود ووعيد، فهذا الكتاب أنت الذي كتبته، وسيخرج يوم القيامة حتى تقرأه أنت بنفسك،** وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء:١٣-١٥]، **فماذا يسرك أن ترى في ذلك الكتاب؟ وماذا تحب أن ترى في ذلك الكتاب الذي كتبته أنت؟ أتحب أن ترى فيه أغاني ومسلسلات، ورقص وغناء، وربا وزنا، وفواحش ومنكرات؟ أم تريد أن ترى فيه ما يبيضّ به وجهك في ذلك اليوم العظيم، فاتقوا الله عباد الله! واعلموا أن الله قد أحصى كل شيء عدداً، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، فلا تمنّ نفسك بالرحمة إلا إذا أخذت بأسبابها،** أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية:٢١]، أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُم أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [القلم:٣٥-٤٥]. **قوله: (واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل)، فيا الله ما أجمل تلك الساعات! وما أجمل تلك اللحظات عندما يخلو أولئك الصادقون مع رب الأرض والسموات في مدرسة**

الصدق والإخلاص! وفي مدرسة المجاهدة والتربية في ظلام الليل حيث لا يراهم إلا الله تبارك وتعالى، وقد أثنى عليهم ربهم حين تركوا الفرش والنساء والللذات من أجل الوقوف بين يدي حبيبهم تبارك وتعالى، فقال عنهم: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [السجدة:١٦]، **فلما أخفوا عبادتهم وقيامهم عن الناس أخفى الله ما أعد لهم من عظيم الأجر حين يلقونه تبارك وتعالى،** فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ [السجدة:١٧-١٨]، **أفمن صلى وقام كمن رقد ونام؟ أبداً لا يستوون.** (واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل)، **وتأمل بارك الله فيك الفرق بين الشرف في الحديث وبين الشرف اليوم، فاليوم انقلبت الموازين، وسميت الأشياء بغير أسمائها، فأصبحنا نسمع عن غناء شريف، وعن رقص شريف، وعن فن شريف، وعن فواحش شريفة، فغيروا الأسماء، وغيروا المسميات، فيا الله! فهذه أشراط الساعة قد ظهرت فينا كما قال صلى الله عليه وسلم:** (إن من ورائكم أياماً خداعات: يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وتتكلم فيها الرويبظة، وتسمى الأشياء بغير مسمياتها(مسند احمد ٨٤٤٠)، **بل إنّ كثيراً من الناس يرى أن الشرف في الحسب والنسب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:** (من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه)، والله يقول: فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ [المؤمنون:١٠١]، ويقول: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات:١٣]، **اللهم! اجعلنا منهم ومعهم.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.**

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم! صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:أحبتي! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله! ومن تقواه العمل بهذه الوصايا العظيمة التي أوصى بها جبريلُ –عليه من ربي السلام– نبينا صلى الله عليه وسلم: (يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل). **فهاهو رمضان قد أقبل، وهو شهر الصيام، وشهر القيام، وشهر العطايا، وشهر البذل، فإن كنا حقيقة نحب رمضان فلنستعد له قبل دخوله، والاستعداد لرمضان قبل دخوله ليس بالطعام والشراب كما يصنع كثير من الناس، ولكن وطِّن نفسك من الآن على قراءة القرآن، وقيام الليل، فمن هديه صلى الله عليه وسلم في شعبان أنه كان يكثر من الصيام؛ استعداداً لاستقبال رمضان، قالت أم المؤمنين:** (ما رأيته يتم صيام شهر غير رمضان كشعبان)،(البخاري ١٩٦٩) **وهذا لكثرة ما كان يصوم في شعبان، والناس غافلون عن هذا الشهر**

العظيم، وما فيه من الأجر الكريم، وأن أعمال العباد تعرض على الله في هذا الشهر، فاتقوا الله عباد الله! واستعدوا للقاء رمضان قبل أن يدخل رمضان، أما ترون أننا قُبيل رمضان دائماً نمني أنفسنا بصيام وقيام وخَتمات للقرآن، فإذا دخل الشهر فشلت هذه المخططات، والسبب: أننا نريد أن نلزم أنفسنا بأشياء لم نتعودها قبل رمضان، فأين نحن من أولئك الذين كانوا يصومون على مدار العام، وأين نحن من أولئك الذين كانوا لا يتخلفون عن القيام، فاستعدوا للقاء رمضان قبل دخوله.ومما يجب التنبيه عليه: أنّ من كان عليه أيام من رمضان الماضي فالبدار البدار، والمسارعة المسارعة إلى قضاء هذه الأيام قبل أن يحل عليه رمضان، فإن تكاسل وتهاون فإنه يجب عليه القضاء بعد رمضان مع الإطعام، ويكون آثماً على التأخير بدون سبب، فسارعوا إلى قضاء ما فات والوصية الأخيرة من وصايا جبريل عليه السلام وصية عظيمة نحتاجها اليوم، قال فيها: (واعلم أن عز المؤمن استغناؤه عن الناس)، **ومعنى هذا أن يتعلق العبد بالله، كما جاء في حديث ابن عباس :** (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)، **فلا يقِّدم للمخلوق سؤالاً، ولا يتقرب إلى المخلوق؛ فقد عزه استغناؤه عن الغير، فلا يحتاج إلا إلى الله تبارك وتعالى، فتراه يأكل ويشرب من كده وتعبه وعرقه، واعلم أن سؤال الناس مذلة، وليس بعيب أن نعمل، لكن العيب كل العيب أن نكون عالة على الآخرين، فقد عمل الأنبياء، وما من نبي إلا ورعى الغنم، وعمل موسى عليه السلام حتى يعف نفسه، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم لأهل مكة؛ حتى لا يحتاج إلى الآخرين، وهكذا كان العلماء الربانيون يتكسبون كي يعفوا أنفسهم، وكانوا لا يأخذون أعطيات ولا مداهنات الأمراء والوزراء؛ حتى تكون الكلمة قوية، وحتى يستطيعوا أن يصدعوا بالحق، فالاستغناء عن الغير عزّ.وقد دخل أحد الأمراء على عالم من العلماء وهو بين طلابه، مادّاً رجليه متبسطاً بين طلابه، فظن أنه بأُعطيته قد يستطيع أن يستحوذ على ذلك العالم، فلما جاء لم يقم له العالم للسلام عليه، بل سلم عليه وهو جالس؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، وهدي محمد أولى بالاتباع من مداهنة المخلوقين، فظن ذلك الأمير أنه يستطيع أن يستحوذ على ذلك العالم بعطيته أو بماله، فأرسل إليه من يعطيه آلافاً مؤلفة من الدنانير، فقال العالم: ردها إليه، وأخبره أن من مدّ رجليه لا يمد يديه.والتقى أحد الأمراء مع أحد العلماء في بيت الله الحرام، فأراد هذا الأمير أن يتقرب إلى هذا العالم فقال له: هل لك من حاجة نقضيها لك؟ قال: والله! إني لأستحي أن أسألك وأنا في بيته، فتحين هذا الأمير خروج هذا العالم من بيت الله الحرام، فلما التقاه في الخارج قال: والآن ألك حاجة نقضيها؟ فقال العالم: أمن حوائج الدنيا هي أم من حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا، قال: ما سألت الذي يملكها أأسألك أنت؟!!** (واعلم أن عز المؤمن استغناؤه عن الغير)، **ولن يكون ذلك إلا إذا تعلق بالله، وعرف كيف يطرق أبواب السماء، وعرف كيف يفتح أبواب السماء**

بالدعاء والسؤال والذل والمسكنة لرب الأرض والسماوات، وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ [الحج:١٨].يقول جبريل: (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عن الغير).**اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين.اللهم إنا نعوذ من التوكل إلا عليك، ومن الوقوف إلا ببابك، ومن السؤال إلا منك يا رب العالمين !اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواك طرفة عين، يا رب الأرض والسموات!!اللهم بلغنا رمضان، اللهم بلغنا رمضان، اللهم بلغنا رمضان، وارزقنا صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً يا رب العالمين!ولا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا علي يا عظيم! وآمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين! وانصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وقوِّ عزائمهم، واربط على قلوبهم، وثبت الأقدام، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين! وكُن لهم عوناً وظهيراً، ومؤيداً ونصيراً.اللهم اكبت عدوك وعدوهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز!اللهم عليك بالنصارى ومن ناصرهم، وبالشيوعيين ومن شايعهم، وباليهود ومن هاودهم، اللهم عليك بأعداء الملة والدين، فإنهم لا يخفون عليك، ولا يعجزونك يا عليم يا خبير! يا قوي يا عزيز! واجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا –يا قوي يا عزيز!– على القوم الكافرين.عباد الله!**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠] فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت:٤٥].

***

وماقدرو الله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين. وأسأله سبحانه أن يجمع شمل أمة محمد، وأن يعلي شأنها، ويوحد صفها، ويصلح ولاة أمورها، وأن ينصرها على القوم الكافرين. فأهلاً بكم أحبتي في ليلة قرآنية عنوانها: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ [الزمر:٦٧].فمواعظ القرآن توقظ القلوب النائمة، وتذكر الأنفس اللاهية، وما أحوجنا في ظل انشغالاتنا في طلب دنيانا أن نقف مع أنفسنا، ونعرض أنفسنا على مواعظ القرآن التي لا تخلو منها صفحة من صفحات كتاب الله جل في علاه. إن الأنفس في أمسّ الحاجة إلى قطر السماء القرآني كما أن الأرض في أمس الحاجة إلى قطر السماء المائي، فالأرض إذا انقطع عنها ماء السماء يبست وقحطت، ثم إذا تنزل عليها الماء تبدل حالها وانقلب رأساً على عقب، قال الله جل في علاه:** وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً)[الحج:٥] يعني: ميتة، فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [الحج:٥]، وهذا دليل ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الحج:٦]، وهذا دليل وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:٧].**أرأيت كيف يتبدل حال الأرض عند نزول القطر؟ كذلك يتبدل حال القلوب إذا تنزلت عليها المواعظ القرآنية، فإن كانت الأرض في أمسّ الحاجة إلى قطر السماء فالقلوب في أمس الحاجة إلى تذكيرها بعلام الغيوب جل في علاه، فلا حياة للأرض إلا بالماء، ولا حياة للقلوب إلا بذكر الله جل في علاه. فالقلب الذاكر قلب حي ينبض حياة في كل حين، والقلب اللاهي قلب قاس بعيد عن ذكر الله، وقد قست القلوب اليوم حين ابتعدت عن المواعظ القرآنية والمواعظ النبوية، والمطلوب عرض هذه القلوب على مواعظ القرآن وعلى المواعظ النبوية. هناك آية عظيمة ساقها الله في سورة الزمر، وما أدراك ما سورة الزمر؟! بدأها الله ببيان عزته وحكمته:** تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [الزمر:١]، **فالله عزيز في ملكه، وعزيز في قهره، وعزيز في صفاته وأسمائه جل في علاه، وحكيم في أفعاله وفي تصرفاته، ومرد ذلك إلى علمه الذي وسع كل شيء، فهو عزيز جل في علاه، ومن عزته وحكمته أنه أنزل علينا هذا الكتاب،** تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ [الزمر:١-٢]. **فانطلقت هذه السورة بأول سطورها تبين عزة الله وحكمته، ثم بينت ما هو المطلوب من العباد وهو تحقيق العبودية لله، وعدم الإشراك بالله**

جل في علاه، فقال: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)[الزمر:٢-٣]. **ما قدر العباد الله حق قدره يوم أن عبدوا سواه، وما قدروا الله حق قدره يوم أن أشركوا في عبادته، وما قدروا الله حق قدره يوم أن قالوا: اتخذ الله صاحبة وولداً، وما قدروا الله حق قدره يوم خالفوا أوامره وارتكبوا نواهيه، وما قدروا الله حق قدره يوم أن قالوا: إن قدرة الله ليست بمطلقة، والله قد بين لهم أنه على كل شيء قدير، ثم جاءت آية عظيمة بين الله فيها عظمته وقدرته، فقال عن الذين أشركوا وخالفوا أوامره:** وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر:٦٧]. **قوله: مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أي: ما عظموا الله حق تعظيمه وفي الأرض آياته وبيناته التي تدل على وحدانيته وعلى قدرته، فهلا سرتَ في الأرض لترى الدلائل والعلامات على قدرة الله جل في علاه، فكل ما في الأرض يدل على أنه واحد، فكيف يعصيه العاصي أو يجحده الجاحد. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أي: ما عظموه حق تعظيمه، وقد جاءت الرسل لتبين لأقوامها هذه الحقيقة، حتى نبينا صلى الله عليه وسلم بيّن للناس هذه الحقيقة وهي: أن الله عظيم في قدرته، وعظيم في قوته، وعظيم في كل اسم من أسمائه وفي كل صفة من صفاته.قال نوح عليه السلام لقومه:** مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا [نوح:١٣] **أي: مالكم لا تعظمون الله حق تعظيمه فتخافون من عذابه وأليم نقمته؟! ثم بين لهم عظمة الله في أنفسهم، وفي آياته التي تحيط بهم يمنة ويسرة فقال:** وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [نوح:١٤] يعني: أوجدكم من عدم هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا [الإنسان:١]. **فمن أنت يا ابن آدم! حتى أوجدك الله وأخرجك إلى هذا الوجود؟! وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا يعني: طوراً بعد طور: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم أخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، وهكذا خلق الإنسان، فما عظَّم الله حق تعظيمه وما قدر الله حق قدره من لم يتأمل في هذه الآيات.ثم أمرهم نبيهم صلوات ربي وسلامه عليه أن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض، وأن ينظروا في آيات الله يمنة ويسرة حتى يروا عظمة الله جل في علاه:** أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا [نوح:١٥-٢٠]. قال سبحانه: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر:٦٧].

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ولن يكون هذا إلا إذا قدرت الله حق قدره، فما قدروا الله حق قدره يوم تخلفوا عن أوامره وتساهلوا في نواهيه، وما قدروا الله حق قدره من ناموا عن الصلوات المكتوبة، وما قدروا الله حق قدره من تطاولوا على الربويات، وما قدروا الله حق قدره من ملئوا ليلهم ونهارهم بالعكوف أمام الشاشات والقنوات، وما قدروا الله حق قدره يوم لم يستشعروا عظمته وأنه في كل مكان يراهم ويعلم سرهم ونجواهم.فما عصى عاصي وما خالف مخالف إلا لأنه لم يقدر الله حق قدره، وما تخلف متخلف عن أوامر الله إلا لأنه ما قدر الله حق قدره.إن الله سبحانه يري العباد الآيات في أنفسهم، وسيريهم الآيات في السماوات وفي الأرض، وأي خطب أعظم وأجل من ذلك اليوم الذي تكون فيه الأرض في قبضة الجبار قال سبحانه: وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، وهنالك سيعرف أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره أنهم كانوا خاطئين، فإن الله سيريهم في ذلك اليوم من الآيات العظام ما الله به عليم. وكل خطب عظيم تسبقه أمور عظام، لذلك من حكمته جل في علاه ومن رحمته بنا أن جعل لذلك اليوم علامات تدل

على وقوع ذلك اليوم العظيم، وهي أمارات صغار وأمارات عظام.فأما العلامات الصغار فقد ظهرت إلا قليلاً منها، قال الله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد:١٨-١٩].و**الحقيقة التي يجب ألا تغفل عنها أننا في هذه الدنيا ضيوف وعما قليل سينادي المنادي بالرحيل، فأما الذين قدروا الله حق قدره فهم على أتم الاستعداد ليوم الرحيل، وأما المفرطون الذين لم يقدروا الله حق قدره فليلهم ونهارهم سواء، قال الله عنهم:** ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣]

.يا عجباً للناس لو أبصرو احاسبوا أنفسهم إذا قصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبرُ

لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمّهم المحشرُ

ليعلمنّ الناس أن التقى والبر كانا خير ما يُذْخرُ

فمن قدر الله حق قدره فليستعد لذلك اليوم. يتفاوت الناس في الإيمان الذي وقر في قلوبهم ما بين مؤمن قوي وضعيف، ويختلف الناس لاختلاف ذلك الإيمان الذي وقر في قلوبهم، ويظهر ما وقر في القلب هذا في التصرف والسلوك والأخلاق والمعاملات.وقد بين الله لنا في كتابه أنه سيجمع الأولين والآخرين في يوم لا يغادر الله فيه صغيرة ولا كبيرة.والإيمان باليوم الآخر قدمه الله على كثير من أركان الإيمان، فقال الله جل في علاه: ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:٢٣٢]، **فقدم الله الإيمان بالله وباليوم الآخر على سائر أركان الإيمان؛ والسبب: أن الإيمان بذلك اليوم هو الذي يحرك الإنسان في حياته، فمن علم أنه عبد لله، وعلم أنه سيقف بين يدي ربه جل في علاه، وعلم أنه سيسأل عن كل صغيرة وكبيرة فكيف يكون حاله في دنياه؟ وكيف يكون حال من قدر الله حق قدره، واستشعر عظمة الله، واعلم أن الله مطلع عليه ويعلم سره ونجواه؟! كيف يؤثر ذلك في سلوكه وفي تصرفاته؟ وانظر في واقع الناس اليوم فإنهم يدعون أنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر لكن لا ترى لإيمانهم أثراً واقعاً ملموساً في حياتهم، بل تراهم يتهاونون في الطاعات ويتساهلون في المحرمات! فلماذا هذا؟ لأنهم ما قدروا الله حق قدره.وقبل هذا اليوم العظيم أمور عظام، فكيف أنت إذا أشرقت الشمس من مغربها؟ وكيف أنت إذا سار المسيح الدجال في الأرض؟ وكيف أنت إذا خرجت الدابة تكلم الناس وتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون؟وكيف أنت إذا فتحت يأجوج ومأجوج وظهرت هذه الآيات العظام؟!** فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا [محمد:١٨]. **فالمؤمن الذي قدر الله حق قدره إذا رأى هذه الآيات الصغار التي تدل على قرب الآيات العظام استعد أشد الاستعداد لملاقاة الله جل في علاه، فأنت قد تصبح ولا تدرك المساء، وأنت قد تمسي ولا تدرك الصباح، فلا بد من الاستعداد، ومن مات فقد قامت قيامته، واسمع إلى قول أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره إذا رأوا آيات الله العظام يوم يقفون بين يدي الجبار جل في علاه:** وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الأنعام:٢٧]. فقال الله راداً عليهم: بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الأنعام:٢٨].فكيف كان حالهم في دنياهم؟ قالوا: إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ * قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

[الأنعام:٢٩-٣٣] **يجمع الله الخلق أولهم وآخرهم في يوم لا يغادر الله فيه صغيرة ولا كبيرة، فكيف سيكون حالي وحالك في ذلك اليوم العظيم؟! سيبدأ ذلك اليوم بنفخة في الصور كما قال الله جل في علاه في سياق تلك الآيات:** وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر:٦٧-٦٨]. وقال سبحانه: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٣-١٨]. **فكيف سيكون حال أولئك الذين لم يقدروا الله حق قدره؟! إن الأهوال ستبدأ ببعث، ثم حشر، ثم شفاعة، ثم نزاع، ثم حساب، ثم تتطاير صحف. فأسألك بالله العظيم: كم قرأت مثل هذه الأخبار في كتاب الله؟! أما يتكرر ذلك في كل صفحات القرآن؟! أما أعاد الله أمثال هذه الصور مرات ومرات في كتابه؟!إن المؤمن حقيقة يستعد لذلك اليوم،** ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود:١٠٣-١٠٥]. **وقد أنكر الكفار قضية البعث والحشر والحساب،** زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن:٧]. **إن من حكمة الله البالغة أن يجمع الناس الأولين والآخرين،** وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [النجم:٣١]؛ **حتى يثاب المحسن على إحسانه وحتى يعاقب المسيء على إساءته، فهذه من حكمة الله في جمع الناس في ذلك اليوم العظيم الذي لا يغادر الله فيه صغيرة ولا كبيرة،** يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج:٤٣-٤٤]. **أما تكرر هذا الحديث في القرآن وأن الله سيجمع الأولين والآخرين، فقال سبحانه:** وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ [الواقعة:٤١-٤٣]، لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة:٤١-٥٠]. **فكيف سيكون حال الناس في ذلك اليوم؟! وكيف سيكون حال أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره في ذلك اليوم؟!**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ [السجدة:١٢]. وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا [الأنعام:٣٠]. **إن أمنية كل واحد منهم:** يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الأنعام:٢٧]، **فيجمع الله الأولين والآخرين في مكان واحد تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات، فلا هي بالأرض التي نعرفها، ولا هي بالسماء التي كنا نستظل بها، وحال الناس لا يعلم به إلا الله،** يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ [المعارج:٤٣]. **إنّ اليوم العظيم تسبقه أهوال عظام، وقد تكررت تلك المشاهد في القرآن مرات ومرات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.وقد سمى الله ذلك اليوم القارعة؛ لأنه يقرع الآذان ويقرع القلوب،** وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:٣-٥]. **فكيف سيكون حالي وحالك إذا صارت الجبال كالعهن المنفوش، وصار الناس كالفراش المبثوث؟!وكيف سيكون** حالنا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر:٢١-٢٢]؟! **فإذا نفخ في الصور خرج من في القبور يزيلون التراب من على رءوسهم ويقولون:** قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً

وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ [يس:٥٢-٥٣]. **وسمى الله ذلك اليوم يوم التلاق، فيلتقي فيه آدم مع ذريته، ويلتقي فيه أهل الأرض مع أهل السماء، ويلتقي فيه الظالم مع المظلوم. وسماه الله يوم الجمع، حيث يجمع الله فيه الأولين والآخرين. فلا تخلو صفحة من صفحات القرآن من صورة ومشهد من ذلك اليوم العظيم، وهي صور تحيي القلوب، لكن ما قدروا الله حق قدره، فغفلوا عن الاستعداد لذلك اليوم العظيم. وإذا خرج الناس من قبورهم صاروا إلى محشرهم كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة،** وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الأنعام:٩٤]، تقول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم: (الرجال والنساء حفاة عراة ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة ! الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض).(البخاري ٦٥٢٧) **إنه يوم الفرار، فيه** يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس:٣٤-٣٧]**.فالقلوب واجفة، والأبصار خاشعة، ولا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا يدرون إلى أين المصير، فيشتد الموقف على العباد في ذلك اليوم، وتدنو الشمس من رءوسهم، فأين الفرار في ذلك اليوم إذا أدنيت الشمس من رءوس العباد مقدار ميل؟! قال الراوي: والله ما أدري هل أراد ميل المسافة أم ميل المكحلة؟! فيغرق الناس في عرقهم كل على قدر أعماله، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. بينما الناس في ذلك الموقف العظيم إذ نظر بعضهم إلى بعض فقالوا: ألا ترون ما نحن فيه؟! ألا ترون ما قد بلغنا من الهم والغم؟! ألا ترون من يشفع لنا عند ربنا؟!** (روى البخاري ٤٧١٢)عن أبي هريرة قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في وليمة فأدنيت منه الذراع وكان يحبها، فنهش منها نهشة ثم قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، أتدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين الآخرين فلا يغادر منهم أحداً، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، حتى إذا استووا في موقف أدنيت الشمس من رءوس العباد مقدار الميل، فيغرق الناس في عرقهم) **أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.وفي ذلك اليوم لا يتكلمون** إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا [طه:١٠٩]**.وتأمل هذه الأمور العظام التي تحدث بين يدي ذلك اليوم العظيم** وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا [طه:١٠٥-١١١]. **فينظر الناس بعضهم إلى بعض، ويقولون:** (ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا ترون من يشفع لنا عند ربنا؟ فيقولون: اذهبوا إلى آدم .فيأتون آدم فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنته، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني نهيت عن تلكم الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله؟ ولن يغضب بعده مثله، وإني كذبت ثلاث كذبات -لو عددناها لعددناها من صالح أعمالنا- ثم يقول: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: أنت نبي الله وكليمه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند

ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: أنت نبي الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولا يذكر ذنباً ويقول: نفسي نفسي نفسي) . أتدري من هؤلاء الذين يقولون: نفسي نفسي نفسي؟ هؤلاء هم أولو العزم من الرسل، وهؤلاء أحب الخلق إلى الله، وأخوفهم من الله، وأتقاهم لله، فكيف يكون حالي وحالك؟! وكيف سيكون حال أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره؟! وكيف سيكون حال المفرطين والعصاة؟! قال: (فيقول عيسى: اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً -وفي رواية فيأتيهم- فيقولون: يا محمد! أنت نبي الله وخاتم المرسلين، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فأقول: أنا لها، فأنطلق إلى العرش فأخر ساجداً، ثم يفتح الله علي من محامده ما لم يفتحه على بشر من قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي، يا رب! أمتي)، فما تخلى الحبيب عن أمته، ولم ينس الحبيب أمته في أشد المواقف، بل نادى بأعلى صوته: (أمتي أمتي) **فأين أمة محمد اليوم عن نصرة دينه؟ وأين أمة محمد اليوم عن اتباع سنته؟ وأين أمة محمد اليوم عن الذب عن شريعته، والجهاد في سبيله؟قال**: (فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من ليس عليه حساب من الباب الأيمن من الجنة، وهم شركاء الناس في سائر الأبواب). **ثم قال صلى الله عليه وسلم**: (والله! إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، وليأتين عليها يوم وهي كضيض من الزحام). **وهل تظن أن الموقف قد انتهى؟ كلا، بل ينتقل الناس من شدة إلى شدة، وينتقل الناس من أمر عظيم إلى أمر جسيم، فيأذن الله بالشفاعة، ويأذن الله بالحساب، فتصف الصفوف** وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الكهف:٤٨]. **فتقام الصفوف، وتطأطأ الرءوس، وتشخص الأبصار، وتتطاير الصحف، وتوضع الموازين، وتوزن الأعمال، ويتمنى الإنسان حسنة واحدة في ذلك المقام، فالأم تقول لابنها: حملتك في بطني تسعة أشهر، وفعلت لك ما فعلت، يا بني! حسنة واحدة لمثل هذا اليوم العظيم، وكذلك يقول الأب لأبنائه، فينادي كل منهم: نفسي نفسي نفسي. تقول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم**: (أيعرف الناس أهليهم في ذلك اليوم؟ قال: نعم إلا في ثلاثة مواقف، يوم تتطاير الصحف فلا يدري الإنسان أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، ويوم تنصب الموازين فلا يدري أترجح كفة الحسنات أم كفة السيئات، وإذا نصب الصراط فلا يدري أيتجاوزه أم يهلك مع الهالكين). أو كما قال صلى الله عليه وسلم.ويأذن الله بالشفاعة ويأذن بالحساب، فيبدأ يوم عسير مقداره خمسون ألف سنة، سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج:١-٤]. **فلا يأكلون ولا يشربون ولا يتكلمون في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة! فكيف سيكون حالي وحالك؟! وكيف سيكون حال أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره؟! وفي شدة الموقف والأهوال يظل الله من قدّروه حق قدره في ظل عرشه، وفي ذلك اليوم العظيم أصناف سبعة يستظلون بظل عرش الرحمن الرحيم، فأين أنت منهم؟** قال الحسن البصري : كيف أنت بأقوام وقفوا على أقدامهم مدة خمسين ألف سنة، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتكلمون، وبينما هم على ذلك الحال وقوف إذ جيء بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها؟ إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا [الفرقان:١٢-١٣]، سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان:١٢]، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ [الملك:٨].وقد أمرنا الله بتقواه والاستعداد لذلك اليوم العظيم، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:١-٢]. **فتتقطع الأحساب والأنساب، ثم يأمر الله بالحساب، فكيف أنت بمحكمة قاضيها الملك الديان، وشعارها** لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [غافر:١٧]. قرأ قارئ: إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه [الزلزلة:١-٧] **فبكى وقال: والله إنه حساب شديد، سنحاسب فيه بالذرة! فكم نظرة نظرتها ستعرض عليك ذلك اليوم! وكم كلمة قلتها ونسيتها ستعرض عليك ذلك اليوم! وكم من أعمال عملتها ستصبح هباء منثوراً في ذلك اليوم يبدأ الحساب بعد ذلك، فتخيل الموقف إذا قيل: فلان بن فلان استعد للعرض! فلو ينادى عليك بين يدي ملك من ملوك الدنيا لارتعدت فرائصك، ولو أمرت أن تقف بين يدي مسئول لارتعدت فرائصك، فكيف وأنت ستقف بين يدي من الأرض في قبضته، والسماوات مطويات بيمينه،** يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء:١٠٤]. **وستقودك الملائكة من بين الصفوف والبشر كلهم ينظرون إليك، وأنت لا تدري ماذا يفعل بك، ولا تدري إلى أين المصير! فأما الذين قدروا الله حق قدره فاسمع كيف يكون حسابهم، قال ابن عمر** : يدني الله العبد منه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه -يعني ستره- ثم يقرره بذنوبه: تذكر يوم صنعت كذا وكذا، حتى إذا ظن العبد أنه هلك قال الله أرحم الراحمين: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أسترها عليك اليوم،(البخاري ٢٤٤١) **فيؤتى كتابه بيمينه، فيخرج بين الملأ ضاحكاً مسروراً ينادي بأعلى صوته** هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ [الحاقة:١٩-٢٢]. **وأما حال الذين لم يقدروا الله حق قدره: فإذا وقف بين يدي ربه وقرره الله بذنوبه قال له الله: عبدي! أما استحيت أن تعصيني؟! أتختفي عن جميع الناس وتنساني؟! فينادي الله جل في علاه لزبانيته وملائكته: يا ملائكتي! خذوه، ومن عذابي أذيقوه، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه معي، فيعطي كتابه بشماله، فيخرج بين الملأ حسيراً كسيراً مطاطئ الرأس، يقول:** يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ [الحاقة:٢٥-٢٩]. فينادي الجبار ملائكته: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ [الحاقة:٣٠-٣٧]. **بعد ذلك توضع الموازين وتوزن الأعمال، وهي دليل على عدل الله وحكمته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (يؤتى بالرجل السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة).(البخاري ٤٧٢٩) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧].**فتوزن الأعمال حتى يعلم كل إنسان أن مكانته عند الله على قدر أعماله، والميزان عدل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها،** (فيؤتى برجل سيئاته مثل الجبال، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك قال الله: لا ظلم اليوم، هل لعبدي من حسنة؟ فيؤتى ببطاقة مكتوب فيها: لا إله إلا الله، فيقول العبد الذي ظن أنه هلك: وما تصنع هذه البطاقة مع أعمالي التي كالجبال من الآثام؟! فتوضع البطاقة في كفة، والسيئات في كفة، فتطيح لا إله إلا الله بالسيئات! فترجح كفة الحسنات)،(الترمذي ٢٦٣٩) **فاحفظوا هذه الكلمة: لا إله إلا الله،** فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد:١٩]، **فلن ينجو في ذلك اليوم إلا أهل لا إله إلا الله، ولا من تحقيق شروطها من علم وصدق ويقين وانقياد وقبول ومحبة للا إله إلا الله، فماذا حققنا من شروط هذه الكلمة؟! لا يزال البشر ينتقلون من موقف إلى موقف، ومن شدة إلى شدة، ومن هول إلى أهوال، لا يدرون إلى**

الجنة أم إلى النار يكون المصير، فينصب الصراط وهو أدق من الشعر، وأحد من السيف، ويؤمر الناس بالمرور، ومن تجاوز فإلى دار النعيم، ومن سقط فإلى العذاب المهين، فيعطى الناس نوراً في ذلك اليوم حتى يتجاوزوا ذلك الصراط، فمنهم من نوره يسعى من بين يديه ومن خلفه، ومنهم من يعطى نوراً كالجبل، ومنهم من يعطى نوراً كالكوكب الدري، ومنهم من يعطى نوراً في إصبع إبهام رجله، فيضيء له مرة فيقدم قدمه على الصراط، ويظلم مرة فيقف، والكلاليب تتخطف الناس وتهوي بهم إلى جهنم وبئس المصير، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكردس على وجهه في جهنم، والنبي صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول: (اللهم سلم سلم)، **فهل أعددت لذلك اليوم عدته؟ واسمع إلى أحوال أولئك الذين قدروا الله حق قدره فاستعدوا لذلك اليوم العظيم،** بكى عبد الله بن رواحة يوماً وهو مضطجع على فخذ امرأته، فبكت المؤمنة من بكائه، فقال لها: ما الذي يبكيك؟ قالت: ما بكيت إلا لبكائك، فما الذي أبكاك؟ قال: تذكرت قول الجبار جل في علاه: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [مريم:٧١]، (سير اعلام النبلاء ١١\٢٣٧) **يعني: وارد الصراط، لا يدري إلى الجنة يؤخذ به أم إلى النار، قال: تذكرت الصراط، وذلة الناس في ذلك اليوم العظيم، فبكيت عندما تذكرت ذلك، فهل أبكانا مثل ذلك اليوم؟ إنه يوم عظيم صوره الله فقال عنه:** وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم:٦٦-٧١]، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [مريم:٧٢]، **فهل نحن من المتقين؟واسمع بعض صفاتهم في كتاب الله:** الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم:٣٢]، فالمتقون هم الناجون في ذلك اليوم، ومن صفاتهم: وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [الأنعام:٩٢]، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [الذاريات:١٩] ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ [المعارج:٢٦-٣٥]. **فهذه صفات الناجين الذين قدروا الله حق قدره.**

ينتهي ذلك اليوم وينقسم الناس إلى قسمين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فمن الذي سيفوز؟ ومن الذي سيخسر؟ إنه فوز لا خسارة بعده، وإنها خسارة لا فوز بعدها. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، جيء بالموت على صورة كبش أقرن أملح بين الجنة والنار، فينادى: يا أهل الجنة! أتعرفون هذا؟ فيشرئبون فينظرون فيقولون: نعم، هذا الموت، فينادى: يا أهل النار! أتعرفون هذا؟ فيشرئبون فينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، فيأمر به فيذبح، ثم ينادى: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت) **فتأمل مقدار السعادة، وتأمل مقدار الحسرة والندامة في قلوب الخاسرين، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم:** وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:٣٩-٤٠]. وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ

وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ [الزمر:٦٧-٧٠]. **فينقسم الناس إلى قسمين:** وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ [الزمر:٧١-٧٢]. **والفريق الآخر**: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [الزمر:٧٣-٧٤]، **فكيف هو استعدادنا لذلك اليوم، يوم يجمع الله الأولين والآخرين؟ وكيف هو حال أولئك الذين قدروا الله حق قدره؟ وكيف هو حال أولئك الذين ما قدروا الله حق قدره؟ فاتقوا الله عباد الله! واستعدوا لذلك اليوم،** قال الحسن البصري : إن أقواماً غرتهم الحياة الدنيا فخرجوا منها بلا حسنات، يقولون: إننا نحسن الظن بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل. ولكنهم ما قدروا الله حق قدره، **وسوف نعرف قيمة العمر وقيمة الحياة إذا فارقنا الأهل والأحباب، فنصيح بأعلى الصوت: رباه! ارجعون، فلا يستجاب لنا. أما آن الأوان أن نقدر الله حق قدره، ونعلم أن الحياة مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي عند الله حقيرة، فاتقوا الله عباد الله! ومن تقوى الله الاستعداد لذلك اليوم العظيم، واقرءوا القرآن وتدبروا آياته، ففيه آيات لو تنزلت على الجبال لرأيتها خاشعة متصدعة من خشية الله. والموفق من وفقه الله للاستعداد، ولو علم الله خيراً في الفريق الآخر لأسمعهم.**(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)، **مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، اذكروا الله يذكركم، انصروا الله ينصركم، وأوفوا بعهد الله يوفي بعهدكم، وحافظوا على أوامر الله يحفظكم في دينكم ودنياكم. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا -يا ربنا- من الراشدين.اللهم استر في ذلك اليوم عوراتنا، وأمن فيه روعاتنا، وثقل فيه موازيننا، وبيض فيه وجوهنا، وزحزحنا فيه عن النار، وأدخلنا الجنة يا عزيز يا غفار!اللهم اجمع شمل المسلمين، ووحد صفهم، وأعل شأنهم، وأصلح ولاة أمورهم، وانصرهم -يا قوي يا عزيز- على القوم الكافرين.وأستغفر الله العظيم، وصلى الله على نبينا محمد.**

***

يا أمة محمد

يقول الله جل في علاه : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ، وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً }..**نعم عباد الله ..محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه أرسله الله ..شَاهِداً ..ومُبَشِّراً ..ونَذِيراً ..والشاهد ..لا يكون إلا عدلاً..والمُبشر ..لا يأتي إلا بخير والنذير ..لا يُنذر إلا من محبة ، وخوف على من ينذرهم ..يقول الله لنا :** { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }..**عباد الله ..ما قامت هذه المنابر ..ولا تشرفت ..إلا يوم أن كان أول من اعتلاها هو ..محمد بن عبد الله عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..ووالله ..لا خير في هذه المنابر ..ووالله ..لا خير في هذه المنابر ..إن لم تدافع اليوم ..عن أغلى البشر..كان إذا صعد المنبر هزَّ المنبر هزاً ، وعلا صوته ، واحمَّر وجهه ، كأنه منذر جيش حتى يقول الصحابة : أواقع المنبر برسول الله صلى الله عليه وسلم !..صعد المنبر ..وارتقى في سلم العبودية ..حتى وصل إلى سدرة المنتهى** ..يوم أن أسرى به ربه ليلاً من **المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى** ..

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما رأوك به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر ،أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السماوات أو ما فوقهنَّ دجاً على منوَّرة درّية النجم
ركوبة لك من عز ومن شرف لا في الجياد ولا في الأينق الرُسم
مشيئة الخالق الباري وصنعته وقدرة الله فوق الشك والتهم

ما أقسم الله بحياة أحد من البشر إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ..

فقال الله : { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } ..يقول ابن عباس : ما خلق الله ، وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ..وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره (اتحاف الخيرة المهرة ٥٧٤٦/٢)..**إنه ..محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..سيد ولد آدم ولا فخر ..وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر ..وأول شافع ، وأول مشفع ولا فخر ..ولواء الحمد بيده**

يوم القيامه ولا فخر ..اسمه محمد : مشتق من الحمد أي أحمد الناس لربه ..وأبوه عبد الله : من العبودية لله ..وكان يعجبه صلى الله عليه وسلم أن يُقال : عبد الله ورسوله ..وهو الذي أتى بدين العبودية الخالصة ..وأمه آمنه : من الأمن ..وقد أمنه الله على وحيه ودينه ، كما كانت شريعته أمناً وسلاماً ..وحاضنته أم أيمن : من اليُمن ، والبركة ..ومرضعته حليمه : وحليمة من الحلم وكلها صفات قد اكتملت في شخصيته صلى الله عليه وسلم ..ولما كان خاتم النبيين ..فوجب أن تكون شريعته أكمل الشرائع ..وأن تتوفر فيه صفات جميع الأنبياء والمرسلين ..نُسب إلى الشافعي رحمه الله قوله : ما أوتي نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا صلى الله عليه وسلم نظيرها وأعظم منها ..يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه صلى عليك مُنَّزل القرآن سبحان من ..زَكَّى سمعك وبصرك واصطفاك ..سبحان من جعل ..أكمل صفات البشر في صفاتك وأكمل أخلاق البشر في أخلاقك ..أنت الذي قال لك ربك : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} **..وأنت الذي قلت عن نفسك :(** أدبني ربي فأحسن تأديبي).(كنز العمال ٣١٨٩٥).يقول عنك حسان : (جميع دواوين الشعر العربي رقم القصيدة : ١٢٧٩٧)

وأحسن منك لم ترى قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

اعترف بعظمتك القاصي والداني ..حتى الذين أنكروا نبوتك لم ينكروا عظمتك وأنت لست بحاجة إلى شهاداتهم أو تزكياتهم ..ولسنا اليوم قد اجتمعنا لنذكر صفاتك ، ومحاسنك ، وكريم أخلاقك ..فإنا لا نشك أبداً في أنك ..سيد ولد آدم ..وإنك أنت التقي ..النقي ..الطاهرالعلم ..عباد الله ..آن الأوان ..ليُعرف الصادق من الكاذب ..آن الأوان ..ليُعرف الصادق من الكاذب ..آن الأوان ..أن ننفض أثواب الذل والمهانة..منذ عهود طوال ونحن نشرب كأس الذل والمهانه..أنَّت فلسطين ، وصاح أقصانا ولا مجيب ..وتوالت الصيحات والأنات ..ولو كانت صخور لاستجابت لتلك الآهات والصيحات ..ولازالت تتتابع علينا المصائب ، وتوجه لنا الشتائم والاحتقارات ..وممن ؟!.من أذل وأحقر شعوب الأرض ..لكن لماذا ؟؟!!..لأننا لواحترمنا أوامر ربنا لاحترمونا ..لأننا لو ..عملنا لكتاب ربنا ما أهانونا..لأننا لو ..سرنا على هدي نبينا ما أخافونا ..قال صلى الله عليه

وسلم مشخصاً مرضنا :(إذا تبايعتم بالعينة – أي بالربا – و أخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم) (ابو داود ٣٤٦٢)..**يوم أن كان المسلمون أعزة صرخت امرأة : وإسلاماه ..فجيَّش لها المعتصم جيشاً ، وسيَّر لها جيوشاً لنصرتها ..ويوم أن نقض نقفور – كلب الروم – العهد ..** أرسل له هارون رسالة فحواها : الخبر ما ترى لا ما تسمع يا كلب الروم .(البداية والنهاية ١٠ \٢٠٩).**واليوم ..يوم أنتشربنا الذل والهوان ..ماتت أحاسيسنا ..وماتت مشاعرنا ..يسخر تجار البقر من رسولنا ..يسخر تجار البقر من رسولنا صلى الله عليه وسلم ..ونحن ..نتدارس جدوى المقاطعة ..وأغلى أمانينا أن يقدموا لنا اعتذار!!!! ..أغلى أمانينا أن يقدموا لنا اعتذار !!!!..أي اعتذار !!!!..حتى الاعتذار طلبناه على ذل لأننا استمرأنا الهوان ..إنَّ اجتماعنا اليوم – في يوم جمعتنا – ليس لقضية مقاطعة ..ليست لقضية مقاطعة لحليب أو لأجبان ..القضية قضية ..نكون أو لا نكون القضية قضية ..نكون أو لا نكون ..أسألكم بالله ..ماذا سيقول علينا التاريخ بعد عقود من الزمان ؟!..خانوا الله ..وخانوا الرسول ..محاوري ثلاثة ..هذا نبينا ..وما الذي أغاظهم !..ثم أخيراً ..هذا فعل المحبين ..قال الله :** { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ..**نعم رحمه..فمقبل هذه الرحمه..وشكر هذه النعمه ..سعد في الدنيا والآخره ..ومن ردها وجحدها ..خسر الدنيا والآخره** ..عند(مسلم ٢٥٩٩)من حديث أبي هريره : قيل يا رسول الله : ادع على المشركين ..قال :(إني لم أُبعث لعَّانا ، وإنما بُعثت رحمه)..(إني لم أُبعث لعَّانا ، وإنما بُعثت رحمه).**وفي حديث آخر** :(أنا رحمة مهداة)..(الحاكم ١٠٠) **ولم تكن رحمته قاصرة على البشر ..بل حتى على الحيوانات** ..عند (أبي داوود ٢٦٧٥ –) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمَر – طائر صغير كالعصفور – فأخذناهما ، فجاءت الحُمَرَة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي تفرش – تضرب بجناحيها في الأرض –فقال :من فجع هذه بفرخيها ؟..قال قلنا : نحن يا رسول الله ..قال :(ردوهما رحمة بها) (مسند الطيالسي ٣٣٤)..قال :(ردوهما رحمة بها ولها)..**فرددناهما إلى مواضعهما ..الله أكبر ..اشتكت له أم الفراخ..اشتكت له ، ورفعت له شكوى الظلم والجور ..لأنه حامل لواء العدل ..وسماه الله** :{ رَؤُوفٌ رَّحِيم } ..**عجباً لهم ..عجباً لهم ..كيف عميت أبصارهم عن ..تأمل هذه المشاهد ..وقراءة هذه الأخبار ..من حياة سيد الأبرار ..يقول زيد بن**

أرقم : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينه ، فمررنا بخباء لإعرابي فإذا ظبيه – غزاله – مشدوده إلى الخباء ، فقالت : يا رسول الله إن هذا الإعرابي اصطادني ولي خُشفان في البريه – يعني ولد الغزال – ولي خُشفان وقد تعقد اللبن في أخلافي فلا هو يذبحني فأستريح ، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية ..فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن تركتك أترجعين ؟!.قالت: نعم وإلا عذبني الله عذاب العشار ..فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تلبث أن جاءت تلمَّظ ..فشدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء فجاء الإعرابي ومعه قربة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أتبيعنيها ؟..قال : هي لك يا رسول الله ..فأطلقها صلى الله عليه وسلم ..يقول زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تسيح في البريه وتقول :لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ..وللخبر طرق أخرى عن أنس وأم سلمه وغيرهما (الكبير ٧٦٣)..**قاتلهم الله ..صوروه ورسموه في أبشع المناظر والصور ..قاتلهم الله ..صوروه ورسموه في أبشع المناظر والصور . ما دروا أنه أحلى من القمر ..اسمع أوصاف أغلى وأحلى البشر** ..عن جابر بن سمره رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة إضْحِيان – ليلة مقمرة لا غيم فيها – وعليه حُلّة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو كان في عيني أحلى من القمر(الترمذي ٢٨١١) ..يقول كعب رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر(البخاري ٣٥٥٦)..وتقول الرُبيّع بنت معوذ لمحمد بن عمار بن ياسر ، تقول له لو رأيته – يعني لو رأيت النبي صلى الله عليه وسلم – لقلت الشمس في أبراجها طالعه..لو رأيته – يعني لو رأيت النبي صلى الله عليه وسلم – لقلت الشمس طالعة في أبراجها (الاحاد والمثاني ٣٣٣٥) ويقول أنس رضي الله عنه واصفاً حبيبه صلى الله عليه وسلم : كان ربعة من القوم ، متوسط الطول ، إلى الطول أقرب ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون أمهر – أي أبيض مشرَّب بحمرة (البخاري ٣٥٤٧)ويقول جابر رضي الله عنه : كنت إذا نظرت إليه صلى الله عليه وسلم قلت أكحل العينين ، وليس بأكحل ، مشَّرب العينين بحمرة (الترمذي ٣٦٤٥)ويقول علي رضي الله عنه واصفاً إياه صلى الله عليه وسلم يقول : كان في الوجه تدوير ، أبيض مُشرَّب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ..ما أحلاه وما أجمله (الترمذي ٣٦٣٨)..**يقول أهل العلم إن كان يوسف عليه السلام أُعطي نصف الجمال فإنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم قد أُعطي الجمال كله** ..عن الحسن بن علي عن خاله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الجبين ، أزجّ الجواجب – أي مُقوَّس الحواجب – سوابغ في غير قَرَن – أي حاجب تام طويل بلا اتصال بين الحاجبين ، وبين الحاجبين عِرْق يُدِرّه الغضب – أي يمتلأ ذلك العرق دماً إذا غضب – ..وما

كان يغضب لنفسه قط ..وما كان يغضب لنفسه قط ..إنما يغضب لحدود الله إذا انتهكت ..يقول الحسن مواصلاً وصفه لجده صلى الله عليه وسلم : كان صلى الله عليه وسلم أقنى العِرْنين – أي طويل الأنف – له نور يعلوه ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب (الكبير ٤١٤).. ويقول ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلج الثنيتين ، وكان إذا تكلم رُؤي كالنور بين ثناياه (الكبير ١٢١٨١)..**وذكر علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان ضخم الرأس واللحية ..اسمع ..يا من تحلق لحيتك ..ولا تريد أن تتشبه بنبيك صلى الله عليه وسلم..وهو الذي قال** :أطلقوا اللحى ..أسدلوا اللحى..أكرموا اللحى ..أوفوا اللحى (البخاري ٥٨٩٣)..لا تتشبهوا باليهود والنصارى .(مسند احمد ٨٦٥٧).وكان شعر رأسه كما قال أنس رضي الله عنه : بين الشعرين لا سبط ولا جعد ، بين أذنيه وعاتقه يضرب منكبيه ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء(الترمذي ٣٦٢٣)..**يالله تأمله الصحابة تأملاً ، وملأوا أعينهم منه وما كانوا يشبعون من رؤيته دخل صلى الله عليه وسلم يوماً على أحد أصحابه فوجده مهموماً مغموماً فقال له : ماذا دهاك ، وما الذي أهمك ؟!..فأخذ المحب يبث أشواقه ، فقال : يا رسول الله لقد أهمني أمر عظيم ، وهو أننا نكون معك ، ونشتاق لك ، ويزيد شوقنا لك ونحن بين يديك .. فكيف إذا مت أو متنا وفارقناك !!..كيف إذا كنا من أهل الجنة وكنت أنت من أعلاها منزلة ، كيف نراك ؟!!..بل كيف لو كنا من أهل النار وحُرمنا رؤياك ؟!!..فبشره الحبيب صلى الله عليه وسلم قائلاً** :(المرءِ مع من أحب) (البخاري ٦١٦٨)..**فهل نحبه حقاً ؟؟؟!!!...هل نحبه حقاً ؟؟؟!!!...كما قال لنا صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الإيمان** :(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ..نفسه ..ووالديه وولده ..وماله ..والناس أجمعين) ..**تأملت** .

.والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلّاسي

اسمع يا مشتاق ..مزيد من الأوصاف للمختار ..عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال :كان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، كأنَّ عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب رائحه من رائحته صلى الله عليه وسلم .(مسلم ٢٣٣٠). **ومع عرقه صلى الله عليه وسلم لأم سُليم رضي الله عنها خبر من**

أجمل الأخبار ..يقول أنس رضي الله عنه : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فَقَال – أي نام لوقت القيلوله – فعرق وكان كثير العرق ، وجاءت أمي بقاروره ، فجعلت تُسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :(يا أم سُليم ما هذا الذي تصنعين ؟!).قالت : هذا عرق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب الطيب ..قالت : هذا عرق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب الطيب(مسلم ٢٣٣١) ..**أي والله ..لا يخرج من ذلك الجسد الطاهر إلا أطيب الطيب** ..في صحيح الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم في يوم بدر صفَّ الصفوف وكان بيده قِدْح – أي سهم – يُعدِّل به القوم فمرَّ بسوَّاد بن غزيه وهو متقدِّم في الصف ، فطعنه في بطنه بالقِدْح وقال :استوِ يا سوَّاد ..فقال سوَّاد : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثكالله بالحق والعدل فأَقِدْني من نفسك – أي اجعلني أقتص منك فقال له صلى الله عليه وسلم :لك ما أردت..اقتص لنفسك ..وعرض نفسه له ، فقال له : يا رسول الله لكنَّ بطني كان مكشوفاً فلا بدَّ أن تكشف بطنك ..فكشف له النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال :اقتص لنفسك يا سوَّاد..الله **أكبر ..القائد الأعلى وقائد القوات المسلحه يعرض نفسه للقصاص لجندي من جنوده وأمام مرأى ومسمع جميع الجنود** ..فكشف له النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال :اقتص لنفسك يا سوَّاد ..فما كان من الجندي إلا أن اعتنق بطن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يمرغ وجهه ولحيته في بطنه ، فقال له صلى الله عليه وسلم :ما حملك على هذا يا سوَّاد ؟!..فقال : يا رسول الله حضر ما ترى – يعني حرب وقتال – ولا ندري نحيا أو نموت ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك (المغازي للواقدي ١\٥٦)..**فدعا له صلى الله عليه وسلم بخير ..عباد الله ..استكمالاً لوصفه صلى الله عليه وسلم لا بدَّ من ذكر خاتم النبوة الذي في ظهره** ، فقد جاء عند(مسلم ٣٤٤)من حديث جابر يقول فيه : و رأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامه يشبه جسده ..وفي وصف آخر عند (أحمد٢٠٧٨٩) من حديث عبد الله بن سرجس قال : ورأيت خاتم النبوة في نغض كتفيه الأيسر كأنه جُمع فيه خيلان سود كأنها الثآليل ..**وفي وصف آخر :شامة سوداء تضرب إلى الصفره حولها شعرات متراكبات كأنها عرق فرس ..قالوا والحكمه في الخاتم أنه ..آيه وعلامه ذكرها الله في كتب اليهود والنصارى ..وقالوا أيضاً أنه لما كان قلبه صلى الله عليه وسلم مُلأ حكمة وإيماناً – كما في الصحيح – خُتم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرَّاً..إنه ..معلم البشريه وهاديها جمع. القوه والعدل والشدة في الله وكان ألين الناس ..وأرق الناس ..وأرحم الناس بالناس ..إنه من أشد الناس حياءً**

..بل أشد حياء من العذراء في خدرها ..أفلا يستحون !!!..أفلا يستحون !!!..وهم يصورونه بتلك المناظر الخاليه من الحياء .{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ } ..{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }..**جتمع فيه صلى الله عليه وسلم الكمال البشري الذي لم يجتمع لبشر سواه ..واجه قومه بدعوة تتصدع من هول وقعها الجبال ..ولقن قوى الشرك والظلم والطغيان دروساً لن تنساها مدى الزمان** ..يقول هرقل لأبي سفيان بعد أن سأله عنه ، وعن أخباره ، وعن وصفاته ، فلما استوثق منه ومن صدقه قال هرقل : لئن صدقت فيما قلت ليملكنَّ موضع قدميّ هاتين ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه ..كان صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه جاء لهذه الحياة ليغيرها وليصحح مسارها ، وأنه ليس رسولاً لقريش ولا إلى العرب وحدهم ..بل رسول الله إلى الناس كافة ..من الطفوله إلى الأربعين :طهر ..ونقاء ..ومن الأربعين إلى الممات :جهاد ..ومضاء ..كتاب مكشوف كأنَّ الله يقول للناس :هذا رسولي إليكم ..كتاب مكشوف من المحيا حتى الممات كأنَّ الله يقول للناس :هذا رسولي إليكم ..ما كذب على الله أربعين سنه ..ما كذب على الله أربعين سنه قبل النبوة ، أيُعقل أن يكذب على الله بعدها !!..يوم أن تحمَّل الأمانه ، وكُلِّف بالرساله ، جاء إلى خديجه خائفاً يقول :(زملوني .. زملوني)..فقالت بكل ثقة لأنها تعرف طهره وعفافه :والله ..لا يخزيك الله ..إنك لتصل الرحم ..وتحمل الكَل ..وتصدق الحديث ..وتُعين على نوائب الحق علمت رضي الله عنها أنَّ من يتصف بهذه الصفات لا يُخذل أبداً ..فلما سمعت خديجة رضي الله عنها كلامه ، وطمأنته وهدَّأت من روعه انطلقت به إلى ابن عمها ورقه بن نوفل ، وكان قد تَنَصَّر وعنده من العلم ما عنده ..فلما سمع كلام خديجة رضي الله عنها قال رحمه الله وهو خائف وَجِل : قدوس قدوس .والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت ياخديجة إنه لنبي هذه الأمة ..لئن كنت صدقت ياخديجة إنه لنبي هذه الأمة ..ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي لموسى عليه السلام ، وإنك نبي هذه الأمة ولتؤذينْ ، ولتُقاتلنْ ، ولتُنصرنْ بإذن الله ..ثم قال ورقه ..واسمعوا يا شباب ..ثم قال ورقه ..واسمعوا يا شباب ..اسمعوا الشيخ الكبير الذي ذهب بصره ..اسمع ماذا يتمنى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : ليتني كنت فيها جذعاً – أي ليتني كنت فيها شاباً – والله لأنصرنّك نصراً مؤزراً ..ليتني كنت فيها جذعاً والله لأنصرنّك نصراً مؤزراً ثم أخذ برأس النبي صلى الله عليه وسلم ، فقبله ، وقال : ليتني معك حين يخرجك قومك ..فقال صلى الله عليه وسلم :أوَ مخرجي هم ؟!.فقال ورقه رحمه الله : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ..وما لبث ورقه بعدها إلا قليلاً ومات ..فلما تنزَّل قول الله : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ،

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } قال صلى الله عليه وسلم بعد نزول الآيات :(ولّى زمان النوم يا خديجه)..(ولّى زمان النوم يا خديجه)..**فجهر بدعوة الحق وهو الوحيد الأعزل وقام بدين الله وبالدعوة إليه ما لم يقم به أحد ..وأوذي في الله ما لم يؤذَ قبله أحد وقاسى الاضطهاد والعذاب هو الأتباع ، يقول لهم** :(صبراً إن موعدكم الجنة)..يقول للأتباع : (صبراً إن موعدكم الجنة)..**كل هذا لتحرير البشريه من وثنية الشرك ، والضمير ، وضياع المصير ..قاسى من أهل مكه ما قاسى ..آذاه أهله وأقاربه ووصموه بالكذب ، والسحر ، والشعوذه ..فما زاده ذلك إلا ..ثباتاً ..ويقيناً ..ولما رأى أصحابه القلة القليله يُهانون ، ويُعذبون ، ويُضطهدون أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وبقى في مكة وحيداً يواجه قوى الظلم والطغيان .فما وهن ..ولا استكان..فلما رأوا ثباته ساوموه وعرضوا عليه الملك ، والنساء ، والمال..فجاهدهم بالقرآن ..عرضوا عليه الملك ، والنساء ، والمال ، والسلطان ..فجاهدهم بالقرآن..كما قال الله وكما أمره ربه تبارك** وتعالى { وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً } ..**ولما هددوه وتآمروا عليه** قال :(والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .(ابن هشام ابن هشام ٢\١٠١).

فلقد سرت مسرى النجوم همومه ومضت مضي الباكرات عزائمه

فلما ماتت خديجة المثبته له بعد الله ..ومات عمه الذي كان يحميه ..خرج للطائف يعرض عليهم عزَّ الدنيا ، وشرف الآخره ..فاستهزأوا به وآذوه ، فقال له أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبه إن كان الله بعثك بشيء قط ..وقال الآخر :والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدً ..لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أكلمك ..وقال ثالثهم – قاتله الله – أعجز الله أن يرسل غيرك ..فلما آيس منهم قال لهم : اكتموا أمري ..فغدروا به وأغروا به صبيانهم وسفاءهم وقعدوا له صفين على طريقه فأخذوا يرمونه بالحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجاره وهم يستهزئون ويسخرون ..فخرج هائماً على وجهه لم يفق إلا في قرن المنازل ..يقول – بأبي هو وأمي فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فيها فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ..فناداه ملك الجبال وسلم عليه ثم قال له يا محمد : إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال الرحمة المهداة :(بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك

به شيئاً).(البخاري ٣٢٣١).**يالله ..أبعد أن آذوك ، وشتموك ، وأدموا قدميك ، ونالوا ما نالوا من السخرية ، والاستهزاء تحرص على هدايتهم وإنقاذهم بدلاً من تدميرهم وهلاكهم ..سلوا مكة ورجالها ..سلوا الطائف وجبالها ..عن عظمة سيد البشر والرجال ..والله ..والله ..مهما..تكلمت الأفواه ..أو سطرت الأقلام ..فستظل كأنها لم تبرح مكانها ..فمن ذا الذي يستطيع أن يصف ، أو ينصف عظمة سيد ولد آدم !!..ومهما ..خُطت له الصحائف ..وأُلفت له المؤلفات ..عن شخصيته وحياته ..فإنها ستسكت على استحياء ..لأنها لا تستطيع أن تستوعب بصفحاتها مهما كثرت جانباً واحداً من عظمته**

..فلقد بلغ الدُجى بجماله حسنت جميع خصاله وبلغ العُلا بكماله فصلوا عليه وآله

يقول الله له مواسياً بعد أن ناله ما ناله من الأذى والسخرية والاضطهاد : { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ }..وقال سبحانه :{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } **..وها هم يسخرون ويستهزئون بك ميتاً ..تحملت السخريه وأنت حي وصبرت عليها ..وها هم يسخرون ويستهزئون منك ميتاً ..والله ..لن يضروك – بأبي أنت وأمي – ..بل طبت وربي ..حياً ..وميتاً ..والله ما ضروا إلا أنفسهم ..فلقد آذنهم الله بالحرب .والله ما ضروا إلا أنفسهم ..ولكنه امتحان ، وابتلاء لنا من الله ..ليختبر ..محبتنا لك ..وصدقنا في اتباعك..وشجاعتنا في الدفاع عنك ..ولكنه امتحان وابتلاء لنا ..ليختبر الله ..محبتنا لك ..وصدقنا في اتباعك ..وشجاعتنا في الدفاع عنك ..وأنت الذي تحملت من أجلنا ما تحملت ..فما الذي أغاظهم !!..فما الذي أغاظهم وجعلهم يسخرون ويستهزئون !!..هذا هو محورنا الثاني في الخطبة الثانيه بإذن الله ..اللهم اجزي عنا محمداً خير ما جزيت نبياً عن أمته ..نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ..ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ..أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم..:الحمد لله رب العالمين ..والعاقبة للمتقين ..ولا عدوان إلا على الظالمين ..وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين ..وعلى آله ..وأصحابه الغر الميامين..وعلى أمهات المؤمنين ..وعلى من استنَّ بسنته..واهتدى بهديه إلى يوم الدين ..أوصيكم ونفسي عباد الله بتقوى الله ..أوصيكم ونفسي عباد الله بتقوى الله ..فإن الله لا يتقبل إلا من المتقين ..عباد الله..بلد**

هناك في أوربا يسمى بالدانمارك ..بيننا وبينهم سفارات وتجارة ومبادلات ..وبيننا وبينهم عهود ومواثيق ..لا آذيناهم ولا استعديناهم لا من قريب ولا من بعيد ..لكن ملة الكفر واحدة ..مُلئت قلوبهم حسداً وغلاً على المسلمين ..وربنا أعلم بذلك وقد أخبرنا عنهم وكشف خباياهم وأسرارهم ..قال الله : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} ..وقال الله عنهم : { وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء } ..**سمعوا هم كما سمع العالم كله عن الإهانات التي تقدم للمسلمين ..ورأوا ردود الفعل لا تليق بمن عندهم عزة وكرامه ..سمعوا ..عن فلسطيننا وأقصان ، وكيف خذلنا أطفال الحجارة ..سمعوا ..أننا خذلنا العفيفات في البوسنة ، والشيشان .سمعوا ..عن تطاول الصليبين الأمريكان على ثرواتنا ، وأعراضنا في العراق ..بل داسوا قرآننا ..بل داسوا قرآننا وأهانوه وما سمعوا منا إلا شجب واستنكار كما هي عادتنا ..سمعوا ..اليهود يرددون ويقولون عنا : محمد مات وخلَّف بنات ..سمعوا ..اليهود يرددون عنا ويقولون :محمد مات وخلَّف بنات ..فأرداوا أن يأخذوا نصيبهم من القصعه التي تداعت عليها الأمم لماُ دف الوهن في قلوبنا فطعنونا طعنه أخرى في الصميم ..وفي من !!في سيد ولد آدم !!..بالذي ..لولا الله ثم لولاه ما اهتدينا ، ولا صمنا ، ولا صلينا ..طعنونا ..بالذي وجدنا ضلَّالاً فهدانا الله به ..طعنونا ..بالذي وجدنا عائلين فأغنانا الله به ..طعنونا ..بالذي وجدنا متناحرين فألَّف الله بين قلوبنا به ..طعنونا ..بالذي أحب إلينا من ..أنفسنا ..ووالدينا ..وأهلينا ..وأموالنا ..والناس أجمعين ..وليسوا هم بأول من فعل ذلك ..فلقد سبقهم من سبقهم ولم يجدوا من يرد عليهم كرد مُعَوِّذ ومعاذ ابنا عفراء..تطالوا لأنهم لم يجدوا من يرد عليهم ..كرد مُعَوِّذ ومعاذ ابنا عفراء أبناء السادسة عشر الذين خرجا يوم بدر بحثاً عن أبي جهل ..فما صفت الصفوف – يقول عبد الرحمن بن عوف – فإذا أنا بين صبية صغار فضاق صدري لأني أردت رجالاً يحمون ظهري ، فلما تكلما علمت أنهما من أرجل الرجال ..قالا : يا عم أين أبي جهل ؟..قال : وماذا تريدان منه ؟! ..قالا : سمعنا أنه كان يسبُّ النبي صلى الله عليه وسلم ..قلت : فماذا تفعلان إن عرفتماه ؟!!قالا بنبرة المحب الصادق الشجاع : والله إن رأيناه لا يفارق سوادنا سواده ..والله إن رأيناه ..الله لا يفارق سوادنا سواده ..والله لا نجونا إن نجا فلما ظهر له أنهما صادقين أخبرهما بمكانه فانطلقا إليه كالسهم ، وخرقوا الصفوف وابتدروه بأسيافهما حتى أردوه قتيلاً ، ورجعا للحبيب صلى الله عليه**

وسلم يزفان البشرى كلٌ يقول :أنا قتلت عدو الله ..فمن لأعداء الله اليوم ؟؟؟!!!...من لهم ؟؟؟!!!..ما الذي أغاظهم !!..ونحن الذين لم نتعرض لهم لا من بعيد ولا من قريب ..يقولون :نحن والآخر ..لا تستعدونهم ..لا تطلبوا عدواتهم ..فما الذي فعلناه !!..أغاظهم ..زيادة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم يوماً بعد يوم رغم كل الاتهامات الباطلة التي اتهموا فيها الإسلام والمسلمين ..هم ..ومنافقوا هذا الزمان ..الذين يقيمون بيننا ..ويكتبون للأسف في صحفنا وجرائدنا ..ويخدمون مصالح الكفار ..لا عجب ..فلقد طُعن في ..ديننا ..وفي ..ربنا ..وفي ..ثوابتنا ..في هذه الأوهان التي تصدر عندنا ..واستهزأ أهل طاش ما طاش – أطاش الله عقولهم – استهزئوا من قبل بالدين وأهله ..أغاظهم ..أن امة محمد صلى الله عليه وسلم لا زالت قادرة على رد اعتداءاتهم ، وإفساد مخططاتهم رغم مكر الليل والنهار من الداخل والخارج ..رغم الخيانات ورغم كثرة العملاء الذين يعملون من أجلهم ..أغاظهم ..المقاومة الجهادية الشرسه التي تفاجؤوا بها في عراقنا ..تناسوا ..أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد المجاهدين ..وأنَّ الشهادة في سبيل الله أغلى أمنية أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ..تناسوا ..أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان سيد المجاهدين ..يقول علي : إذا حمي الوطيس لذنا بظهره صلى الله عليه وسلم يدفع عنا الرجال ..علَّمنا أن الشهادة في سبيل الله أغلى أمنيات الصادقين ..يقول – بأبي هو وأمي – :(وددت أن أغزو في سبيل الله ثم أقتل ، ثم أغزو ، ثم أقتل)..(البخاري ٢٧٩٧)

وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ومحمد كان أمير الركبانَّ اسم محمدٍ الهادي يقود الفوج لنصرتنا روح الآمال لأمتنأ

غاظهم ..رجوع آلاف الشباب في كل البقاع والبلاد وتمسكهم بهدي نبيهم ..رغم سمومهم عبر شاشاتهم ، وقنواتهم التي أوجدوها لإفساد أخلاق الشباب ، وتدمير روح الفضيله في المجتمعات المسلمه ..يا ويحهم ..يا ويحهم ..ما دروا أنَّ { الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }**..أغاظهم ولله ..أصحاب اللحى ..والثياب القصيره ..وأصحاب القلوب الطاهرة ..والنفوس الزكيه الشمّ الأباه ..الذين يسيرون على خطى سيد المرسلين ..أغاظهم ..أن كثيراً من الدانماركيين أعلنوا إسلامهم ، واتخذوا محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً لهم**

..فباعتراف كل العالم ..الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في الأرض ..الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في الأرض ولا عجب ..فهو{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } ..أغاظهم ..أنه رغم حملتهم الشرسة على نساء المسلمين ، ونساء هذا البلد خاصة أنَّ نساءنا وفتياتنا يأبين الانحلال والفساد والضياع أغاظهم ..أن الحجاب لُبس حتى في بلادهم ..فأعلنت فرنسا حربها ضد الحجاب ..أما علم أولئك ..أما علم أولئك ..وعملائهم أنَّ نساءنا هنَّ حفيدات ..خديجة ..وعائشة ..وسمية .وأم عماره ..وأنَّ نساءنا ..يفدينَّ رسولهنَّ بأرواحهنَّ قبل الرجال ..يقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد يوم أن انقلبت الموازين وفرَّ من فر ثبتت كوكبة مع النبي صلى الله عليه وسلم منبينهم امرأة ضعيفة..ثبتت امرأة يا رجال !!..يقول النبي صلى الله عليه وسلم :ألتفتُ يمنه أم عماره تذود عني ..ألتفتُ يسره أم عماره تذود عني ..يقول لها النبي صلى الله عليه وسلم :يا أم عماره .. يا أم عماره .. من يطيق ما تطيقين يا أم عماره !! ..سليني .. تمني يا أم عماره .قالت نتمنى رفقتك في الجنه يا رسول الله..نتمنى رفقتك في الجنه يا رسول الله..نتمنى رفقتك في الجنه يا رسول الله..قال لها :(أنتم رفقائي في الجنه)..لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فلله أوسٌ قادمون وخزرج وإن كنوز الغيب تخفي طلائعاً صابرة رغم المكائد تخرج منذ أربعة أشهر ..وجريدة دانماركية خبيثه حكوميه ..تعرض صوراً كاريكاتيريه تصور فيها سيد ولد آدم بأبشع الصور فتارة تصوره وهو يضع على رأسه قبعة فيها قنبله ، وتاره تصوره وهو يحمل خنجراً بين النساء ، وتارة تصوره وهو يطارد النساء القُصَّر ، وفي أخرى يقول لأتباعه ليس عندنا من الحور مزيد ، وزادوا في وقاحتهم وصوروه على أنه ساجد وكلب على ظهره ،لم تسلم حتى أمعاؤه من سخريتهم واستهزائهم فصوروا بطنه مرسوماً وهو مفتوح ورسومات قبيحة في بطنه..وتمادوا يوم أن احتج المسلمون هناك وطالبوا برد اعتبار واعتذار ..فجعلوها مسابقه مفتوحه لأحسن رسمة كاريكاتيريه ..هم يسخرون ويستهزئون ..ثم ..نتحدث نحن عن ..سماحة الإسلام ..هم يسخرون ويستهزئون ..ونحن نتحدث ..عن سماحة الإسلام ..أما قال الله عن محمد ومن معه { أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ } ..أما قال الله عن محمد ومن معه { أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ } ..والله لا خير فينا ..والله لا خير فينا إن مرت هذه القضيه بسلام ..وأمه لا تستطيع أن تدافع عن قائدها ..لا تستحق أن تنتصر علي أعدائها ..ولنبكي على أنفسنا ..وندعو الله أن ..لا يجعل أجيالنا مثلنا ..فقد رضعنا الذل والهوان ..يوم أن رضعنا من حليبهم المغشوش..وخير لنا أن

نسير في الطرقات ونرتدي الخمار كالنساء ..ولا أن يضحك علينا المخنثون من الغرب ويقولون نحن نعبّر عن آرائنا بمطلق الحريه ..ما سمعنا أنهم ..استهزئوا ..بيهود .أو هندوس ..هل أصبح عبَّاد البقر أرجل منا ؟؟!!..أين صدقنا ؟؟!!..أين صدق محبتنا ؟؟!!..أين مواقف الحكومات الإسلاميه ؟؟!!..أين مواقف أمة المليار ؟؟!!..عباد الله ..لقد أجمع المسلمون على وجوب ..الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم ..وبذل ..الأنفس ..والأموال ..فداءً له وحفظه ..وحمايته ..من كل من يؤذيه ..وهذا أدنى ما له من الحق علينا { لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ }**..بعضنا ..جبّار في الجاهليه ..خوَّار في الإسلام ..لقد أعلنوا الحرب والعداوه علينا ..بدءاً بكلبتهم الفاجره ملكتهم الخبيثه التي ألَّفت كتاباً عن مذكراتها وقالت فيها ..أنه لا بدَّ من التصدي للإسلام ..وأنَّ المسلمين في الدنمارك كالغده السرطانيه ..ألا قبح الله وجهها ..لم يبقَ إلا النساء الكافرات ..أما رئيس وزرائهم أفجر الفجَّار فقال : إن لصحافتنا الحرية في التعبير عن أرائها وشعورها ولن نوقف أحداً عن ذلك ..ما أدري ماذا سيكون شعوره لو كان اليهود هم المعنيون !!!..أما رئيس قضاتهم فرفض القضيه المرفوعه من المسلمين ضدَّ تلك الصحيفه ..فالقضيه ..عباد الله ..ليست قضية ..جريده تسيء إلينا ..لكن ..بلد كامل ..بصحفه ..وملكته ..ورئيس وزرائه ..فماذا بعد هذا ؟؟!!..وماذا ننتظر ؟؟!!.غارت حكومات العرب على رؤسائها وزعمائها ..ولم تغار على سيد البشر ..ما رأيكم لو أنَّ الذي أُستهزئ به ..ملك من ملوك العرب !!..أو رئيس من رؤسائها !!..سأترك لكم الجواب فالجواب معروف !!..يا أمة محمد ..يا أمة محمد ..يا أمة سيد ولد آدم ..نبيكم يُهان ..فماذا أنتم فاعلون ؟؟!!!!!..ستقاطعون حليب نيدو وزبدة لورباك !!..أهذا الذي استطعتم عليه !!..اسمعوا ..من خبر غيرة الصادقين ..في يوم الحديبيه** ..أرسلت قريش عروه بن مسعود ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم فكان مما قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنَّ قريشاً قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخل مكه عليهم عنوه ..يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : وأيم الله لكأني بهؤلاء الذين معك قد انكشفوا عنك غداً وتركوك ..وكان أبو بكر رضي الله عنه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : امصص بظر اللات ..أنحن ننكشف عنه !!..– قول وفعل –..فقال : من هذا يا محمد ؟!..فقال – بأبي هو وأمي – :(هذا ابن قحافه) ..– هذا الصديق –..ثم أراد أن يتناول لحية النبي صلى الله عليه وسلم والمغيره بن شعبه واقف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الحديد

والمغفر ..فلما مدَّ يده ..قرع المغيره يده بنعل سيفه يده ، وقال له : أمسك يدك عن لحية رسول الله ..أمسك يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل والله أن لا ترجع إليك ..قال عروه : ويحك ما أفظك وأغلظك ..فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم ..وقال عروه : من هذا يا محمد ؟!.قال :(هذا ابن أخي المغيره بن شعبه)..رجع عروه إلى قريش بعد أن رأى ما يصنع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مع نبيهم ..كان لا يتوضأ وضوءاً إلا كادوا يقتتلون على وضوئه ..وما تنخّم صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده .. هنيئاً لهم والله –..وإذا أمرهم ابتدروا أمره ..وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده ..وما يحدون النظر إليه تعظيماً ..ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ..فرجع يقول لقريش : إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر والنجاشي في ملكهما ..والله ما رأيت مُلكاً قط مثل مُلك محمداً صلى الله عليه وسلم في أصحابه ..ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ..فأنتم ورأيكم (البخاري ٢٧٣٢)؟؟!!..**هكذا كان تعظيمهم ..هكذا كان تعظيمهم ..فكيف هو تعظيمنا ؟؟!!..أين نحن من ..سنته ..واتباع هديه ..ونصرة دعوته ..اسمع ..اسمع ..حتى تعلم لماذا اختار الله أولئك الرجال لصحبة نبيه ..اسمع ..اسمع ..حتى تعلم لماذا اختار الله أولئك الرجال لصحبة نبيه ..سمع النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل يقال له خالد الهذلي يجمع الناس في مكه ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم ..فنادى النبي صلى الله عليه وسلم جندياً من الصادقين وقال له** :(يؤذيني خالد الهذلي ، ويتطاول عليّ)..**فقال الجندي :روحي لروحك فداء .. مرني بما تشاء..روحي لروحك فداء .. مرني بما تشاء ..فقال صلى الله عليه وسلم** :(اذهب إلى مكه ..وأتيني برأس خالد الهذلي) ..(اذهب إلى مكه ..وأتيني برأس خالد الهذلي) ..**ما تردد الصادق ولا تلكأ ..ما قال : اعذرني ..ما قال : المهمه صعبه ..ما قال : أرسل معي فلاناً أو فلان ..لكن قال مستفسراً : يا رسول الله ما رأيت الرجل قط ولا أعرفه ..فقال صلى الله عليه وسلم** :(علامة الرجل أنك إذا رأيته تهابه)..**كانت العرب تقول خالد الهذلي رجل بألف رجل من شدته وبأسه ..لكن ..أهل الإيمان ..لا يهابون إلا الجبار ..لكن ..أهل الإيمان لا يهابون إلا الجبا.. يقول شيخ الإسلام : ولا يخاف من المخلوق إلا من في قلبه مرض فانطلق ابن أُنيس الشاب التقي النقي حتى وصل إلى مكه حيث أقام خالد الهذلي مخيماً له في منى يجمع الناس لمؤامرته الدنيئه ..فجاءه عبد الله بن أُنيس عارضاً خدماته ومساعداته ..– فالحرب خدعه –..فقبله وأدناه ..وكان ذو رأي ومشوره فقرَّبه منه ..وبعدها**

يأيام يسير هو وخالد الهذلي خلف الخيام فاخترط عبد الله بن أُنيس سيفه واجتزَّ رقبة الرجل ..هكذا أصحاب محمد ..هكذا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ..تعودوا على جزّ الرقاب ..تعودوا على جز الرقاب تقرباً إلى الله ..ونحن نخاف أن نجتزّ رقبة شاه أو دجاجه ..فرجع عبد الله بن أُنيس قافلاً إلىالمدينه ، بعد أن أتمَّ المهمه ، يحمل رأس الكلب بين يديه ..فلما وصل كان الوحي قد سبقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ..وأخبره أنَّ الجندي قد أتم المهمه على أكمل وجه ..فما إن رآه النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال : (أفلح الوجه)..ما إن رآه النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال :(أفلح الوجه)..(خذ عصاتي توكأ عليها أعرفك بها يوم القيامه..وقليل هم المتوكئون)..(خذ عصاتي توكأ عليها أعرفك بها يوم القيامه ..وقليل هم المتوكئون)..فلما مات عبد الله بن أُنيس أمر بتلك العصا أن تكفَّن معه في كفنه ..شاهد وآيه وعلامه أنه نصر الله ..ونصر الرسول ..هذه أخبارهم ..فما هي أخبارنا !!..هذه مواقفهم ..فما هي مواقفنا !!..قال الله :{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ }..{ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً } **..صدقوا في حبهم ..لله ولرسوله ..فصدق الله معهم ..منهم ..من اهتزَّ عرش الرحمن عند وفاته ..ومنهم ..من كلمه الله كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان ..فقال : تمنى ياعبدي ..قال : أتمنى أن أرجع إلى الدنيا فأُقتل فيك ..فقال له الله : إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون ..ولكن أحل عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً ..منهم ..من غسلته الملائكه بين السماء والأرض ..ومنهم ..من قال له النبي صلى الله عليه وسلم :(** إنَّ الله أخبرني أنه يحبك)..(إنَّ الله أخبرني أنه يحبك وأمرني بحبك)**..وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن خديجه :(** أقرأها من ربها ومني السلام)..(أقرأها من ربها ومني السلام ، وبشرها ببيت في الجنه من قصب .. لا صخب فيه ، ولا نصب)**..أليس هم الذين قال الله فيهم : {** وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} **..يقول قائلهم من الكفار ..يقول : الإسلام دين لو كان له رجال..يقول : الإسلام دين لو كان له رجال..أي والله ما كذب ..اليوم يُسيؤون ..لإسلامنا ..وقرءاننا ..ويشتمون نبينا ..ثم يقولون :لماذا أنتم إرهابيون ؟؟!!..فماذا تريدوننا أن نكون !!..إنبطاحيون !!..مستسلمون !!..حرام في قوانينهم السخريه بالأديان ..إلا الإسلام ..حرام**

في قوانينهم السخريه بالأديان ..إلا الإسلام ..ويقولون عن الإسلام أنه دين الساقطين أخلاقياً ..يقصدون بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ..فمن أين لنا بأمثال ..معاذ ومعوذ ؟؟!!..أين لنا بأمثال ..ابن أُنيس ؟؟!!..وأولئك الرجال ؟؟!!..اسمعوا هذا الخبر ..ولنبكي سوياً على أنفسنا ..ذكر صاحب الدرر الكامنه في المجلد الثالث ، الصفحه (٢٠٢) للتأكيد ..أنَّ جماعه من كبار النصارى ذهبوا لحفل أمير مغولي قد تنَّصر ..فأخذ أحد دعاة النصارى يسبّ النبي صلى الله عليه وسلم ..وهناك كلب صيد مربوط ..فزمجر الكلب بشده ..ووثب على الصليبي ..فخلصوه منه بصعوبه ..فقال رجل منهم : هذا لكلامك في محمد ..فقال الصليبي : كلا ..بل هذا الكلب عزيز النفس ..رآني أشير فظن أني أريد أن أضربه ..ثم عاد لسب النبي صلى الله عليه وسلم بوقاحه أشد مما كان ..عندها قطع الكلب رباطه ..ووثب على عنق الصليبي ..وقلع زوره في الحال ..وثب الكلب بعد أن فقطع رباطه ، ووثب على عنق الصليبي ، وقلع زوره في الحال فمات من فوره ..فأسلم نحو من أربعين ألفاً من المغول ..**غارت وغضبت الكلاب ..فأين غضبتنا ؟؟!!..اشتاقت لك ..الجمادات ..والأشجار ..يا حبيب الله ..فأين أشواقنا ؟؟!!..كان الحسن البصري رحمه الله إذا سمع حديث بكاء جذع النخله على فراق النبي صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول :يا معشر المسلمين الجماد والجذع يحنا إلى رسول الله ..الجماد والجذع يحنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..أفلا تحنون أنتم إلى ذكراه !!!**..كان صلى الله عليه وسلم دائماً يقول لأصحابه :(اشتقت لأخواني)..(اشتقت لأخواني) ..فيقولون : ألسنا أخوانك ؟!..قال :(بل أنتم ..أصحابي ..أما أخواني ..فهم الذين ..آمنوا بي ..وصدقوا بي ..واتبعوني ..ولم يروني)..(الموطأ ٥٨) **فماذا عسانا أن نقول له إذا ورد الناس حوضه وقال لنا :استهزئوا بي ..وشتموني ..وآذوني ..فماذا فعلتم دفاعاً ..عني ..وعن عرضي !!!..يا ولاة الأمور ..يا ولاة الأمور هذه فرصتم إن أردتم عز الدنيا وشرف الآخره ..لا يكن أهل الكرة أكرم عليكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..ألستم حماة العقيده والدين فها هو باب الثرى فتح لكم على مصراعيه كما نصره الفيصل رحمه الله والشرفاء من قبله ..أليس محمد صلى الله عليه وسلم قد نشأ وترعرع وانطلق بدعوته من هذه الأرض المباركه ومات فيها وأنتم خدَّام مسجده فأين غضبتكم لله ورسوله ..العالم كله ينتظر منكم موقفاً يعيد للأمه كرامتها التي داسوها تحت الأقدام ..قسماً بالذي لا دين إلا دينه ..وقسماً بالذي محمداً رسوله ..لن يقر لنا قرار ..و يهدأ لنا بال ..حتى يُطرد سفيرهم من أرضنا ..وسفير**

النرويج الكافر الآخر ..لن نرضى إلا ..بقطع العلاقا..وإيقاف المبادلات التجاريه ..حتى يتأدب غيرهم ..وهذا أقل واجب نقدمه للدفاع عن ..ابن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه ..لن نقبل ..باعتذار من الصحيفة الفاجره ..ولا باعتذار من كلبة الروم ..ورئيس وزرائها ..–ألا لعنة الله عليهم أجمعين –..سببتم رسول الله أف لدينكم فإني

وإن عنفتموني لقائل أطعناه لم نعدله فينا بغير أمركم السيء الذي كان غاويا

فداً لرسول الله أهلي ومالي شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

الأيام بيننا ..يا عبّاد الصليب ..الأيام بيننا ..يا عبّادالصليب ..وسنرى ..من تكون له العاقبه ..ومن الذي يضل سعيه في الدنيا والآخره ..{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً}.وقال الله : { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }..**فكل من ..شنأه ..أو بغضه ..أو عاداه ..فإن الله ..يقطع دابره ..ويمحق عينه وأثره ..أليس الله هو الذي قال** { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} ..و { اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ }..**لكن الله أراد أن ..يبتلينا بصدق محبتنا لنبينا ..فماذا نحن فاعلون ؟؟!!..ولله ماذا نحن قائلون ؟؟!!..لا نريد عواطف لا نريد دموع ..شبعنا من هذا ..نريد ..صدقاً في المحبه ..نريد ..صدقاً في الاتباع..لا عذر لأحد ..لا عذر لأحد ..والدين النصيحه ..لله ..ولرسوله ..ولولاة أمر المسلمين ..من كان يحب ..الله ..ورسوله ..فلا يبتين الليله إلا هناك ..مطلبنا ..لا يبقى سفيرهم ..وسفير النرويج ..ساعه واحده ..في أرض محمد صلى الله عليه وسلم ..من كان يحب ..الله ..ورسوله ..فلا يبتين الليله إلا هناك ..وأهل النيجر ..الفقراء ..الضعفاء ..ليسوا بأشجع منا ..فقد طردوا سفير الصهاينه ..لا تعتذر ..لا تعتذر ..بمدرسه ..أواختبارات..فالذود عن نبينا ..أغلى من كل شيء هو ..مستقبلنا ..هو ..حياتنا ..لا تعتذر ..بوظيفه ..أو مهمات ..فهو دنيانا ..وهو آخرتنا ..اليوم ..نعرف ..الصادق ..من الكاذب ..اليوم ..نعرف ..الصادق ..من الكاذب ..ما رأيناك يا حبيب القلوب ..ما رأيناك يا حبيب القلوب ..ويا طبيبها ..ولكن ..يعلم الله ..كم تشتاق الأنفس للقياك ووالله الذي لا إله إلا هو ..لأنت ..أحب إلينا من ..أنفسنا ..ووالدينا ..وأهلينا ..والناس أجمعين ..فداً لك من يصبرعن فداك**

أروح وقد ختمتُ على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممن تباك

فما شهم إذاً إلا فداك

بإنَّ أحب الأسماء المناداه لنا حين يُقال لنا :يا أمة محمد ..إنَّ أحب الأسماءالمناداه لنا حين يُقال لنا :يا أمة محمد ..وحين نُنادى بها نقول :لبيك لبيك ..لبيك يا رسول الله ..والخبر ..ما سيرى أولئك القوم ..لا ما يسمعون ..فالشباب ..والشيب ..والنساء ..والأطفال ..متعطشون ..للذب ..عنك ..وعن عرضك ..وعن التراب الذي وطأته قدميك ..وسيعلم أولئك ..أنك تركت رجالاً ..وسيعلم أولئك { أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ } **..نحن ..لا نحتاجهم ..ولا نحتاج أبقارهم ..ولا حليبهم ..وزبدتهم ..هم يحتاجوننا ..قاطعوهم – قطعهم الله –..ولا تكن المقاطعه ..ليوم ..أو لأيام ..بل ..أبداً ما حيننا ..لسان حالنا ..ما قال إبراهيم عليه السلام ومن معه لقوم**هم :{ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } **..يا ..تجارنا ..لا تخذلونا ..يا ..أهل الصحف والجرائد والمجلات ..لا تخذلونا ..يا ..أهل الشاشات والقنوات ..لا تخذلونا يا ..ولاة الأمور ..يا ..ولاة الأمور ..يا خُدَّام الحرمين ..لا تخذلوا أمة محمد ..ولا تخونونها في الله وفي نبيها ..فليكن ..ولاؤنا ..لله ..ورسوله ..والبراءه ..من أعداء الله ..وأعداء رسوله ..عباد الله ..إنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المُسبحه بقدسه فقال جل من قائل** { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } **..اللهم ..صلي ..وسلم ..وبارك على ..حبك ..وصفيك ..وخليلك ..محمد ..وعلى آله ..وصحبه ..اللهم اجز عنا محمداً خير ما جزيت نبي عن أمته ..اللهم لا تحرمنا رؤيته ..واتباع سنته ..ونصرة دعوته ..اللهم أوردنا حوضه ..واسقنا من يده ..ولا تفرق بيننا وبينه ..حتى تُدخلنا مدخله ..اللهم انصر دينك ، وكتابك ، وسنة نبيك ، وعبادك الموحدين ..اللهم من تطاول على نبينا بقول أو برسم ..فأخرس لسانه ..وشلّ أركانه ..واجعله عبرة للآخرين ..اللهم وفق ولاة الأمور ..لنصرة الإسلام ونصرة المسلمين ..اللهم اجمع كلمتهم على الحق يا ربّ العالمين ..آن الأوان..آن الأوان أن لا تأخذنا في الله لومة لائم ..آن الأوان أن لا تأخذنا في الله لومة لائم ..اللهم انصر المجاهدين في سبيلك ..اللهم انصر المجاهدين فيسبيلك..اللهم انصر المجاهدين في سبيلك ..الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك ..اللهم انصرهم في العراق ، وفي فلسطين ، وفي الشيشان ، وفي**

كشمير ، وفي أفغانستان ، و السودان ، وفي أوغادين ، وفي كل مكان ..اللهم كن لهم عوناً ونصيرا ، ومؤيداً وظهيرا..اللهم فك أسرانا ، وفك المعتقلين ..وفك أسرنا يا ربّ العالمين ..عباد الله ..{ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بَالعَدْلِ وَالإِحْسَانِوَإِيتَاءِ ذِيْ القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ } .فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله ما تصنعون..

***

ولا تهنوا ولا تحزنوا

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الخير خطاكم، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.**

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا ربنا أولى بذا كرماً شبنا على الرق فاعتقنا من النار

قال جل في علاه: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران:١١٠].**فأمتكم هي خير أمة أخرجت للناس، وقد تكفل الله ألا تهزم هذه الأمة ولا تغلب، وأنها ظاهرة على الأمم كلها ما ابتغت إلى الله سبيلاً، وما سارت على طريق نبيها وطريق أصحابه، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا على خطاهم سائرين.عنوان هذا اللقاء هو:** وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ [آل عمران:١٣٩] **أي: بشرط أن تحققوا الإيمان بالله رب العالمين،** ولذا قال: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩].**فبالإيمان تنال العزة والنصر والتمكين، وبالإيمان يكون الثبات، وبالإيمان تنال ولاية الله جل في علاه، فلا عزة إلا بالإيمان، وحيث لا يوجد الإيمان فلا مكان للعزة.وقد واسى الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذه الآية الكريمة فقال:** وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ [آل عمران:١٣٩-١٤٠] **أي: يوم أحد،** فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ [آل عمران:١٤٠] أي: في يوم بدر، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:١٤٠] لحكمة إلهية ربانية عظيمة، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٤٠-١٤٢]، **فلا تظن أن الجنة رخيصة، بل الجنة غالية، وطريقها صعب وشاق، فمن أرادها فليقدم الثمن.ما حدث من أحداث يوم أحد كان لحكم أرادها الله، منها:تمييز الخبيث من الطيب، فما أكثر الذين ينتمون إلى الصف حين الانتصار! فيوم أن انتصر المسلمون في بدر التحق بالصف من ليس منهم، فهؤلاء يعرفون حين تنقلب الموازين.ثم إن الله أعد للمؤمنين في جنات النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولن يصلوا إلى ذلك إلا بالامتحان والابتلاء العظيم، قال تعالى:** أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٤٢].**ثم من حِكَم الله جلَّ في علاه فيما حدث في ذلك اليوم العظيم: أن يبين للأمة من أقصاها إلى أدناها أن النصر ليس بوجود محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:** وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ [آل عمران:١٤٤-١٤٥]. **ثم بين أن هذه سنة لا تتغير ولا تتبدل فقال:** وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [آل عمران:١٤٦-١٤٧]. **وعبودية الله لا بد أن تكون في السراء وفي الضراء، أما في الرخاء والسراء فالكل يدعي ذلك، فكان لا بد من إظهار العبودية في الشدة حتى يتميز الخبيث من الطيب.وفي ذلك اليوم العظيم –يوم بدر– ذاق المسلمون طعم الانتصار، وفرحوا بذلك، وذكرهم الله بتلك النعمة العظيمة وبذلك الفضل الكبير فقال:** وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ [آل عمران:١٢٣] **أي: قلة قليلة مستضعفة** تخافون أن يتخطفكم الناس فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [آل عمران:١٢٣].**ثم في يوم أحد ذاق المسلمون مرارة الهزيمة لحكمة أرادها الله؛ وذلك حتى يعرفوا النصر ويأخذوا بأسبابه، وحتى يعرفوا الهزيمة ويتجنبوا أسبابها إن اختلاف الرأي والنزاع وعدم السمع والطاعة، والذنوب والمعاصي، هي من أسباب الهزيمة، ففي يوم بدر كان الصف واحداً، وكانت الكلمة واحدة، وكانت النية صالحة، فلم تدخل الدنيا في القلوب فانتصرت القلة القليلة، لكن في يوم أحد اختلف الأمر تماماً، فقد جهزت قريش في ذلك اليوم ما لم تجهزه من قبل، بل أرسلت شعراءها يطوفون بين القبائل حتى يجمعوا المتطوعين لقتال محمد وأصحابه، فكان عندهم دافع قوي للقتال، فقد كانوا يريدون الثأر والانتقام، فما وقع عليهم يوم بدر لم يكن بالشيء القليل، فقد قتل كبراؤهم وأمراؤهم وساداتهم، وأثخن فيهم المسلمون الجراح، ونكلوا بهم تنكيلاً، حتى خرجوا من أرض المعركة يجرون قبل الهزيمة أذيال الذل والانكسار؛ لأنهم خرجوا بطراً ورئاء الناس؛ وليحقق الله للمؤمنين**

سنته: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:٢٤٩]. **فحشدوا في ذلك اليوم أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم سبعمائة بعير تنقل عتاد المعركة، وسبعمائة درع كقوة وقائية، وجعلوا ميزانية تلك الحرب هي القافلة التي استنقذت يوم بدر، وكان قوامها أكثر من خمسين ألف دينار ذهب، أي: ما يعادل اليوم أكثر من مليون** ريال، **وهو مبلغ كبير في ذلك الحين، وضعوا تلك القافلة وقفاً لإعداد الجيش في ذلك اليوم، وخرجوا بثلاثة آلاف، وما خرجت العرب بجيش مثله من قبل، وألبوا القبائل، وطلبوا المتطوعين من هنا ومن هناك، وخرجت النساء معهم يحرضنهم ويبثثن فيهم روح القتال والانتقام، ويذكرنهم بقتلاهم في بدر، والذل والهوان الذي لحقهم في ذلك** اليوم لما علم العباس بالأحداث في مكة -وكان لم يسلم حينها- أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسالة عاجلة مع رجل من رجاله الذين يثق فيهم، وكانت المسافة بين مكة والمدينة تقطع في عشرة أيام، فقطعها الرجل في ثلاثة أيام، ثم وصل وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر وسلمه الرسالة، فقرأها أبي بن كعب وفيها أن قريشاً قد أعدت العدة واستعدت لغزو المدينة وهي في الطريق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : (اكتم الخبر) أي: حتى لا يشيع الخبر قبل اجتماع القوم وأخذ المشورة، وكان سعد بن الربيع في داره، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم إلى داره وأخبره بالخبر، فقال: والله! يا رسول الله! ما أرى هذا إلا خيراً، قال تعالى: لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ [النور:١١] ثم لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عند سعد قالت امرأة سعد لسعد : ماذا قال لك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا أم لك، وما لك ولهذا؟ لأنه لا يريد أن يشيع الخبر، فقالت: أما والله! فإني قد سمعت الخبر، فأخذها من يدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم بها وقال: يا رسول الله! لقد سمعت كلامنا، حتى إذا فشا الخبر لا تظن أني قد أشعت الخبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعها وأطلق يدها؛ فإنها مؤمنة).حتى النساء يتكتمن على أخبار المسلمين، وتعلم أن القضية قضية تكتم وقضية سرية؛ لأن الأمر يعنيها، فهي تشترك معهم في العقيدة والإيمان، وهي تشترك معهم في الهدف وفي المنهج وفي الطريق، ومحمد كما أنه رسول الرجال فهو أيضاً رسول النساء. جمع النبي صلى الله عليه وسلم كبار القوم من المهاجرين والأنصار وبدأ الرأي والمشورة بينهم، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إشارة لا أمراً، فقال: (نقاتلهم داخل المدينة) أي نتحصن داخل المدينة -وهو ما يسمى اليوم بقتال الشوارع- لأن ذلك أدعى للتنكيل بالعدو، فالعدو لا يعرف أين المخابئ التي يختبئ بها المسلمون، ثم ستكون هناك فرصة لزيادة العدد، فالنساء سيقاتلن على ظهور البيوت، وسيرمين العدو بالحجارة، وستجتمع الكلمة الواحدة داخل المدينة، فأبى الشباب المتحمس إلا الخروج، ومنهم نفر لم يخرج يوم بدر، فقالوا: يا رسول الله! إنا لندعو الله لمثل هذا اليوم، أي: فكيف يوم أن جاء عدونا نجعلهم يدخلون علينا في دارنا؟! وكان أول المتحمسين أسد الله حمزة فقال: يا رسول الله! والله! لا أطعم طعاماً حتى أناجزهم خارج المدينة، وحمزة رضي الله عنه هو الذي فعل

بهم الأفاعيل يوم بدر، وقد كان الفرسان يهابون أن يقفوا أمام حمزة ، ولا أحد يستطيع أن يقوم أمام أسد الله، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن رأي الأكثرية هو الخروج وافق على هذا وهو يرى أن المصلحة في البقاء(مغاري الواقدي ١\٢٢١)، **ووافقه على البقاء رأس الكفر والنفاق عبد الله بن أبي بن سلول ؛ لأنه لا يريد الخروج والقتال أصلاً، وهو أجبن من أن يقاتل مع المسلمين، فقاتل الله المنافقين طباعهم لا تتغير في كل حين، وصفاتهم لا تتغير** لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ [التوبة:٤٧]. **فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجمعة ثم دخل إلى داره ولبس لأمته ولبس كامل ثياب الحرب وخرج، فلما رأى الرجال أنهم قد أكرهوا النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج قالوا: يا رسول الله! كأننا قد أكرهناك، فاعمل بالرأي الذي تراه، فقال بهمته العالية:** (ما كان لنبي أن يضع لأمته حتى يحكم الله بينه وبين عدوه) **أي: ما كان لنبي أن يتردد عن قتال أعداء الله بعد أن وضع عدة السلاح؛ وقد عمل ذلك حتى يبين لهم أنه لا تردد في هذا الطريق   خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ألف من الرجال، وباتوا يوم السبت خارج المدينة، وقبيل الفجر غير النبي صلى الله عليه وسلم من مكانه، ثم صلى الفجر مع أصحابه، وهم بكامل عدتهم الحربية، ثم لما انتهوا من الصلاة بدأت مؤامرة المنافقين، فانسحب ابن سلول بثلاثمائة من الرجال، وكان الهدف من الانسحاب خلخلة الصف، وتفريق كلمة المسلمين، مع أنه قد حانت ساعة الصفر، وما بينهم وبين عدوهم إلا أمتار، وما بينهم وبين عدوهم إلا لحظات حتى يستقبلوهم بالقتال، فاختار عدو الله تلك اللحظة حتى يفعل فعلته، فرجع معه المنافقون وعددهم ثلاثمائة، وقال: استشار الولدان حين أشاروا عليه بالخروج، وأنا أشرت عليه بالبقاء في المدينة ولم يسمع كلامي، وكاد ببلبلته أن يفتن طائفتين من المؤمنين، طائفة من الأوس وطائفة من الخزرج، فقال الله جل في علاه:** وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران:١٢١-١٢٢] **فلولا أن ثبت الله المؤمنين لنكص منهم نفر على أدبارهم، وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بعد هذا الخبر، فكانت ردة فعل المسلمين شديدة، واختلفوا في رأيهم ماذا نصنع بهؤلاء؟ فقالت طائفة: نقتل هؤلاء المنافقين قبل أن يرجعوا إلى المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (**بل دعوهم**)**وأنزل** الله وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ [الأنفال:٢٣]. **وهذه حكمة عسكرية كبيرة؛ لأنه لو تلاحم معهم في الصفوف والكفار على مقربة منهم لاشتعلت النار على المسلمين من كل الجهات لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موازين المعركة: ثلاثة آلاف في الطرف المقابل بكامل العدة والعتاد يفوقون المسلمين في كل شيء إلا في الإيمان والعقيدة، وكفى بهذا فخراً للمسلمين، قال تعالى:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ

الأَدْبَارَ [الأنفال:١٥] **فقسم النبي صلى الله عليه وسلم رجاله على حسب ظروف المعركة، فاختار جبل أحد فجعل ظهره إلى الجبل، وقسم الرجال إلى قسمين: راية الأنصار وراية المهاجرين، وقسم راية الأنصار إلى رايتين: أوس وخزرج، ثم جعل خمسين من الرجال على قمة الجبل كقوة رادعة وقوة ضاربة تحمي ظهرهم، وترد الخيل، والخيل لا تستطيع أن تقاوم السهام والنبال.فوضع القائد خطة كاملة تناسب ظروف المعركة، وقال للخمسين الرجل الذين جعلهم على قمة الجبل بعد أن أمرَّ عليهم عبد الله بن جبير** : (لا تنزلوا ولو رأيتمونا تتخطفنا الطير)، (الاحاد والمثاني ٢٠٠٩)**وكان للأوامر الصارمة دور في بداية المعركة حيث إن المسلمين انتصروا في البداية بسبب الرماة، ثم كان الرماة أنفسهم هم سبب الهزيمة في النهاية، والسبب كما ذكر الله جل في علاه:** مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا [آل عمران:١٥٢] **وهم الذين كانوا على قمة الجبل، قال تعالى: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ [آل عمران:١٥٢] وهم الذين كانوا في أرض المعركة.صف النبي صلى الله عليه وسلم الرجال ثم أخذ يحثهم على القتال، وقال:** (إن روح القدس نفث في روعي وقال: إن نفساً لن تموت قبل أن تستوفي رزقها وأجلها، وما من أمر يحبه الله ورسوله إلا أمرتكم به، وما من أمر لا يحبه الله ورسوله إلا نهيتكم عنه، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا، وأخلصوا جهادكم لله رب العالمين)(مسند البزار ٢٩١٤).**ثم جُعلت كلمة السر التي يتعارف بها الرجال في أرض المعركة:** (أمت أمت). (الحاكم ٢٥١٧) **قبل المعركة قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى يرفع همة الرجال فقال:** (من يأخذ هذا السيف بحقه؟)، فقام كثير من الصحابة، وأبى النبي صلى الله عليه وسلم إعطاءهم، ثم قام أبو دجانة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعنيه، فهو يعرف طبيعة الرجال فقال: (من يأخذه بحقه؟ قال: وما حقه يا رسول الله؟! قال: يضرب به هامات الكفار حتى ينحني، قال: أنا آخذه يا رسول الله)،(الحاكم ٥٠١٨) **والقوم يعرفون أبا دجانة ، فهو رجل قتال، ورجل إذا ربط العصابة الحمراء على رأسه فإنه يقاتل حتى الموت، فربط العصابة، وأخذ يتبختر بين الصفوف متمايلاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (إن هذه مشية يكرهها الله ورسوله إلا في هذا الموطن)؛ **لأنها تغيظ الكفار وضع النبي صلى الله عليه وسلم صناديد الرجال في المقدمة، مثل سعد وحمزة وعمر وأبي بكر ، وبدأ الكفار يحرض بعضهم بعضاً، والنبي يذكر المسلمين بالله وباليوم الآخر، وشتان بين فئة تقاتل في سبيل الطاغوت وفئة تقاتل في سبيل الله، قال تعالى:** الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا [النساء:٧٦]، **ومهما بلغت قوتهم قال تعالى:** (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩] وقال الله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ [آل عمران:١٦٠]، لكن إن خذلكم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ [آل عمران:١٦٠]. **لقد كانت معركة أحد درساً للأمة في جيلها الأول وفي أجيالها المتلاحقة والمتعاقبة حتى يومنا هذا، فبدأ القتال وبدأت**

تعلو صيحات، وبدأ التكبير يأتي من هنا ومن هناك، وبدأ حمزة يضرب رقاب الرجال، فكان لا يسير بين الصفوف إلا تفرقت الجموع من أمامه. وأخذ أبو دجانة يضرب بسيف النبي صلى الله عليه وسلم حتى أثخنت فيهم الجراح.وأما الزبير فصنع العجب العجاب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يراقبه في أرض المعركة وهو يبحث عن حامل راية المشركين طلحة بن أبي طلحة ، وراية المعركة هي شعار المعركة لكل فريق، وبنو عبد الدار هم حملة لواء قريش، فتتبعه الزبير ، فلما جاءه وهو على بعيره قفز الزبير على ظهر البعير فجلس معه، ثم مسكه من تلابيبه، ورماه على وجهه من ظهر الجمل، ثم دك وجهه وقصم ظهره، ثم اجتز رقبته وأسقط راية الكفار، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وهلل وكبر، وقال: (لكل نبي حواري وحواريي من هذه الأمة الزبير بن العوام) (سبل الهدي والرشاد ٤\١٩٣).**وبدأت المعركة تسير على النظام الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم، وكر الكفار على المسلمين في أول الأمر، فردهم الرماة، وكر خالد وعكرمة اللذان كانا على فرسان مكة، وردهم الرماة مرة ثانية، وكروا ثالثة فردهم الرماة، فكانت الخطة تسير كما ينبغي، والصفوف منظمة، والكلمة مسموعة، والهدف واحد.وصنع حمزة العجب العجاب، وقتل من فرسانهم، فانهارت عزائمهم، وحمل بنو عبد الدار الراية مرة ثانية فقتل سعد بن أبي وقاص حامل الراية، ثم حملها ثالث فقتلوه، حتى حمل الراية منهم ستة فقتلهم الصحابة جميعاً، وأسقطوا راية الكفار ست مرات ولم تتزعزع راية المسلمين، وبدأ المشركون يفرون من أرض المعركة، وبدأت علامات الهزيمة تظهر عليهم، وبدأت الغنائم تتناثر في أرض المعركة هنا وهناك، حتى أخلى المشركون معسكرهم، وبدءوا يفرون يمنة ويسرة، ثم أتت النقطة التي قلبت موازين المعركة، عندما خولفت الأوامر، فتباً للمعاصي ماذا تصنع! وتباً لمخالفة الأوامر ماذا تصنع! ما حدث للمسلمين في ذلك اليوم هو بسببين: الأول: مخالفة الأوامر وحب الدنيا، وهذا هو المرض الذي نعاني منه اليوم الذي تداعت علينا فيه الأمم: (قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: أنتم كثير)؛ فهذه الأمة عددها مليار ولكنها لا تملك لنفسها طرف،** (أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليوشكن الله أن ينزع من صدور أعدائكم المهابة، ويقذف في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت). |(أبوداود ٤٢٩٧) **فكم أضلت الدنيا من عابد، وكم قتلت من زاهد، وكم أضعفت من مستقيم، وكم تزينت وكم فعلت.فقال الرماة: الغنيمة الغنيمة، فدخلت في القلب أثارة من دنيا، قال تعالى:** وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ * مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٥١-١٥٢]، **فقال عبد الله بن جبير : قد سمعتم الأوامر، فلا يتحرك أحد من مكانه، سواء كانت المعركة لنا أو علينا، قالوا: قد**

حسمت المعركة وفر القوم، فخالفوا الأوامر، ونزلوا ولم يبق إلا قلة قليلة مع عبد الله بن جبير رضي الله عنه وأرضاه، فلما رأى خالد نزول هؤلاء استغلها فرصة، فدار بفرسانه من ناحية الجبل، وكان معه أكثر من مائتي فارس، فهاجموا القلة القليلة التي كانت على ظهر الجبل، فقتلوهم عن آخرهم؛ وبسبب مخالفة الأوامر قتل أكثر من سبعين من الصحابة، وبسبب مخالفة الأوامر كادوا أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكادت الأمة أن تخسر نبيها في تلك اللحظات.وفوجئ المسلمون بالقوم يأتونهم من أمامهم ومن خلفهم، واشتعلت النيران على المسلمين، واختلت الصفوف، فأصبح المسلمون في حيرة من أمرهم، ولم تعد هناك خطة تتبع، وفشلت تلك الخطة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم، وما فشلت لأنها لم تكن على قدر أرض المعركة، لكن كان فشلها لأن الذين كلفوا بتطبيق تلك الخطة قد خالفوا الأوامر بسبب شيء من حب الدنيا. كان المسلمون في أرض المعركة على ثلاثة أقسام حين داهمهم القوم: يمنة ويسرة، وقلة قليلة كانت حول النبي صلى الله عليه وسلم، وبخبرته صلى الله عليه وسلم العسكرية لم يذهب هو ومن معه إلى جمع الغنائم، بل بقي في مقر القيادة، وهناك قلة أخرى كانت تطارد فلول الكفار هنا وهناك، والأكثرية كانت في معسكر الكفار، وهذه الأكثرية هي التي تكبدت الخسائر كلها.والذين كانوا في معسكر الكفار أيضاً انقسموا إلى قسمين، وشاع الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فانهارت العزائم، وخارت القوى، وضعفت الروح، ففريق منهم رجع يجر أذيال الهزيمة إلى المدينة فاستقبلتهم النساء، يقلن لهم: تفرون من الموت في سبيل الله، فقال الرجال للنساء: قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت النساء: موتوا على ما مات عليه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ترجعوا إلينا تجرون أذيال الهزيمة، لضربة بالسيف على (ابن هشام ٤\٣٢)**عز خير من حياة على ذل، فرجعوا وقاوم الرجال، وفي وسط المعركة تأتيهم الرماح والنبال من كل صوب وكيف شاع الخبر أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل؟لقد كان مصعب بن عمير أكثر الناس شبهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقتل ابن قمئة مصعباً الشاب الطاهر العفيف الذي كان له دور كبير في دخول الإسلام إلى المدينة، مات مصعب ولم ير عز الإسلام وانتصار المسلمين، وما نقص هذا من أجره شيئاً، لكنه قد فاز، حيث تستقبله الحور العين في جنات النعيم، وعندما قتل الكفار مصعباً وكان شبيهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ظنوا أنهم قد قتلوا محمداً وشاع الخبر يمنة ويسرة، وما كان قد بقي من قوة في المسلمين خار وانهار عند سماع هذا الخبر، فإذا بأنس بن النضر الذي كان مع المسلمين في معسكر الكفار يسمع الخبر**، فوقف في أرض المعركة يقول: إلى أين يا قوم؟! قالوا: قد مات محمد صلوات ربي وسلامه عليه، قال: إن كان محمد قد مات فرب محمد حي لا يموت،(الواقدي ١\٢٨٠) اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، وأعتذر إليك مما فعل هؤلاء – يعني المسلمين – ثم انطلق ليقاتل الكفار، فلقيه سعد بن معاذ

فقال: إلى أين يا أنس ؟! قال: واه لريح الجنة يا سعد ! والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد فخرج يقاتل القوم حتى قتل، يقول أنس: والله ما نرى إلا أنه نزل فيه قوله تبارك وتعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا [الأحزاب:٢٣]. ،(البخاري٢٨٠٥)**أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع أصحابه الذين تبعثروا في أرض المعركة، وأراد أن يبث الروح فيهم مرة ثانية، فأعلن عن مكانه في أرض المعركة معرضاً حياته للخطر، والكفار يريدونه هو- بأبي هو وأمي-، ومع هذا وقف موقف الشجعان، وكان باستطاعته أن ينسحب من أرض المعركة، ويلوذ بظهر الجبل، لكن ما كان له أن يترك الرجال هناك، فأخذ ينادي:** (أيها **المسلمون! أنا محمد بن عبد الله)، فلما سمعوا صوته ارتفعت العزائم، فقائدهم حي يرزق، وحبيبهم بين أظهرهم يقاتل معهم، فارتفعت عزائم الرجال، فشقوا الصفوف حتى وصلوا إليه صلى الله عليه وسلم، وتكوكبوا من حوله. لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم هجوم الكفار قال لنفر ممن حوله من شباب الأنصار:** (من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة) (مسلم ١٧٨٩) **فتطايرت الكلمات إلى مسامع شباب الأنصار، فتسابقوا حتى قتلوا جميعاً واحداً تلو الآخر وهم ستة من الرجال.وأما أبو دجانة فقد صنع العجب العجاب، فقد احتضن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبح ظهره ترساً للنبي صلى الله عليه وسلم يقول المؤرخون: إن ظهره أصبح كظهر القنفذ من كثرة الرماح والنبال التي ألقيت على ظهره! ولا زال القوم يقدمون على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:** (من يردهم وهو رفيقي في الجنة؟)، **فقام سعد بن الربيع يوم سمع هذه الكلمات، فالجنة هي التي بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام من أجلها، وهاهي الآن تعرض عليهم بأرخص الأثمان.** ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها **فرمى بالدرع الذي كان يلبسه؛ لأنه كان يثقله، وانطلق يقاتل حتى قتل.ولم يشترك من نساء المسلمين في تلك المعركة إلا امرأة، ولكنها بألف رجل، إنها أم عمارة رضي الله عنها وأرضاها، فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم في أرض المعركة قد تكالب عليه الأعداء من يمنة ويسرة رمت القراب التي كانت تسقي بها جرحى المسلمين، وأخذت تدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم يا أختاه! يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عنها:** (ما رأيت مثل ما رأيت من أم عمارة في ذلك اليوم! ألتفتُ يمنة وأم عمارة تذود عني، والتفت يسرة وأم عمارة تذود عني)، **وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم في أرض المعركة:** (من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟! سليني يا أم عمارة ! قالت: أسألك رفقتك في الجنة يا رسول الله! قال: أنتم رفقائي في الجنة).أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ **وجاء أبي بن خلف عدو الله يقول: أين محمد؟ لا حييت إن حييا، فلم يتردد القائد أو يجبن أو يختفي خلف الصفوف، ولكنه أخذ رمحه ووجهه نحو عدو الله فأرداه قتيلاً في أرض المعركة.في يوم أحد كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم، وشج رأسه، ودميت قدماه، وقال:** (كيف

يفلح قوم شجوا رأس نبيهم؟!) فقال الله له: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [آل عمران:١٢٨] (مسلم ١٧٩١). **وفي يوم أحد قتل حمزة رضي الله عنه وأرضاه، ولم يقتل وجهاً لوجه، وإنما قتل غدراً وخيانة، وما كان أحد يستطيع أن يواجه حمزة في تلك المواقف، قتله وحشي غدراً بعد أن قيل له: إن قتلته فأنت عتيق حر، فقتله وعاد إلى المعسكر، ولم يقتل أحداً غيره، ولم يفعل شيئاً إلا قتل حمزة .وجمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وبدأ ينسحب بهم إلى ظهر الجبل، ثم بدءوا يلتفون من حوله حتى ظن المشركون أنهم قد حسموا المعركة، فارتقى النبي صلى الله عليه وسلم الجبل هو ومن معه، وخرجوا من أرض القتال لا انهزاماً، ولكن حفاظاً على البقية الباقية، وضبطاً وتنظيماً للصفوف، وفرح الكفار بما قد فعلوا، وظنوا أنهم قد أصابوا من المسلمين وما أصابوا؛ لأن الله وعدهم إحدى الحسنين: الموت أو الشهادة، قال تعالى:** قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ [التوبة:٥٢]. **نادى أبو سفيان قائد القوم بأعلى صوته:** (أفيكم محمد؟ أفيكم ابن الخطاب ؟ أفيكم أبو بكر ؟ فقال: اعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رد عليه يا ابن الخطاب ! قال: بل الله أعلى وأجل، قال: الحرب سجال، هذا بيوم بدر، فقال: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار) (البخاري ٣٠٣٩) لذلك قال الله: وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [آل عمران:١٤٠].ثم قال: أفيكم محمد؟ فقال: نعم يا عدو الله! **حتى يغيظ الكافر، وكان بإمكان أبي سفيان ومن معه أن يغيروا على المدينة فهي خالية من الرجال، ولكن ألقى الله في قلوبهم الرعب والمدينة خالية من الرجال! لقد تفقد النبي صلى الله عليه وسلم الشهداء، فنظر إلى حنظلة وقال:** (والله الذي لا إله إلا هو إن الملائكة لتغسله بين السماء والأرض!) **وسأل زوجه جميلة : ما خبر حنظلة ؟ فأخبرتهم أنه دخل عليها في ليلة المعركة، فلما أصبح الصباح سمع منادي الجهاد ينادي، فخرج على جنابته، ولم يكن هناك وقت حتى يغتسل، فغسلته الملائكة بين السماء والأرض!أما عبد الله بن حرام أبو جابر فقال لأم جابر : يا أم جابر ! إني أرى أني أقتل، وقال: أوصيك يا جابر! بأخواتك وأمك خيراً**، وقتل عبد الله بن حرام مقبلاً غير مدبر، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم جابراً يبكي، فقال: (يا جابر ! والله الذي لا إله إلا هو إن الله كلم أباك كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان، وقال: تمن يا عبدي! قال: يا رب! أتمنى أن أرجع فأقتل فيك، قال: إني كتبت عليهم أنهم إليها لا يرجعون، لكن أُحلّ عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يأتيني بخبر سعد بن الربيع ؟) **فأخذوا يبحثون عنه بين القتلى، فوجدوه في آخر رمق من الحياة، فقال له الذي كان يبحث عنه وهو أبي بن كعب : إن النبي صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك يا سعد ؟ قال: أقرئ النبي مني السلام وقل له: والله إني لأجد ريح الجنة، ثم وصى بوصية – وهو في آخر رمق من الحياة– فقال: وأقرئ قومي الأنصار مني السلام، وقل لهم: لا عذر لكم عند الله أن**

يخلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف، ثم فارق الحياة.وما وصى بمال ولا وصى بعيال، بل وصى بالقضية التي كانت تشغله، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بخبر سعد استعبر ودمعت عيناه، ثم توجه إلى القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم الق سعد بن الربيع وأنت عنه راض)، **فرحمك الله يا سعد نصحت للإسلام حياً وميتاً.وأما عمرو بن الجموح فسطر قصة عجيبة في ذلك الموقف، ففي ليلة أحد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخروج، فرده أبناؤه، وقالوا: أنت أعرج من أهل الأعذار، وليس على الأعرج حرج، فقال بنبرة صادقة وعزيمة صادقة: والله لأطأن بعرجتي الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (خلوا بينه وبين ما أراد)، **وكان له ذلك، فقتل شهيداً في ذلك اليوم. رجع المسلمون من أحد بجراحات وآلام، وفقدوا من فقدوا، وجرح حبيبهم، وصنع بهم العجب العجاب، فجاءت الأخبار أن أبا سفيان لما قطع نصف الطريق، قيل له: ترجع ولم تستأصل شأفتهم؟ ما صنعتم شيء! محمد حي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر حي، وعمر حي فماذا صنعتم؟ وأين الانتصار الذي حققتموه؟ فأرادوا الرجوع، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر أمر من حضر المعركة أن يستعد للخروج مرة ثانية، ولك أن تتخيل الموقف، هم مليئون بالجراحات وبالهموم، وأصابهم ما أصابهم ذلك اليوم، وقتل منهم من قتل، ومع ذلك قال:** (لا يخرج معي إلا من خرج بالأمس)، **وخرجوا إلى حمراء الأسد، فأنزل الله فيهم:** الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٧٢-١٧٥]. **لقد حصل بمخالفة واحدة ما حصل في يوم أحد، فالمجاهد الذي يجاهد في سبيل الله عنده هدف، والهدف ليس هو الغنيمة، وإنما الهدف أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فالمجاهد خرج يطلب الشهادة، ولم يخرج يطلب غنيمة، والغنيمة تأتي تبع في أرض المعركة، فلما جاء حب الدنيا، وخولفت الأوامر حصل ما حصل.فكم هي الأوامر التي خولفت اليوم؟! وكم هو إقبال الناس على الدنيا اليوم؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون، لكن: قال تعالى:** وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩]، **فبالإيمان سيتحقق النصر والتمكين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره).**ومن فضائل هذه الأمة أن الله يبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، والجهاد ماض حتى تقوم الساعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (ولا تزال طائفة من أمتي منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، ويقاتل منهم قومُ الدجالَ).**وما كواكب الشباب التي نراها كل يوم تقبل على طاعة الله، وعلى المساجد، وعلى القرآن قلباً وقالباً إلا دليل على أننا**

الأعلون ديناً وعقيدة ومنهاجاً وطريقة، ومهما صنعوا فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله، قال الله: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة:٢١].**فعلينا أن نستفيد من الدروس الماضية، وأن نزرع الإيمان زرعاً في القلوب، ونسقيه بماء الإخلاص والثقة واليقين، ومهما بلغت قوتهم فإن القوة لله جميعاً، والأمر لله من قبل ومن بعد.اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك، وعبادك الموحدين.اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك.اللهم صن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم. اللهم سدد رأيهم ورميهم، واكبت عدوك وعدوهم، واشدد وطأتك عليهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز!اللهم احفظ شبابنا وشاباتنا ونساءنا وشيبنا وأطفالنا.اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.**

يا تارك الصلاة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]. **أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! جاءني أحد الشباب منذ فترة ماضية وبدء يعرض مشاكله –وما هي أكثر مشاكل الشباب– قال: أشتكي من كثرة الهموم والغموم، أشتكي من قلة التوفيق في كل شأن من شئون حياتي، ما طرقت باباً إلا وجدته موصداً مغلقاً، ما أقدمت على مشروع إلا باء بالفشل، وزيادة على هذا وجع يلازمني في بطني، عرضت نفسي على الأطباء، تنقلت من مكان إلى مكان بحثاً عن العلاج ولم أجده.قلت له مستعيناً بالله: المريض إذا مرض يذهب إلى الطبيب، والطبيب ينظر في أعراض المرض ثم يبدأ بتشخيص المرض، فإذا اكتشف العلة واكتشف المرض نصح بالدواء، والمطلوب من المريض حين يعطى الدواء أن يحافظ عليه بكميته المحددة في وقته المحدد.قلت له أيضاً: المطلوب منك أن تحافظ على الدواء، قال: لا توص حريصاً، فلقد تعبت وأنا أبحث عن العلاج والدواء، همومي كثيرة.. مشاكلي كثيرة.. آلامي التي أقضت مضجعي فلا أهنأ بطعام ولا بشراب ولا بمنام.قلت: العلاج موجود، لكن المطلوب منك أنك تحافظ على العلاج وتداوم عليه، قال: وما هو؟ قلت: خمس صلوات في اليوم والليلة،** (من أداهن حيث يُنادى بهن –يعني: في المساجد– كن له نوراً وضياءً وبرهاناً يوم القيامة، ومن ضيعهن ضيعه الله يوم القيامة).فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى [طه:١٢٣] وأي هدى أعظم من المحافظة على الصلوات وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى [طه:١٢٤-١٢٦].**هذا هو العلاج، هذا هو علاج ذلك الشاب وعلاج مشاكل كل واحد منا، أن يطرق باب الطبيب خمس مرات، وأن يرتمي بين يديه ويرفع إليه الحاجات والمسائل، ويبتهل إليه بالدعاء والتضرع، والله لن تحل مشاكلنا، ولن**

تكشف همومنا، ولن تتبدل أحوالنا إلا إذا استقمنا في الصلوات. حالنا مع الصلوات يُبكي العين ويُدمي القلب ويُقطع الجبين، انقسم المسلمون مع صلاتهم إلى ثلاثة أقسام: قسم لا يصلي ولا يركع ولا يسجد لا بالليل ولا بالنهار، أسماؤهم عبد الله وعبد الرحمن -كذبوا والله.. كذبوا والله- لو كانوا عبيداً لله ما خالفوا أوامر الله أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين:٤-٦]. **نعرف كثيراً ممن منَّ الله عليهم بالاستقامة والهداية، سألناهم عن أحوالهم في الصلوات، فكان كثير منهم يقول: مرت عليّ سنوات لم أسجد فيها ولم أركع. سنوات لم يسجدوا لله فيها ولم يركعوا، أي حياة هذه؟! والله لن يستقيم حال الإنسان إلا إذا استقام على صلاته، والله إنك لن تتقرب إلى الله بقربة أعظم من المحافظة على الصلوات، قال صلى الله عليه وسلم:** (اكلفوا من العمل ما تطيقون، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة). **والله لن ينفعك صوم ولا حج ولا زكاة ولا أي نوع من الأعمال إلا إذا صلح أمر الصلاة؛ فأول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة عن صلاته، فإن استقامت وصلحت نظر الله في باقي الأعمال، وإلا** وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان:٢٣]. **قسم لا يركع ولا يسجد -وهم كثير- امتلأت بهم البيوت وانتشروا في الطرقات، تراهم في المجمعات في أوقات الصلوات يغدون ويروحون كأن الأمر لا يعنيهم. قسم آخر: وهم أيضاً كثير، يُقدّمون ويؤخرون، ينامون ويتكاسلون، يلعبون ويلهون، إن استيقظ من نومه صلى، إن انتهى من لعبه صلى، إن انتهى من أكله وشربه صلى، تناسوا أن الله قال:** فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ [الماعون:٤-٥]. **تناسوا أن الله قال:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:٩]. تناسوا أن الله قال: إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا [النساء:١٠٣]. **لو أنك موظف في شركة من الشركات أو مؤسسة من المؤسسات، ودوامها يبدأ في الساعة السابعة صباحاً، فإذا بك في اليوم الأول تأتي بعد عشرين دقيقة من مرور الوقت، ويستقبلك الرئيس فيغض الطرف عنك، فإن جئته في اليوم الثاني سيخاطبك ويقول لك: إن نظام المؤسسة ودوامها يبدأ في الساعة السابعة لا في الساعة السابعة والنصف، ثم إذا تكرر منك التأخر ستعطى إنذاراً شفهياً أو إنذاراً خطياً، فإذا تكرر منك التخلف والتأخر فلا مكان لك في تلك المؤسسة. هذه مؤسسة وشركة من الشركات، فكيف بالذين يتأخرون عن طاعة رب الأرض والسماوات مرات ومرات، قال صلى الله عليه وسلم:** (ولا زال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله) (مسلم ٤٣٨) **فقسم لا يركع ولا يسجد، وقسم يقدم ويؤخر ويتهاون ويتكاسل، وهم كثير لا ينطلقون إلى المساجد إلا إذ سمعوا الإقامة أو بعد ركعة أو ركعتين، تناسوا أن الله قال:** وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [الواقعة:١٠-١١]. **قسم ثالث: وهم قله قليلة، وأنا أعني أنهم قلة قليلة مقارنة إلى تعداد هذه الأمة أمة المليار أو ما يزيد. هل تريد أن تشهد هذه**

القلة؟ اشهدها في صلاة الفجر، اشهد صلاة الفجر مع الجماعة حتى ترى العجب العجاب، ترى أن آلافاً مؤلفة بل ملايين تغط في سبات عميق، وقلة قليلة هي التي انتصرت على فُرشها وشهواتها وانطلقت تجيب منادي الله.عندما ينطلق أذان الفجر في الرابعة وسبع دقائق، اخرج إلى الشارع حتى تعرف مقدار المأساة، فلا تكاد ترى سيارة تتحرك، لا تكاد ترى إنساناً يسير، لا تكاد تسمع أصواتاً في البيوت أُدخل المسجد ترى آباءً وكباراً في السن وقلة قليلة من الشباب الذين هداهم الله، والبقية الباقية تغط في سُبات عميق، ثم اخرج بعد صلاة الفجر بساعة وانظر إلى الناس قد ملئوا الطرقات والتقاطعات، وانتشروا في مناكب الأرض يطلبون الدنيا، ما كأن الله قبلها بساعة ناداهم مناديه (الصلاة خير من النوم) **وواقع حال كثير من الناس يقول:** (النوم خير من الصلاة). **أسألك بالله العظيم هل صليت الفجر اليوم في صفوف المصلين، أم اتصفت بصفات المنافقين، أليس أثقل الصلوات عليهم صلاة الفجر وصلاة العشاء؟أليست هذه الأمة قد اتصفت بالنفاق في مشارق الأرض ومغاربها؟ هل تريد أن تعرف مقدار المأساة؟ اسمع بارك الله فيك.زرت ثانوية من الثانويات منذ أيام مضت، وكان تعداد المدرسة أكثر من ثمانمائة طالب في ريعان الشباب، أعمارهم تجاوزت الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين عاماً، رجال المفترض أن يغيروا الواقع ويبدلوا الحال، سألتهم بعد أخذ وعطاء: اصدقوني في سؤالي هذا: من منكم صلى الفجر في جماعة؟كم تظن أنه أجاب من الثمانمائة؟ مائة.. مائتان أم ثلاث أم أربع مائة؟ والله الذي لا إله إلا هو لم يتجاوز عدد الذين صلوا صلاة الفجر في جماعة من أبناء المسلمين في مدرسة تعدادها ثمانمائة طالب عشرين طالباً فقط، وسبعمائة وثمانون بيتاً من بيوت المسلمين اتصفت بالنفاق. كيف يتغير الواقع أو يتبدل الحال وأمتنا قد ضيعت الصلوات!لما تنزّل قول الله جل في علاه على النبي صلى الله عليه وسلم:** فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم:٥٩]، يقول النبي صلى الله عليه وسلم باكياً: (يا جبريل! تضيع أمتي الصلاة؟ يا جبريل تضيع أمتي الصلاة؟ قال: يا محمد! يأتي أقوام من أمتك يبيعون دينهم كله بعرض من الدنيا قليل).**فضيعت الصلوات وارتكبت المحرمات، كيف يستقيم الحال؟ وكيف يتربى المجتمع على الفضيلة إن لم يحافظ على الصلوات؟ أليست الصلاة هي التي تنهانا عن الفواحش والمنكرات؟ يكفينا أمر رباني واحد حتى نعلم عظم قدر الصلاة عند الله، أما يكفيك أن تعلم من قدر الصلاة وعظم شأنها عند الله أنها فرضت من فوق سبع سماوات،** وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى [النجم:٧-١٠] **أمره بخمسين صلاة، فما زال يخفف عنا حتى جُعلت خمس صلوات بأجر خمسين. الصلاة نور، كيف تستطيع أن تسير في الظلمات؟ كثير يتخبطون.. كثير يشتكون من الهموم والغموم، علاجهم الانضمام إلى صفوف المصلين، مآسي الشباب في كل مكان**

وعلاجهم الدخول إلى بيوت الرحمن في صفوف المصلين.التقيت ثلاثة من الشباب على إحدى الخطوط الشمالية في ساعة متأخرة من الليل توقفت! ركب الثلاثة، قلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد الدمام.دار بيني وبينهم هذا الحديث، فقلت: ماذا تريدون هناك؟قالوا: نبحث عن وظائف.ولا عيب أن الإنسان يسعى في طلب رزقه؛ لكن العيب كل العيب أن تُخرجنا الدنيا ولا نخرج في أوامر الله جل في علاه، نخرج لقضاء حوائجنا ولأكلنا وشربنا ومنادي الله ينادينا: حي على الصلاة، حي على الفلاح! فنتهاون في الاستجابة لنداء الله.قلت: ماذا تريدون من هناك؟ قالوا: نبحث عن وظائف، قلت: لا عيب، فما هي شهاداتكم والمؤهلات التي تحملونها؟فقال الذي بجانبي: أنا عندي شهادة ثاني متوسط، والثاني قال: أنا أول متوسط، والثالث قال: أنا لم أكمل الخامسة الابتدائية.قلت: ما شاء الله كان؛ لكن هذه ليست مؤهلات، الأمر لله من قبل ومن بعد مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [فاطر:٢]. نعرف أصحاب شهادات لم يجدوا وظائف ولم يجدوا مرتبات، ونعرف من لا يقرأ ولا يكتب أنعم الله عليهم وصب عليهم من البركات، والسر وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه:١٣٢].جاء أحدهم إلى أحد الصالحين يشتكي ارتفاع الأسعار، وذلك حين غلت الأسعار وارتفعت الأثمان للمطاعم والمشارب!وهكذا هو حالنا، نتأثر بارتفاع الأسعار يمنة ويسره ولا نتأثر بأحوال المسلمين، نخاف على ما يسد جوعنا ويملأ بطوننا، ولا نخاف من تقرير مصيرنا إما إلى جنة وإما إلى نار.جاء أحدهم إلى أحد الصالحين يشتكي ارتفاع الأسعار والأثمان، فقال الرجل الصالح: والله ما أبالي لو أن حبة الشعير بدينار، عليّ أن أعبده كما أمرني وعليه أن يرزقني كما وعدني.قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ [الذاريات:٥٦-٥٧].والسر؟ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه:١٣٢]. قلت: هذه الشهادات وهذه المؤهلات، فأصدقوني كيف أنتم مع صلواتكم؟فقال الذي بجانبي: أقول لك أم أكذب عليك؟ قلت: إن كذبت فإنما تكذب على نفسك ولا يضرني كذبك، وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ [غافر:٢٨].قال: أنا لا أصلي.قلت: كافر!قال: لا.قلت: بلى، ففي الحديث (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)، كم هم الكفار من أبناء المسلمين الذين لا يركعون ولا يسجدون، حدث ولا حرج.قلت للثاني: وأنت؟قال: أنا خير منه.قلت: كيف؟قال: أنا أصلي من الجمعة إلى الجمعة.قلت: أنت مثله. قلت: وأنت يا ثالثهم؟قال: أنا أفضل منهم.قلت: كيف؟قال: أنا أصلي في اليوم صلاتين.قلت: هذا دين جديد: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ [الشورى:٢١].هذا هو الواقع.. هذا هو الواقع شئت أم أبيت، طلابنا لا يصلون، بل جاءني سؤال من الطلاب يقول السائل فيه: ما حكم

الذي يصلي بدون وضوء؟قلت: هذا كفر ومن نواقض الإسلام؛ لأنه استهزاء بالدين، هل يخفى عليه أو على كثير من أمثاله أنه لا صلاة لمن لا طهور له، هل يخفى عليه أن عمود الدين هي الصلاة. هذا واقع الأولاد فأسمع واقع البنات بارك الله فيك: تقول إحدى قريباتي وهي تعمل مُدرِّسة في مدرسة من المدارس: خرجت من غرفة المدرسات فإذا بطالبتين بجانب الغرفة تتبادلان الحديث، فإذا إحداهما تقول للأخرى: لماذا لا تصلين معنا في المصلى؟ قالت: أنا حتى في البيت لا أصلي، وأزيدك من الشعر بيتاً؛ أهلي كذلك لا يصلون! أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ [المطففين:٤].

والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت ألماً من الحرمان

لكنها سكرى بحب حياتها الـ دنيا وسوف تفيق بعد زمان

متى ستنضم إلى صفوف المصلين، وتكون من الذين هم على صلاتهم دائمون، وتكون من الذين هم على صلاتهم يحافظون؟ متى ستستقيم وتعلم أن أعظم أمور الدين بعد توحيد الله المحافظة على الصلوات، والمسارعة إلى المساجد، والمحافظة على تكبيرات الإحرام؟ نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقو الله عباد الله، وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]، **واعلموا أن من صفات المتقين أنهم على صلاتهم يحافظون.كيف تستطيع أن تواجه متقلبات الحياة إلا إذا انضممت واستقمت في صفوف المصلين، قال الله جل في علاه:** إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج:١٩-٢١] **إلا من؟ إِلَّا الْمُصَلِّينَ [المعارج:٢٢].أيُّ المصلين؟ الذين لا يصلون إلا من الجمعة إلى الجمعة؟ أو الذين يصلون صلاتين في اليوم؟ أو الذين يتقدمون ويتأخرون.الجواب:** الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ [المعارج:٢٣]، **ثم أثمرت صلواتهم أخلاقاً وخشية في حياتهم** وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ [المعارج:٢٧-٢٨]. **من أين أتت الخشية؟أتت من المحافظة على الصلوات.**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ [المعارج:٣٢] **كيف أدوا الأمانات وحفظوا الحقوق إلا عندما حافظوا على الصلوات.**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [المعارج:٢٩-٣٠].**كيف حصنوا الفروج وغضوا الأبصار، إلا لأنهم من الذين هم على صلاتهم دائمون.فإذا جاءت المداومة وجاءت المحافظة فاسمع النتيجة بارك الله فيك: أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ [المعارج:٣٥]، والله لن تتقرب إلى الله بقربة أعظم من**

المحافظة على الصلوات.يقول أنس : (بينما كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل لا نعرفه، قال: أين هو ابن عبد المطلب؟ قلنا: ذلك الأبيض الأمهق، فجاءه وقال: يابن عبد المطلب! إني سائلك ومشدد عليك السؤال، وكان متكئاً فجلس، قال: يا محمد! من الذي رفع السماء؟ قال: الله، قال: يا محمد! ومن الذي بسط الأرض؟ قال: الله، قال: ومن الذي نصب الجبال يا محمد؟! قال: الله، قال: أسألك بالذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك إلينا رسولاً؟ فاحمر وجهه صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم نعم، قال: أسألك بالذي رفع وبسط ونصب وأرسلك إلينا رسولاً آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم، قال: آلله أمرك أن تأمرنا بالصيام؟ قال: اللهم نعم، قال: آلله أمرك أن تأمرنا بالزكاة؟ قال: اللهم نعم، قال: آلله أمرك أن تأمرنا بحج بيت الله الحرام؟ قال: اللهم نعم، قال: والذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال وأرسلك إلينا رسولاً، لأحافظن على الصلاة، ولأصومن رمضان، وأعطي الزكاة، وأحج البيت، ولا أزيد على ذلك، فلما انطلق قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن صدق دخل الجنة).(البخاري ٦٣) **أي: إن صدق فيما قال، وحافظ على الصلوات، وصام رمضان، وأدى الزكاة، وحج بيت الله الحرام؛ دخل الجنة.تأمل بارك الله فيك.. فإن الزكاة قد تسقط عنك إذا لم يكن عندك مال، والصيام يسقط بالأعذار** فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ [البقرة:١٨٤]، **والحج لمن استطاع إليه سبيلاً.لكن قل لي بالله العظيم هل تسقط الصلاة في أي حال من الأحوال؟!إذاً لو حافظ على صلاته دخل الجنة، في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم:** (كان حقاً على الله من لقي الله وهو يحافظ على هذه الصلوات أن يدخله الجنة، قال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قال: يا رسول الله! وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، فأعادها في الثالثة، فقال صلى الله عليه وسلم: رغم آنف أبي ذر).ـــ(البخاري ٥٨٢٧) (خمس صلوات من أداهن حيث ينادى بهن، كن له نوراً وضياءً وبرهاناً يوم القيامة،) (المسند٦٥٧٦)ومن ضيعهن فلا يلومن إلا نفسه).**أطلت عليكم.. لكن الحديث خطير، والقضية مهمة، أبناؤنا يموتون من غير صلوات، بل حتى الشيب تهاونوا في أدائها. مات رجل في السبعين من عمره منذ فترة وسألونا هل نصلي عليه أم لا نصلي؟قلت: ولماذا لا تصلون عليه؟ قالوا: ما سجد لله سجدة من قبل.مات أحد الشباب في مقتبل العمر.. فلما غسلوه وبدءوا بتغسيله انقلبت بشرته من البياض الشديد إلى السواد الشديد، خاف المغسلون وخرجوا من مكان التغسيل، فإذا بالأب في خارج المغتسل يدخن، قالوا: هل الميت ميتكم؟ قال: نعم، قالوا: ما خبر هذا؟ قال الأب: لم يكن من المصلين، قلنا: خذوه أنتم غسلوه وكفنوه** وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:٣٣].**والعكس بالعكس: مات أحد الأخيار في مقتبل العمر، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مسابقاً إلى الصفوف الأولى، ما تخلف عن الفجر يوماً، يدعو بالموعظة والذكرى الحسنة،**

يقول أحد مشايخنا: فلما مات كنت أنا الذي غسلته وكفنته، فلما بدأنا بتغسيله وبإعداد المسك والكافور، يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد فاحت رائحة المسك منه قبل أن نضع المسك عليه، قلت لصاحبي: هل تشم؟ قال: فضل الله يؤتيه من يشاء إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت:٣٠]. **فلما كفناه وذهبنا به إلى المقبرة، يقول شيخنا: كنت ممن نزل إلى قبره!تخيل المنظر، الناس على شفير القبر، ثم ينزل إليهم الميت، يقول: والله الذي لا إله إلا هو إنهم أنزلوه فأخذ من بين أيدينا، وحمل من بين أيدينا، والله ما حملناه، ثم وسّد في التراب، والله ما وسدناه، ثم وجّه إلى القبلة، والله ما وجهناه، كشفت عن وجهه فإذا هو يضحك!يقول الشيخ: والله لولا أني أنا الذي غسلته وكفنته ما كنت أظن أنه قد مات. اتقوا الله عباد الله، وحافظوا على الصلوات، وانتهوا عن الفواحش والمنكرات.اتقوا الله ومن تقواه المحافظة على أوامره. هل تريد ضماناً لخاتمه حسنة،** (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله) **يعني: في حفظ الله ورعايته، زاد أهل العلم وقالوا: معناه أنه إذا مات من يومه دخل الجنة.**(مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر). **اصنعوا لنا أبطالاً، اصنعوا لنا رجالاً، اصنعوا لنا أمهات عابدات:**

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السلاح وصناعة الأبطال علم علمه أولو الصلاح
من لم يلقن أصله من أهله فقد النجاح لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح شعب بغير عقيدة ورق يذريه الرياح
من خان حي الصلاة يخون حي على الكفاح

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.هل سنراك بعد هذا الكلام تسابق المصلين إلى الصفوف الأولى، أم ستستمر في التخلف مع المتخلفين، وقد أعذر من أنذر.اللهم اجعلنا من الذين هم على صلاتهم دائمون، ومن الذين هم على صلاتهم يحافظون، ومن الذين هم في صلاتهم خاشعون.اللهم اجعل خير أمرنا آخره، وخير عملنا خواتيمه، وخير أيامنا يوم نلقاك.اللهم أصلح لنا الشباب والشيب، واحفظ نساءنا وأطفالنا يا رب العالمين!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم اجعلنا من الذي يأمرون وينهون، ولا يخافون فيك لومة لائم، يا رب العالمين!عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! تكلمنا في الجمع الماضية عن علامات عظيمة من علامات الساعة وأشراطها، وتكلمنا عن ظهور المهدي عجل الله خروجه، ثم أتبعنا ذلك بفتنة عظيمة هي فتنة المسيح الدجال، وقلنا: إنه ما من نبي إلا حذر أمته من الدجال، وكان أشد الأنبياء تحذيراً منه هو نبينا صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنه سيخرج في هذه الأمة، وستبلغ فتنته أمراً عظيماً حتى إن الرجل يأتي لينظر في أمره فلا يلبث أن يكون من أتباعه، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :**

(من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ مما يبعث به من الشبهات) (أبو داود ٤٣٢١)**أي: أنه يأتيه حتى يراه أو يرد بعض شبهاته فلا يلبث أن يكون من أتباعه، فالمطلوب: الحذر من الفتن والابتعاد عنها.وتأمل -بارك الله فيك- كيف يسقط الناس اليوم في الفتن وهي أقل من فتنة المسيح الدجال، فكيف بالذي بين يديه مثل الجنة والنار؟!ثم ذكرنا أن زواله ونهايته ستكون على يد عيسى ابن مريم عليه السلام الذي سينزل بإذن الله ليكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، واليوم نواصل وإياكم الحديث عن باقي هذه الأشراط والعلامات التي تبين قرب نهاية العالم واقتراب الساعة.والمقصد من ذكرها: تذكير الناس، وتنبيه الغافل منهم؛ حتى يزيد الصالح في صلاحه، ويتوقف العاصي عن تمرده وعصيانه عباد الله! يمكث نبي الله عيسى في الأرض أربعين سنة، وفي رواية سبع سنوات، فكيف نجمع بين الروايتين؟قال أهل العلم: عندما رفع عيسى من الأرض كان عمره ثلاثاً وثلاثين، وذلك عندما دُبرت المؤامرة لاغتياله، فرفعه الله من بين أيديهم وعمره حينها ثلاث وثلاثون سنة، ثم يرجع ويمكث سبع سنوات، فتلك أربعون سنة، ويتخلل هذه السنوات السبع فتنة عظيمة تعم الأرض كلها، وهي فتنة**

يأجوج ومأجوج، وخروجهم شر عظيم بينه النبي صلى الله عليه وسلم، فلقد فزع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى خرج محمراً وجهه، محذراً من فتنة يأجوج ومأجوج.تروي لنا زينب بنت جحش رضي الله عنها ذلك فتقول: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعاً محمر الوجه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق بأصبعيه السبابة والإبهام، قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)، رواه (البخاري ٣٣٤٦).**وقد فسر الجمهور الخبث بأنه الفسوق والفجور، وقيل المراد : الزنا خاصة، وقيل: المعاصي مطلقاً، ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون، فالصلاح وحده لا يكفي حتى يرد العذاب.فالمطلوب: هو الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. إن كثرة الفساد مع قلة الإصلاح وقلة الآمرين بالمعروف علامة على خروج يأجوج ومأجوج، فمن هم يأجوج ومأجوج؟هما أمتان من الناس تعيشان الآن وراء السد الذي بناه ذو القرنين، فإذا اقتربت الساعة خرجوا على الناس، فدورهم يأتي بعد خروج الدجال، ثم قتله على يد عيسى بن مريم عليه السلام، وهم أصحاب قوة لا تقاوم، وأعداد لا تحصر، فأذاهم شديد، وضررهم بالغ، ولا يد لأحد على مقاومتهم، فيفر الناس منهم إلى الجبال، أو يتحصنون في بيوتهم ويلوذون ويلجئون إلى الله بالدعاء والتضرع، ويصيب نبي الله عيسى عليه السلام ما يصيب الناس من الهول والعنت، فيؤمر بأن يخرج بعباد الله إلى الطور، ويتحصن بعباد الله في جبل الطور، وهناك –أي على جبل الطور– يرغب إلى الله بالدعاء عليهم، فيستجيب الله له، فيرسل عليهم من السماء عذاباً وداءً فيفشو في أعناقهم، فيموتون موتة رجل واحد، ثم يطهر الله الأرض من نتنهم. ولقد ورد ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن في موضعين:الموضع الأول: في سورة الأنبياء في قوله تبارك وتعالى:** حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ [الأنبياء:٩٦]، قال الشوكاني في فتح القدير٣\٦١٠): هما أمتان من الإنس، يخرجون على الناس بعد فتح السد، فتراهم من كل حدب ينسلون، أي: من كل المرتفعات يسرعون ويتفرقون في فجاج الأرض.**والموضع الثاني: في سورة الكهف عند قوله تبارك وتعالى في قصة ذي القرنين: حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا [الكهف:٩٣-٩٩]**.قال(

السعدي ١\٤٨٦)رحمه الله : ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ [الكهف:٩٢-٩٣]، قال المفسرون: ذهب متوجهاً من المشرق قاصداً للشمال فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان كانا معروفين في ذلك الزمان، سدان من سلاسل الجبال المستطيلة يمنة ويسرة حتى تتصل بالبحر بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، ووجد من دون السدين قوماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا [الكهف:٩٣]؛ لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم، وقلة فهمهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به قولهم، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا: إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ [الكهف:٩٤] بالقتل والظلم وأخذ الأموال.. وغير ذلك، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا [الكهف:٩٤] أي: نجعل لك عطاءً وجعلاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا حائلاً يحول بيننا وبينهم، ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان ذلك السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فأرادوا أن يبذلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي لذلك: وهو إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبة في الدنيا، ولم يكن تاركاً لإصلاح أحوال الرعية بل قصده الإصلاح، فلذلك أجابهم لمطلبهم؛ لما فيه من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة على ذلك، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ أي: مما تبذلون لي وتعطونني، وإنما أطلب منكم أن تعينونني بقوة أيديكم أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا أي: سداً مانعاً من عبورهم إليكم، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك، حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ أي: الجبلين اللذين بينهما السد، قَالَ انفُخُوا أي: لإيقاد النار؛ لتشتد فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين قطع الحديد قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا أي: نحاساً مذاباً بالنار، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً وامتنع به من وراءه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج: فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا [الكهف:٩٧] أي: يأجوج ومأجوج، أي: فمالهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه؛ لارتفاعه، ولا على نقبه، لإحكامه وقوته، فلما فعل ذو القرنين هذا الفعل الجميل، وهذا الأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها ومعطيها، فقال: هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ، أي: منّ فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء والصالحين إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله تبارك وتعالى، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، وجاءه في وقت قصير قال: (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ [النمل:٤٠].بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض، فإن النعم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً، كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي [القصص:٧٨] فحلت عليه العقوبة، قال الله : فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ [القصص:٨١]، فلم ينسب النعم للمتفضل، ولم ينسب النعم للذي أعطى ومنع وخفض ورفع، فحلت عليه العقوبة: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ [القصص:٨١]، **ثم قال تعالى:** فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي أي: لخروج يأجوج ومأجوج جَعَلَهُ دَكَّاءَ أي:

ذلك السد المحكم المتقن، دكه دكاً فانهدم واستوى هو والأرض سواء، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا .ثم قال تعالى: وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ، قال السعدي : يحتمل أن الضمير يعود إلى يأجوج ومأجوج، وأنهم إذا خرجوا على الناس من كثرتهم واستيعابهم للأرض كلها يموج بعضهم ببعض، كما قال تعالى: حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ [الأنبياء:٩٦]، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الخلائق يوم القيامة، وأنهم يجتمعون في ذلك اليوم فيكثرون ويموج بعضهم ببعض من الأهوال والزلازل العظام، وكلا المعنيين صحيح.**وتأمل معي هذا المشهد العظيم، حين يجمع الله الأولين والآخرين، وتدنو الشمس من رءوس العباد مقدار ميل قال الراوي : والله ما أدري ما الميل هل هو ميل المسافة أم ميل المكحلة؟فاسمع بارك الله فيك حتى تعلم أن الأمر جد، وأن الأمر عظيم، فقد ثبت في الصحيحين** : (إن الله تعالى ينادي يوم القيامة بآدم فيقول: يا آدم! فيقول: لبيك ربي وسعديك! فيقول: ابعث بعث النار، فيقول آدم: وما بعث النار؟ فيقول الله: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: فحينها يشيب الولدان، وحينها: تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:٢]، ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، قالوا: وأينا ذاك الواحد؟! قال: أبشروا : فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً) **فما أعظم هذا الموقف**.

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حيران النار تزفر من غيظ ومن حنقٍ على العصاة ورب العرش غضبان

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا لما قرأت ولم تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفان

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبدي إلى النيران عطشان المشركون غداً في النار تلتهبُ والمؤمنون بدار الخلد سكان

قال سبحانه: وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا [الكهف:٩٩-١٠٦]. **عباد الله! المقصد والهدف حين نذكر هذه الأشراط وهذه العلامات: هو أن يستعد كل منا للقاء ربه قبل أن يصيح أحدنا بأعلى الصوت: رباه! ارجعون، فلا يستجاب له.واعلم! بارك الله فيك أن القيامة تطلق على ثلاثة معان:على القيامة الكبرى، وهي قيام الناس لرب العالمين.وعلى القيامة الوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد، فقد جاء عن عائشة قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم –أي: أصغر واحد فيهم– فقال:** (إن يعش هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم عليكم قيامتكم) **أي: بموتكم تقوم قيامتكم.ثم القيامة الصغرى، وهي موت الإنسان، فمن مات فقد قامت**

قيامته.اللهم اغفر ذنبنا، واستر عيبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله! وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١].عباد الله! أما أصل يأجوج ومأجوج فهم من البشر من ذرية آدم وحواء، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً) قال(الحاكم ٨٥٠٥) **صحيح على شرط الشيخين.وفي** (مسند الإمام أحمد ٢٠١٢٦)عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك) ، **قال بعض العلماء : هؤلاء من نسل يافث أبو الترك، وقال : إنما سمي هؤلاء تركاً لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة، وإلا فهم أقرباء أولئك، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجرأة. أما موطنهم فقد قيل –نسب لابن عباس – إن السدين هما جبلا أرمينية وأذربيجان، وذكر بعض أحبار اليهود أن يأجوج ومأجوج في منتهى الشمال حتى لا يستطيع أحد غيرهم السكن فيه، وقيل –وهو الأصح–: هما بموضع في الأرض لا نعلمه، فيوم ذكر الله رحلة ذي القرنين ذكر الرحلة الأولى: إلى مغرب الشمس، والرحلة الثانية: إلى مطلع الشمس، فبين الله الجهات التي توجه إليها، لكن لما انطلق في الرحلة الثالثة جعلها الله مبهمة فقال،** ((حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ)) **في أي جهة؟ الله أعلم، ولعل في ذلك إشارة إلى أن مكان السد سيظل مجهولاً إلى ما شاء الله.أما عن خروجهم: فهل ينهار السد ويتفتت ويسوى بالأرض كما هو ظاهر الآية:** ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ))، **أم أنهم يقومون بمحاولات لفتحه فلا ينجحون حتى يأتي وعد الله؟عند** (أحمد ١٠٦٤٠)عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان من الغد، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى كادوا يرون شعاع الشمس، فقال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله فيحفرونه)، فعلى هذا فقوله تعالى: ((جَعَلَهُ دَكَّاءَ)) **أي: أنه بمرور الوقت يفقد صلابته وتماسكه، فيستطيعون خرقه ويخرجون. لقد فتح من ردم يأجوج على زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يحفرون، فكلما زادت المنكرات والفواحش وقل الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حان وقت خروجهم.وبعد خروجهم**

ينطلقون انطلاق السهم من القوس، ويتساقطون من شعاب الجبال وقممها مسرعين، فهم من كل حدب ينسلون، فينقضون على فرائسهم وغنائمهم من الإنسان والحيوان والنبات والماء، ويراهم الناس فيرهبونهم ويفرون من أمامهم، ويتحصنون في الجبال والبيوت، ثم يتجهوا غرباً، يعني: يأجوج ومأجوج نحو بيت المقدس، وهناك نبي الله عيسى عليه السلام، وأصحابه فيتحصنون منهم بالطور، ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم أو التصدي لهم، فيلجأ نبي الله وأصحابه إلى مناجاة الله ودعائه فيهلكهم. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال، وساق الحديث، وفيه: (ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فاحرز -يعني: احفظ وحصن- عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر أواخرهم فيقولون: لقد كان في هذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه -أي: يحبسون- حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم -أي: من شدة الحاجة والفاقة التي تصيبهم- فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله يدعونه ويتجهون إليه بالدعاء، فيرسل الله عليهم النغف - أي: على يأجوج ومأجوج، والنغف: هو دود يكون في أنوف الغنم والإبل- في رقابهم فيصبحون فرسىً -أي: هلكى- كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طيراً كأعناق البخت -يعني: أن أعناقها طويلة كأعناق الإبل- فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة -يعني: كالمرآة-، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرسل -أي: في اللبن - حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام -أي: الجماعات الكثيرة من الناس-، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون كما تتهارج الحمير -أي: يجامع الرجل المرأة بحضرة الناس كالحمير والعياذ بالله- فعليهم تقوم الساعة)(مسلم ٢٩٣٧) **أي: على هؤلاء تقوم الساعة، قال تعالى:** لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ **[إبراهيم:٥١]، فيجازي الله المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته. اسمع معي وتدبر قوله:** حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا

يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُمْ ؟بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [الأنبياء:٩٦-١١٢]. **إن السؤال الذي يجب أن نسأل أنفسنا عنه هو: ماذا أعددنا لقيام الساعة؟ أنوم عن الصلوات! وربا وفواحش ومنكرات! وتضييع للأعمار أمام الشاشات والقنوات!** (سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة؟ قال: ماذا أعددت لها؟ قال : أعددت لها حب الله ورسوله) (البخاري ٣٦٨٨) **فماذا أعددنا لها نحن؟فاتقوا الله عباد الله! قال تعالى**: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]، يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [إبراهيم:٤٨-٥٢].

إلامَ تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع
أما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نع
يويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلصِ وطاوعي وأخلصي واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا وحاذري أن تخدعي
واتبعي سبْل الهدى وادكري وقع الردى وأن مثواك غداً في قعر لحد بلقعِ

اللهم استر في ذلك اليوم عوراتنا، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الزمر:١٨]**.اللهم أرنا الحق الحق وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل الباطل وارزقنا اجتنابه، اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وصن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين!اللهم عليك بالنصارى المعتدين، واليهود الغاصبين، والشيوعيين وأعداء الملة والدين، اللهم اشدد وطأتك عليهم يا قوي يا عزيز!اللهم اشدد وطأتك عليهم وعلى أعوانهم يا قوي يا عزيز! إنهم لا يعجزونك ولا يخفون عليك، يا عليم يا خبير!عباد الله!** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت: ٤٥]!

يوم ضيعنا الأمانة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢].يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١].**أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! تولى عمر رضي الله عنه وأرضاه القضاء في عهد أبي بكر ، حيث استعان به أبو بكر رضي الله عنه في أول خلافته على تولي القضاء، ومضى عام على تولي عمر هذه المسئولية، ثم جاء يقدم استقالته ويريد أن يعفى من القضاء، فقال له أبو بكر : أمن ثقل المسئولية يا عمر ! أردت أن تتخلى عنها ؟قال: لا، ولكن مضى لي عام وأنا في القضاء لم ترفع لي قضية واحدة، ليس لي حاجة بين قوم مؤمنين عرف كل منهم ما له وما عليه.فهو مجتمع يثق ببعضه البعض، ومجتمع يسعى أفراده إلى إصلاح ذات بينهم فيما بينهم، مجتمع يعرف الحقوق فيؤديها والشعار: الثقة فيما بينه البين.ولاحظ الفرق! فانظر في محاكمنا اليوم وقد امتلأت بالشكاوى والقضايا حتى بين الأقارب، فساءت أخلاقنا، وساءت معاملاتنا، ولم يعد المجتمع يثق في بعضه البعض.ومنذ أيام مضت جاءني أحدهم يشكو حاله، ويطلب الإعانة، ويقول: تراكمت علي الديون أكثر من ثمانين ألفاً، ووالله ليس لي فيها يد لا من قريب ولا من بعيد، وإنما أنا أتحملها عن الآخرين، فأين هم الآخرون حتى يؤدوا الحقوق ويحفظوا الأمانات؟!قال: وجاءني قريب من أقاربي فقال لي: أنا في أمسّ الحاجة لشراء سيارة، فقد مضى لي في الوظيفة فترة قصيرة، ومضى لي عن الزواج عهد قريب، فأحتاج إلى السيارة حاجة ضرورية، قلت: وماذا تريد مني؟ قال: تقدمت إلى إحدى الشركات طالباً الشراء بالتقسيط فأبوا وقالوا: إن مدة الخدمة التي خدمتها لا تكفي حتى نبيعك السيارة، قلت: وما الحل؟ قالوا: تصرّف، يقول لقريبه: فما وجدت الحل إلا أن تشتريها أنت باسمك وأنا أقوم بالسداد، يقول: فاشتريتها باسمي، وقام بسداد الشهر الأول والثاني، ثم اختفى عن الأنظار، فبحثت عنه في كل مكان ولم أجده، وتراكمت الأقساط المتأخرة حتى ساءت العلاقة بيني وبين تلك الشركة، ثم رفعوا علي دعوة في الحقوق وطالبوني بسداد القيمة كاملة، طالبوني بسداد ثمانين ألف** ريال، **وبحثت عنه فقالوا لي: لقد سافر إلى بلد بعيد، فكيف يستطيع السفر**

ويترك قريبه على هذه الحال؟! فهذه صورة واحدة وإلا فالصور كثيرة ومتعددة، بل قال لي أحدهم: قمت بكفالة من أعرفه تمام المعرفة، وبدأ يتأخر في السداد، والنظام يقول: يؤتى بالكفيل ليقوم بالسداد، ثم يطالب المكفول بسداد حقه، يقول: قمت بسداد ما تأخر عنه مرات ومرات، ثم لما طالبته بحقي قال: إن أباك رجل ميسور وهو يسدد عني، فهذا من أثق به، وأنا وإياه على علاقة طيبة منذ سنوات، يا إخوان! لقد فقدت الثقة فيما بيننا البين.وجاء رجل يقترض من رجل فقال له: كم تريد؟ وما هي حاجتك؟ قال: حاجتي مبلغ كذا وكذا، قال: متى تستطيع سدادها وخذ الوقت الذي تريده؟ قال: أحتاج إلى ستة أشهر، قال: خذ تسعة أشهر، يقول: الآن مضت سنتان ولم أره من بعدها.يا أخي! اذهب إليه وقل له: ظروفي لا تسمح، لماذا نهرب من بعضنا البعض؟ ولماذا يخون بعضنا بعضاً؟ لقد أصبحنا لا نثق ببعضنا البعض، وحتى القريب لا يثق في قريبه، فأين هي أخلاق المسلمين؟ إن الذي نعاني منه اليوم حقيقة هو افتقادنا لأخلاق المسلمين في تعاملاتنا، وفي بيعنا وشرائنا، وفي أخذنا وعطائنا، وهناك خلق عظيم لو تخلق به المجتمع لساد الأمن والأمان، وعمت الثقة بين أفراده، إنه خلق الأمانة، وهي ضده الخيانة التي هي من صفات المنافقين. جاء من حديث أبي هريرة عند(البخاري ٣٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث -وذكر منها:- إذا اؤتمن خان)، **بل أمرنا الله وحثنا على أداء الأمانات فقال تعالى:** وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ [البقرة:٢٨٣] وذم الله بعض أهل الكتاب فقال: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا [آل عمران:٧٥]، فقد فقدنا الأمانة قبل الثقة فيما بيننا البين **إن الإيمان كلما قوي في القلوب حفظت الحقوق، وأديت الأمانات، وكلما ضعف في قلوبنا ضيعت الأمانات، وضيعت الحقوق.وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (اشترى رجل من رجل عقاراً، فالذي اشترى العقار كان يحفر في عقاره فوجد جرة من ذهب في العقار الذي اشتراه، فذهب بها إلى الرجل الذي اشترى منه العقار وأعطاه الجرة، فقال البائع: أنا بعتك العقار بكل ما فيه، فقال الرجل: وأنا اشتريت العقار ولم أشتر جرة الذهب، فتنازع الرجلان في جرة الذهب وكل يقول: جرة الذهب لك، فاختصما إلى القاضي، فتعجب القاضي من مثل هذه القضية، فقال لهذا: ألك غلام؟ قال: نعم، قال: وأنت، ألك جارية؟ قال: نعم، قال: زوجاهما وأنفقا عليهما).(البخاري ٣٤٧٢) **وهذا يوم أن كان المجتمع يثق ببعضه البعض، ويوم أن كان المجتمع شعاره الصدق والأمانة، وأسألك بالله رويعي غنم في الصحراء ما الذي يدفعه لحفظ أمانته؟ أليس هو استشعار مراقبة الله عز وجل؟! أليس هذا هو الخلق الذي في داخله الذي يدفعه إلى مراقبة الله جل في علاه، فيرتاد بأغنامه أحسن المراعي ولا رقيب عليه إلا الله؟!واليوم الموظف يتأخر ويتكاسل ويتهاون، ولا يستطيع أي رئيس شركة أو**

مدير مؤسسة أن يراقب كل موظف في مكتبه، فالأمانة خلق داخلي يدفع الإنسان لأداء الواجب وعدم التفريط فيه.فهذا رويعي غنم في الصحراء يحفظ أمانته، ويرعاها حق الرعاية، فرآه ابن عمر يرتاد بغنمه أحسن المراعي فقال له امتحاناً: بعنا من هذه الشياه، فقال رويعي الغنم: أنا مؤتمن ولا أستطيع التصرف، فقال له ابن عمر امتحاناً واختباراً: قل للمالك: أكلها الذئب، -والذئاب تعدو على الأغنام كما عدت الذئاب على يوسف عليه السلام كما قال إخوة يوسف، فمن المعقول أن تعدوا الذئاب على الأغنام-، قال: قل للمالك: أكلها الذئب، فقال الأمين: وماذا أقول لله؟ إن كنت سأقول للراعي أكلها الذئب، فماذا سأقول لله حين (سير اعلام النبلاء ٣\٢١٦)**أفرط في الأمانة؟ ماذا سأقول إذا وقفت بين يدي الله وختم على اللسان وأنطق اليدين والرجلين** الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:٦٥]. فبكى ابن عمر ، وأرسل إليه من يعتقه، وقال: كلمة أعتقتك في الدنيا، وأسأل الله أن تعتقك يوم أن تلقاه، قل معي وأنت تسمع مثل هذه الأخبار: **أين نحن من هؤلاء؟وجاء في الحديث:** (اقترض رجل من رجل مبلغاً من المال، فقال له صاحب المال: جئني بكفيل، قال المقترض: كفى بالله كفيلاً، قال: رضيت، قال: ائتني بشهيد؟ قال: كفى بالله شهيداً، قال: رضيت.فاتفقا على يوم لسداد ذلك المبلغ، وكان بينهما بحر، فهذا يقيم على تلك الضفة، وهذا يقيم في الجهة الأخرى، فلما حان وقت السداد خرج الذي له المال وخرج الذي عليه المال، وكل يريد أن يلتقي بصاحبه، فهذا ينتظر وذاك يريد الذهاب، فقدر الله في ذلك اليوم أن الجو كان عاصفاً، والسفن لا تسير في ذلك اليوم، فاحتار هذا وانتظر ذاك، فهذا يريد أن يؤدي الأمانة، فلما رأى أن الوقت قد تأخر وليس له حيلة في ركوب البحر رأى خشبة على شاطئ البحر فأخذها الذي عليه الدين ونقرها، وكتب رسالة ووضعها مع المال في تلك النقرة: لقد انتظرت حتى أجد سفينة أركب فيها إليك فلم أجد، هذا هو المال وهذه رسالتي، فطلبت مني كفيلاً فقلت لك: الله الكفيل، وطلبت مني شهيداً، فقلت: الشهيد الله، فالله يؤدي عني، وقذف الخشبة على أمواج البحر تتقاذفها الأمواج يمنة ويسرة.وفي الضفة الأخرى للبحر انتظر الرجل، فأخذ ينظر في الأفق علّ سفينة تقبل من هنا أو من هناك فلم تقبل، فلما مل وطال عليه الانتظار أراد الذهاب فإذا بقطعة خشب تتقاذفها الأمواج، فقال في نفسه: لن أرجع إلى أهلي خالي اليدين، سآخذ هذه الخشبة أقطعها ثم أجففها، ثم تكون ناراً ووقوداً لي ولأهلي، فأخذها وهو لا يعلم أن الأمانة قد وضعت فيها، فلما ذهب إلى البيت وكسرها خرجت الرسالة من بين كسرات الخشبة، فقرأ الرسالة: انتظرت فلم أجد سفينة، وطلبت مني كفيل فقلت لك: الكفيل الله، وطلبت مني شهيد فقلت لك: الشهيد الله، فالله يؤدي أمانتي وهذا هو المبلغ، فأخذه ثم تعجب)(البخاري ٢٢٩١).**فحين صدقوا مع الله صدق الله معهم، ودارت أيام فجاء الذي عليه الدين والمبلغ معه كاملاً يريد سداده، فلما جاء إلى الرجل قال له: إن المبلغ عليك حلال وقد سدد الله عنك، وهذا المبلغ مني لك هدية، خذ المبلغ كاملاً لا**

أريده، فلقد سدد الله عنك.فيوم كان شعارهم: أمانة، وصدق، وكانوا يثقون ببعضهم البعض، ويعطي كل إنسان ماله ولا يطالب إلا بحقه، كان هذا شأنهم.قال القرطبي : الأمانة تعم جميع وظائف الدين، فكل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، فالأعراض أمانة، والأموال أمانة، والأنفس أمانة، وأعظم الأمانات هو هذا الدين(الجامع لاحكام القران ١٤\٢٥٢).**وقد كانوا يثقون في أنفسهم وفي بعضهم البعض حتى على الرقاب، فيكفل الرجل الرجل حتى على الرقبة ولا يهاب، تقول السير**: جاء شابان إلى عمر رضي الله عنه ومعهما رجل كبير يقتادانه من تلابيبه إلى عمر ، فلما جاءا إلى عمر ، قال: ما خطبكما؟ قالا: قتل أبانا، فنظر فيه عمر ، قال: أصحيح ما يقولان؟ قال: نعم، أغضبني فضربته بصخرة على رأسه فسقط ميتاً، قال عمر : أما وقد اعترفت فلا بد من القصاص، النفس بالنفس، والعين بالعين، والأذن بالأذن، قال: يا أمير المؤمنين! لي صبية صغار يقيمون في الصحراء لا والي لهم ولا راعي، فأعطوني مهلة وفرصة كي أذهب إليهم وأخبرهم: أني لن أرجع إليهم بعد اليوم، وأدفعهم إلى من يقوم بكفالتهم، أو يقوم بسد حاجاتهم، فليس لهم بعدي إلا الله.فقال عمر : لا نستطيع أن ندعك تذهب، فقال للغلامين: أتعفوان؟ قالا: لا، قتل أبانا، فقال عمر : لا نستطيع أن ندعك أن تذهب إلا أن تأتي بكفيل يكفلك، فمن أين يأتي بكفيل وهو لا يعرف أحداً؟ فنظر في وجوه الحاضرين وفيهم أبو ذر وقال: هذا يكفلني، والله ما رآه من قبل، وما تكلم معه قط من قبل، فقال عمر لأبي ذر : أتكفله؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين! أما وقد اختارني من بين هؤلاء القوم والله لا أخذله !فالمسلم أخو المسلم لا يخذله أبداً، حتى وإن كانت القضية تتعلق برقبته ونفسه. فقال عمر : يا أبا ذر ! إن لم يأت الرجل فأنت تعرف ماذا سيكون الجزاء؟ قال: أعلم يا أمير المؤمنين! قال الرجل: أمهلوني ثلاثة أيام ثم سآتي إليكم أسلم نفسي، فمضى اليوم الأول واليوم الثاني واليوم الثالث، وبدءوا يترقبون تلك الساعة التي وعد الرجل بالرجوع فيها، طال الانتظار على أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه، فلما أيس الناس من قدوم الرجل إذا بغبار يأتي من بعيد فلما أقبل إذا هو بالرجل يعتذر عن تأخره، فهلل الناس وكبروا.فهذا رجل في الصحراء لا يعرف مكانه أحد! والقضية ليست قضية عشرة آلاف ريال، أو مائة ألف ريال، إن القضية قضية رقبة سيسددها في الحال. فكبر الناس وهللوا وقال عمر للشابين: أتعفوان؟ قالا: عفونا.**وكيف لا يعفون والقضية ثقة وأمانة وصدق بين أفراد المجتمع؟! أما ترى عبد الله! أن هذا هو ما نحتاج إليه اليوم؟! أن تكون المعاملة والشعار فيما بيننا صدق وإخلاص، وصدق في البذل، وصدق في العطاء، صدق في كل شأن من شئون حياتنا، بلى والله! فهذا ما نحتاجه اليوم.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه،**

صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:أحبتي! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، اتقوا الله عباد الله! قال تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]، **ومن تقوى الله حفظ الأمانات، وأداء الحقوق، ومراعاة مشاعر الآخرين، وقد جاء ذكر الأمانة في القرآن على ثلاثة معانٍ: الأول: بمعنى الفرائض كما قال الله:** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:٢٧]**.الثاني: بمعنى الودائع كما قال الله:** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [النساء:٥٨]**.الثالث: بمعنى العفة، كما قال الله عن موسى على لسان بنت شعيب:** إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ [القصص:٢٦]**، أي: قوي في بدنه، عفيف في معاملاته، وهذا ما نحتاجه اليوم، ولن يكون الرجل أميناً حتى تظهر فيه ثلاثة أمور: عفته عما ليس له، وتأدية ما عليه للآخرين، واهتمامه بحفظ حقوق الآخرين. إن الموظف في الشركة إذا أعطوه سيارة يقودها لقضاء حوائج الشركة فإنها أمانة، ورأيت بأم عيني من يسيء استخدام تلك الأمانة ظاناً أنه ليس عليه رقيب.أحبتي! إن البشر لا يستطيعون مراقبة البشر في كل شأن من شئونهم فإن لم نستشعر أن الحسيب هو الله فلن نؤدي الحقوق، ولن نحفظ أمانات، ومن أعظم ما استؤمنت أنا وأنت عليه: أمانة الدين، والتوحيد الذي لن ينجو يوم القيامة إلا من جاء به خالص لله.فعند البخاري من حديث معاذ رضي الله عنه قال:** (بينما كنت أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معاذ ! أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم مضى، ثم قال بعد ساعة : يا معاذ ! أتدري ما حق العباد على الله إن هم فعلوا؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه ألا يعذبهم)،(البخاري ٧٣٧٣) **وإن لم يعذبهم دخلوا الجنة.ومن حقوق التوحيد : المحافظة على الصلوات، والقيام بالواجبات، والانتهاء عن المحرمات، وأسألك هنا سؤالاً: هل حافظت على الأمانة في فجر هذا اليوم أم كنت من المضيعين؟ هل صليت الفجر في جماعة المسلمين حفاظاً على أمانة الله التي استأمنك عليها أم كنت مع النائمين المضيعين؟فاتقوا الله عباد الله! فالدين أعظم ما استؤمنا عليه، فإن حافظنا على ديننا وحفظنا حقوق ربنا فسنحافظ على حقوق الآخرين، فمن حافظ على الصلوات والأوامر، وترك المنهيات حفظ حقوق الآخرين.فهذه كلمة إلى الذين يتصدرون المسئوليات ويتأمرون على المسلمين: اعلم -بارك الله فيك- أن المسئولية أمانة، وأنها يوم القيامة خزي وعار وندامة، فقد جاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله! استعملني على بعض أمورك، قال:** (يا أبا ذر ! أنت ضعيف، والمسئولية أمانة، وهي خزي وعار وندامة يوم القيامة) (مسلم ١٨٢٦) **إلا أن يقوم بحقها كما قام يوسف حين قال:** اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ [يوسف:٥٥]**.فإلى أولئك الذين يتصدرون المسئوليات، ويترأسون على أبناء المسلمين : اتقوا الله في أبناء المسلمين، وأدوا الأمانة فيما استرعاكم الله، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.**

كذلك من الأمانات أمانة الأسرار الزوجية، وإن من أعظم الخيانة يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم: (الرجل يفضي إلى زوجته وتفضي إليه، ثم يكشف سرها أو تكشف سره)،(مسلم ١٤٣٧) **يقول : حدث بيني وبين فلانة كذا وكذا، فالبيوت أسرار، فاحفظ الأمانة، واحفظ الأسرار في البيوت.وتقوم الساعة إذا ضيعت الأمانة، ففي الحديث قال أنس** : (بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخل أعرابي فقال: يا محمد! متى الساعة؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم قلنا -أي: الصحابة-: إما أنه كره سؤاله، أو أنه لم يسمع ماذا قال، فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من حديثه، قال: أين السائل عن الساعة؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله! قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وما ضياعها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله)(البخاري ٥) .**فاتقوا لله عباد الله! واعلموا أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.اتقوا الله عباد الله! واعلموا أن الإيمان هو الدافع لنا لحفظ الأمانات وأداء الحقوق، ولما ضعف الإيمان ضاعت الأمانات وضاعت الحقوق، فاستشعروا رقابة الله في كل مكان: في الصحاري، وفي البراري، وفي البحار، فإن استشعار رقابة الله هي الدافع الحقيقي لنا لحفظ الأمانات.اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وصلاة خاشعة، وعلماً نافعاً، ورزقاً حلالاً واسعاً.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين! وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يا رب العالمين!اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا وانصرنا يا قوي يا عزيز! على القوم الكافرين.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين!اللهم عليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك، ويعذبون أولياءك، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم أنزل عليهم بأسك وبطشك إله الحق! إنهم لا يعجزونك.عباد الله!** إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠] فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت:٤٥].

***

خواطر الراشد

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الخطاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرحمن أين المشتري فلقد عرضت بأرخص الأثمان
فإما حياة تســـر الصديق وإما ممــــات يغيظ العدا

***

أتسب المسلمـات بكل ثغر وعيش المسلمين إذاً يطيب
أما لله والإسـلام حــق يدافع عنه شبــــان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

***

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حيـاة لمن تنادي

***

رباه عم الفسق في الأوطـان فلقد تركنا سنة العـــدناني
أضحت فتاة اليوم أكثر معرض للحم حتى قل سعر الضان
حيناً ببنطال الـــرجال وتارة بلباسها المخزي كالسعدان

***

فلو أن النساء كمن ذكرنا لفضلت النـــساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

***

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذاجمعتنا يا جـرير المجامع

***

إعمل لدار غدٍ رضوان خازنـها الجار أحمد والرحمــن بانيــها
دلالها المصطفى والرحمن بايعها وجبرائيل ينـادي في نـواحيــها
قصورها ذهب والمسك طينتـها والزعفران حشيش نابـت فيهـا
أنهارها لبن تجري ومن عسـل والخمر يجـري رحيقاً في مجاريها
من يشتري الدار بالفردوس يعمرها بركعة في ظلام الليل يحييـها
أموالنا لذوي الميراث نجمـعها ودورنا لخراب الـدهر نبنيـها

***

إذا كانت النفوس كبـــــاراً تعبت في مرادها الأجسام

***

ومن أراد إدراك المـــــــــفاخر لم يرض بالصـــف الآخر.

***

سهر العيون لغير وجهـــــك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع
والله ما طلعت شمس ولا غربـــت إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحـــدثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي

***

ملكنا هذه الدنيـا قـــــــــرونا وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضـــــياء فما نسي الزمان ولا نسينا
وكنا حين يأخـــــــــذنا ولي بطغيان ندوس له الجبينا
وما فتئ الزمـــــان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخرونا

***

وأصبح لا يـــرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمته سنينا
وآلمي وآلـم كـل حر سؤال الدهـــــر أين المسلمون

***

لما علمــت بأن قلبي فارغ مما ســواك ملأته بهواك
وملأت كلي منك حتى لم أدع مني مكاناً خالياً لسواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه والروح لا تنفك عن ذكـراك
والسمع لا يصغي إلى متكلم إلا إذا ما حدثوا بعـــلاك
والطرف حيث أجي له متلفتاً في كل شيء يشتهي معناك

***

لعمرك ما الرزية فقـــــــــــد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حـــــــــــــر يموت بموته بشر كثير

***

من فاته منك وقت حظه النـــدم ومن تكن همه تسمو به الهمم

***

سعد الذين تجنبوا سبـــــــــل الردى وتيمموا لمنازل الرضوان
فهم الذين أخلصوا في مســــــــجد متشرعين بشرعة الإيمان
وهم الذين بنوا منازل سيرهم بين الرجـــــــا والخوف للديان
وهـم الذي ملأ الإله قلوبـــــــــهم بوداده ومحبة الرحمن.

***

شباب ذللوا سبل المعـــالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريــــماً طــاب في الدنيا غصون
إذا شهدوا الوغى كــــانوا كماةً يدكون المعاقل والحصونا

وإن جن المســــــاء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
شباب لم تحطمه الليـــالي ولم يسلم إلى الخصم العرينا
ولم تشهدهم الأقداح يومـــــاً وقد ملئوا نواديـهم مـجونا
وما عرفوا الأغاني مائعـــــات ولكـن العلا صيغت لحونا
وما عرفوا الخـــلاعة في بنات ولا عرفوا التخنث في بنينا
كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مخلـــــصاً حراً أمينا.

***

أحزان قلبي لا تـــــــــــــــزول حتى أبشر بالقبول
وأرى كتابي باليميـــــــــــتن وتسر عيني بالرسول

***

!لا تلمني فلا يلام الجريح حين يشكـو وحين تشكو القـروح
لا تلمني فلا يلام طـــــريدٌ لا يلام المظـلوم حين يصـيح
لا تلمني ولُم خـــــــــافق بين جنبيك لم تعتليه صـــروح
وأنا لن ألوم من مات حســـــــأًإنما اللوم للـذي فيـه روح
وأنا لن يضيق باللوم صـــدري إن صـدر المحب كونٌ فسيح

***

أختاه إن رمت الوصـــول لجنة فيـــها الخلود ونظرة الرحمن
فعليك تطبيق الشـــريعة دائماً فـي أي شأن أو بـأي زمـان
ماذا دهاك فتسمـعين نعيقهم ولديك صوت الـحق في الفرقـان
لوذي به عنه لا تتـــــــــحولي لا ليس يعدله كتـاب ثـــان
لله أعطاك الحياة تكرماً فعلام تــــذهب في هوى الشيطـان
إن لم تسيري في الحياة مع التقى ليكن ضياع الأمر في الحسبان
أختاه تأملي بنصيحتي وبها اعملي تجدين طعم حلاوة الإيمـــان

***

خرجت تمزق مع الصباح حجابها قد قـصـرت بين الأنـام ثيابها
خرجت وكل الهائمين تجمـــــهر صرخت وجمع العابدين أجابها
ويلها هتكت عرض أهلــــها قد أرخصت يوم الـخروج نقابـها
يا ويلها هذا العفاف تدوسه قـــد أوسقت رأس الوفـاء ترابـها

يا نفـــس توبي قبل أن لا تقـــدري أن تـــــــتوبي
واستغفري لذنوبك الـــــــرحمن غــــفار الذنوبی
إن المنايا كالريـــــاح علـــــــــيك دائمة الهبوبي

***

قل: أنا العبــد الذي أضحى حزيناً على زلاته قلـــــــــقاً كئيباً
أنا العبد الغريق بلــــــج بحرٍ أصـــــــــيح لربما ألقى مـجيباً
فيا أسفي على عمـــــر تقضّـــــــىَ ولم أكسب به إلا الـذنوباً
انا المضطر أرجو منــــــــــك عفواً ومن يرجو رضاك فلن يخيبا

***

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتـــــنا وارحم أيا رب ذنبـــاً قد جنيــناه
كم نطلب الله في ضرّ يحل بنا لما تولت بلايانا نســــــــــيناه
ندعوه في البحر أن ينجّي سفينتا لما وصلنا إلى الشـــاطئ عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأنَّ الـــــــحافظ الله

***

وقفت ببابك يا خـــالقي أقلّ الذنوب على عاتـــــــــــــقي
أجرُّ الخطايا وأشقى بها لهـــــيباً من الحـــــزن في خافقـــي
يسوق العباد إليك الهــــــدى وذنبـــــــي إلى بابكم سائقـــي
أتيت مالي ســـــــوى بابكم طريحاً أناجـــيك يا خالقـــــــي

***

إلهي أتيت بصـــــــدق الحنين يناجــــــيك بالتوب قلب حزين
إلهي أتيتك في أضلـــــعي إلى ساحة العــــــــــفو شوق دفين
إلهي أتيت إليــــــــك تائباً فألحق طريحــــــــــك بالتائبين
أعنه على نفســـــــــه والهـــــــوى فإن لم تعنه فمن ذا يُعين

***

أبوح إليك بما قد مضــــى وأطرح قلبي بيـن يديك
بقايا الخطايا ودرب الهوى وما كان تخفى دروبي عليك

***

حارت الأفكار في قدرة من قد هدانا سبلاً عزَّ وجـــــلّ
كتب الموت على الخلق فكم فلّ من جمع وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ملك الأمـــــــوال وولى وعـزل
أين من سادوا وشـــــادوا وبنوا هلك الكل ولم تغنِ القلل
أين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأُول؟
سيعيد الله كلاً منـهم وسيــــــــجزي فـاعلاً ما قد فعل

***

فيا دائم الخطايا والعصـــــيان يا شديد البطر والطغيان
ربح المتقون ولك الخســـران وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان

***

ها هو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاد
دمع اليتامى فيه شاهد ذلة وسواد أعينهن فيـــها حداد
يا ويحنا ماذا أصاب شبابنا أوما لنا سعد ولا مقـــداد

***

ألا قل لهم قول عبد نصوح وحق النصيحة أن تُستمع
متى علم الناس في ديننا بـــأنَّ الغنا ســــــنة تُتبع
وأنَّ يأكل المرء أكل الـحمار ويرقص في الجـــمع

***

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليـــــلك نوم والردى لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في النوام ناجٍ فسالم
تسر بما يفنى وتفـرح بالمنى كما سُرّ باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

***

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيـــان
فاستحيي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يران

***

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

***

لا دار المرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خـــــاب بانيها

***

فكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

***

فيا بائعاً هذا ببخسٍ معجل كأنك لا تدري بـلى سوف تعـــلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

***

فحيا على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نـــعود إلى أوطاننا ونسلّم

***

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحـــــــيوانِ
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمانِ
اسرع وحث السير جهدك إنما مــــــــــسراك هذا ساعة لزمانِ
فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العـرفانِ
حمر الخدود ثغورهن لآلئٌ سود العيـــــــــون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القـــصر بالجدرانِ
ريانة الأعطاف من ماء الشباب فغصنها بالــــــماء ذو جريانِ
والقدّ منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوســـط القضبانِ
والجيد ذو طول وحسن في بياض واعتدال ليـــــس ذا نكرانِ
والريح مسك والجسوم نواعم واللون كاليــــــاقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتـــــار والعيدانِ
أترى يليق بعاقل بيع الذي يبقى وهذا وصـــــــــفه بالفان

***

واعجباً لمن يقرع سمعه ذكر الســــــــــــــــعير
وهو بالله من عذابها غير مســـــــــــــــــجير

***

أفيك جَلَد على الصديد والجحيم والزمهرير
أم بك جلد على نار وقودها الناس والحجارة
أم قد رضيت لنفسك هذه الخســــــارة

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفســـــهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها واتخذوا الدنيا لهم معبـــروا
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشروا
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخـــــروا

***

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعد لكل ما يتوقعُ
يا من يرجّى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمــــفزعُ!
يا من خزائن رزقه في قول كُنْ! والخير كله عنــــدك أجمعُ
مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقـــري أدفعُ
مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئـــن رُددتُ فأي باب أقرعُ

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ
حاشا لفضلك أن تقنط عاصياً فالفضل أجزل والمواهب أوسعُ

***

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخـــافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليســـت لحي وطنا
اتخذوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

***

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الخطاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد ولقد عرضت بأبخس الأثمان
يا سلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الإنســـــان
لما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الـــجزاء الثان
ولكنها حفت بكل كريهة ليصــد عنها المبطـــــل المتوان
وتنالها الهمم التي تسمو إلى رب العلى بمشـــيئة الرحمن

***

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

***

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخيرٍ فإن الفــارج الله
إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيأســـن فإن الصــانع الله

***

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

***

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمـــــصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

***

.يا من يحار الفهم في قدرته وتطلب النفس حمى طاعته
تخفى عن الناس سما طلعته وكلما في الــكون من صنعته

***

تذكر وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشــاء حيرانــا
النار تزفر من غيض ومن حنق على العصاة ورب العــرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير مـــا كانا

فلما قرأت ولم تنكر قراءته وأقررت إقرار من عرف الأشيـاء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبدي إلى النيران عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الـــخلد سكانا
.أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير
أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت الواحد المولى الغفور
إن عذبتني فبسوء فعلي وإن تغفر فأنت به جـــدير
أفر إليك منك وأين إلا إليك يفر منـك المستـجير
***

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شـيء
***

أهلك قد دعوك فلم تسمع وأنت محشرج الصـدر،
وكأنهم قد قلبوك على ظهر السرير وأنـت لا تدري،
وكأنهم قد زودوك بما يتزود الهلك من العـــطر.
***

هب الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذلك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل ظـــلأ ظلـــــك ثم آذن بالزوال
***

والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهـــب
والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنـا فيها تعد وتحسب
وجميع ما حصلته وجمعته حقاً يقيناً بعد موتك يذهـب
تباً لدار لا يدوم نعيمها ومشـيدها عما قليل يخـــرب
***

.فداً لك من يقصر عن فداك فما شهمٌ إذاً إلا فداك
أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك
إذا اشتبكت دموعٌ في خدود تبيَّن من بكى ممن تباكى
***

:تسلى الناس في الدنيا وإنّا لعمر الله بعدك ما سلـــــينا
إن كان عزَّ في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
***

من واجب الناس أن يتوبوا والدهر في صرفه أعجيـب
وكلما ترتجي قريب لكن ولكن ترك الذنوب أوجـــب

ولكن غفلة الناس عنه أعجب الموت دون ذلك أقرب

***

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

***

عبّاد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه على الخد أجـــــراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم خرجوا إلى الموت يستجدون رؤياه
فيا ربِ ابعث لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً تليداً قد أضعناه

***

إذا هدمت فزدها أنت هدماً وحصن أمر دينك ما استطعتا
ولا تحزن على ما فات منها إذا ما أنت في أخراك فزتــا
أراك تحب عرساً ذات خدر أبت طلاقـــها العقلاء بتا
وتطعمك الطعام وعن قليل ستطعم منك مـا فيها طعمتا
تفر من الهجير وتتقيه فهلا من جهنم قد فـــــــررتا
فإنك لا تطيق أهونها عذاباً ولو كنت الحديـد بها لذبتا

ركضاً إلى الله بغير زادِ غير التقى وعمل المـــعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل عمل عرضة للنفادِ
إلا التـــــــــــــــــقى والبر والرشـــاد.

***

يا من له وجب الكمال بذاته بل كل غاية فوزهم لقـــــياه
..أنت الذي لما تعالى جده قصرت خطا الألباب دون سناه.
.أنت الذي امتلأ الوجود بحمده لما اغتدى ملآن من نعماه .

***

لهاك النوم عن طلب الأماني وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الخيـام مع الحسان
تنبّه من منامك إن خيراً ن النوم التهـــــــجد بالقرآن

***

يا خاطب الحور في خدرها وطالباً ذاك على قـــدرها
انهض بجدٍ لا تكن وانيـــاً جاهد النفس على صبرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصـــم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها قد وبدت رمانتا صــــــتدرها
و هي تمشي بين أترابها وعقدها يشرق في نحـــرها

لهان في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرهــا
***

فيا بائعاً هذا ببخس مُعجّل كأنك لا تدري ، بلى سوف تعــلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

.فيا نظرة أهدت إلى الوجوه نضرة أضاء لها نورٌ من الفجر أعظم
للهِ أفراح المحبين عندما يخاطبـــــــــــهم من فوقهم ويُسلِّم
ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تـــــسأم
***

كلٌ يسبح في السماوات العلا والأرض للمتفرد الخــلّاق
ولوجهه عنت الوجوه وسبَّح ا لملكوت من زهر ومن أشواك
يا بادئ الحياة من عدم ويا منشي الحياة وباسط الأرزاق
لك وحدك اللهم جال تفكري وهواك ملئ قلبي الخــفاق
***

بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضاً إلى التنادي
أقرضته الله على اعتماد بالطوع لا مَنٌ ولا ارتــــداد
إلا رجاء الضِّعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدمه المرء إلى المــــعاد
***

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما لديه ونصـــــــح
قد نفع الله صغاري ومنح بالعجوة السوداء والتمر الملــح
والمرء يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح
***

وكيف تخاف الفقر والله رازقٌ فقد رزق الطير والحوت في البــحر
عليك بتقوى الله إن كنت جاهلاً يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري
أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت على العباد من الرحمــان أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مضـــللة ولا يضـــــر مع الإقبال إنفاق

تمضي السنون وتنقضي الأيام والناس تلـــــهو والأنام نـيام
والناس تسعى للحياة بغفلة لم يذكروا الـــــقرآن والإســلام
والمال أصبح جمعه كتهجد وتمتع الشـــــهوات صار قيــام

قد زين الشيطان كل رذيلة والناس تفعـــــل ما تريد حــرام
يا نفس يكفي فالذنوب كثيرة إن الغرور يســـــبب الإجرام
هل تعلم اليوم المحدد وقته الله يعلم وحـــــــــده العلام
ماذا تقول إذا حملت جنازة ودفنت بالقـــــبر الشديد ظلام
هذا السؤال فهل علمت جوابه ماذا تجيـــب إذا نطقت كلام
من ذا نصيرك إن روحك غرغرت جاء المفرط كي يقول ختام
اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي وغداً تموت وتـــــرفع الأقلام
***

فإن تشكت فعللها المجرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى.
***

فمن هجر اللذات نال على المنى ومن عشق اللذات عض على اليد
ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها وفي نيلها ما تشـــتهي ذل سـرمد
***

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخـــفى عليه يغيـــب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للـــــناظرين قـــريب
***

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليـــــل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا الســـــرير جوانبه
ولكن تقوى الله عن ذا تصدني وحفظاً لبعلي أن تـــنال مراكبه
وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليـــس ذا نسيان
وكذا يعلم ما يكون غداً وما قد كان والمـــوجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذاك الأمر ذا إمكان
***

في كل يوم للجنان قوافل شهداء راض عنـــهم العلام
ماذا أقول بوصف ما قاموا به عجز البيان وجفت الأقلام
لله در ضياغم من أسدنا لعظائم الأعمال فيـــــها قام
من كل عاف للحياة مجاهداً وسلاحه الإيـمان والإقدام
***

يا مذنب الذنب أما تستحي الله في الخلوة ثانيك
غرك من ربك إمهاله وستره طول مســــاويك
***

إذا ما خلوت الدهر يوماً بريبة والنفس داعية إلى العصيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يران
***

.لله در أقوام هجروا الدنيا وتركوها،وطلبوا الآخرة بالجد وآثـــــروها،
إن جاء النهار قطعوه بالصيام، وإنجاء الليل نصبوا أقدامهم للقــــيام.
لله درهم؛ أبصروا عيوب الدنيا وميزوها، عرفوا طرق الجنة فســـلكوها،
وعرفوا طرق الضياع وتجنبوها، إن أظلم الليل صفوا أقدامهم وانصبوها،
إن أقبل النـــــــهار حفظوا جوارحـــــــــــــهم وكفوها.

عجباً للجنة كيف نام طالـــــــــــــبها كيف لم يدفع مهرها خاطبها
***

إلهي! إن طردتني عن بابك، فإلى باب من ألتجي،
وإن قطعت عني خدمتك، فخـدمة من أرتـجي.
***

قلت لليل هل في جوفك سرعامر بالحديث والأخبار
قال لم أر حديثاً كحديث الأحباب في الأســـحار
***

أتيتك سائلاً فارحم عنائي فعندك يا كريم دواء دائـــي
فيا مولى الورى جد لي بعفو ومن بنظرة فيها شـــفـائي
رأيت كثير ما أهدي قليلاً لمثلك فاقتصرت على الثنائي
***

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبـه
وطوبي لقلب أنت ساكن سره ولو بان عنه إلفه وقريـــبه
***

فما ضر قلباً أن يبيت وما له نصيب من الدنيا وأنت نصـــــيبه
ومن ترض عنه أنت في طي غيبه فما ضره في الناس من يستغيبه
فيا علة في الصدر أنت شفاؤها ويا مرضاً في القلب أنت طبيـبه
***

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الخد أجـــــــراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم جاءوا إلى الموت يستجدون رؤياه

لماذا يذبحون ونستكـــين ولا أحد يرد ولا يبـــين
أللإسلام نسبتنا وهذا دم الإســـلام أرخص ما يــكون
دم الإسلام مسفوك فمن ذا يرد له الكرامة أو يــصون
تحاصرنا المجازر كل يوم وتهدم في مرابعنا الحـــصون
فكم من مسجد أضحى يباباً وعاث به التهتك والمجون
وما ذنب الضحايا غير دين تهون له النفوس ولا يـــهون
***

الله المستعان: يوم تعطلت أسلحتنا وسهامنا، فعلوا بنـــــــــا هذا، فالله المستعان. إذا حل الأمر الصعب، وادلهم الخطب، وعم الجدب، فالله المستعان. إذا أظلم الأفق، وضاقت الطرق، وانشق بالمصائب الأفق ، فالله المستعان. إذا جاعت البطون، وأخطأت الظنون، وحلـــت المنون، فالله المستعان. إذا قست القلوب، وظهرت العيوب، وكثرت الذنـــوب، فالله المستعان. إذا فقد الولد، وقحط البلد، وضعف السند، فالله المستعان.
***

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جـــدود خالـــــدونا
وسطرها صحائف من ضياءفما نســــــــــى الزمان
ولا نسينا وكنا حين يأخذنا ولي بطغيان ندوس له الجبينا
وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخـــرونا
وأصبح لا يرى في الركب قوم يوقد عاشوا أئمته ســـنينا
وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر: أين المسلمــــونا

البائعون نفوسهم لمليكهم الله أمضى بيعهم وتكـــــــرما
والحاملين إلى الوغى أرواحهم وعلى نحورهم تحـــدرت الدما
قوم كأن وجوههم شمس الضحى طلعت ففر الليل كالح مظلـما
إن أسدل الليل البهيم ستاره عكفوا على آي الكتـــاب ترنما
أو أشرق الصبح البهيج فلن ترى إلا الكتائب حاســـراً ومعلما
ملكوا الفؤاد وما دروا يا ويحهم أن الفؤاد بهـــم يهيم متيما
يتلذذون ببذلهم ويرونه حقاً أكـــــــــيداً للإله ومغنما
***

خل ادكار الأربع والمعهد المرتبع والظاعن المـــــــتودع وعدَّ عنه ودعِ
واندب زماناً سلفاً سودت فيه الصحفا ولم تزل معتـــكفاً على القبيح الشنع

كم ليلة أودعتها مآثماً أبدعتها لشهوة أطعتها في مرقد ومضـــــــــــجع
وكم خطىً حثثتها لخزية أحدثتها وتوبة نكثتها لمـــــــــــــــلعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السماوات العلى ولم تراقبه ولا صـــــدقت فيما تدع
وكم غمطت بره وكم أمنت مكره وكم نبذت أمره نبذ الحـــــــــذا المرقع
وكم ركضت في اللعب وفهت عمداً بالكـــــــــــــــــذب ولم تراع
ما يجب من عهده المتبع فالبس شعار الندم واسكـــب شآبيـــب الدمع
قبل زوال القدم وقبل سوء المـــــــــــــــــــــــــــصرع
إلامَتي تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتـــني ولســـت بالمرتدع
أ ما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقـد نع
يويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي وأخلصي واستمعي النصح وعـي
واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضـــا وحاذري أن تخـدعي
وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى فإنَّ مثواك غداً في قعر لحــــــــــد بلقع
آهاً له بيت البـــلا والمنزل القفر الخلا ومنزل السفر الألى واللاحق المتـــــــــبع
بيت يرى من أودعه قد ضمه واستودعه بعد الفضاء والســــــــــعة قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله داهية أو أبله أو معسر أومن له ملك كمـــــــــــــــــــلك تبع

***

لا يزال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلـــهه الآمـــال

***

الموت فاذكره وما وراءه فما لأحد عنه بــــــراء
إنه للفيصل الذي به يعرف ما للعبد عند ربـــــه
والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيـران
إن يك خيراً فالذي من بعده خير عند ربنا لعـــبد
وإن يك شراً فما بعد أشد ويل لعبد عن سبيل الله صد

***

وجلجلة الأذان بكل حي ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت في كل ساح ومسجدكم من العباد خال

***

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن توقت تاقت وإلا تسـلت

***

فسل المتيم أين خلف صبره في أي واد أم بأي مكان

أترى يليق بعاقل بيع الذي يبقى وهذا وصفه بالفاني

لله قوم أخلصوا في حبه فاختصهم ورضي بهم خــدام
قوم إذا هجم الظلام عليهم قاموا فكانوا سجداً وقــيام
ايتلذذون بذكره في ليلهم ونهارهم لا يفترون صـــــــيام
فسيفرحون بورد حوض محمد وسيسكنون من الجنان خيام
اوسيغنمون عراساً بعرائس ويبوءون من الجـــــنان مكـان
وتقر أعينهم بما أخفى لهم وسيســـمعون من الجليل سلام

***

هذي الجنان تزينت فتفتحت أبوابها طرباً إلى العشاق
أينام من عشق الجنان وحورها وكرائم الجنات للسباق
بل كيف يغفل موقن بعظيم سد ربه وبذا النعيم الباقي

***

فيا بائعاً هذا ببخس معجل كأنك لا تدري بلى سوف تعــــلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

***

إليك وإلا لا تشد الركائب ومنك وإلا فالمؤمل خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيع وعنك وإلا فالمحدث كاذب

***

هنيئا لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه

***

لئن لم نلتق في الأرض يوماً وفرق بينــــنا كأس المنون
فموعدنا غداً في دار خلد بها يحيا الحنون مع الحنون

متفائل واليأس بالمرصاد متفائل بالسبق دون جيــــــتـاد
متفائل رغم القيود يذيقنا جمر السياط وزجرة الجـــــلاد
متفائل بالغيث يسقي روضنا وسماؤنا شمس وصحو بـــــاد
متفائل بالزرع يخرج شطأه رغم الجراد كمنجل الحصـــاد
متفائل يا قوم رغم دموعكم إن السماء تبكي فيحيا الــوادي
والبحر يبقى خيره أتضرُّه ياقومنا سنَّارة الصيــــــــــاد
قسماً بمن أسرى بخير عباده وقضى بدائرة الفناء لعــــــاد

لتدورُ دائرة الزمان عليهمُ ويكون حقاً ما حكاه الهــادي
هذا يقيني وهو لي بلٌ الصدى والكأس غامرة لغلة صـاد
فاجعل يقينك بالإله حقيقةً واصنع بكفِّك صارماً لســداد
وإذا قطعت الرأس من حياتهم لا تنس أذناباً بكل بــلاد

***

أمتي هل لك بين الأمم منبر للســــــيف أو للقلم
أتلقَّاك وطرفي مطرقٌ خجلاً من أمســـك المنصـــرم
ويكاد الدمع يهمي عاتباً لبقـــــــايا كبرياء الألـــم
ألإسرائيل تعلو راية في حمى المــــــهد وظل الحرم
أو ما كنت إذا البغي اعتدى موجة من لهــب أو من دم
اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسم
يرب وامعتصماه انطلقت ملءَ أفواه الصــــبايا اليتَّم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتـــصم

***

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
أين الرواية بل أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

***

يا أيها الإنسان هل تبكي لما أبكـــان
أرأيت ماذا قد حصل في العالم الحيران
اليأس يعصف بالأمل ويهز كل كيــان

***

أنت الذي ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون ســـرور
أفاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

***

ذهبوا وتركوك وفي التراب وضــــعوك،
وللسؤال عرضوك،ولو بقوا معك ما نفعوك

***

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب في الله كان مصــرعي
ولقد خيروني الكفر والموت دونه ولقد هطلت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جحم نار ملفـــع

***

قد مضى في اللهو عمري، وتناهى فيه أمري.

شمر الأكياس وأنا واقف قد شيب أمــري
بان ربح الناس دوني وأنا قد بان خســري
ليتني أقبل وعظي ليتني أسمع زجـــــري
كل يوم أنا رهن بين آثامـــــــي ووزري
ليت شعري هل أراني همة في فك أســري
أو أرى في ثوب صدق قبل أن أنزل قبـري

وتأمل قوله:وحملوني على الأكتاف أربعة من الرجال وخلفي من يشيعني
وقدموني إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلى ثم ودعــــــني
صلوا علي صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحـــــــــمني
وأنزلوني إلى قبري على مهل وقدموا واحداً منهم يلحــــــــــدني
وكشف الثوب عن وجهي لينظرني وأسبل الدمع من عينيه أغرقـــــني
وقال هلوا عليه الترب واغتنموا حسن الثواب من الرحمـــن ذي المنن
في ظلمة القبر لا أم هناك ولا أب شقيق ولا أخ يؤنســــــــــني
من منكر ونكير ما أقول لهم قد هالني أمرهم جداً فأفزعـــــــــني
وأقعداني وجدوا في سؤالهم ما لي سواك إلهي من يخلصــــــــــني
ما أحلم الله عني حيث أمهلني وقد تماديت في ذنبي ويســــــترني
تمر ساعات أيامي بلا ندم ولا بكاء ولا خـــــــــــوف ولا حزني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعين الله تنـــــظرني
يا زلة كتبت في غفلت ذهبت يا حسرة بقيت في القلـــب تحرقــني
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحـــــــزن
دع عنك عذلي يا من كان يعذلني لو كنت تعلم ما بي كنت تعــذرنـي
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عبرة منها تخلـصــني

***

فيا صاحب الخطايا أين الدموع الجـــــــارية
ويا أسير المعاصي ابك على الذنوب الماضـية
ويا مبارزاً لله بالقبائح أتصبر على النار الهـاوية
ويا ناسياً ذنوبه والصحف للمنسي حاويـــــة

ترجو السلامة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

***

فكن رجلاً رجله في الثراء وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المـــــحيا

***

سعد الذين تجنبوا سبل الردى وتيمموا لمنازل الرضـوان

فهم الذين أخلصوا في مشيهم متشرعين بشرعة الإيمـان

وهم الذين بنوا منازل سيرهم بين الرجا والخوف للديـان

وهم الذين ملأ الإله قلوبهم بوداده ومحبة الرحـــــمن

وهم الذين أكثروا من ذكره في السر والإعلان والأحيـان

يتقربون إلى المليك بفعلهم طاعاته والترك للعصـــــيان

فعل الفرائض والنوافل دأبهم مع رؤية التقصير والنقصـــان

صبروا النفوس على المكاره كلها شوقاً إلى ما فيه من إحسان

صحبوا الخلائق بالجسوم وإنما أرواحهم في منزل فوقـــان

عزفوا القلوب عن الشواغل كلها قد فرغوها من سوى الرحمن

حركاتهم وهمومهم وعزومهم لله لا للخلق والشيـــــتـطان

***

لما علمت بأن قلبي فارغ ممن سواك ملأته بـــــهواك

وملأت كلي منك حتى لم أدع مني مكاناً خالياً لسـواك

فالقلب فيك هيامه وغرامه والروح لا تنفك عن ذكراك

والسمع لا يصغي إلى متكلم إلا إذ ما حدثوا بحـلاك

والطرف حيث أجيله متلفتاً في كل شيء يجتلي معنـاك

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً أضـــــتـعناه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الـــــخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

***

:والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثـي بين جلاسي

***

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

***

يا ويحنا ماذا أصاب رجالنا أو ما لنا ســتعد ولا مقداد؟

هذه بساتين الجنان تزينت للخاطبين فأين من يرتـــاد

يا ليل أمتنا الطويل متى نرى فجراً تغرد فوقه الأمـــجاد

دعنا نسافر في دروب آبائنا ولنا من الهمم العظيمة زاد

***

يا مدعي حب طه لا تخالفه فالخلف يحرم في دين المحــبينا
مالي أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تهويناً وتــدوينا
خذها سماوية خيراً تفوز به أو اطَّرحها وخذ رجس الشــياطـينا
***
لست من تأسر الحلي سباقه فكنـــــوزي قلائد الــقرآن
وحجاب الإسلام فوق جبيني هو عندي أبهى من الــتيجان
لست أبغي من الحياة قصوراً فقصوري في خالدات الجنان

:إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهــب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
***
نسينا في ودادك كل غالٍ فأنت الـــيوم أغلى ما لدينا
تسلى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعـــــدك ما سلينا
ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيـــــــف إذا التقينا
نلام على محبتكم ويكفي شرفاً نلام ولا عليـــــنا
***
:تولد نور النور من نور وجهها فمازج طيب الطيب من خالص العـــــطر
فلو وطئت بالنعل منها على الحصى لأعشبت الأقطار من غير ما قـــــطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقدت هك غصن من الريحان ذي ورق خضر
ولو تفلت في البحر شهد رضابها لا طاب لأهل البر شرباً من البـــــــحر
***
غادة ذات دلال ومرحي جد الناعس فيها ما اقترح
خلقت من كل شيء حسن طيب فالليت فيها مطرح
زانها الله بوجه جمعت فيه أوصاف غريبـــات الملح
وبعين كحلها من غنجها وبخد مـســـــكه فيه رشح
ناعم تجري على صفحته نظرة الملــك ولألاء الفرح
***
هب الرسل لم تأت من عنده ولا أخبرت عن جمال الحبيب
أليس من الواجب المستحق محـــبته في اللقاء والمغـيب
فمن لم يكن عقله آمراً بذا ما له في الحـــجا من نصـيب
وإن العقول لتدعو إلى محبة فاطـــــــــــترها من قريب

أليست على ذاك مجبولة ومفــطورة لا بكـــــــسب غريب
أليس الجمال حبيب القلوب بذات الجـمال وذات القلوب
فيا منكراً ذاك والله أنت عين الطــريد وعــــــين الحريب
ويا من يوسد محبوبه ويرضـــيه في مشــــهد أو مغيب
حظيت وخابوا فلا تبتئـــس بكيد العدو وهجر الرقيب
***

يا أمة الإسلام بشرى لن يطول بك الهـــوان
قد لاح فجرك باسماً فلتذكري ذاك الزمـــان
أبطالنا بجهادهم ومضائهم قصموا الجـــبان
وبنوا لمجدك سلماً بدمـائهم بلغ العـــنان
فلتهنئي يا أمتي ولى زمـان الغافلـــــــين
كم من سنين قد مضت والليث يهتف لن أعود
لن أنثني لن أشتكي لن أرتضي ذل القــعود
ولسوف أمضي شامخاً رغم المشقة والقـيود
***

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجـــمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طــويل ممـــنع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأعداء لي عند مصرع
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هطلت عيناي في غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جحـــم نار ملفع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصـرع

اقرءوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر
***

.تمضي السنين وتنقضي الأيام والناس تلهو والأنام نيام
والناس تسعي للحياة بغفلة لم يذكروا القرآن والإسـلام
والمال أصبح جمعة كتهجد وتمتع الشهوات صار صيام
قد زين الشيطان كل رذيلة والناس تفعل ما تشاء حرام
يا نفس يكفي فالذنوب كثيرة إن الغرور يسبب الأجرام
هل تعلم اليوم المحدد وقته الله يعلم وحده الــعلام
ماذا تقول إذا حملت جنازة ودفنت بالقبر الشديد ظـلام
هذا السؤال فهل علمت جوابه ماذا تقول إذا نطقت كلام
اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي وغداً تموت وترفع الأقلام

***

يا فارج الأزمات والكرب! وكاشف الغم والويـــلات والنوب!
إليك وحدك نشكو ما ألم بنا فقد غدونا نعاني شر منقــــلب
في كل صقع من الأصقاع نازلة بالمسلمين وحال العرب في تعب
يا رب! هذي شعوب الأرض قد وثبت وأمتـي بعد لم ترق أو تثب
يا عالم الغيب يا سؤلي ومؤتملي متى تعود إلينا وحدة الـــــرب
تعود في قوة والدين يعصمها من المهاوي التي تودي إلى العطب

***

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسي بالنبي محـــــمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد

نسينا في ودادكم كل غال فأنتم اليوم أغلى ما لدينا
نلام على محبتكم ويكفيلنا شرفاً نلام وما علـــينا
ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقيـــنا
تسلى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما ســـلينا
أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجـــند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطورمن يفز بحبـــــيب الله يأتمم
جُبت السماوات أو ما فوقهن بهم على منورة دريــــــة النجم
ركوبة لك من عز ومن شرف لا في الجياد ولا في الأيـــنق الرسم
مشيئة الخالق الباري وصنعته وقدرة الله فوق الشـــك والتـهم

***

فدىً لك من يقصر عن فداك فما شهم إذاً إلا فـداك
أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك
إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباك

***

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فلله أوس قادمون وخزرج
وإن كنوز الغيب تخفي طلائعاً صابرة رغم المكـائد تخرج

***

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا واغفر لنا ربنا ذنبـــــاً جنيناه
كم نطلب الله في ضر يحل بنا لما تولت بلايانا نســـــيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا لما وصلنا الشاطي عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأن الحتافظ الله

بذكرك يا مولى الورى نتنعم وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
إلهي تحملنا ذنوباً عظيمة أسأنا وقصرنا وجـــــــــودك أعظم
ألست الذي قربت قوماً فوفقوا ووفقتهم حتى أنابوا وأسلـــــم
الك الحمد عاملنا بما أنت أهله فسامح وسلمنا فأنت المسلم

***

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متـــــــــندما
لا تيأسن من الجليل فعندنا فضل ينيل التائبين تـــــــــكرما
يا معشر العاصين جودي واسع توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم إني الجدير بأن أجود وأرحــــما

***

إلهي لئن جلت وعظمت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها فها أنا في روضة النـدامة أرتع
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي وأنت مناجاتي الخفية تســـمع
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ فؤادي فلي في نحر جودك مطمع
إلهي أجرني من عذابك إنني أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا بنون ولا مال هنالك ينـــفع

***

يا من له وجب الكمال بذاته بل كل غاية فوزهم لقــــياه
سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هداه
من كان يعرف أنك الحق الذي بهر العقول فحسبه وكفاه
مولاي جودك لم يدع لي مطلباً إلا وتممه إلى أقــــصاه

يا أم أيمن قد بكيت وإننا نلهو ونمجن دون مــــــــعرفة الأب
لم تبصري وضع الحديث ولا الـــــــــــــــــــــــكذب
لم تشهدي بعض المعازف والطـــــــــــــــــــــــــرب
لم تشهدي شرب الخمور ولا الزنا لم تلحظي ما قد أتانا من عطب
لم تشهدي فرق الضلالة والهوى لولا مماتك لرأيت من العـــجـب
لم تشهدي فعل العدو وصحبهم ها نحن نجثو لليهود على الركب
وا حر قلبي من تمزق أمتي أضحت أمورك أمتي مثل اللــــــــتعب

***

.يا مخطئاً ما أجهلك عصيت ربا عدلك وأقدرك وأمهلك
عجل وبادر أملك واختم بخير عمـــــــــــــــــــلك
وناد رباً فضلك لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك

***

بين الجوانح في الأعماق سكناه فكيف أنت ومن في النـــاس ينساه
وكيف أنت حبيباً كنت في صغري أسير حسن له جـــــــلت مزاياه
ولم أزل في هواه ما نقضت لعهداً ولا محـــــــــــت الأيام ذكراه
قد شاخ جسمي ولكن في محبته وما زال قلبي فتى في عشق معناه
وفي كل عام لنا لقيا محببة يهتز كل كياني حـــــــــــين ألقاه
بالعين والقلب والآذان أرقبه وكيف لا وأنا بالروح أحـــــــــــياه
والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت ساعاتها أحـــــــــيالها وأحلاه
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى فما أجل وما أجـــــــــــلى محياه
ألقاه شهراً ولكن في نهايته يمضي كطيف خيال قد لمـــــــــحناه
في موكب الطهر في رمضان الخيرتجمعنا محبة الله لا مال ولا جاه
من كل ذي خشية لله ذي ولعب الخير تعرفه دوماً بـــــــــتسيماه
قد قدروا مواسم الخيرات فاستبقواوالاستباق هنا المحمود عقباه
صاموه قاموه إيماناً ومحتسباً أحيوه طوعاً وما في الخـــــير إكراه
وكلهم بآيات القرآن مندمجاً كأنه الدم يــــــــــسري في خلاياه
فالأذن سامعة والعين دامعة والروح خاشعة والقـــــــــتلب أواه

***

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذي لم تعلمـــــتوه
رأى علم الهدى فسعى إليه وطلب مطلباً لم تطلبوه
أجاب دعاءه لما دعاه وقام بأمره وأضــــــــتعتموه
لنفسي ذاك من فطن حصي فتذوق مطعماً لم تطعموه

***

يا قادماً للتقى في عينك الحب طال اشتياقي فكم يهفو لكم قلب
صبرت عاماً أمني قرب عودتكم نفسي فهل يدنو لكم ســــــرب
قل هل طيفكم فاخضر عامرنا والله أكرمنا إذ جاءنا الخــــصب
ففيكم يرتقي الأبرار منزلةً والخاملون كسالى زرعهم جــــــــدب

***

يا أمة لعبت بدين نبيها كتلاعب الأطـــــــــفال بالأوتار
وإذا تلا الإمام عليهم سورة فأطال ما عدوه في الأسفار

***

.رباه عفوك إني للنور مدت يدايا وأبكي ويبكي دمعي ويبكي بـــــــــــكايا
وحفنة من وعاء غرسه من دمايا ولا لغيرك دوى يا رب يوماً نـــــــــــــدايا
إليك أنت صباحي مصفداً في مسايا فاذكر إلهي ضياءك إني ظمآن ضل صدايا
لم أدر من أي نبع أسقي حنين الركايا والشط لا ماء فيه يطفي اللظى في حشايا
رحماك يا رب هذا إثمي وصادي تقايا وذاك دربي وهذا على الطريق عصــايا
رحماك يا رب إني وزورقي والخطايا في لجة ليس فيها من الضـــياء بقايا
هب الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا كمثل ظلأ ظلك ثم آذن بالــــــزوال

***

يا صائماً عافت جوارحه الخنا أبشر برضوان من الديان
عفو ومغفرة ومسكن جنة تأوي بها من مدخل الريان

***

فأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما مماتٌ يغـــيض العدى

***

أرواحنا يا رب فوق أكفنا ترجو ثوابك معـــــــــــنماً وجواراً
في ظل السيوف كأننا في ظل حديقة خضراء تنبت حولنا الأزهارا

***

قسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه إن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالي أراك تكرهين الجنة قد طالـــــــــــــما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنة

***

سدت دروب الشعر وأقفلت أبوابه وبات قلبي بعد ذلك باكيا
لما حيل بيني وبين مناي قهراً عشت ذل القعود وبعت حياتيا
بعتها لمليكها الذي لا يرتضي لعباده ذلاً ولست أرضاها ليا
أبتاه روحي في المعارك لا في أتحول بيني وبين نفسي وروحيا
أبتاه جعفر في المنام بدا ليا ويصيح بي ألا لحـــقت ركابيا
أبتاه نفسي لا تريد غواني امالي وللــــــتدنيا وما لها ما ليا
أبتاه إني أرى في بغدادنا مهجاً تروي لنا الآلام توالياً وتواليا
هناك يريدون لأعراضهم ردأوهنا إخوتي يتغزلون بأختيا
هناك يطلبون لجوعهم سداً وأنا هنا أعاف طعاميا
أبتاه يأملون لأطفالهم أمناًوأنا ثوابك ههنا آماليا
أبتاه إني أرى في بغدادنامهجاً تروي لنا الآلام توالياً وتواليا

وا إسلاماه كالسيف الذي صار محطماً لقيوديا
وا معتصماه كالسهم الذي سار محرراً لهم وليا
أبتاه أقسم بالذي خلق الحياة لحكمة والرب العزيز يشهد عهديا
أن أظل في ساح المعارك غازياً أذود بنفسي كما أذود بروحيا
فإما أن أعود للوطن الحبيب براية رافعاً رأسي والجنود ورائيا
أو أن أعود للوطن الحبيب ببسمة رسمت على شفاهي هناك قبل مماتيا
شهادة ورب البيت فزت بها شهادة أقبل بها حوريتي بشفاهيا
أرفرف تحت ظل العرش كطير أخضرفارتقب أبتاه ذاك مكانيا
***
أولئك أتباع النبي وحزبه فلولاهم ما كان في الأرض مسلم
لولاهم كادت تميد بأهلها ولكن رواسيها وأوتادها هم
ولولاهم كانت ظلاماً بأهلها ولكن هم فيها بدور وأنجم
أولئك أصحابي فحي هلاً بهم وحي هلاً بالطيبين وأنعم
***
فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى صريع الأماني عن قليل ستندم
أفق قد دنا الوقت الذي ليس بعده سوى جنة أو حر نار تضرم
وبالسنة الغراء كن متمسكاً هي العروة الوثقى التي ليس تفصم
وهيئ جواباً عندما تسمع الندا من الله يوم العرض ماذا أجبتم
به رسلي لما أتوكم فمن يجب سواهم سيخزى عند ذاك ويندم
وخذ من تقى الرحمن أعظم جنة ليوم به تبدو عياناً جهنم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها فهاو ومخدوش وناج مسلم
ويأتي إله العالمين لوعده فيفصل ما بين العباد ويحكم
فيا ليت شعري كيف حالك عندما تطاير كتب العالمين وتقسم
فبادر إذاً ما دام في العمر فسحة وعدلك مقبول وصرفك قيم
***
أذكر إخوتي في كل أرض بأن القدس دنسها اليهود
ويا عجباً إلى ما النوم عنها وقد لعبت بمسجدها القرود
لئن كانت موانعنا قيود أما للقيد كسر يا أسود
أما لليل من أجل قريب يحل مكانه فجر جديد
***
أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمىً مباحٌ وسيف قاطع ودم صبيب
أمورٌ لو تأملهن طفل لطفل في عوارضه المشيب

أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذاً يطيب
أما لله والإسلام حق يدافع عنه شبانٌ وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا أجيبوا الله ويحكمُ أجيبوا

***

أيا فلسطين من يهديك أفئدة ومن يعيد لك البيت الذي خربا
شردت فوق رصيف الدمع باحثة عن الحنان ولكن ما وجدت أبا تلفتي
تجدين في مبادئنا من يعبد الجنس أو يعبد الذهبا
يا شام إن جراحي لا ضفاف لها فامسحي عن جبيني الحزن والتعبا
أتيت من رحم الأحزان يا وطني أقبل الأرض والأمجاد والشهبا
أنا قبيلة آلام بكاملها ومن دموعي سقيت الأرض والسحبا
يا شام أين هما عينا معاوية وأين من زاحموا بالمنكب الشهبا
وقبر خالد في حمص نلمسه فيرجف القبر من زواره غضبا
يا رب حيٍ تراب القبر مسكنه ورب ميت على أقدامه انتصبا
يا ابن الوليد ألا سيف نؤجره فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا
أدمت سياط حزيران ظهورهم فأدمنوها فباسوا كف من ضربا
وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا متى البنادق كانت تسكن الكتبا
يا من يعاتب مذبوحاً على دمه ونفس شريانه ما أسهل العتبا
من جرب الكي لا ينسى مواجعه ومن رأى السم لا يسقى كمن شربا
حبل الفجيعة ملتفٌ على عنقي من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا

***

أحمد ياسين يا أول الأطهار! في زمن الرذيلة والبغاء ياراحلاً للخلد لا أرثيك أنت بل لنا الرثاء
لن نقبل التعازي فيك، فلقد رفعت رءوسنا وعلمتنا دروساً في التضحية والفداء،
أحمد ياسين قالوا: بأنك مقعد، فكيف قعدت على قلب كأنك مشهد،
وكيف كسرت الحواجز بين البلاد والعباد؟ ألست بمقعد؟
ركبت إلينا سفينة نوح فأجر يتها وعيون البرية تشهد،

***

هم الرجال بأفياء الجهاد نموا وتحت سقف المعالي والمدى ولدوا
وجباههم ما انحنت إلا لخالقها وغير من أبدع الأكوان ما عبدوا
الخاطبون من الغايات أكرمها والسابقون وغير الله ما قصدوا

سفري بعيد وزادي لن يبلغني وقوتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها الله يعلمها في السر والعلن

***

من منا لم يخطئ قط ومن له الحسنى فقط   إن أنت رمت محسناً رمت الشطط

***

إلهي لا تعذبني فإني مقر بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا وأنت علي ذو فضل ومني
إذ فكرت في ندمي عليها عضضت أناملي وقرعت سني
يظن الناس بي خيراً وإني لشر الناس إن لم تعف عني
أجن بزهرة الدنيا جنوناً وأقضي العمر فيها بالتمني
وبين يدي محتبس ثقيل كأني قد دعيت له كأني

***

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها متنقلاً من مفصل في مفصل
ويرى وصول غدا الجنين ببطنها في ظلمة الأحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها في قاع بحر مظلم متهول
امنن علي بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأول

***

ربي لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو
الشمس والبدر من أنور حكمته والبر والبحر من فيض عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يلهج حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه.

***

إليك إله الخلق أرفع رغبتي وإن كنتُ يا ذا الجود والمن مجرم
اولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلم
اتعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

***

. يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمـــفزع
يا من خزائن رزقه في قوله كن امنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقـــري أرفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي بـاب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لفضلك أن تقنط عاصياً فالفضل أجزل والمواهب أوسع

***

أما آن لما أنت فيه متاب وهل لك من بعد الغـــياب غياب
تقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترجوه وهو سراب
وليس للمرء من سلامة دينه سوى عزلة فيها الجلـــيس كتاب
كتاب حوى كل العلوم وكل ما حواه من العلم الشريف صـواب
فيه الدواء من كل داء فثق به فوالله ما عنه يـنوب كتـــاب
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجاء مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظـما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ودوداً وتعفو منة وتـكرماً

***

ما أحلم الله عني حيث أمهلني وقد تماديت في ذنبي ويستـرن
تمر ساعات أيامي بلا ندم ولا بكاء ولا خوف ولا حــزن
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعين الله تنظرن
يا زلة كتبت في غفلة ذهبت يا حسرة بقيت في القلب تـحرقن
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحـزن
دع عنك عذلي يا من كنت تعذلني لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرن
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عبرة منها تخلـصن
نسينا في ودادكم كل غال فأنتم اليوم أغلى ما لدينا
تسلى الناس في الدنيا وإنا لعمر الله بعدكم ما سلينا
ولما نلقكم ولكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقينا

***

ليك إلهي قد أتيت ملبياً فبارك إلهي حجتي ودعائيا
قصدتك مضطراً وجئتك باكياً وحاشاك ربي أن ترد بكائيا
كفاني فخراً أنني لك عابد فيا فرحي إن صرت عبداً مواليا
أتيت بلا زاد وجودك مطعم يوما خاب من يهفو لجودك ساعيا
إليك إلهي قد حضرت مؤملاً خلاص فؤادي من ذنوبي ملبيا

***

.روح دعاها للوصال حبيبها فسعت إليه تطيعه وتجيبه
يا مدعي صدق المحبة هكذ افعل الحبيب إذا دعاه حبيبه
.يا عجباً للناس لو فكرو اوحاسبوا أنفسهم وأبصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر

***

واحسرتي واشقوتي من يوم نشر كتابيه
واطول حزني إنأكن أوتيته بشماليه
وإذا سألت عن الخطأ ماذا يكون جوابيه
واحر قلبي أن يكون مع القلوب القاسيه

***

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حُط ذا عن نعشه ذاك يركبُ
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة وكأنا بما علمنا يقيناً نكذبُ
إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا كل يوم واعظ الموت يندبُ
نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها وعلّ الردى مما نرتجيهِ أقربُ
ستنقلك المنايا من ديارك ويبدلك الردى داراً بدارك
وتترك ما عنيت به زماناً وتُنقل من غناك إلى افتقارك
وفي عينيك دود القبر يرعى وترعى عينُ غيرك في ديارك

***

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السلاح
وصناعة الأبطال علم قد دراه أولو الصلاح
من لم يلقن أصلهمن أهله فقد النجاح
لا يُصنع الأبطال إلافي مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة ورق تذريه الرياح
من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح
فليتك تحلو والحياة مريرة ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

***

تتوب عن الذنوب إذا مرضت وترجع للذنوب إذا برئت
فكم من كربة نجاك منها وكم كشف البلاء إذا بليت
أما تخشى بأن تأتي المنايا وأنت على الخطايا قد دهمت
.يجري القضاء وفيه الخير نافلة إن جاءه فرحٌ أو نابه ترحٌ ..
. لمؤمنٍ واثق بالله لا لاهي في الحالتين يقول الحمد للهِ

***

إني رأيت وفي الأيام تجربةٌ ... للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر

فقلَّ من جدّ في أمر يحاوله واصطحب الصبر إلاَّ فاز بالظفر

***

لا ييأسنَّ وإن طالت مطالبةٌ ... إذا استنعت بصبرٍ أن ترى فرجاً

***

وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ومحمد كان أمير الركبإنَّ اسم محمدٍ الهادي يقود الفوج لنصرتنا روح الآمال لأمتنأ

***

وإن عنفتموني لقائل أطعناه لم نعدله فينا بغير أمركم السيء الذي كان غاويا

فداً لرسول الله أهلي ومالي شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

***

أروح وقد ختمتُ على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

إذا اشتبكت دموع في خدود تبيّن من بكى ممن تباك

فما شهم إذاً إلا فداك

***

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا ربنا أولى بذا كرماً شبنا على الرق فاعتقنا من النار

تم بحمد لله الجزء الثاني

من المرشد المعين

فهرس المحتويات

المحتويات